

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -



كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية  
قسم التاريخ

أطروحة مقدمة لنيل شهادة "دكتوراه" علم اللّهجات: علم أسماء الأمكنة

دراسة طبونيمية لأسماء الأمكنة  
- الشعر الملحون أنموذجاً -

من إعداد الطالب:

سيدي محمد غيثري

تحت إشراف:

أ. د سعيدي محمد

لجنة المناقشة

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د سلامي عبد القادر
مشرفاً و مقرراً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ. د محمد السعيدي
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر (أ)	د بسنوسي غوثي
عضوا مناقشا	جامعة معسكر	أستاذ محاضر (أ)	د ديب محمد
عضوا مناقشا	جامعة الشلف	أستاذ محاضر (أ)	د لخضر قطاوي
عضوا مناقشا	جامعة الشلف	أستاذ التعليم العالي	أ.د عبد القادر شارف

السنة الجامعية: 2016 م - 2017 م / 1436 هـ - 1437 هـ

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

### أسباب اختيار الموضوع:

بدأت اهتماماتي بالمواقعية *Toponymie* في إطار البحوث اللسانية التطبيقية التي كنا نعمل في حقلها بمخبر المعالجة الآلية للغة العربية، ولما اهتمدنا إلى فكرة الأطلس الإلكتروني لتحديد أسماء الأماكن الوقفية في الجزائر، بدأت ملامستنا للمجال تتعمق، وزاد معها الاهتمام بالموضوع لما اكتشفنا ثراءه الثقافي الذي يرتبط مباشرة بهذه الأسماء، وضرورة الاعتراف من الحقل المعرفية، لتبين حدود هذه الأسماء وتقاطعها العلمية وانتمائها لتخصصات متعدّدة، ومن ثمّ قررنا الانغماس في قراءة اسم المكان بأبعاده التي لا تتقيد بزمان ولا حتى المكان الذي تدل عليه، ولا تتوقف عند حدود البعد التأصيلي للاسم.

ومن الأسباب الموضوعية التي دعمت هذا الاختيار، الأهمية الاستراتيجية للمجال في أي تخطيط تنموي للبلد، دون استثناء مجال من مجالات الحياة، فهي - أي الطبونيميا - تمثل بعدا حيويًا لقطاعات مختلفة، خاصة إذا علمنا تأثير المكان في إحياءات الزمان لمدّ الدارسين بالمعلومات ومتطلبات التحليل في خدمة البحث العلمي الأكاديمي.

ولعل ما يربط الإنسان من حس وانطباعية، يعدّ العامل الأبرز في تحديد البعد الوجداني للإنسان وعلاقته بالمكان، فكان هذا الدافع الذاتي في هذا الميول الذي لا يحتاج إلى توضيح أكثر لارتباط الإنسان بمكان الميلاد، ناهيك عن الذكريات التي لا تفارقه في حياته بمجرد بروز قرائن ترتبط به.

### الإشكالية

كان من الضروري أن نعود إلى قراءة التراث العربي القديم ونتبع هذه الأسماء في الشعر العربي وفي التراث الثري عند مقتضيات الحال، وصولاً إلى أعمال المحدثين الذين دققوا في المجال إلى درجة أنه عرف تفرعات متعددة للبحث في كل ما يتعلق بالمكان أو أسمائه.

وتبينت بعد قراءات كثيرة إشكالية الموضوع التي تعددت مداخلها، بداية من عدم وضوح الحدود المعرفية للمجال، نظرا لتعدد زوايا الملامسة للمكان، عند ذاك تأكدت من ضرورة الدراسة البيئية، فزادت متوالية السؤال.

كانت البداية مع إشكالية الوقوف على المصطلح، فما هي الأسس المعتمدة في اتخاذنا قرار الإرساء على البعد التسموي للمجال؟

- وإذا سلّمنا بتصنيف الواقعية أي الطبونيميا ضمن الدراسات البيئية لإجماع الدارسين أنّها تبدأ بمجالين علميين تسليمًا مطلقاً، فإلى أي حدّ تكون الاستفادة من العلوم المختلفة بالنظر إلى تعدد المجالات التطبيقية؟

- وما الإمكانيات العلمية والتكنولوجية المتوفرة لدى الباحثين بالنظر إلى تنوع الأهداف البرمجائية في هذا المجال؟

- ما هي التمازجات والتباينات في الدراسات المتعلقة بالمكان وباسمه؟

- إذا اعتبرنا الطبونيميا أساس التخطيط في الدراسات الإستراتيجية، وضرورة في البرامج التنموية، فما هي المجالات العلمية والتطبيقية لتحديد مجالات الاستعمال، وإمكانيات الاستفادة منه؟

- ما هي إمكانيات الدراسات الطبونيمية في الجزائر لمسايرة التطور التكنولوجي السريع، ومواجهة تحديات العولمة؟

وفي فرضية متوقعة، تستجيب لاحتمالات تعدد التساؤلات، ونظرا لأهميتها في خدمة الموضوع، نعتقد جازمين، أنّ وضع مخطط يتوقف على شبكة من العلاقات المعرفية التي لا تقف على مجال علمي واحد، لا بد أن يكون تصوره لواقع العمل مفتوحا للامسة ما تيسر للباحث في هذا الجانب النظري، وفق معطيات هذا العمل الفتي، وبحسب ما يمليه الفهم، ومن ثمّ الوقوف على عينات تطبيقية، تكون بمثابة الترجمان العملي لكل ما يتم الوصول إليه نظريا، خاصة إذا علمنا أنّ المنطلق التطبيقي يأخذ مدونة معينة تعكس التراث اللامادي لتلمسان، ويتم التركيز فيها على المادة الشعرية، وحصرناه في الشعر الملحون، وقد نكتفي بقصيدة بعينها تتوفر على طبونيمات من تلمسان لتحديد النماذج التطبيقية.

ولما ولجنا المجال البحثي الأكاديمي، ولمسنا البعد العملي والميداني، تبين لنا أنّه يفتقر إلى الخلفية النظرية لهذا العلم، التي نعتمد عليها في أي بداية دراسية لأي عمل علمي،

ولنتمكّن من رسم حدود هذا العلم، والتبيّن من حقوله المعرفية التي تمدنا بمرجعيات نأخذ بها، للتأسيس لمعطيات هذا البناء، عزمنا على الاجتهاد في جمع كلّ ما يمتّ بصلة للموضوع ومحاولة رسم الأطر التي تنظمه وفق المعطيات العلمية لهذا المجال الحيوي، على أن تكون المحاولات التطبيقية ترجمة فعلية لهذا البعد النظري.

### منهجية البحث:

أما بخصوص منهجية البحث، فقد تعدّدت مسالكه، خاصّة إذا علمنا أنّه يتطلب الجرد والجمع، والوصف والتحليل، والاستفادة من مشارب متعدّدة لمجالات علمية تعكس الروافد المعرفية لطبيعة البحث.

وما لا يخفى على أحد، هو طبيعة التعامل المنهجي مع هذا النمط من الأبحاث، فالمنهج التكاملي يتبناه باحثون، ويرفضه آخرون، في إشارة إلى الحقول التي نعتمد عليها في معالجة هذا الموضوع الذي لا يستقيم فيه الطرح إلّا في ضوء ما تقدمه زوايا النظر التي تتكامل في علاجها للأسماء.

لذلك، كان لحقل الدراسات البينية الأثر في توجيه المنهج الذي يبني على اغتراف من مجالات علمية تنتمي إلى حقول معرفية مختلفة، تفرض علينا تارة الوصف للثابت والمتغير لمزاحمة تغيرات الزمان للمكان القار بمتغيرات الأحداث التي تتحقق فيه، ولا بد من التحليل نظرا لطبيعة المدونة الشعرية التي نستقي منها مادتنا، ولا يقف البعد العملي عند هذا الحد السردى. وأما عن طريقتي في جمع المعلومات وفرزها بغرض تصنيفها واستخدامها، فاعتمدت من جهة المصادر والمراجع ذات الصلة، ومن جهة أخرى، أجريت مقابلات مع بعض المهتمين ومن يمتلك من التراث الشفوي في المجال، فالذاكرة الجماعية في بعض المناطق التي تتواجد بها العينات، كانت حاضرة في استقاء المعلومات وللإجابة عن بعض التساؤلات التي تناولتها الألسنة بالرواية والمشافهة عن الأسلاف.

وبشكل عام، عمدت من خلال هذه المنهجية إلى تبيان بعض ما غمض في جوانب الموضوع، والإجابة عن التساؤلات المطروحة في إشكالية البحث..

## خطة البحث

فكان تقسيمه إلى مقدمة ومدخل وبابين أحدهما نظري والآخر تطبيقي ، وفي كلّ باب مفصل و ينتهي بخاتمة.

## المدخل

المعرفة العربية التاريخية

## الباب الأول: الجانب النظري

### تمهيد

المجالات العلمية والحقول المعرفية للدراسة

## الفصل الأول: الوحدات الطوبونيمية

وضع الألفاظ في اللغة العربية

التقسيم اللغوي

الأسماء الأعلام

## الفصل الثاني: الدراسات البيئية والمواقعية

المصطلح الطبونيمي

## الباب الثاني الجانب التطبيقي

### تمهيد

تناولت فيه تلمسان كعينة جغرافية لدراستي الطوبونيمية، ومحطات تاريخية في مراحلها المختلفة. وذكرت الانتحال التسموي لها، وتعدد أسمائها، ووسطها الطبيعي والثقافي...

## الفصل الأول: الدراسة التطبيقية للقراءة المواقعية

. الدراسات المواقعية.

. الدراسات المواقعية والمخططات التنموية.

## الفصل الثاني: طبونيمات الشعر الملحون التلمساني

. مكانة اللهجات بين العامية والفصح

الطبونيمات التراثية والتحويلات اللغوية والدلالية

الشعر الملحون التلمساني

## الفصل الثالث: دياكرونية أسماء الأمكنة

التغيرات التسموية لطبونيمات تلمسان

ثورة المعلومات والعولمة

### الخاتمة

. ذكر النتائج التي توصل إليها البحث، وتحديد آفاق الدراسة لتوسيعها إلى التراث (المكتوب  
نثراً).

### قائمة المصادر والمراجع:

وقد اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع لها علاقة مباشرة بالموضوع -  
على قلتها - ومن أهمها : .

. كتاب معجم البلدان، تأليف الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي  
الرومي البغدادي، منشورات مكتبة الأسد، رقم 7، طهران، 1965م.

. مصطفى بن حلفاوي La poésie du maghreb

. يا ضوء عياني للشيخ ابن سهلة

. الحوفي التلمساني (شعبي).

. ابن تريكي

. ابن مسايب

. المنداسي Maître

### الخلاصة:

وخلاصة ما نجم عن خطة هذا البحث، أنها تتضمن التأكيد على الأهمية العلمية التي  
يكتسبها هذا البحث - الموضوعية والإستراتيجية - وهو ما سيؤهله في نظرنا لمشروعية القبول.  
أما الصعوبات التي واجهتني فتمثلت في ندرة الكتب في هذا المجال، خاصة إذا علمنا أنّ هذا  
العلم يعدّ مجالاً فنياً مقارنة بغيره من العلوم وإن كانت له جذور قديمة في التراث عموماً وفي  
المجالات العسكرية خصوصاً.

وفي الأخير نشكر كل من أسهم - من قريب أو بعيد - في إنجاز هذا البحث، وإن كان  
لابدّ من وقفة صادقة في باب العرفان، فهي شكر الأستاذ المشرف الذي وافق لأول وهلة على

احتضان هذا البحث دون أي تردّد: الأستاذ الدكتور: محمد سعيدي، فله مّيّ كلّ التقدير والعرفان، وجزيل الشكر والامتنان، كما لا يفوتني أن أتقدّم بشكري لكلّ من كلف نفسه عناء القراءة بغرض التوجيه والتصويب، فله من الله العليّ القدير الأجر والثواب.

وفي الختام أسأل الله عزّ وجلّ أن يلهمنا السداد والتوفيق، فإنّ أصبنا فمن الله، وإنّ أخطأنا فمن أنفسنا، والله من وراء القصد، وهو يهدي إلى سواء السبيل.

تلمسان في يوم 2017/10/12

الطالب: سيدي محمد غيثري

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المدخل

لم يكن إنسان هذه الأمة بدعة بين الأمم، فهو في مساره الحضاري عرف تطوراً معرفياً عربياً حضارياً، تحقق عبر تاريخ طويل، وهو ثمرة نشاط مستمر ومتواصل لم ينقطع، أسراره عمق الأرض، وتوسعاته الجغرافية، وتموقعه في فسحة المكان التي خطّ فيها تطوره ونضجه بداية من الكهوف ومروراً بأنواع الإنجازات إلى تفنّنه في تشييد القصور،

ومع هذا التطور الحضاري الإنساني، الذي فرضته نواميس الكون، والنظم الطبيعية في الحياة، عرف الإنسان العربي أيضاً ومنذ زمن طويل، وعبر عصور متتالية - كما أثبتته الدراسات التاريخية الأناسية، والدراسات البنيوية الميتولوجية، والتي تعود إلى ما قبل التاريخ - الرافعة الجغرافية التي حدّدت المكان، كما قال د. جمال الدين لخضور في تحديده لتلازمة أساسية في تفاعل ثنائية الزمان والمكان: « لقد كان إنساننا في هذه المنطقة ثمرة التعاضدية بين جهود التطورية وتفجير الطبيعة عن قدرة خلاقة وقاسية، فصب الإثنان ماءهما في فسحة المكان التي فتحت صدرها لقلق الإنسان وهو يلتقط السنين تجرّ بعضها فنحتها على المكان الخالد في قلب الكهوف وعلى ضفاف الأنهار... »<sup>1</sup>.

وما يجدر الإشارة إليه، أنّ هذا الإنسان نفسه عرف عبر تعاقب المراحل التاريخية، تلوينات حضارية تباينت في شدة آثارها، وكثافة بصماتها، ومنها على وجه الخصوص، ما كان للرسالة الإسلامية، وانتشارها في أقطار عديدة في العالم، من أثر كبير في تأسيس الوحدة التي تميّز بها الإنسان العربي في بيئته، بصبغة تاريخية، وجغرافية، ولغوية، ووعي نفسي/جمعي،

---

<sup>1</sup> جمال الدين لخضور، عودة التاريخ، عودة التاريخ: الانتروبولوجية المعرفية العربية، دراسة في الأناسة المعرفية التاريخية - اللغوية و وحدتها، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، الجزء الأول، سنة 1997، ص 11.

وثقافي/علمي، للوصول إلى تأسيس للهوية العربية، وبالتالي التأسيس الأناسي الثقافي بالاعتماد على التأسيس المعرفي الشمولي.

لم يكن هذا كافياً لولا الجهود التي توالى في ما بعد، فكانت المحاولات تلو الأخرى لقراءة الخزان التراثي الكبير لهذه الأمة، من جميع جوانبه، بالاستفادة من تجارب غيرنا من الأمم، لكن دون الاعتماد على ما قدموه كلياً، ولا أخذ قراءاتهم لتراثنا مسلمات، ولا مساطر إيديولوجية لأنها ذهبت في تسجيلاتها التزييفية والتغريبية للحقائق التاريخية للعرب، إلى حد بعيد من المغالطات، بدءاً باختزال تلك الحضارات زمنياً ومكانياً وتاريخياً<sup>1</sup>.

لذلك نعتقد جازمين، أنه يجب على الباحث العربي إعادة القيام بقراءة جديدة، وحيادية، وموضوعية، وموثقة للعناصر التاريخية، بل ونقدية للأعمال التي سبقت.

وإني على يقين - لتحقيق هذا المطلب - من ضرورة توزيع العمل على أهل الاختصاص، ليكون أرضية الدارسين في المخابر ذات الصلة، وكذلك تمكين الباحثين من الإمكانيات التي توفر لهم الأجواء المناسبة مادياً ومعنوياً، بل ويكون لهذا المشروع الأهمية الاستراتيجية والقيمة العلمية التي تخدم هذه الأمة.

وعليه، فإنه من واجب كل غيور أن يعمل على تشجيع مثل هذه القراءات، والعودة للوقوف على هذا التاريخ العريق، لملامسة المراحل المتواصلة والمتصلة في تآلف أصيل، لتاريخ طويل، والاشتغال على المخيال الاجتماعي، الذي يعود إلى تراكمات صنعتها الأجيال عبر تطور أناسي ميتولوجي لغوي يمتد لقرون طوال.

لكن، في عمل مثل هذا الذي بين أيدينا، لا يمكننا وفق مداره الزمني أن نحترم التقسيم التاريخي المطلوب، أي التاريخ العربي الذي يعتمد التوفيق بين مجموعة مترابطة متواشجة من المراحل، لأنّ القراءة التي تستند على تأسيس معرفي بمفهومه الشمولي وبمرجعية أناسية ثقافية، تكاد تكون شبه مستحيلة، نظراً لمحدودية الإطار المكاني الزمني، وكذلك اللغوي، الذي حددناه في موضوع عملنا بمستوى لغوي يعكس فئة مجتمعية وسطى، تمثل سيرورة اجتماعية تاريخية، ضبطتها صيغة عنوان البحث، بمدى الحضاري الجغرافي.

<sup>1</sup> المرجع السابق، الجزء الأول، ص 12.

وتماشياً مع الأهداف المسطرة لهذا العمل، يتوجب علينا، أن تكون هذه القراءة، متتبعة لمخيال جمعي، يعكس حقبا تأخذ بالاهتمام الذاكرة الجمعية والميثولوجية انطلاقاً من الشفوي والمكتوب، بالموازاة مع البنية الأناسية العامة المعرفية والثقافية - الشفوي والمكتوب - لما يتواجد مع مثيلاتها في زمن معين، وواقع تاريخي وجغرافي، مع اعتبار الفوارق والخصوصيات اللغوية والمعرفية العامة.

وما لا يجب إغفاله، هو ضرورة الدراسة التي تعتمد البعدين: الشاقولي والأفقي، ففي الشاقولي لا بدّ من إدراك التواصل والتداخل والتواشج في البنية الواحدة من حيث دياكرونيتهما الدراسية، أي البنية الحلزونية للأناسة العربية معرفياً وحضارياً وثقافياً.

### التمثيل البياني (لثنائية الزمان والمكان)<sup>1</sup>

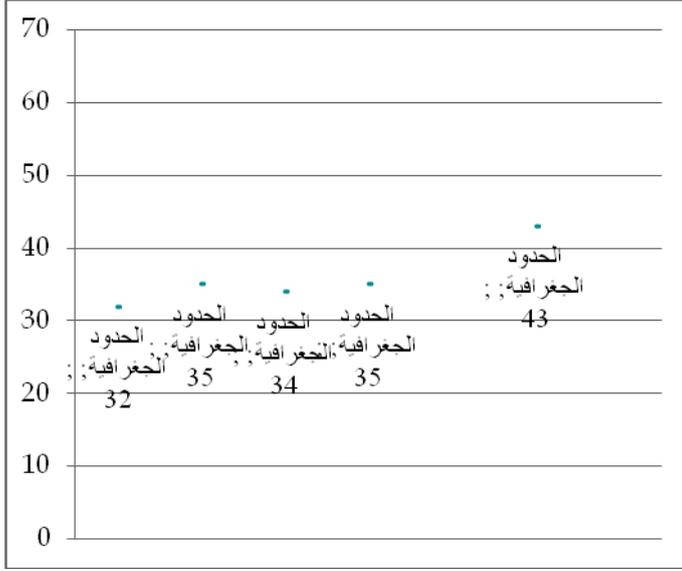
أمّا الجانب الأفقي فيه، فتمثله الرقعة الجغرافية محل الانتشار المعرفي الحضاري الثقافي، الذي يكون فيه المكان، بل اسم المكان، القصدية التي يتركز عليها، للوصول إلى الحقيقة التاريخية، عبر المدونة المحددة، في تكامل لغوي، يسدّ ثغرات ما تبقى من وقفات، تنطلق من الشعر لأنه ديوان العرب<sup>2</sup>، ومن مدونة الشعر الملحون أساساً عملياً وتطبيقياً يعتمد الضابط العلمي أولاً، بقصدية محدّدة سلفاً ثانياً، تبغي تحقيق الهدف المطلوب من هذا العمل لا غير، ووفق ضابط ثالثٍ يأخذ بالحسبان المآلات الاستراتيجية لتوجيه الدراسة وفق البعد الشمولي الذي سبقت الإشارة إليه، وحسبان اختلاف القراءات.

نعم، بوصولنا للمكان نكون قد وقفنا على عتبة الموضوع الذي نعمل في حقله المعرفي ومجاله العلمي أي الطبونيمي.

<sup>1</sup> يمثل المحور العمودي المراحل الزمنية بعقود أو قرون، ويمثل المحور الأفقي التغيرات الجغرافية التي تحدث في مستوى

الحدود التي تتحكم فيها ضوابط سياسية وغزوات وحروب، وغيرها من العوامل، المرجع السابق، الجزء الثاني، ص 86 .

<sup>2</sup> جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 14.



ولابد أن نربط المكان بخزانه التراثي، وبسماته التي تميزه عن غيره، وذكر الخصائص التاريخية والعقيدية التي تعد الواسم المعرفي البارز ليس للمكان وحده، بل للمنطقة بأكملها، أي الشمال الإفريقي من البحر المتوسط إلى المحيط. ولعلّي أجد في قول د. جمال

الدين الخضور صاحب كتاب عودة التاريخ، الموسي لانشغالات المواطن العربي، ما نصّه: « يبدو التواجد العروبي في المغرب العربي هو الواسم الوحيد والأوحد للهوية الوطنية ليس فقط بعد انتشار الرسالة الإسلامية، أو من خلال ما سبقها بحوالي ألفي عام من خلال الجولان العروبي الفنيقي والصرح العظيم الحضاري الذي انتشر على كل سواحل البحر المتوسط من الشرق إلى المحيط الأطلسي بل ومن خلال الهجرات العروبية الأولى التي امتدت على مساحة الزمن الواسعة منذ انتهاء العصر الباليوتي/انتهاء العصر الجليدي الأخير/ وابتداء الميزوليت، وصولاً إلى الهجرات الثانية، والمتعمق في هذا التاريخ يدرك أن المغرب العربي لم يكن ولا في يوم من الأيام بعيداً عن هويته الديموغرافية العروبية»<sup>1</sup>.

لذلك، يستلزم الوقوف على هذه السمات، قراءة للذاكرة، ووقفاً علمياً أركيولوجياً، يثبت لهذا الوطن هويته، بأدوات إجرائية، ينتجها ضمن منظومة عقلية، يحددها هذا المسار الزماني المكاني للأناسة العربية، معرفياً وحضارياً وثقافياً، وفي حركية ترتبط عضويًا بما قبلها وبما بعدها، مع المراحل السابقة واللاحقة لهذا الوطن، لتكون القراءة كاشفة وواعية لهذا التراكم الذي يمثل كل الجوانب التي تسمه، تخصه دون غيره من الأوطان.

ولاستكشاف هذا التراكم المعرفي، وقراءته، لابد من جهود كبيرة وأقلام عديدة في مختلف التخصصات، فكان من الواجب أيضاً، ولضرورة الإحاطة بزوايا النظر من ملامسة

<sup>1</sup> جمال الدين لخضور، عودة التاريخ، الجزء الأول، ص 80.

الأشكال التعبيرية المختلفة التي كان الإنسان العربي يستعملها للتعبير عن حاجاته وأحاسيسه وحمل تجاربه إلى الآخرين، وهي عديدة ومتنوعة.

فكانت اللغة الشفوية والكتابية بعد نضجها وصيرورتها وسيورتها، غير كافية للوقوف على الذاكرة الجماعية، فالأشكال التعبيرية الأخرى أفاضت علينا تراثاً ثرياً لا تسعه الأوراق، لذلك وقفنا عاجزين - إلى يومنا هذا - أمام هذا الفيض، ولا نستطيع الإمام به إلا في مشروع نهضوي لأمة تستشعر خطورة هذا الإهمال، وتستحضر الهمم المحددة لما يخلق الشعور بالانتماء إلى هذه الأمة، وما يربط أفرادها بهذا الوطن، والإحساس بوحدة الرابطة العقلية والوجدانية التي تشد أفراد الجماعة إلى بعضهم بعضاً.

وقد عرفت الجزائر تحولات عبر التاريخ، وعاشت حضارات عديدة، حملت ألوأها طيلة هذه الحقبة، فكانت البصمة التاريخية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية لهذا المجتمع سمة طبعت كل موجود في هذا البلد الشاسع، ولقراءته لا بد من الوقوف مطولاً على كل الآثار التي لا تزال شاهدة وتلك التي اندثرت في بعدها المادي، وحافظ عليها تراثنا اللامادي من نثر وشعر، فصيح وملاحونه، لذلك رأينا في ركيزة عينة تليق بقيمة هذا التراث ممثلة في مدينة عريقة تنوعت معالمها وحواملها، إنها مدينة تلمسان، فهي لا تقل ثقلاً في تمثيل هذا الإرث الذي وسّمته العوامل الحضارية والفنية للمنطقة، لذلك وجب علينا أن يكون لنا مسوّج علمي للتعامل مع الموضوع من جوانبه المتعددة، خاصة وأنّ كثيراً من هذه المعالم هو عبارة عن أطلال<sup>1</sup>.

إنّ الدراسات الطبونيمية والطبونيمية الجديدة كفيلتان للإمام بالموضوع، انطلاقاً من أسماء خلدت مواقع في مكان ما من هذا الفضاء، فحفظت ذكراه وذكريات سجلت به، وروت لنا القصص ونسجت لنا حكايات الزمان في المكان الذي لا بد أن يبوح بالأسرار ليثري الواقع الثقافي لهذه الأمة .

ولاعتقادنا بأهمية البحث في هذا المجال الحيوي، نعمل على تحقيق الأبعاد الحيوية فيه عبر هذه الروافد المعرفية، وبالاعتراف العلمي من مجالات تفيد البحث وتبرز ما خفي فيه.

<sup>1</sup> الرزقي شرقي، المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بمدينة تلمسان، نشر مؤسسة ابن خلدون، تلمسان 2013، ص 186.

# الباب الأول الجانب النظري

# الباب الأول

## الجانب التنظري

### تمهيد

#### المجالات العلمية والحقول المعرفية

إنّ اللغة العربية أثبتت في ماضيها المجيد، وما وصلنا من تراثها العظيم، أنّها قادرة على مواصلة رسالة العصرية، خاصة وأنها حاملة للرسالة الإنسانية، المتمثلة في رسالة الإسلام، المحفوظة بالقرآن، لذلك قادت حضارة وسائرت حضارات متوالية، وأثبتت تفوقها عبر تاريخها الطويل.

ولابدّ لهذه اللغة أن تبيّن أنّها اليوم قادرة على احتواء التراكمات المعرفية والحضارية التي يتطلبها الحاضر والمستقبل بتحديات العولمة التي لا تنتظر المتأخر عن الركب والتي يملها التطور العلمي والتكنولوجي، خاصة وأنّ دعوات من عديد العلماء إلى الاهتمام بمعجم تاريخي للغة العربية يراعي كلّ هذه المتطلبات<sup>1</sup>.

فجاءت الدراسات اللغوية، أكثر عمقاً وأوسع مساحة في بسط المجالات المعرفية، وازدادت تفرعاتها في العقود الأخيرة، فأصبح من الصعب على أهل الاختصاص تتبع ما يستجد في الساحة العلمية في ميدان البحوث اللغوية التي تلامس علوماً أخرى استفادة أو تطبيقاً رغم الوسائل المتاحة، على تعدّد وسائطها التقنية الحديثة وتنوعها.

إذن، هي زوايا الملامسات العلمية التي تستنطق اللغة العربية في تواجدها على مختلف الحوامل المادية التي رافقت التطور والتنوع، والمقاربات المعرفية التي حددت الاعتراف العلمي والثقافي لكشف أغوارها في التقاطعات والتباينات بناء على المشارب، والتيارات العلمية والنظريات التي تعدّدت في المكان والزمان، وكان اسم المكان موضوع المدونة التي تُجرى عليها هذه التطبيقات في ظل الدراسات البيئية.

وللوقوف على هذه الأرضية المعرفية، لا بدّ لنا من تفصيل يوضّح هذا النسيج المعرفي الذي أضحي ضرورة يملها الفهم المختص.

<sup>1</sup> محمد الديدوي، حاجة المترجم إلى المعجم التاريخي، أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية، قضايا النظرية والمنهجية والتطبيقية، المجلد الأول، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، فاس 2010، ص 97.

- فكيف نقف على حدود الحقول المعرفية، لتيسير النهج العملي لها، وتوضيح مساره؟  
لأي دراسة أكاديمية، مجالات علمية، وحقول معرفية نستند إليها في اغترافنا الثقافي،  
لتكون المرجعية في توجيه البحث البيئي، وهي ضرورية في أي عمل تقابلي إجرائي، بل تعدّ من  
اللوازم لتأسيس أعمالنا العلمية في استقاء المعلومات من أي خزان تراثي لأمتنا.  
وللوقوف على نمطية التأسيس لها، لا بدّ أن نحدّد الأرضية العلمية لمنطلق العمل في كنف  
الدراسات البيئية التي أملتها طبيعة الموضوع الذي يستوجب منا الاستفادة من عدة علوم على  
ما تقتضيه ضرورة التكامل بين المجالات العلمية المختلفة في الحقل المعرفي الواحد، وأيضاً ضرورة  
الاستفادة من المجالات المختلفة وذات التصنيف المتباين في الحقول المعرفية المختلفة.  
لّمّا تلامس الدراسات التاريخية الأناسة العربية - لتتبع التطور الحاصل في الحقب  
التاريخية المتتالية - فإنّ الأحداث المسجلة، والوقائع في المكان (المواقع) لا تستثني الجغرافية، ولما  
نقف على القرائن والمرجعيات لتحديد القيم وتصنيف السمات التي تمكّنا من التقابل، فهذا  
يعني إجراء الإحصاء الذي لا يتحقق إلا وفق إجراءات عملية تقتضيها الدراسة السانكرونية  
الميدانية التي هي بدورها تعدّ المرحلة اللاحقة للخطوة الأساس، ألا وهي الجرد الذي يمدّنا بواقع  
لغوي - مسح أسماء الأمكنة - ومتغير بالاستبدال لدياكرونية الأسماء المكانية. ( وضع شكل  
بياني لثنائية السانكرونية الدياكرونية ، وفق مفاهيم فرديناند دي سوسير)<sup>1</sup>.  
ولا بد من التصنيف لاستثمار هذا المخزون من المعلومات لأي دراسة استشرافية أو  
مخططات تنموية، ومن ثمّ يتوجب على الدارس التنقل بين هذه الحقول المعرفية للارتكاز عليها  
قبل الاغتراف من معينها، لأنها تحتاج أولاً إلى الوقوف على واقعها، وقراءتها بالاستناد على  
المجالات العلمية التي تتصنف ضمن مكوناتها، وطبيعة دراستها البيئية.  
فالمجالات كما يتضح تتعدّد، والاعتراف يتنوّع ويتسع في رقعة ثقافية ليست بالضرورة في  
تصنيف خطي، لأننا في تراثنا الشفوي الذي لا يقلّ أهمية عن المكتوب، في مدّنا بالمعلومة من  
المأثور المروي أو المحكي، عبر الرقعة الجغرافية الممتدة، وعلى مراحل تاريخية لها تمثل الحقب

<sup>1</sup> فرديناند دي سوسير، دروس في اللسانيات، ينظر ثنائيات الزمانية / الآنية ، ضمن المفاهيم التي نادى بها

فرديناند دي سوسير (الثنائيات)، خاصة تلك المتعلقة باسم المكان الذي لا يعتبره دليلاً لسانياً.

Andres Max Kristol, « Motivation et remotivation des noms de lieux : réflexions sur la nature linguistique du nom propre », Rives nord-méditerranéennes, 11 | 2002, 105-120.

المتتالية بما حوت. ففي الأحاجي ما يغني، وفي السرديات بأنواعها تجد لها مكانا في التأسيس لأسماء قد يكون لأصواتها أثر في تحديدها وأحيانا في تطورها لعامل التاريخ، وأحيانا بتأثير لهجي لا غير، وفي أحيان كثيرة لتفاعلات لغوية وأخرى اجتماعية أو نفسية.

فالدراسة الطبونيمية في ملمحها العام، لا تتوقف على مجال بعينه، ولا يحددها حقل معرفي معين، بل هي تواكب تطور العلاج الذي يتماشى وزوايا النظر الذي لا مفر من التقيد به بحكم طبيعة البحث الذي ينسحب عليه الاستفادة من العلوم والاحتكام للفكر الإنسان في استحضر الزمان والمكان.

فإذا انطلقنا من فكرة قديمة جديدة مفادها أنّ المكان هو تراكمات الزمان، ففي هذه الحالة يكون المكان في حالة غياب القرينة مشاع لا خصوصية له، وبعد تفاعلاته الزمانية يتغير ويتميز، ومن ثم يحصل على صفات تمييزية تقتضي أسماء لتعيينه بالوضع أو بإيجاءات المرجعيات أو القرائن كما سنبين ذلك لاحقاً .

وقد لا يخفى علينا ما تتركه اللغات الأجنبية من أثر، في تسمية الأماكن، نظرا لاستعمار دول لدول أخرى في فترات من تاريخها، وبالتالي تسمية الأمكنة فيها قد تخضع لهذه المؤثرات أو العوامل المستجدة في واقع الشعوب، فتكون بالتغير أو الاستبدال الكلي للموجود، وهي من الآثار الباقية للدلالة على الغزو أو الهيمنة، وحتى التعبير على السيطرة والتملك<sup>1</sup>، فكان للتطوع اللغوي لهذه الطبونيمات الأعجمية ولتعريبها أحيانا، ضرورة العودة بها إلى تاريخ الوضع، زيادة على ضرورة تأصيلها لمعرفة المعاني المعجمية الأولى، بمدخلها المختلفة لها قبل فرضها أو افتراضها أو حتى تبنيها في الحقل الجغرافي اللغوي، وتحديد البعد التسموي الجديد الذي يتماشى مع الإيجاءات الدلالية الطبونيمية .

قد نتفق على إيجاءات ودلالات يتوصل إليها القارئ من خلال فرز ألفاظ النصوص الشعرية وعباراتها، وحتى النثرية منها، ولكن لا يتحقق ذلك إلاّ تبعاً للأفكار والقيم التي تون خلفيته المعرفية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> Attali, 1991 ; Guillorel, 1999 ; Havard, 2003 Attali, J. 1991.1492, Paris : Fayard. 76.

<sup>2</sup> روبرت شولز، السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت سنة 1994، ص 92 – 93.

إن توالي الحضارات في منطقتنا، ترك بصمته التاريخية في كل مناحي الحياة للأفراد والجماعات، في مستوى العادات واللغات، فكان لها بالغ الأثر في ثقافتنا، وحتى المعالم التي بقيت طوال قرون، ولا تزال شاهدة عليها، (فالعادات العربية، والامازيغية، والبقايا اللغوية البونيقية، والاثار الرومانية، وتلك التي جاءت متأخرة وبقيت حية في حياة المجتمع، من بقايا الاستعمار الفرنسي، كلها شواهد على هذا التنوع الذي لا يمكن مسحه، لأنه موجود في بيئتنا، ولا يمكن تجاوزه فهي في محيطنا، وإن كنا نبغض بقاءها لارتباطها بذكريات واقع مرير لا يزال في الذاكرة الشعبية وفي كل مكان يذكرنا بتاريخ نضال طويل لشعب دفع ضريبة الاستقلال بالدم والنفس والنفس.

إذن، بتعدد هذه الموضوعات، تتعدد المجالات العلمية الأكاديمية، ومعها يتعدّد الوعاء المعرفي الذي يمدنا بالفكر وبالثقافة، ويحمل معه الملامح الحضارية للأمم التي قطنت هذه البلاد. ولما كانت التكاملات في الدراسات العلمية، ووُجِدَت التباينات الإجرائية في الممارسات والدراسات الميدانية للوقوف على القيم المخدلة لهذه المعالم، والبقايا المحددة للمكان والمميزة لأوصافه، كان لزاماً علينا أن نأخذ من ضوابط الدراسات البينية التي تكفل لنا المنهج العلمي، والبعد التداولي للدراسة وفق تحديد أبعاد الموضوع، والقصدية الجمعية التي يُعرف بها العرف الجمعي<sup>1</sup>.

هذه النتيجة التي يؤكدُها للباحثون، والتي تنص على تلاقي المواقع مع هذه العلوم المتعددة، والتي تفرز ما لها من أثر مع المحيط، خاصة ونحن نرى التسمية التي تتبنى أسماء الأشخاص للدلالة على المكان، نجد في المقابل اسم المكان يخلد الأحداث التي تربطه بالإنسان وبالتاريخ، وهكذا يكون للمعطيات الجغرافية علاقة بالأحداث وبالأنثروبولوجيا، وبالتالي هي علاقة متعددة الأبعاد ومترابطة ب: الإنسان والفضاء والتاريخ<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> جون سيرل، ترجمة سعيد الغانمي، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان - سنة 2006م، ص 174.

<sup>2</sup> Cheriguen Foudil, Anthopo-toponymie et désignation de l'environnement politique, mots/les Ingages du politique, verts, France. 1997, P7.

# الفصل الأول

## الوحدات الطبوغرافية

# الفصل الأول

## الوحدات الطبونيمية

إنّ الوحدات الطبونيمية تعدّ من العناصر اللغوية الدالة على الأسماء الأعلام المكانية، وهي كغيرها من العناصر اللغوية العربية في اللغات المختلفة، تحتاج إلى وقفة لوضع<sup>1</sup> الحدود الدلالية والمعرفية، وانطلاقاً من أصل وضعها في "المعجمية" وصولاً إلى تطورها في الحقل المعرفي المستحدث لتحديد البعد التسموي للدلالة على الفضاء المكاني "الدلالية" أو "المفهومية" في ذكر المصطلح الدال عليها" أو الإيحاءات التي نتوصل إليها من قراءتنا لهذه العناصر اللغوية التي قد تعرف تحولات إلى مصطلحات فيما بعد، لحملها مفاهيم معرفية في عرف التخصصات العلمية لتغطية المجالات العلمية المختلفة.

وللعلم، فهي وفق استعمالات خاصة لا تفقد صفاتها التمييزية التي تتماشى مع أصل الوضع<sup>2</sup>، كما أنّها تحافظ على قيمتها الدلالية بحسب السياقات التي ترد فيها، وبحسب المستويات التحليلية اللغوية والوظيفية، وما قد يدل على معناها بالطبع، كـ "أخ" عند النائم في دلالتها على الاستغراق في النوم، وهو غير مقصود لغوياً<sup>3</sup>.

---

<sup>1</sup> توضع الأسماء للدلالة على المعاني، فهي للتعين أو حمل الصفات أو التحديد، والوضع مجموعة من الدلائل اللغوية وغير اللغوية، تعارف عليها القدامى في أشكالهم التعبيرية، ولعل ما ذهب إليه الجاحظ في تلخيصها ما يوضح أصناف الدلالات على المعاني، كالأتي: اللفظ والإشارة، والعقد، والحال، وهي خمسة دلالات، ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة سنة 1984م، الجزء 1، ص 76

<sup>2</sup> أصل الوضع في اللغة للدلالة على معناه، واستعملوه في حقيقة اللغة، بما يفهم في الدراسات اللسانية الحديثة بمصطلح التواضع أو الكود في اللغة أو في غيرها في نظر الحاج صالح عبد الرحمن، واعتباطية العلاقة بين الدالة والمدلول في الدرس اللغوي الحديث للدلالة على وضع الدليل اللغوي، كما ينظر إليه من زاوية أخرى للاحتراز به عن الطبع والتوقيف وغير ذلك من الأمور. ينظر: شرح المفصل لابن يعيش، ج 1، ص 19/18. والحاج صالح في الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص 2.

<sup>3</sup> شرح المفصل لابن يعيش، ج 1، ص 19/18.

فإذا كانت الكلمة العربية لها عدة معانٍ دون حدود واضحة في ظل التقسيمين النحوي والوظيفي ، فإنّ ثمة معانٍ يتحكم في تحديدها السياق الذي ترد فيه، أمّا المصطلح فيختص بتصوير أو أكثر من تصور أحياناً، ويسبق حتى وجود المصطلح ذاته في بعض الأحيان<sup>1</sup>. لذلك سنعمل انطلاقاً من هذا التّقديم على التعامل مع هذه العناصر، وفق ما يقتضيه المنهج في التدرج مع هذه الألفاظ في ظل آليات توليد المصطلح، خاصة وأنّ الدراسات المصطلحية بالعالم العربي تنظر إلى الوحدة المصطلحية باعتبارها وحدة لغوية دون ربطها بالمفهوم، وهو ما يتعارض والطرح العلمي<sup>2</sup>.

إذن، لا بد من الوقوف على مصطلح الطبونيم من مداخل متعددة، فهو يخضع لتصنيفات الوحدات اللغوية التي تُعرف بناءً على زاوية نظر معرفية أو على تقسيم لغوي أو نحوي أو لساني أو فكري إلى غير ذلك من التقسيمات التي تسمح بوسم هذا المصطلح بما يميزه عن غيره من الأسماء ويصنّفه ضمن مجال علمي أو حقل معرفي.

لذلك نضطر إلى تحديده في ظل التداول الذي يفرضه علم اللغة الجغرافي ، ولكن قبل كل ذلك نتدرج مع هذه العناصر اللغوية وفق وجودها في النظام - أي وحدة لغوية - أو الواقع اللغوي فتعامل معها على أنّها عناصر لغوية معجمية خاصة، أو معرفية في ظل الحقل التي ننوي خوضها ضمن تمايزات الدراسات التباينية.

والأبعد من ذلك، هو التركيز على واقعها اللغوي وفق مظهرها الشكلي - أي اللفظي - مع ما يميزها عن صفة الإفرادية التي يختص بها الاسم المفرد ، فالطبونيم لفظ قد يكون كلمة مفردة أو مركبة، أو أكثر من عنصرين لغويين، وبذلك فهو ليس بالضرورة جزء من وحدات الكلم الثلاث، لأننا في تعاملنا مع الطبونيمات (الأسماء الأعلام)، تؤخذ في النظام اللغوي وحدة معزولة ومفردة ولو كانت مركبة، وهي غير تحليلية في الطرح السوسيري، ولا معنى لغوي لها، لذلك فهي تعدّ خارج النظام اللغوي<sup>3</sup>.

1 سمير روجي الفيصلي، المشكلة اللغوية، لبنان 1992، ط1، ص 107.

2 د. خالد اليعقوبي ، آليات توليد وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، دار ما بعد الحداثة، الطبعة

الأولى، سنة 2006، ص5.

3 Andres Max Kristol, « Motivation et remotivation des noms de lieux : réflexions sur la nature linguistique du nom propre », Rives nord-méditerranéennes, 11 | 2002, 105-120.

ومن ثمّ، كان القول أولاً بما ذهب إليه النحاة القدامى، فهم يميزون بين التقسيم اللغوي، والنحوي، والوظيفي للكلمات، وعرفوا قيمها، وحددوا مفهومها، فكانت على ثلاثة معان لغوية :

فقد أطلقت الكلمة على معنى الحرف الواحد من الحروف الهجاء، وعلى اللفظة التي تحمل معنى، وأيضاً على الجملة والقصيدة والخطبة<sup>1</sup> أي أنهم لا يستعملون بالضرورة الكلمة بمعنى الكلمة<sup>2</sup>. وبما أنّ الكلمة في أصل الوضع تطلق على الجزء الواحد من أجزاء الكلم الثلاث، فهي لا تكون إلاّ اسماً أو فعلاً أو حرفاً، وهي الألفاظ الدالة على معنى باستثناء الحرف الذي يدل على معنى في غيره.

وهي بهذا التعريف، لا تكون - أي الكلمة - دالة على الطبونيم، قد تظهر في صورة اسم، والاسم مشتق من الوسم وهو العلامة، وهو وسم على مسمى، وذهب أبو العباس ثعلب إلى أن الاسم سمة توضع على الشيء ليعرف بها<sup>3</sup>.

والاسم ليس بالضرورة مفرداً، ولو أنّنا نتعامل معه بصيغة "مفرد" في التوزيع التركيبي اللغوي، في مثل "عين الدفلة"، "عين الحوت"، و"عين تموشنت"، وبذلك يتحقق الطبونيم في شكل كلمة مفردة، وأحد أجزاء الكلم الثلاث، كما قد يكون كلمتين أو أكثر، أي كلمة مركبة.

وقد يستعمل المصطلح بصيغ متعددة وفق اختيار المستعملين أو الدول ما لم يتم توحيدهِ في العالم العربي، فنحن في اختيارنا للمواقعية مصطلحاً، نجده يُتداول بمسميات أخرى كعلم الأماكن أو الأماكنية في جهات أخرى، وتستعمله عادة الحكومات للتحقق من اسم مكان، و يستعمله الباحثون من أجل التحقق من دقة بعض الأسماء الأعلام وعدد ورودها بنفس الدال في جهات متعددة في البلد الواحد، أو في عدة بلدان كما هو الحال للمغرب العربي أو حتى

1 ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، د.ت، ص16.

2 حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج1، ص29.

3 أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر، الجزء الأول، ص6.

العالم العربي، فمثلاً طبونيم "المنصورة"<sup>1</sup> يتكرر وروده في عدة مناطق من العالم العربي على سبيل المثال لا الحصر، وقد استخدمها راسمو الخرائط، بمختلف أنواعها في الاستغلال المدني أو العسكري في كثير من الدول.

وللوقوف على هذه الطبونيمات والمصطلحات ودراسة بنيتها اللغوية على الأقل في مستوياتها الشكلية لابد لنا من التقيّد في بداية الأمر بما التزم به القدامى من التدرج في مستويات التحليل اللغوي.

ولعلّ ما ذهب إليه الزمخشري من أن الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع<sup>2</sup>، يجرنا إلى اعتبار الطبونيم كلمة ولفظة في آن واحد<sup>3</sup>.

ما لا يجب إغفاله، هو الوقوف على طبيعة أسماء الأمكنة من هذا كله، هل هي كلمات؟ أو أسماء فقط دون باقي وحدات الكلم؟ وما هي ضوابط التحكم في تحديدها؟ فالطبونيم عند كل الباحثين عنصر لغوي، وهو في تقسيم النحويين وحدة كلم، و"الكلم" جمع "كلمة"، وهي تتحقق بإضافة التاء لاسم الجنس "كلم" وذلك عند صياغة المفرد، كـ "شجر" اسم جنس مفرد "شجرة"<sup>4</sup>.

ولأن الاسم قد يتكون من كلمة مفردة مثل "فرس"، وأكثر من وحدة كلم، في مثل "كأس إفريقيًا" أي مركب من اسمين، فقد ينطبق على كليهما من الناحية الشكلية، إلا أنّ الأمر في الطبونيمات قد يختلف في دلالاته، فهو لا يتركز على المعنى المعجمي كما سنرى ذلك، بل يقف على مرجعيات تدلنا عليه، في مثل: "منصورة" من "نصر"، و "عين النّجار" من "عين" + "نّجار"، و "عرسة ديدو" من "عرسة" + "ديدو"، وغيرها من العناصر اللغوية

1 المنصورة في تلمسان، وتونس، ومصر، والأمر ينطبق على غيرها من الأسماء الأعلام الدالة على المكان من الأسماء التي تتكرّر داخليا وخارجياً ...

2 جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم اللغة، ص 6.

3 يطلق مصطلح اللفظة على المهمل والمستعمل، بخلاف الكلمة، ينظر: شرح المفصل لبن يعيش، ج1، ص19/18.

4 عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، دار المعرف، الطبعة التاسعة، القاهرة سنة 1987، ص 21 – 22.

الدالة على اسم المكان والتي إذا حللناها قد نجد في معناها المعجمي ما يدلنا على اعتبارية العلاقة دال/مدلول، لكننا في مستوى البعد الثاني نجد غياب العلاقة الاعتبارية يدفعنا إلى البحث في ما يربط هذا اللفظ بالأبعاد التي ارتكز عليها الاختيار (في الطبونيم).

لكن الأمر في علم اللسان الحديث قد يطرح بشكل آخر، فقد تمّ النظر إلى الكلمة من حيث مفهومها، على أنها وحدة غامضة المعالم، فهي وحدة دلالية غير قابلة للانقسام إلى عناصر، وهي تحتل مكانة في القاموس، ومعناها يتحدّد باستعمالها في الجملة، ومن ثم في النص<sup>1</sup>.

ويذهب لويس جيلبير منحى آخر، فيرى في الكلمة أصواتاً دالة لتسجيل ما في ذهنه، أو هي عبارة أخرى، أدلة على أفكاره<sup>2</sup>.

قد يختلف علماء اللغة العربية في تحديدهم للكلمة، إلا أنّهم يتفقون على أنها تتشكل من مجموعة من الأصوات، فهي تتراوح بين الوحدات المقطعية القصيرة (مقطع واحد/syllabe) إلى ثلاث مقاطع أو أكثر.

ما يجب التنبيه إليه هو آلية التشكيل أثناء التحقيق التي تتدخل فيها ظواهر لغوية إجرائية تتنوع وتتعدد تصوراً وتحقيقاً، شكلاً وتحويلاً قبل أن تستقرّ وضعاً لعناصر لغوية ذات دلالة تحمل من الدقة ما يميّزها عن بعضها في التصوير والتعبير وفق ما تقتضيه سياقات الاستعمال، وأهداف التبليغ، لتنتهي في مصاف المعاجم اللغوية والمتخصصة وقواميس التخصصات المصطلحية.

والعمل في هذا الحقل، يتطلب معرفة بمستويات التحليل اللغوية، وعلوماً مجاورة أو بعيدة يستدعيها الوضع في ظل فنيات التشكيل وآليات التحويل. فالنحت والتّرادف والتّضاد والاقتراض والترجمة والتحويل، وما إلى ذلك من مقتضيات التصميم للكلمات أو الطبونيمات على اختلاف أشكالها وأصنافها، وما تظهر عليه من هيئات شكلية بالزيادة أو الحذف في عناصرها، وكذلك أثناء توسيع مكوناتها بالدمج أو الإصاق لمختلف عناصرها من وحدات الكلم - أسماء، أفعال، صفات .. الخ - كلّها عوامل أساسية لا يستغني عنها اللغويون في

<sup>1</sup> Maria-Alice Medioni : Construire un vocabulaire en langue, Dumass-Titoulet imprimeurs octobre 2002 , Paris/P :12-13.

<sup>2</sup> Louis Guilbert : La créativité lexicale, librairie la rousse , Paris 1975, P 105.

آليات الوضع أو التوليد اللغويين عند حاجة المستعملين لكلمات جديدة في مسارات الأمم وحضاراتها.

ولهذا عرف الدرس اللساني الحديث أي بعد فرديناند دي سوسير قفزة جديدة تنظر إلى المسار اللغوي بوصفه نظام يتحدد بموجب القوانين التي تضبط اللغة، وهو ما يضيف عليها الشرعية العلمية، شأنها في ذلك شأن الظواهر الأخرى. ولا يمكننا في هذا المقام أن نغفل تطورات هذا العصر التكنولوجية السريعة وما تواكبها من فراغات لغوية (معجمية) لمواكبة مستجدات العولمة، المطلب الذي بات يحير العالم العربي، ومقترحات جامعة الدول العربية لمشروع الذخيرة العربية الذي يسير بوتيرة ثقيلة ومتباطئة نظراً للصراعات والفتن التي يعرفها عالمنا العربي.

### أولاً - وضع الألفاظ في اللغة العربية

لا ينبغي أن نقف على موضوع أخذت منه فقه اللغة وقتاً مستفيضاً لنتهي به عند عتبة لا يقرّ لها كثير من علماء اللغة بالموضوعية، خاصة وأننا نعلم أنها تخص النشأة بأكملها، وكانت المسائل في نظر كثير من القدامى متباينة بينهم حتى صارت مذاهب في تحديد موقف منها، أتوقيف هي، أم اصطلاح وتواطؤ، واستندوا في توقيفيتها على آيات من القرآن الكريم بقوله تعالى: { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا }، وقد استند ابن عباس على هذه الآية، واعتبر هذه الأسماء هي المتعارف عليها، واختلف في تفسير الآية<sup>1</sup>.

وذهب ابن جني وشيخه أبو علي الفارسي وغيرهم من أهل النظر على أنّ اللغة مواضعة واصطلاح، والكلام في هذا الموضوع يطول<sup>2</sup>.

ولم يعرف عن القدامى الوضع فقط بل عرفوا الوضع والارتجال، وإذا كنا اليوم نرى في الارتجال وجهاً من وجوه التنمية اللغوية، فهو عند القدامى لا يأتيه إلاّ العرب الفصحاء، وبشروط منها مراعاة لهجات العرب وإن خالفت الجمهور، وألاّ يخالف القياس والسماع<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ب ت، ص 8.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الجزء الأول، ص 10 - 11.

<sup>3</sup> توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، سنة 1980، ص 59.

وتنقسم الكلمات باعتبار الوضع إلى قسمين، وهو يقع من قبل الواضع اختياراً، ولا يتحقق إلا على أحد التصرّين، الأول من حيث اللفظ والآخر من حيث المعنى.

وما لا يختلف فيه الكلام، في وضع الأسماء، هو اتفاق المقامات على أنها نوعان، إلا أنّ الاختلاف يكمن في طبيعتهما وتحقيقهما، وذلك أنّ الاسم لفظ يدلّ بذاته على محسوس، أو غير محسوس يعرف بالعقل، ولا يشترط فيه الاقتران بالزمن<sup>1</sup>.

أما الاسم الذي يدلّ دلالة حسّية بذاته فمثل : شجرة، وورد، وفرس، وبيت، وحمّام، وعمر، وغيرها من الأسماء الحسية.

وأما الاسم الذي يحمل دلالة غير حسّية، ولا يدرس إلاّ بالعقل، فهو مثل : شجاعة/جبن، ومروءة/دناءة، وعلم/جهل، حقد/تسامح، أنانية/إيثار، كرم/بخل، إلى غير ذلك ممّا لا يعرف إلاّ بالعقل، ولا يقترن بزمن كسابقه.

ففي قولنا شجرة فهي تدلّ على مفهوم عام لشيء حسي له أوصاف حسّية، من أغصان، وأوراق، وغير ذلك ممّا يستدلّ به على أي شجرة، أما شجرة الزيتون فهي تشترك مع باقي أو صاف الأشجار إلاّ أن تتميز عنها في ثمارها..

هذا وقد توسع القدامى في وضع الأصول، وفرعوا من المادة الثنائية أو الثلاثية التي اعتبروها العناصر الأساسية للجذور اللغوية التي تتفرّع عنها دلالات الجذر المختلفة، وقد اعتبروا هذه الكلمات ثلاثية في اللغة العربية، لما رأوا أكثرها ثلاثياً، لذلك اعتبر علماء الصرف أنّ أصول الكلمات ثلاثة أحرف<sup>2</sup>. أمّا المقاييس عند ابن فارس فاعتبرها كذلك لأنها تخصّ تأصيل الجذور اللغوية. والأصول التي تتفرّع منها فروع إلى الرباعي والخماسي هي مذهب استنباطي عند أهل النظر الدقيق<sup>3</sup>.

1 عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، ص 26.

2 أحمد الحملاوي، كتاب شذا العرف في فنّ الصرف، ملكية الطبع والنشر مصطفى الحلبي وأولاده، الطبعة السادسة عشر، سنة 1965، ص 22.

3 أحمد عبد المجيد هريدي، نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية، مكتبة الزهراء، القاهرة سنة 1988، ص 3 - 4.

وما نريد الإشارة إليه هنا، هو هذه المقاييس المعتمدة و لإجراءات المتبعة عند القدامى في هذا التفريع، ويقدمه ابن فارس على ضربين، الأول المنحوت، أي الكلمة التي تؤخذ من كلمتين على الأقل، وهو أيضاً على ثلاثة أنواع:-

- نحت نسبي، عبثمي للنسبة، وقد ينسب إلى الأشراف بدلي(العبادلة)، وبهشمي فنسبة إلى بني هاشم.

- نحت فعلي، ينحت من الفعل، حوقل(لا حول ولا قوة إلا بالله)، بسمل (بسم الله الرحمن الرحيم).

- نحت اسمي، ينحت من الاسم والصفة (جلمود من جمد وجلد).

ونحت جاد، استحدثه اللغويون المعاصرون، وهو غير معروف عند القدامى، ولم تعرفه الاستعمالات العربية سابقاً، وهو لمسيرة المصطلحة العلمية المستحدثة، ومن دعائها : فارس الشدياق، وإسماعيل مظهر، وغيرهما.

أمّا الضرب الثاني : فهو الموضوع وضعاً لا مجال له في طرق القياس<sup>1</sup>.

وعليه، فإنّ كلّ موضوع للدلالة، فله واضع وهو الذي "يسمّي"، ووضع وهو "التسمية"، وموضوع له أي "المسمّى" أي وضع له لفظ يدلّ عليه، فإن قال أحدهم يا فلان بهذا اللفظ فقد سمّاه، وإن قال له يا أبا فلان فقد كنّاه، والتسمية مشتركة بين وضع الاسم وذكره<sup>2</sup>.

## 1-الوضع والموضوع له :

في هذا المقام ما يتعلق باللفظ، لأنّ اللفظ يوضع للدلالة على المعاني المقصودة، وهي قد تتعدّد بمعانيها أو لِمَا يخضع له التطور اللغوي في تاريخ الأمم واستعمالاتها، ويتحقق ذلك من جهات:

وهنا تكون لنا وقفة مع ما يتفق حوله اللغويون في تعريف الدليل اللساني عند كل من فرديناند دي سوسير وعند هلمسليف العضو في حلقة براغ، والمؤسس للنسقية في ما بعد.

1 المرجع السابق ، ص 4.

2 محمد بن محمد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق فضله شحاده، دار المشرق ، الطبعة الثانية، بيروت سنة 1971م، ص2- 3.

الدليل عند سوسير : دأب الباحثون في تناولهم للدليل اللساني على ذكر الدال والمدلول والعلاقة الاعباطية التي تميّزهما، واعتبروها من المفاهيم الأساسية التي نادى بها سوسير، ولكن الأمر أعمق من هذا لأنّ المسألة تخصّ تحوُّلاً في تقسيم العناصر اللغوية من حيث القيمة اللغوية التي تأخذها هذه الوحدات في النظام.

ففي التقسيم الكلاسيكي لهذه العناصر كنّا نتعامل مع الكلمات، وفي التقسيم النحوي كنا نتعامل مع وحدات الكلم، وجاءت اللسانيات في العصر الحديث لتحمل لنا مصطلحات جديدة بمفاهيم جديدة، فكان العنصر اللغوي علامة لسانية أو دليل لساني أو إشارة لغوية، وتعدّدت الأسماء وتنوعت معها المسميات، وظهرت المعاجم العامة في مقابلة المعاجم الخاصة بدلا من المعاجم اللغوية.

ومع ذلك لو توقف الأمر عند العموم والخصوص لسهّل الفهم، ولكنّ المسألة توسّعت في التناول على شكل حلقات حديثة، كما هو الشأن في حلقة براغ وكوبنهاجن، ثم في شكل تيارات ومدارس، كما الحال في السلوكية والتوزيعية والتوليدية والتحويلية، وفي أيامنا ظهرت ظهرت سيطرة إعمال النشاط الذهني في الثورة التكنولوجية التي أدخلت اللغة في حقل الصناعة والذكاء الاصطناعي، كل ذلك أسّس لظهور منعطف جديد للمعجم، جعل نظرنا إلى المتكلم تركز على قدرته اللغوية من زاوية لم تكن في السابق واردة بهذا التصور، فهي اليوم نسيجا من الأنساق والعلاقات الصرفية والتركيبية والدلالية تربط بين العناصر المعجمية التي تكوّنّها، وهي تنظيم يحكم بناءه اللغوي مجموعة من العلاقات النسقية، لا يستقيم وضعها إلا في تصور ذهني تكون لشبكات العصبونات المرودة لهذا الدماغ البشري، العامل الأساسي في إعادة بناء معاجم تفرّق بين ما هو عام في اللغة وما هو خاص فيها، وخاص في مصطلحاتها.

ولعلّ التداول الجديد لأسماء الأشخاص والمكان، عزّز القراءة بعلوم ومجالات منها الأثنربولوجيا التي تناولت هذه الأسماء يدلالات وإيحاءات في ظل دراسات اجتماعية وثقافية لهذه الأسماء التي كونت اليوم منظومة اسمية للمجتمع الجزائري بما تحمله من قيم، آخذة بالاعتبار الرصيد التسموي الجزائري الخاص ضابطاً، ومن معاناته التي تمثل مرجعيتها المرحلة الاساعمارية الفرنسية للجزائر والتي كان لها الأثر في تغيير المنظومة الاسمية الأصلية، وما أصابها من تشويه في بنيتها اللغوية ودلالاتها. ف : جربوعة وكربوعة وبونيف وبوراس، وغيرها ممّا قصدته

من استهجان، وإيحاءات لطمس الهوية الجزائرية، مما يفترض تخطيطاً سياسياً لتسميات الأعلام في الجزائر<sup>1</sup>.

## 1 - الوضع العام والموضوع له عام:

يتصور الواضع المعنى الكلّي حين يضع اللفظ له، فيتصور الإنسان مثلاً بحده التام - أي معنى الإنسان الكلّي - أو بالوجه والعنوان، أو الوضع لطبيعي المعنى الجامع<sup>2</sup>.

ولعلّ ما يوضح هذا الطرح يكمن في الصفات المشتركة التي تميّز التصور الكلّي دون الصفات التمييزية الخاصة، وهو ما يجعلنا ننظر إلى المعنى العام الذي ينطبق على كل البشر في تحديدنا للإنسان، أو شجرة حين نتوصرها في معناها، فهي ليست للزيتون أو التفاح أو البلوط فهي تتصور المعنى الكلّي الذي ينطبق عليها جميعاً في المعنى الجامع لها، ذلك أنّ المبادئ الفطرية التي يعتمد عليها في التحديد، هي واحدة وتؤلف مكوناً واحداً من مكونات العقل البشري<sup>3</sup>.

قد يتضح الأمر أكثر في أمثلة أوردها عباس حسن مفادها أنّ «معدن»؛ فإن "المعدن" أنواع كثيرة؛ منها الذهب، والفضة، والنحاس. و. فكلمة؛ "معدن" أعم من كل كلمة من هذه الكلمات عموماً مطلقاً، وكل نوع أخص منه خصوصاً مطلقاً؛ لأن كلمة "معدن" بالنسبة للذهب - مثلاً - تشمل، وتشمل نوعاً أو أكثر غيره - كالفضة - . أما الذهب فقصور على نوعه الخاص، فالمعدن عام؛ لأنه يشمل على نوعين أو أكثر. والذهب خاص؛ لأنه لا يشمل إلا نوعاً واحداً. و"المعدن" عام عموماً مطلقاً؛ لأنه ينطبق دائماً على كل فرد من أفراد نوعه أو أنواعه، وهذا في كل الحالات<sup>4</sup>.

ونحن في طرحنا للنظرية الشمولية أو النحو الكلّي أو حتى القواعد العامة - كما يراه تشومسكي في مقارنته اللغوية - لا نعدم النظر إلى قواسم مشتركة بين اللغات البشرية في بعض الأجزاء من اللغة، ودون نسيان المميزات التي تخص الاختلافات ذات الصلة بالثقافة والهوية، وبالتالي فإن مركز تعلّم القواعد اللغوية موجودة في الدماغ قبل مرحلة التعلّم، وهي قدرة كامنة في

1 إبراهيم براهيم، أسماء الأعلام الجزائرية، مشكلات وحلول، رؤية في التخطيط اللغوي، 8 ماي 1945، قالنة، 263.

2 عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، الطبعة التاسعة، هامش ص 288.

3 حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلّي والتراكيب اللغوية العربية، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة

سنة 2004، ص 20.

4 عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، دار المعرف، الطبعة التاسعة، القاهرة سنة 1987، ص 19.

البشر، وتعدّ من الخصائص التي تشترك فيها جميع اللغات البشرية، وهي الميزة التي يشترك فيها البشر، ولذلك فإننا نخلص في فهمنا للشمولية اللغوية باكتشاف الصفات المعينة للغات، ونسبتها إلى خواص عمومية للغة، وأن يتم تفسيرها استناداً إلى هذه الجوانب العميقة من الصيغة اللغوية<sup>1</sup>.

يذهب شومسكي في هذه النظرية إلى كون الفكرة الأساسية منها، تعتمد مجموعة من المبادئ، والحالات والقواعد التي تمثل كل اللغات البشر وبالتالي هو مشاركتهم في جزء من معرفتهم اللغوية بعيداً عن لغتهم الأم، والسمة الخاصة تتمثل في هذه القواعد العامة. لكنّ شومسكي عدّل في نظريته كثيراً من المفاهيم التي عرفت طريقها إلى تعديل أفكار سابقة لم تكن نضجت باعترافه<sup>2</sup>.

أما هنا فالمسألة تخص وضع الأسماء معرفة بوضعها العام ولا تخص أمراً بعينه، أو مكاناً، ويكون تعيينه أو تخصيصه ينطبق على كل ما يشترك معه في ميزاته، فإذا كانت كذلك فهي ليست من باب العلم ولا ترقى إلى درجته، كما هو الشأن في القرية، ومثل ذلك في الآية من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>3</sup>،<sup>4</sup> ، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتَ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا﴾<sup>5</sup>. القرية وضع عام لموضوع له عام. وفي الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ﴾<sup>6</sup>. ففي

1 نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، ترجمة د. مرتضى جواد باقر، المكتبة الوطنية ببغداد، سنة 1985. ص 56.

2 امرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن سنة 2002، ص 118 - 119.

3 سورة الإسراء: الآية 58 .

4 ما يدل على صفة العموم في الاسم ، قول ابن مجاهد: كل قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا. ومنه قوله

سبحانه : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتَ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا﴾ سورة الحج: الآية 48 .

5 سورة الحج: الآية 48.

6 سورة محمد، الآية 13.

" قرية" التي تفيد الشيوخ، نفهم منها قرية من القرى دون تمييز أو تخصيص، فهي بوضعها تفيد العموم، أما قرينك فهي معرفة بالإضافة لتدلّ على قرية بعينها.

## ب - الوضع الخاص والموضوع له خاص

يتصور الواضع حين الوضع معنى خاصاً وجزئياً حقيقياً، فيضع لفظاً له، في مثل تصور معنى زيد ويضع له الواضع لفظاً بإزائه كوضع باقي الأعلام الشخصية، وسواء كان تصوره بالكنه أم كان بالوجه والعنوان، لكفاية تصور الشيء بوجه ما أثناء وضع لفظ له، ولا يلزم تصوره بكنهه وحقيقته- في هذه الحالة التي تمثل الحقيقة مثل (الأسماء الأعلام الدالة على الأشخاص) .

ففي قولنا : زيد - محمد، فاطمة - زينب، والدالة على المكان: وهران - تلمسان، ... نجد هذه العناصر اللغوية تدلّ بنفسها على شيء واحد، معين بشكله، وبأوصافه وسمياته التي ينفرد بها ويتميز بها عن غيره من النوع الذي ينتمي إليه<sup>1</sup>.

إنّ لفظ "فاطمة" يدلّ على شخص بذاته، وهي تتميز بصورة معيّنة، وبأوصاف حسّية لا تنطبق على غيره من النوع البشري الذي يمثله مع غيرها من عناصر القائمة المذكورة في الأمثلة: " زيد - محمد، فاطمة - زينب " .

وكذلك الأمر في : "وهران - تلمسان"، ومنها أسماء الأحياء، والشوارع، والبلدان، وهي عناصر لغوية دالة على الأسماء الأعلام الخاصة بالمدن، وهي مدن خاصة بأوصافها الحسية التي تتميز بها، ولا تنطبق على غيرها من المدن، وهي تتمثل صوراً ذهنية خاصة بها، وهي تدلّ بهذه الألفاظ ذات الشكل البنائي الصوتي أو الخطي الخاص والذي يدلّ على معنى واحد لا غير، وهي دلالة على مسمى بعينه، لا يحتاج إلى دعامة لفظية أو معنوية من غيره<sup>2</sup>.

## ج - الوضع العام والموضوع له الخاص

يلاحظ الواضع حين الوضع معنى عاماً يكون وجهاً وعنواناً لأفراده ومصاديقه، بحيث يكون تصوره تصوراً لها بوجه فيضع اللفظ بازاء الأفراد والمصاديق . فهذا هو الوضع العام والموضوع له الخاص ، وحاله كحال القضية الحقيقية .

<sup>1</sup> عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، الطبعة التاسعة، ص 286.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 286.

فإذا تصوّرنا مفهوماً ما ينطبق عليه مفهوم الانسان مثلاً فقد تصوّرنا جميع أفراده بوجه ،  
ومن ثمّ جاز الحكم عليها في القضية الحقيقية، فلو لم يحكم المفهوم عن أفراده لاستحال الحكم  
عليها مطلقاً، مع أنّ الاستحالة واضحة البطلان.

والوضع العام في معناه يفيد الشيوخ وينطبق على كل الأسماء التي تدلّ على معنى معين،  
ولكنها إذا خرجت عن هذا القصد العام لتكون خاصة بقصد بعينه، فالأمر يختلف.  
ففي الآية، من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾<sup>1</sup>، فالقرية  
مقصودة بذاتها، وكانت العرب تطلق اسم القرية على المدينة، وهي هنا "مكة"<sup>2</sup>.

قرية الأمير، والتي أطلق عليها اسم "الأمير عبد القادر"، ف "الأمير" دلالة على أصله  
دلالة على العام في لفظ "الأمير" فهو في الجزائر غير ذلك لشيوعه وشهرته، ارتقى إلى  
العلمية بالغبلة، والأمير عبد القادر الاسم العلم ( الأندرونيوم) خاص، أخذ اسم المكان  
الخاص، فكان التحوّل إلى الاسم العلم المكاني (طبونيم)، الموضوع له خاص<sup>3</sup>.  
فالأمير التي أصبحت طبونيم أي ألحقت بالعلمية المكانية، ويسري عليها ما يسري  
على العلم بالغبلة ، مع وجود (ال) التي قد صارت قسماً مستقلاً من "ال" الزائدة اللازمة، أي  
التي تكون في الاسم الذي دخلت عليه<sup>4</sup>.

#### د - في الوضع الخاص والموضوع له عام

رأينا الوضع في الحالات السابقة، وهي عقلانية ومنطقية في التأسيس لها، ذلك أن  
الموجودات من ماديّات ومعاني تستلزم وضع الدوال عليها، فتكون بذلك وحدات لغوية كاملة  
الوجوه لاستعمالها بدالها ومدلولها، وتتوفر على مفهوم التواضع العام والتوافق.

1 سورة النساء، الآية 75 .

2 محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق عبد الله عبد الحسن

التركي، محمود محمد شاكر، دار الكتب العلمية بيروت، في تفسير سورة النساء، 8 : 543.

3 عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، ص 435.

4 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها (435).

وهو عند الأصوليين أي اللفظ العام : اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد من غير حصر، وجاء في أصول الفقه، ما معناه في العام : "ولا يخصص عام إلاّ بدليل يساويه، أو يرجّحه في القطيعة أو الظنية"<sup>1</sup>.

أمّا أن يتصور الواضع حين الوضع معنى خاصاً. أي ما يمتنع فرض صدقه على كثيرين. فيضع اللفظ بازاء معنى كلي، وهذا الوضع الرابع يذهب فريق إلى استحالته وبطلانه. فمعنى التواضع في عرف اللغويين ما يقبل الاجماع، ويترجم في الاستعمال ببعد شمولي لا يقتصر على جزء من الواقع اللغوي.

لكننا في علم الجنس نجد أسماء وضعت للمعيّن الخاص، لتتنطبق على أي فرد من مكونات هذه الأجناس، وكأنها قُيّدت بقواسم تجمعها.

فنحن لما يتعلّق الأمر بالموضوع العام نقف على الاستعمال وشيوعه، ومن ثمّ إذا أخذ الاسم الخاص في أصل وضعه بعداً يكسبه الشّيع، فإنّ هذا الشّيع أفقده خصوصيته بقبوله الدلالة على العام أي تنطبق على كل من يتقاسم السيمات مع هذا الاسم الشائع.

## 2 - أسماء الأجناس والأعلام :

يتعلق الأمر بتصور واضح اللفظ في هذه اللغة العربية الشريفة، في باب الأجناس والأعلام بزواية خاصة تعالج نوعاً من الألفاظ التي تتميز عن غيرها، بخصوصية لغوية ومعرفية.

أما عن تحقيق ذلك في اللغة العربية، فيتحقق من جهات:

- إنّ الكلام في هذا المقام، يرتبط بتصور الواضع، فإنّما أن يلاحظ اللفظ بمادته وهيئته - حين الوضع - كما في أسماء الأجناس وأعلام الأشخاص، وهنا يقع اختلاف بين الباحثين بحسب اختلاف مشاربهم، فمنهم من يربطه بأصله اللغوي ويضيف الإيحاءات التي يمكن التوصل إليها من قبل القارئ، وإمّا أن يقف الباحث على المادة فقط كما هو الحال في المشتقات، وقد يكون بناء على الهيئة في مثل هيئات المشتقات.

<sup>1</sup> عبد الوهاب خلاّف، علم أصول الفقه، الطبعة الثامنة، مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر، دار القلم،

فكيف تكون نظرة الباحث في اللغة العربية إلى أسماء الأجناس؟ وكيف تتكوّن لدينا الصورة الذهنية لهذه الأسماء؟

فالاسم "إنسان" يأخذ صورته الدلالية والمفهومية لاسم الجنس من مجموع الصفات التي ينتزعها العقل من مشاهدته لصفات محمد، وزينب، وعلي ومحمود، وفاطمة إلى أن استطاع العقل أن يأخذ صورة من هذه القواسم المشتركة لصفات كلّ هذه الأشخاص، وكوّن صورة خيالية<sup>1</sup>.

يتكوّن المعنى الواحد للإنسان بمدلولاته الحقيقية الكثيرة التي يراها في العالم الخارجي الحسي البعيد من العالم الداخلي الذهني، فينتهي إلى تصور معنى عام يدلّ على جنس له أفراده الحسية المتعددة البعيدة عن داخل العقل، وعن منطقة الذهن التي لا تتوفر على وجود حسي داخل الذهن. وهو الذي يمثل المعنى المجرد الذي انتزعه العقل وهو الجنس<sup>2</sup>.

### ١ - وضع اللفظ بالمادة والهيئة

ومن هنا يتضح أنّ الأمر في الاسم العام يحمل دلالة لغوية، تبدأ بالأصل المعجمي الذي تحدده القواميس اللغوية، وتدخل عليه معان أخرى كالصرفية والسياقية والعرفية وغيرها من الدلالات التي تزيدها الوظائف اللغوية المتعددة.

فالوظيفة الصرفية في مثل الفاعلية والمفعولية كفيلة بإضافة ميزة تفضيلية لتحديد صفات للاسم لتمييزه عن غيره من الأسماء.

هذه الصفات غير متوفرة في الاسم العلم الدال على الشخص، لذلك يذهب بعض الباحثين إلى دراسته بإحدى الطريقتين :

الأولى أننا نخضع الواقع اللغوي للمنطق وهو دأب الفلاسفة في تعاملهم مع اللغة، والثانية التعامل مع الأسماء الأعلام في النصوص وفق تواجدها، فتخضع للوصف اللغوي مثل أي عنصر في النص، وقد يذهب فريق من الباحثين إلى التعامل بالطريقتين.

<sup>1</sup> عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، ، هامش ص 288.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، هامش ص 289/288.

ولكننا نعتقد كغيرنا من الباحثين أن المسألة أكثر تعقيدا، وهي تحتاج إلى فلسفة لغوية أعمق في تعاملنا مع هذه العناصر، لأنها في عرفنا تعيين لأشخاص لا غير، وهي - أي الأسماء الأعلام - تحمل علامات اصطلاحية للتمييز الاجتماعي للأشخاص، ولذلك فسوسير لا يعتبره دليلاً لسانياً لأنه لا يخضع لمفهوم الاعتباطية بين الدال والمدلول، وعليه فهو منعزل وغير تحليلي<sup>1</sup>.

وحدثنا عن أسماء الأشخاص هو نفسه عن اسم المكان من حيث دلالاته على العلمية، فهو في هيئته الطبونيمية نخضعه لميزان التأليفية، ما لا ينطبق على وضعه المعجمي الذي تسهم المادة اللغوية في تحديد معناه، والهئية بإضافة معاني وظيفية عليه.

### ب - وضع اللفظ بناءً على مادته

والألفاظ بشكلها تعرف هيئاتها، نظرا للقيمة الصرفية، وهي تشترك في دلالاتها مع سابقتها لأنها تقبل التعدد الوظيفي للمادة كما هو الشأن في مداخلها المعجمية أو في سياقاتها. ومع تعدد الضوابط التي تسمح بتعدد الدلالات والإيحاءات، تتعدد معها القراءات المختلفة للطبونيم، هذا إذا كان يقبل التعدد، وأحيانا تتعدد وجوه القراءة للتأثر بالازدواجية اللغوية أو تعددها، فتتداخل أحيانا أو تعطي هجينا أحيانا أخرى. ونحن في الجزائر، يكون اللفظ في بعض الاستعمالات متأثراً ببعض التغيرات الصوتية في اللهجات الجزائرية، فتتغير بالانزياح الصوتي الذي يترك بصمته دون تغيير المعنى أو التعيين في حالة الواقع الألفوني، وتتغير الدلالة اللغوية في حالة التداخل مع وحدات أخرى من حيث الشكل.

ففي لفظ "ندرومة" مثلاً، نجد تحريجاً صوتياً، وأحياناً نرتكز على تحليل البنية التركيبية، فينتج : ألفاظ مثل : ند + روما = ندرومة، أو ضد + روما = في التحول الصوتي والتركيب البنوي للفظ، ومن ثم يكون التحول في تحريج للوصول إلى شكل المادة اللغوية قبل الانتهاء به في وحدة طبونيمية.

<sup>1</sup> Benveniste ,E.,1974, Problème de linguistique générale, tome II, Gallimard, Paris. p200.

ولعلنا باعتمادنا على الجانب المادي للفظ، نعود به إلى مكوناته الأصلية رغبة في ربط الوضع المعجمي بالوضع الطبونيمي تقريباً لعلاقة يقف عليها العمل الذهني، وهو أمر لا يرد إلا نادراً، ذلك أن الطبونيمات لا تخضع لنفس المعيير التي يحكمها وضع العناصر اللغوية المعجمية. والمعروف في وضع العناصر اللغوية في المعجمات في اللغات ومنها الساميات، أنها في التحولات الصرفية القياسية بالاعتماد على الأوزان، وغير القياسية كما هو الحال في السماعية، وحتى الأبنية الجديدة التي تتأثر باللغات الأخرى أو حتى في التوسع اللغوي بغرض التنمية اللغوية، تعتمد إجراءات كثيرة - كما رأينا سابقاً - زيادة على مبنائها المادي<sup>1</sup>.

ولذلك، فالوضع قد يعتمد صيغة واحدة، ولا يعتمد على غيرها في تحديدها معناها، أو دلالاتها المختلفة بما فيها السياقية والتداولية.

### ج - وضع اللفظ تبعاً لهيئته

وبالنسبة لاسم العلم، فالدلالة المعجمية قد تكون لها علاقة مع الشخص أو المكان انطلاقاً من الإيجاءات التي تحدثها هذه الدوال من الاسم العلم وعلاقته بما يعرفه من أحداث أو أفعال مرتبطة به أو بأحد أجزائه، وتظهر في البناء التركيبي للسياق الذي تظهر فيه وحدة مبنى ووحدة معنى خاصة في الشعر العربي الذي يعتمد انتقائية الأسماء الأعلام المكانية بدقة متناهية ، ولا يمكن التصرف فيها لارتباطها بواقع حياة العربي منذ القديم بهذه الأرض وبأسماء الأماكن التي يعدها قرينة الأحداث التي يعيشها بداية مع وقوفه على الأطلال<sup>2</sup>، واستحضار الذكريات التي لا يمكن نسيانها، في مثل قول الشاعر :

سَلِّمْ عَلَى الرَّبِّعِ مِنْ سَلَمَى بَدِي سَلِّمْ<sup>3</sup>

البيت لأبي تمام، يبدوه بالوقوف على الديار، وشطره الثاني :

<sup>1</sup> رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج الحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الثانية، سنة 1985م، ص 239 - 240.

<sup>2</sup> ينظر : طه حسين من تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، دار العلم للملايين، ط4، المجلد الأول، بيروت ، لبنان سنة 1981م، ص332، ص333.

<sup>3</sup> ينظر : أبو علي الحسن، ابن رشيق، كتاب العمدة، تحقيق محمد فرقان، الطبعة الأولى، دار المعرفة بيروت، لبنان سنة 1988م، 1/ ص 563 - 564.

عليه وسُم من الأيام والقدم

### دوال صرفية لاسم الشخص

هي أسماء تشتق من الأفعال الثلاثية تدلّ على معنى اسم الفاعل، بالإضافة إلى فائدة زائدة هي تأكيد المعنى، وفائدة الكثرة والمبالغة، ويطلق عليها اسم صيغ المبالغة، وهي تتوزع على أوزان منها<sup>1</sup> :-

فِعيل : جميل، سليم، وكريم . فَعَال : سَفَّاح... فعول : شكور، صبور,, مفعال : مقدام .. فَعِل : حذر، لبق...

أمّا صيغة اسم فاعل<sup>2</sup>، وهو اسم يشتق من الفعل للدلالة على وصف من قام بالفعل، ومنه : الفعل الثلاثي : فاعل : خالد، عامر... ومن غير الثلاثي : مفعول : مضطفي، مجتبي..

### دوال صرفية لاسم المكان

واسم المكان يشتق على وزن واحد كما هو الشأن في اسم الزمان، ويدلّ على مكان الفعل وزمانه<sup>3</sup>.

مفعل : ملعب، مرقد، مسبح ... مفعلة : مدرسة، مقبرة...

### ثانيا - التقسيم اللغوي

إنّ اللغة البشرية التي يشترك فيها الإنسان مع أخيه الإنسان، لا تخرج عن نطاق عقلي يقرب البشرية إلى بعضها، لذلك توجد قواسم مشتركة في النظام اللغوي، بل لا ينفرد بها مجتمع عن غيره، فنحن شركاء في هذه الكليات التي توحد البشرية لغوياً .

ولعلّ ما ينبغي أن تركز عليه الدراسات اللغوية في عالمنا المعاصر، هو هذا الواقع اللغوي المستعمل بين أفراد المجتمع بعفوية لغوية، لتستجيب لدواعٍ مختلفة في حياتنا اليومية، وهي في

1 حسن رمضان فحلة، بهجة الطرف في فن الصرف، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1992 ، ص

76،

2 المرجع نفسه، ص 75.

3 المرجع نفسه، ص 79.

ذلك تشترك مع أفراد المجتمع البشري في صفة العفوية اللغوية التي نخضع فيها جميعاً لنواميس هذه السلوكات اللغوية دون تصنع، ولا تحذلق بل تلك التي لا ترتبط بالمدرسة ولا بتلقين المتدربين.

لسنا بحاجة إلى لغة إعرابية أو تحتكم إلى نظام يُوجِّهها حتى نتواصل في ما بيننا<sup>1</sup>، وهذه اللغة التداولية هي التي تتوفر على لغة المجتمع الذي نتواصل معه، فهي قبل أن نرى فيها الوضع، علينا أن نقف عندها على أساس تواجدها في الاستعمال، كما كان الأمر عند القدامى من جواز الوقوف بالسكون على أواخر الكلمات، وبدون التشدد في الإعراب<sup>2</sup>، واختلاس الحركات وإخفائها، وإحذف ما يمكن الاستغناء عنه في الخطاب - كما هو الحال في السمعي البصري في عصرنا - وهو ما يمثل الخطاب العفوي.

أما النحو الكلي - كما سبقت الإشارة إليه - فله اعتبارات خاصة، فقد اجتهد لغويون عرب في تقريب تطبيقاته وجوازها في العربية إلى درجة الاجتهاد في البحث عمّا يثبت ذلك في التراث العربي<sup>3</sup>.

كان اللغويون القدامى يقسمون الدراسات اللغوية إلى قسمين، بحسب النظر إلى مكوناتها اللغوية :

- دراسة شكل اللغة، وهو ما اصطلح عليه في الدراسات الحديثة بعد فرديناند دوسوسير بدراسة البنية، أما القسم الثاني فهو ما كان يعرف بدراسة المعنى، وفيما بعد الدلالة. ودراسة الشكل أو البنية يهتم بالكلمة (العنصر اللغوي المفرد) من حيث تضام الأصوات بعضها إلى بعض (رتبة العنصر الصوتي أو الخطي في المتواليّة الصوتية، موضعه من الوحدات، وهذا وفق نظام اللغة، (المستوى الصوتي)، وهنا يتتبع الدارس الأصوات وكيفية نطقها، وملاحظتها داخل البنية، ووصف مقاطعها وترتيبها.

<sup>1</sup> مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، إعداد الحاج صالح عبد الرحمن، تا عدد الثاني، ديسمبر 2005، ص 24 - 25.

<sup>2</sup> وهو ما يطلق عليه الحاج صالح عبد الرحمن مصطلح فرط التصحيح، ينظر : المرجع نفسه، ص 25،

<sup>3</sup> عبده الراجحي ، النحو العربي والدرس اللغوي الحديث، دار النهضة، بيروت ، سنة 1979م، ص 142.

ففي موضوعنا، نجد واقع اللغات واللهجات تنضوي - في كثير من الأحيان - في هذه الخانة نظر لتأثير العامل الصوتي في تصنيف اللغات أو توزيعها جغرافياً، وأحياناً تسهم في ضبط تصنيفات الأفراد والجماعات انتمائياً لقبائل أو لهويات تحددها في الأطالس اللغوية.

ودائماً مع شكل الكلمات، فهي أيضاً تنظر إلى شكل الكلمات في بنيتها المورفولوجية ومكوناتها، وهي تخضع أحياناً للقياس وأخرى للسمع، هذا في لغتنا العربية وقد تكون غير ذلك في لغات أخرى لها نظامها الخاص.

وللجملة أيضاً شكل تركيبى يمثل نظامها، فيتبع وجود عناصرها اللغوية ومكوناتها ومدى مطابقتها لنظامها في وضعها الخطي.

- دراسة المعنى : وهذا القسم الأساسي في اللغة، فهو ينظر إلى هذه العناصر اللغوية بحسب مستوياتها السابقة الذكر من استخدامها لهذه العناصر ولتركيبها والمعاني التي تؤديها في الجمل، وهو مجال الدلالة أو السيماتيك، ةتنوع المعاني بتنوع السياقات في الاستعمالات اللغوية (وهو ما يعرف في الدرس اللغوي الحديث بـ "محور المتغيرات").

وقد يضاف إلى هذا المحور، ما أصبح يعرف بـ "التداولية"، وهو مستوى أعلى من مستوى الجملة، وهو يرقى إلى المستوى التواصلى أي مستوى الخطاب في اللغة.

أمّا عن الكلمة، فهو يعرف النحاة الكلمة بأنها ما دلّ على اسم، أو فعل، أو حرف، والاسم عنصر لغوي يدلّ بذاته على شيء محسوس، أو غير محسوس، يعرف بالعقل<sup>1</sup>، وهو ما أشرنا إليه سابقاً، وهو الذي نريد التعامل معه في تعيينه لاسم المكان.

أقسام وحدات الكلم إلى اسم وفعل وحرف، أي أن الكلم اسم جنس جمعي مفردة كلمة، وتطلق على اللفظ الذي يحمل معنى. ويذهب أهل الاختصاص إلى أنّ هذا التقسيم النحوي في مقابلة التقسيم الوظيفي. فالطبونيم اسم للدلالة على المكان بأشكال لغوية متعددة، سنعرض لها في تفاصيل الحديث عنها.

ففي إشارة أولية لهذه الأقسام يكون للصيغة الصرفية على الاسم الوظيفة الموجهة لتحديد دلالات جديدة تأخذها الدلالات المعجمية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر من

<sup>1</sup> عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، ص 27،28،29.

مناطق تلمسان أسماء تبدو عربية وتأخذ أشكالاً قد تخرجها من اسميتها شكلاً، لتكون للصيغة الفعلية الصورة اللغوية الاستعمالية، والتي عرفت التداول الفعلي لها في المنطقة :

## 1 - التقسيم الشكلي والوظيفي

اسم المكان : ولعلّ التداخل الذي يقع بين المعاني التي يحملها اسم المكان، تقع في تحديد الدلالة الوضعية بين وضعها المعجمي الأصلي المعزول عن السياقات، والدلالة معجمية التي تتعدّد مداخلها بحسب السياقات والتداول الخطابي، ووضعها الطبونيمي للدلالة على اسم المكان لوجود رابط طبيعي أو اسم مقترن بمقترن بحدث يستلزم التعيين.

إنّ اسم المكان كغيره من الأسماء العامة يوضع للدلالة معجمية قبل تعيينه للمكان، ثم ينتقل من المعاني التعيينية المعجمية إلى معانٍ وضعية جديدة للدلالة على العلمة بتعيينها الخاص الذي يميز الإنسان أو المكان أو أشياء أخرى لا تشترك معها في التعرف عليها أموراً أخرى لاشتراكها في صفات، فتتداخل مع غيرها في الوصول إلى دلالتها، وهذا ما لا يطابق هذه الخصوصية للعلمية الاسمية المكانية.

أما عن ظرف المكان، ولو أنّه يدلّ على مكانية وقوع الحدث، فهو ليس اسم العلم الدال على المكان، كما هو الشأن في المواقع التي يحمل فيها اسم المكان خصوصية الطبونيم.

فالظرف هو الاسم الذي يدلّ على مكان وقوع الحدث، ويكون جواب السؤال (أين).

تحت ، هنا، فوق ، قرب... ففي قولنا : ذهب فلان حيث يريد، فإنّ قراءتنا تفترض للقول مجالاً، وهو هنا بدوره يفترض في المجال : الإنسان والمكان، الممثل في الظرف المكاني. وعلاقة الإنسان بالمكان ارتباط وجودي، وقد ورد في عدة آيات للدلالة عليها، وعلى استخلافه فيها، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>1</sup> وهناك رموز لحمل تأويلات لهذه اللغة<sup>2</sup>، وكما توجد للمكان في النص المقدس قيمة خاصّة لما نربطه بهذا الإنسان الذي استقرّ بالأرض وتنوعت هذه القيمة وتجددت مع الزمان، توجد قراءات للمكان في

1 سورة البقرة، آية 30.

2 طه عبد الرحمن، المنق والنحو الصوري، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، لبنان سنة 1983، ص 21، 22، 23.

الرواية، فيأخذ معاني وتمنح له له أبعاد دلالية، ويتوصل القارئ إلى إيجاءات بحسب السياقات والمقامات والمواقف كما تُقدّم في ظل نظرية الخطاب السردية<sup>1</sup>.

### أ - التقسيم النحوي

لما يتعلق الأمر بالنحو، فنحن نعمل في حقل نظام اللغة عموماً، وفي ميتوياتها التحليلية التركيبية - التراكيبية - النحوية.

والسؤال: ما هو قسيم الاسم العلم الدال على المكان؟ هل هو العنصر الاسمي الدال على الزمان، أو الاسم العام؟

إذا كان التقسيم النحوي عند القدامي إلى ثلاثة أقسام تتوزع بين الفعل والاسم والحرف، فإنّ الاسم ينقسم بدوره إلى أقسام:

الاسم في مقابلة الفعل، والاسم العلم الدال على الزمان في مقابلة الاسم الدال على المكان، والاسم المكاني/الزماني في مقابلة الاسم العام.

### ب - التقسيم الوظيفي

لا يخفى على أحد أن الأسماء الأعلام لها مكانة خاصة في أي معجم لغوي، فهي لا تعتمد المعنى الوضعي الأصلي في الاستعمال اللغوي التداولي، ولا تعريفاً معيناً، بل تكتفي بتعيين المسمّى تبعاً لعلاقة أو رابط غير متحكّم فيه بدلالة الاستعمال، ومع ذلك فهو يخضع لدلالة تعيينية بالوضع<sup>2</sup>.

ولعلنا نتكلّم على هذه العناصر اللغوية - أي الأسماء الأعلام - في بعدها الوظيفي الوضعي، والوظيفي النحوي بما يمنحها مكانة خاصة في الحالتين، فهي في بعدها الوظيفي التصنيفي في المعاجم لا تخرج عن معجمية الأسماء الأعلام، فهي تحمل أبعاداً تعيينية في أصل وضعها بعيداً عن أصل الوضع المعجمي، ثم تحمل وظائف نحوية في توزيعها داخل التراكيب النحوية على أنّها وحدات مفردة وفق تفرّعاتها النحوية داخل التراكيب إلّا أنّها في إعرابها تتميز

<sup>1</sup> مجلة مطارحات في اللغة والأدب، دز خالدي سمير، خصائص المكان في رواية ربح الجنوب، العدد الرابع، سنة 2015، ص 136.

<sup>2</sup> Grevisse ,M. 1986, *Le bon usage. Grammaire française avec des Remarques sur la langue française d'aujourd'hui*, Gembloux, Duculot. p45.

عن باقي العناصر اللغوية العامة لامتناعها من الصرف<sup>1</sup>، وهي بذلك تصنف في قائمة العناصر اللغوية المنتهية بخلاف الأسماء العامة (الدليل اللساني)، فهي قوائم غير منتهية لأنها تأليفية وليست تحليلية<sup>2</sup>.

قد نجد طبونيمات تميّزها في التصنيف الوظيفي محددات رقمية (حي 500 سكن، طريق الوحدة) وغيرها، فهي تعيينية، وبهذه المحددات التي تُتخذ مرجعيات وقرائن غير لغوية (الرقمية)، تتوسّع دوال الطبونيمات، وهي بذلك من الدوال العددية أي من العناصر اللغوية الحرفية أو الرقمية التي وضعت في أول الأمر لغير ما وضعت له في العَلَمِيّة.

وهناك حالات تصنيفية لهذه العناصر خاصة الأسماء الأعلام الدالة على الأشخاص (أندرونيكات) بحسب الضوابط الاجتماعية، كالانتماءات الدينية أو تصنيفات بقرائن سلوكية أو ممارسة طقوس مميزة، زاوية سيدي بن عمر، وغيرها من المعالم ذات البعد الديني، أحياناً ذات ممارسات وسلوكات تشكلها طقوس خاصة كما هو الحال في قنّاوة وعيساوة وغيرها.

لذلك اختلفت قراءات الباحثين لهذه العناصر بين من يرى لها معان لغوية كباقي الأسماء بل ولها قراءات مختلفة بداية من التاريخ الذي تخفيه أو تظهره، وانتهاءً بمجالات متعددة منها السياسية، والاجتماعية، وغيرها، ومع ذلك يتوقف الأمر على ثقافة الفرد أو تكوينه المعرفي، ومنهم من يكتفي بالوظيفة التعيينية لا غير، ولذلك يتوقف الجهد على المعرفة وكفاءة التّعرف بأبعادها الثلاثة عند الباحث، الشخص، والمكان، والزمان، في ظلّ الشبكة المعرفية للأسماء الأعلام التي تكوّن التنظيم الذهني وبنية العالم، (لسانية نفسية، ولسانية اجتماعية)<sup>3</sup>. وللتقسيم الوظيفي وجوه تتحكم فيها الوظائف النحوية بناء على مواقعها في الجملة (وفق الربط النحوي أو الوظيفي).

- المفعول فيه : من الفضلات نحويّاً (ينظر ظرفا الزمان والمكان واسما الزمان والمكان) وهو يعد من توسعات التراكيب الفعلية.

<sup>1</sup> المنوع من الصرف منها أسماء الأعلام فإنها ترفع بالضمّة وتنصب وتجر بالفتحة، والمنوع من الصرف هو الاسم الذي لا يقبل التنوين، ومنها أسماء الأعلام.

<sup>2</sup> الأسماء التأليفية، هي العناصر اللغوية التي لا تخضع للتحليل أو التفكيك، وإن تمّ لها ذلك فهي تعتبر عناصر لغوية جديدة لا علاقة لها بالأسماء الأعلام التي تشترك معها في الحروف.

<sup>3</sup> Molino, J « Le nom propre dans la langue », *Langages*, 1982, n° 66, p19.

- توسعات الاسم النحوية في مقابلة حدّ الاسم داخل الجملة (المفاعيل)، وهي تعتبر من الفضلات نحويّاً لأنها خارج الحد الاسمي للمكوّن الاسميّ، ينظر نظرية العامل عند الحاج صالح، وكريستيان تورانية في كيفية تحديد الوظائف النحوية Cercle d'Aix ، مجلة للدراسات اللسانية ...

### ج - الدلالة السياقية للعناصر اللغوية

قبل الحديث عن الدلالة السياقية، يتوجب علينا الإشارة إلى مسألة لها أهمية خاصة وهي توزيع الألفاظ في السياقة والتباين الموجود بين الألفاظ العربية المعجمية وتلك الدالة على الأسماء الأعلام ومنها أسماء الأمكنة، وكيفية توزيعهما في السياقات المختلفة مع تحديد التباينات الدلالية بينهما .

كثير من المهتمين بشؤون اللغة العربية من غير أهل الاختصاص يعتقدون أنّ الموجود في المعاجم اللغوية العربية هو المعنى الذي تقف عليه، معتقدين أنّها معاني الاستعمال السائد، دون الوقوف على المجالات التي يستعمل فيها وظيفياً أو تداولياً، أو حتّى الفنون التي استعملت فيها هذه الألفاظ، وتكون بذلك قد خرجت من معنى الوضع (المعجمي) إلى المعنى الخاص أي المصطلحي الذي يغترف من الفكر الإنساني أو المجال العلمي الذي يضمن له الدقة المصطلحية أو الدلة الخاصة ببناء على الاستعمال أو القصد.

ونحن إذ نريد ملامسة المعنى المقصود، لا يجب أن ننسى أنّ هذه المعاني التي نريد الوصول إليها قد تغيّرت في مسارها الاستعمالي عبر الزمان، ولا يمكن حصر دلالاته إلّا باعتمادنا على جميع السياقات التي ورد فيها - في التراث - والوقوف على القرائن التي تحددها، والمرجعيات التي تدلّنا عليها- في مختلف المدونات الموجودة - وهو أمر يجب التقيّد به<sup>1</sup>، كما يمكن تتبعها في الخطابات المختلفة للوقوف عليها.

ونحن في تتبعنا لهذا الواقع اللغوي، لا نجد من هذا الذي دوّنه القدامى - أثناء تتبعهم لورود الألفاظ في السياقات المختلفة والأحوال - إلّا القليل وقد يُكتفى بالشاهد الواحد، ولا يعلمون عن تغيّر المدلولات عبر الزمان وفق ما يجيزه القياس من قياس واتساع في المعنى.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> عبدالرحمن الحاج صالح، اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات، منشورات المجلس الأعلى للغة العربي، أعمال الندوة الدولية حول مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، الجزائر 2001، ص 34.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص نفسها (34).

## 2 - الأسماء الأعلام وتقسيماتها اللغوية

إنّ الأسماء الأعلام من وجهة لغوية تنقسم إلى : -

أسماء أعلام دالة الأشخاص، وأسماء أعلام دالة على المكان، وأسماء أعلام دالة على التمييز الخاص (كالإشهار وغيره)، وهي في ذلك تخضع لضوابط لغوية وأخرى غير لغوية كالاستعارة، والاقتراض، والتعريب، وغيرها.

والأسماء الأعلام بأنواعها تستعمل لغوياً فقط، فهي وجدت لها طريقاً سيميائياً، باستعمالات وظيفية مختلفة في الوطن العربي والأجنبي، ولعلّ أهمها التوظيف الجمالي الذي يتوقف على ثقافة المجتمعات واختلاف قيمها.

ويسمح التنوع الوظيفي لها بقراءات تعترف من حقول معرفية متوافقة وأخرى متباينة، إذ تعترف أحياناً من علم النفس والاجتماع والفلسفة ، خاصة لما يتعلق الأمر بمفهوم الشخصية والأبعاد السردية وأنواعها، وكذلك ورودها في النصوص الروائية<sup>1</sup>.

فاقتربنا لملامسة الشخصية الروائية والشخص الروائي مفهومين مختلفين في ضوء النظرة إليها من زاوية العلمية، فإذا كانت الأولى شخصية تخضع للنظام العام، فالثانية شخصاً خاصاً معيناً، له سماته الخاصة وصفته النفسية والجسمية التي تحدده<sup>2</sup>، وإن كانت هذه الثانية محتواة في التصور العام للثانية، شأنها في ذلك مقابلة العام بالخاص في الطرح المفهومي اللساني.

### 1 - الأقسام الصرفية

ومن أسماء الأمكنة ما أتى على وزن الفعل كـ "يبدر" وزن يفعل في "يبدر دشرة"، وهو أمر مألوف في النقل من الصيغة الفعلية في أسماء الأعلام دون غيرها لخصوصيتها في الأعلام<sup>3</sup>، وذهب بعضهم إلى منعها في غيرها<sup>4</sup>، ما دلّ على أسماء يكون القيد فيها تابعاً في مثل "دشرة"

1 ينظر : أحلام مستغانمي " الأسود يليق بك" الجزائر، محمد الأشعري، غلبة الأسماء، المغرب ، محمد طرشونة المعجزة " المعجزة"، تونس، عبد القادر ولد ابنو " الأس ماء المتغيرة". مريتانيا.

2 د. نجم عبد الله كاظم، جماليات الشخصية في الرواية العراقية، جامعة بغداد، بحث منشور في مجلة أفلام، العدد الرابع، دار الشؤون الثقافية العامة، سنة 2016 .

3 طارق نجم عبد الله، دراسات في النحو والصرف، دار الكرام، بيروت، الطبعة الأولى، لبنان سنة 1996م، ص 85.

4 أجازة لسيرافي، ينظر : الشيخ خالد الأزهرى، التصريح على التوضيح، تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ج2، الطبعة الأولى، بيروت سنة 2000 ، ص 355.

في "بيدر دشرة"، قرية "بيدر" عرفت أسماء قبل أن تستقر على الطونيم **بيدر دشرة**<sup>1</sup>، حقيقة عرفت هذه القرية أسماء متعددة، مبينة بعض التمايزات تحمل معانٍ مختلفة بحسب الصفات التمييزية لبعض جوانب الواقع السوسيو- ثقافي للسكان، لذلك ظهرت بأسماء أخرى للتجمع السكاني ذاته بدلالات مختلفة منها : **الحلة، والعلة، والمحلة**، وكلها طبونيمات ذات قيمة دراسية علمية عالية، ف "بيدر الحلة" تبدأ بالصيغة الصرفية الفعلية على خلاف الاسم التي تعد من أصل الوضع ، وما الفعل إلا فرع منها، وكانت لرويات التسمية دلالات وإيحاءات، سنذكرها لاحقاً، وتبقى الإشارة إلى العلاقة بين **بيدر** الفعل والمحدد **دشرة** في "بيدر دشرة" من حيث التركيب النحوي في أصل الأسماء المركبة الدالة على المكان والتي تُعدُّ في صيغها التركيبية من التراكيب المسكوكة التي لا يسمح بالتصرف في نظامها التراتبي .

#### ب - الأقسام الدلالية

اسم مفرد في توزيعه التركيبي (النحوي) <sup>3</sup>	أعلامية Andronyme	اسم (شخص) <b>عمير</b> <sup>2</sup> (تصغير عمر)
اسم نوع من الأشجار		اسم (نبات) الصفصاف <sup>4</sup>
اسم مركب : رتبة + اسم شخص + سوسولوجية (انتماء ديني / اجتماعي)	اسم مكان ينسب إلى أسماء شخصيات تاريخية أو مذهبية <b>عبد القادر</b> <sup>5</sup> مستماتية <sup>6</sup> Eponymie	اسم (رتبة) الأمير
وجدة مركبة للدلالة على اسم المكان: صيغة فعلية + اسم	اسم : دشرة <sup>7</sup> : شكل لتجمع سكاني (تصنيف عمراني) بعد سوسولوجي	فعل (صيغة): اشتقاق من الوحدة المعجمية الاسمية <b>بدر</b> إلى الوحدة

1

2 اسم قرية تابعة لدائرة شتوان، وهي تقع بين بلدية بن سكران وشتوان، وكما تدل عليه الصيغة الصرفية للدلالة على وظيفة التصغير في البناء الصرفي العربي **تصغير عمر عمير**، اسم علم "شخص للدلالة على المكان Andronyme .

3 يتوزع نحوياً ووظيفياً مثل المفرد .

4 حي الصفصاف، يمثل قرية تابعة لبلدية شتوان في التقسيم الإداري ،

5 الأمير عبد القادر نُسبت إليه قرية في دائرة بني صاف ولاية عين تموشنت، تخلّيدا لهذه الشخصية التاريخية والتي ربطت المكان بعهددة التافنة .

6 أن تنسب مدناً أو جبالاً أو بحيرات وغيرها إلى أشخاص، ينظر الأسمائية ، ص 166.

7 شكل التجمع السكاني وفق التصنيف الجزائري....

		الفعلية يبدر ومع ذلك حافظ على دلالاته التعيينية والإيحائية، بالاستناد على الصفات المشهورة التي تميزه، يبدر (صيغة فعلية : بدر)
اسم مركب	اسم : ببحج، بونيف ...	اسم (ماء) مائيات حاسي (بئر)
عين الدفلى	اسم (نبات) : الدفلى	اسم مائيات: عين Hydronyme
عين الحوت	اسم (سمك) : الحوت <sup>1</sup>	اسم (ماء) مائيات : عين
عين الكلب – فدان اسبع	اسم (حيوان) : الكلب، السبع... <sup>2</sup>	اسم (ماء) : عين
درب اليهود	اسم (انتماء عقدي) : اليهود <sup>3</sup>	اسم (مكان) : درب Odonyme
عين النجار	اسم : شخص حرفي : النجار <sup>4</sup>	اسم : المياه : عين
عين الدفلى	اسم : نبات : الدفلى <sup>5</sup>	اسم : المياه : عين
عين الدباغين	اسم (حرفة) : الدباغين <sup>6</sup>	اسم (ماء) : عين
سيدي بومدين	اسم شخص : بومدين <sup>7</sup> (انتماء ديني)	اسم : كناية عن الصلاح : سيدي

<sup>1</sup> Wiliam Marcais version toponyme A El Houtz

<sup>2</sup> وسط مدينة تلمسان، وله قصة بين السلطان والطبيب اليهودي أنكاوة الذي عالج بنت السلطان  
<sup>3</sup> حي عين النجار ، المتواجد بالكيفان، بتلمسان.  
<sup>4</sup> كانت نباتات الدفلى تحيط بينابيع المياه وعلى طول سواقيها، وكان ذلك إلى غاية جفاف العيون التي كانت بأعداد كبيرة منها عين الحنش التي كان يستعملها رجال القرية للاغتسال على طول أيام السنة، فهي باردة صلفا وحرارة شتاء، إلا أن معظمها لم يعد له أثر بعد طغيان الإسمنت على كل المنطقة وذلك بإنشاء منطقة صناعية أتت على الأخضر واليابس، ولم يعد لتلك البساتين وجود.  
<sup>5</sup> توجد بحج أقادير، وهو من أقدم الأحياء، وكان يمثل في العهد المريني المدينة القديمة أقادير التي بناها إدريس الثاني، وعين الدباغين كان يعتادها دباغو الجلود ولا تزال إلى يومنا مقصدا لهم، إلا أنّ هذه الحرفة تقلصت إلى درجة أنها تنذر بالانقراض.  
<sup>6</sup> سيدي بومدين الغوث ، الولي الصالح الذي وافته المنية قرب "ناقيلت" ، وهو دفين العباد، وصاحب القول: "ما هذا؟" وهو يشير إلى تلمسان في اتجاه العباد، فقيل له: "العباد"، فقال: "ما أحلى الرقاد" وقيل لذلك دفن بالعباد.  
<sup>7</sup>

الواد الاخضر	اسم (اللون) الأخضر <sup>1</sup> : صفة من أصل الوضع + إحياءات	اسم (ماء) : الواد :
واد سوف	اسم (قبيلة) : سوف <sup>3</sup> : علاقة إضافة	اسم (ماء) : واد <sup>2</sup>
واد الزيتون	اسم (نبات) : الزيتون <sup>4</sup> : علاقة إضافة	اسم (ماء) : واد

### ج - المعاني السياقية للطبونيمات

لا يمكننا أن نعتبر اسم المكان بداله اللغوي الوحيد في الأشكال التعبيرية اللغوية الدالة على تعيين المكان، ذلك أننا نجد دوالاً تتبع رموزاً رقمية وأخرى عبارة عن حروف صوتية للدلالة على الأحياء أو أشكال تجمعية ذات طابع يحمل عنواناً تمييزياً خاصاً وهو يصنف من قبيل الطبونيمات.

ففي مڈنا الجزائرية لم يعد يخفى على أحد وجود عدد غير قليل من هذه السيمات الرقمية في كثير من أحيائنا، وعادة ما يكون الرقم التمييزي يعكس حقيقة عددية لسكنات أو قطع أرضية تعرف بها.

1 الواد الأخضر، للدلالة على اللون الأخضر الذي يميز طول ضفتي النهر، لكثرة النباتات أنواع الأشجار التي تغطيه ، وكان يسمى سابقاً واد الشوي، قبل أن يقترح الاسم الجديد الواد لخضر تيمناً، وفي بعض الرويات تشاؤماً وتطيراً من الاسم الشوي لعاملين:.

الأول : الشوي وهو اسم هيدرونييم

الثاني: القصيدة الثورية المشهورة والتي غناها أصحاب الصف لفرقة سبدو وتحمل دعاءً، نظراً لقتل فرنسا الشهيد بن علال بما بعنوان الله يعطيك اردم آ واد الشوي .

2 الواد في اصل الوضع يطلق على مجرى الماء، وهو هنا يخضع لروايات منها : واد كان يجري به الماء قديماً، وهو نخر صحراوي غظته اليوم الرمال، وقيل أيضاً إن تدفق الرمال به لما كانت تعصف بها الرياح، كانت تشبه جريان الماء، فأطلقت عليها قبيلة طرود هذا الاسم للنشابه الموجود، وقيل لتشبيه نشاطهم بجريان الماء.

3 في نظر الباحثين "سوف" نسبة إلى قبيلة مسوفة التارقية البربرية، ومنهم من يربطها بقمم الكثبان الرملية لشبهها بجدة السيوف، ورواية تحملها على دلالة الصوف لكونها مقصداً للصوفية الذين كانوا يجدون فيها الهدوء المنشود.

4 قرية تابعة لبلدية صبرة ، وهي أيضاً للدلالة على كثرة أشجار الزيتون التي اشتهرت بها المنطقة، ولا تزال إلى يومنا هذا المنطقة قبله لطالبي زيت الزيتون.

ويكون الطبونيم من خلال السياق التواصلي دليلاً عددياً ليكون قيداً للاسم الطبونيم، في مثل "500 سكن" في حي "500 سكن"، وعادة ما يدل الدال العددي الذي انطلق بها المشروع السكني في التأسيس الرسمي، قرينة عددية لتمييزه عن غيره من الأحياء، في مثل "حي 1060 سكن" بإمامة، ولذلك فهو يمثل طبونيماً (عنصر مفرد)، للدلالة على تعيين الحي الذي يعرف بعدد محدود من السكنات ويشتهر به، وبالتالي فهو لا يحتاج إلى تحليل لغوي لأنّ البعد التداولي لا يحيد عن التعيين أي تعيين الحي بـ عدد 500 سكن .

وقد يدلّ الرقم المحدّد على الترتيب الزمني لأسبكية وجود المشروع، أو ترتيب زمني للإنجاز، فيكون قيداً له، في مثل "منصورة واحد"، و"منصورة إثنين" الخ..

وقد يطلق على الحي اسم تمييزي بحرف يكون قيداً له، ومميزاً له من غيره، في مثل "ساحة ج (G)"، وهي أكرونيم (Acronymes)، وهي مختصر لـ "أكروطبونيم" (Acrotoponyme). وفي هذا الاستعمال انقسم اللغويون إلى فريقين :

القدامي: وقد ربطوا هذا الاستعمال في كل وجه من الوجوه بالمعنى الذي يدلّ عليه، ويبحثون عن مقاصد الكلام في كل الأحوال<sup>1</sup>، كما أنهم يربطون الكلام بسياقه وبالظروف المحيطة به، وهو ما يسمى عند اللسانيين المحدثين بالسياق الخارجي، وفضلاً عن ذلك فهم يجعلون النحو أداة في فهم أسرار التركيب العربي، ولهم في ذلك أي النحو قوة توجيهية للمعاني المكملة للأبعاد الدلالية الأخرى<sup>2</sup>.

أمّا ما ذهب إليه المتأخرون من نحاة القرن السادس الهجري، فقلّمًا يربطون كلامهم بالتركيب النحوية لتحديد المعاني المحصل عليها من التراكيب، ولا بالسياقات المحددة لهذه المعاني، وذلك مثل ما كان يفعل ابن عقيل مع القواعد النحوية<sup>3</sup>.

1 سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل - بيروت - الجزء الثالث، ص 16.

2 ابن جني، أب الفتح عثمان بن جني، المحتسب، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الحلیم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلي، الجزء الأول، القاهرة سنة 2004، ص 146.

3 ابن عقيل، شرح الألفية، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، الجزء الثاني، ص 344 - 345.

أما الدرس اللغوي الحديث، فقد عرف مدارس ومذاهب، وكل فريق له زوايا النظر التي ينطلق منها، والاعتبارات التي يعتمدونها في ذلك.

## ثالثاً : الأسماء الأعلام

إنّ الأسماء الأعلام تعددت وتنوعت، فكانت الاستعمالات المختلفة للمصطلحات ذات الصلة بالطبونيما في طبيعتها، فرضت علينا تساؤلات للوقوف على حدودها وتمييزها عن غيرها، وهي رغم اشتراكها في عائلات متقاربة معها، إلا أنّ استعمالاتها كان بمثابة الضابط لتمكين الدارس من التعرف عليها الوقوف على أبعادها.

والواقع أنّ هذا المجال الدراسي على حيويته، لم يتمكن من حلّ إشكالية المجال والمصطلح إلا في ضوء علوم فنية تباينت في انتماءاتها إلى الحقول المعرفية التي اعتمدت عليها دعامة وتأسيساً، واهتمت بها في مسارها التشكيلي، وضرورة تبني الإجراء التحليلي لفهمها. وإذا كانت تبدو لنا أحيانا عناصر لغوية تحمل طابع العلمية، فهي في واقعها تتداخل في مجالاتها لضبابية الحدود المعرفية التي تصنفها في الطبونيما أو تتقاطع معها، فظهرت ضمن هذه العلوم الفتية التي عرفتها العقود المتأخرة من القرن الماضي، مجالات تفرّعت عن الأسماء الأعلام، وأوجدت لنفسها تخصصات أدق في البحث العلمي كما سنرى ذلك.

### 1 - أسماء أمكنة بين المعجمية والمواقعية

توجد في ألفاظ اللغة العربية أسماء عامة للدلالة على الأمكنة من أصل الوضع، وهي أشكال تجمعات عمرانية مختلفة، تخضع تسميات هذه التجمعات السكانية لعوامل كثيرة، منها ما يعود للبلد ومخططاته الهيكلية والتنظيمية، وعليها تتوقف التقسيمات الإدارية ومعها التصنيفات التسمية الرسمية أو العرفية، وتنظّمها قوانين البلد، لكن عوامل أخرى تتدخل اجتماعية/ثقافية في التصنيف الاستعمالي الشعبي، عادة ما يتحكّم فيه التوزيع العرفي.

تنوعت هذه الأسماء التصنيفية التي أخذت قيمتها التسمية من شكل التجمع الذي يعكس بدوره الوضع الاجتماعي الثقافي للسكان، وأحيانا لا يخضع لهذا التصنيف، وما هو إلاّ

نتاج طبيعي لتطور مستمر عبر الزمان، إلى أن وصلت هذه الأشكال السكنية إلى وضع المدن بعد ما كانت قرى، ودواوير، بفعل توالي الحقب التاريخية عليها<sup>1</sup>.

ولما نتحدث عن هذه الألفاظ، فهي ليست طبونيمات، فوضعها يخضع لما تمت الإشارة إليه في هذا الفصل أثناء كلامنا عن أصل وضع الألفاظ، فهي ترتبط بـ "الوضع العام والموضوع له عام"<sup>2</sup> في إشارة إلى ما ذهب إليه هلمسليف في شكل التعبير، فهي وإن كانت تطلق على تصنيفات للتجمعات السكانية إلا أنها تحتاج إلى محدد طبونيمي، وليست طبونيمات.

ففي "بيدر دشرة"، و "بيدر الدشرة"، نجد المحدد الطبونيمي هو "بيدر" أما دشرة بدون "ال" التعريف تفيد التعيين الشكلي والتصنيفي، أما "الدشرة" فهو يفيد وجود تقابل لتحديد القيمة التصنيفية لشكل التجمع، ويكون هنا أصل الوضع من باب "الوضع العام والموضوع له الخاص"<sup>3</sup>.

– **القرية أو القرى** : إنّ القرية<sup>4</sup> تمثل تجمعاً سكانياً متطوراً، مقارنة بما كان عليه الإنسان قبل تشكيلها، وهي أول نتاج ثوري بيئوي مادي يحدث ضمن التطور الأنثروبولوجي المعرفي في توصفاته الميثولوجية الأولى، وذلك بتحول الصيادين إلى مزارعين، وإلى مربي حيوانات، وتم ذلك التحول بتدرج في سلوكيات الجماعة نحو الاستقرار المتدرج<sup>5</sup>، ففي إشارة إلى ذلك يقول د. جمال الدين الخضور : «وانتصبت مكان التخيمات الفصلية والمآوي الخفيفة والعبارة، أولى القرى التي ضمت أكواخاً ذات هياكل أقوى، تسكن على مدار العام، وقد

<sup>1</sup> A. TENKOUL, Faculté des LETTRES, Fes, Actes du colloque N° 2 , LE MAROC ORIENTAL, passé et présent, le milieu naturel, l'histoire et la culture, journées d'études du 13 au 15 mars 1986, Faculté des lettres et des sciences humaines-Oujda, Maroc, P485.

<sup>2</sup> ينظر ص 17 من هذا الفصل.

<sup>3</sup> ينظر ص 17 من هذا الفصل.

<sup>4</sup> (قري) في قواميس اللغة العربية، يدل على جمع واجتماع، من ذلك (القرية) سميت قرية لاجتماع الناس فيها. وكما أن لفظ (القرية) هو اسم للموضوع الذي يجتمع فيه الناس، فهو أيضاً اسم للناس جميعاً، ويستعمل في كل واحد منهما، يقولون: قريث الماء في المقرأة: جمعته، وذلك الماء المجموع قري. وجمع (القرية): قري. والمقرأة: الجفنة (وعاء الطعام)، سميت لاجتماع الضيف عليها، أو لما جُمع فيها من طعام. وقري الضيف يقريه: ضيفه.

<sup>5</sup> جمال الدين الاخضور، عودة التاريخ، الجزء الأول، 52.

تمثلت هذه المرحلة بـ "Les notoufines"، الذين استقروا في بلاد المشرق العربي منذ الألف العاشر قبل الميلاد<sup>1</sup>، وظهرت بالتدرج أشكالٌ سكنيةٌ لهذه التجمعات، فعرفت بأسماء دالة عليها، غير مصنفة طبونيمياً، فهي أسماء عامة تخضع لقانون الوضع العام، وعلاقة دالها بمدلولها اعتباطية، في مثل ورودها في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾<sup>2</sup>.

وقد ورد لفظ القرية في ستة وخمسين موضعاً، وكلّها بصيغة الاسمية وبصيغة المفرد، بخلاف ورودها في استعمالات ذات العلاقة بالاسم العلم الدال على المكان، وبدلالة تعيينية، كما هو الشأن في حالات استعمالية خاصة بصيغة الجمع منها: قوله سبحانه ﴿وَلْتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾<sup>3</sup>. أما أمّ القرى هنا فهي محدّدة، لذلك دلت على الاسم العلم الدال لتعيين مكان بعينه، بخلاف باقي الأسماء التي تدل على تمييز الشكل التجمعي عن غيره (قرية/مدينة).

وورد لفظ (القرية) في القرآن الكريم على عدة معان، نسوق بعضها على النحو

التالي:-

- القرية : (اسم عام يفيد معنى أصل الوضع)، ويراد بها مجتمع الناس في أي موضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُنْهَلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾<sup>4</sup>،<sup>5</sup> ، ومنه قوله سبحانه: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾<sup>6</sup>.

1 المرجع نفسه، ص 54.

2 النساء: الآية 75.

3 سورة الأنعام: الآية 92.

4 سورة الإسراء: الآية 58.

5 ما يدل على صفة العموم في الاسم ، قول ابن مجاهد: كل قرية في الأرض سيصيبها بعض هذا. ومنه قوله

سبحانه : ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾، سورة الحج: الآية 48 .

6 سورة الحج: الآية 48.

- القرية : (اسم خاص للتعين) ويراد بها (مكة المكرمة)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾<sup>1</sup>، ونحو هذا قوله سبحانه: ﴿وَكَأَيِّنَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدَّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ﴾<sup>2</sup>، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾<sup>3</sup>، فالمراد بـ {القرية} في هذه الآيات ونحوها مكة المكرمة.

- القرية : (التعيين بالقصد)، ويراد بها (مكة والطائف)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾<sup>4</sup>، فقد قال المشركون بالله من قريش لما جاءهم القرآن من عند الله: هذا سحر، فإن كان حقاً، فهلا نزل على رجل عظيم من إحدى هاتين القريتين (بالتحديد) : مكة أو الطائف. وليس في القرآن لفظ (القرية) على هذا المعنى غير هذه الآية.

- (القرية) ويراد بها (أنطاكية)، وذلك قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>5</sup>، (قرية بالتحديد)، روى الطبري عن قتادة، قال: ذكر لنا أن عيسى ابن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية -مدينة بالروم، لعلها اليوم في تركيا- فكذبوهما .

- القرية : (لتعيين محدد)، ويراد بها (بيت المقدس)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾<sup>6</sup>، (محددة)<sup>7</sup>.

- القرية : تنفيذ التعيين، ويراد بها (نينوى)، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمِنَةً فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾<sup>8</sup>، قال قتادة: ذُكِرَ لنا أن قوم يونس كانوا بـ (نينوى) في الموصل

1 سورة النحل: الآية 112.

2 سورة محمد: الآية 13

3 سورة النساء: الآية 75.

4 سورة الزخرف: الآية 31.

5 سورة يس: الآية 13.

6 سورة البقرة: الآية 58.

7 روى عن قتادة وغيره، قال: بيت المقدس. وعلى هذا قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، (الأعراف:161)، قال الطبري هي قرية بيت المقدس.(محددة). (القرية) ويراد بها (سدوم)، مدينة من مدائن قوم لوط، (بالتحديد)، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَنْزَلْنَا عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾، (العنكبوت:34)، ذكر الطبري أن المراد بـ (القرية) هنا قرية (سدوم)، وهي من قرى فلسطين اليوم .

8 سورة يونس: الآية 98.

، أما (القرية) ويراد بها (الأيلة)، وفي هذه الحالة تدل على وصف عام، لا تعيين فيه . ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَيْتَ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾<sup>1</sup>، روى الطبري عن ابن سيرين أنها الأيلة. ونحو ذلك قوله: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾<sup>2</sup>.

أما في رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي قرية يقال لها: أيلة (تقع في أقصى جنوب فلسطين)، بين مدين والطور. وإذا تمّ تحديدها بهذا المفهوم ، فإنها تفيد الخصوص، وبالتالي تأخذ صفة الإعلامية.

وفي السياق ذاته، في قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾<sup>3</sup>، ويراد بها (مصر). وعلى ضوء ما تقدم، يمكن القول: إنّ لفظ: {القرية}، (ورد في القرآن الكريم للدلالة على المكان الذي يجتمع فيه الناس، وهذا ما يدل عليه المعنى اللغوي العام، أما المعاني الأخرى التي حُمِّل عليها معنى {القرية}، فقد أرشدت إليها قرائن لتعيين المراد منها. أما المدينة فهي بخلاف القرية في تشكيلها وشكلها، وقد اختلف العلماء في تعريفها لأنها متميزة في الواقع، لأن ما ينطبق على منطقة لا يتطبق على أخرى، ويظهر هذا الاختلاف أيضاً في زوايا نظر العلماء، فمنهم من عرفها من باب التقابل وفي ظل الثنائيات : قرية/مدينة، ريف/حضر، ومنهم من عرفها أيكولوجياً، ومنهم من عرفها ثقافياً...إلى غير ذلك. ففي الجانب الإحصائي، يرى أصحاب هذا الاتجاه أنّ الضابط فيه يتوقف على الكثافة السكانية<sup>4</sup>، وفي الجانب القانوني يتوقف على ما تمّ تأسيسه بإصدار وثيقة رسمية، وبعيدا عن ذلك، يولي آخرون القيمة الاجتماعية لتصنيف المدينة، ويرى أنها ليست تجمعات سكانية فقط، بل هي الحياة لعقلية، والعادات والتقاليد والأعراف ، وكل ما يجعلها منطقة ثقافية<sup>5</sup>. وهناك من يربط كل ذلك بالبعد الوظيفي المتعدّد للسكان الذين يشتغلون بالحرف، والتجارة والصناعة، وغير ذلك ممّا يتجدّد في مناحي الحياة.

1 سورة الكهف : الآية 77.

2 سورة الأعراف: الآية 163.

3 سورة يوسف: الآية 82.

4 وقد حددها مارك جيفرسون إلى أكثر من 10000 شخص في الميل الواحد، في حين اعتبرت هيئات دولية العدد 20000 نسمة أو أكثر يعتبر التجمع مدينة، وقد اختلفت هذه التقديرات من بلد إلى آخر بالزيادة أو النقصان.

5 من أنصار هذا الاتجاه روبرت بارك، فهو يرى تصنف بنمطها الثقافي المتميز الذي يسمح بجعل الحياة ممكنة بجميع متطلباتها.

أما المدن من المنظور التاريخي: فهو مفهوم يعود إلى القرون القديمة، مع المدن المكتشفة في الشرق العربي في الألف الثامن ق.م، وبينما عن نظام اجتماعي مختلف ، فهو أكثر تنظيماً وجماعية في تنفيذ الأعمال المعمارية من مجتمعات القرى الأخرى. فالبعد الحضاري للمدن كان سمة لتجمعات سكانية.

وفي دراستنا للمدن، من زاوية طوبونيمية ومحاولة لملاسة علمية - دراسة حديثة النشأة - تنطلق من أسماء الأمكنة، وتُعدّ بالمنظور الحالي من العلوم الفتية التي تتقاطع فيعا العديد من العلوم بحسب العلاقة وزوايا النظر.

والطوبونيميا هي مجال علمي له خصوصيته التي يتميز بها، فهي في نظرنا من أهم العلوم التي يعتمد عليها الاستراتيجيون في مخططاتهم الاستشراكية وفي برامجهم التطبيقية، فهم يستلهمون من معينها، ويغترفون المعطيات التي يؤسسون بها أعمالهم من وعائها، لذلك نحن في جامعة تلمسان وفي مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، نعدّه مجالاً تطبيقياً لا يبتعد عن مجالات اللسانيات التطبيقية، نظراً للاهتمام الخاص بالجانب اللغوي المتعلق بالاسم قبل غيره من المجالات المساعدة وهي متعددة.

أما المكان الذي يمثل المدن بعيداً عن الطوبونيميا، فإنّ الاسم يعدّ لفظاً معجمياً لشكل التجمع السكاني في مقابلة باقي الأسماء ا مميزة لها.

**العشيرة<sup>1</sup>**: فهي تخصّ التشكيلة البشرية التي تربطها أوصر القرابة الانتمائية - المكونات البشرية - وقد تطورت لتدلّ في ما بعد الفخذ والفصيلة<sup>2</sup>، وغيرها من الأسماء مثل العشيرة، الأسرة، والعترة، ولا يتم التركيز على المكان الذي تتواجد به : وهي في الجزائر كثيرة كما هو الحال في تلمسان، في تجمعات لعشائر، ثم تحولت مع الأيام إلى قرى: فدلّت العشيرة على الاسم العام، وتحولت إلى طبونيمات لما أضيفت إليها محددات العلمية، عشيرة أولاد انهار، أولاد رياح، أو أولاد اعلى، وغيرها من الأسماء التي عرفت بها هذه الأمكنة.

<sup>1</sup> العشيرة من العدد عشرة، ويقصد بها آل بيت الرجل، أي يضم الأبناء والفروع الذين ينتمون للبيت الواحد، من

إخوة وأعمام وأيضاً الآباء والأجداد جميعهم، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

<sup>2</sup> جمال الدين الاخضور، عودة التاريخ، الجزء الأول، 155.

والعشيرة هي المجموعة التي تربطهم قرابة ونسب، - وإن كانت أواصر النسب غير معروفة - وقد تكون روابط قديمة تبعاً للسلف، أو لتأسيس قديم يرمز لهذه الوحدة، ومنهم من يعتبرها فروعاً من قبائل، وأحياناً تتداخل معانيها والمفاهيم التي تؤذيها نظراً لصباية الحدود المعرفية والثقافية التي نحتكم إليها .

قد يكون لمفهوم العشرة أثر في تحديد دلالة العشيرة، وبصرف النظر عن التقاليد التي يشتركون فيها، هناك من الشعوب بما فيها العربية من يرى في العشيرة المصطلح العامي عندنا في الجزائر، وهي شبكات اجتماعية غير رسمية متفاعلة ثقافياً واقتصادياً وحتى سياسياً، وتظهر ترجمتها في الميدان في الحملات الانتخابية، فنجد أعضائها يتعاملون في ما بينهم بطريقة وثيقة وداعمة ببعديه التبادلي والتضامني.

وإذا كانت العشيرة في مقارنتها بالقبيلة أصغر عدداً من القبيلة، وربط العشيرة - بالمفهوم الذي نجده في عاميتنا الجزائرية - وأعضاء القبيلة يتفرعون عن أصل واحد يتوسع مع الزمان، قال تعالى : ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>1</sup>.

ولهذا مصطلح العشيرة لا يكون اسم علم إلا إذا تمّ تحديده، فهو بمفرده اسم عام، بالمعنى الذي قدمناه.

**القبيلة :** وبخلاف العشيرة، فإن القبيلة تركز على مكان الإقامة، وهي تعرف بأنها : «وحدة اجتماعية متماسكة، تتكون من مجموعة من الأفراد، تقطن على بقعة جغرافية معينة، تتمتع بدرجة من الاستقلال السياسي...»<sup>2</sup>.

والقبيلة في تشكيلها هي أكبر من العشيرة، وهم يرتبطون بالبيئة، اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، ويخضعون لرئيس واحد "شيخ القبيلة"، وتربطهم أواصر القرابة أو النسب، وهو نظام عرفت به شعوب كثيرة من البدو، ويتكلمون بلهجة واحدة، وثقافة متجانسة، وقد تتكوّن القبيلة الواحدة من مجموعة من البطون أو العشائر<sup>3</sup>.

1 سورة الشعراء : الآية 214.

2 ميشال دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، 1986، 247.

3 ينظر : معجم المعاني الجامع (معنى القبيلة).

**البطن** : ومن القراءات التأصلية التي لم تؤسس، في شرح البطن واشتقاقه الدلالي، ما يستشف مما ورد في كتاب "عودة التاريخ"، إذ يرجع المؤلف بأصل الكلمة إلى الأدب الكنعاني، محاولاً الاعتماد على لفظة "رحمايا" اسم لإله، بقوله : «ولا شك أن الأصل هو "الرحم"، والرحم هو مستودع الجنين عند المرأة، وهو رمز الخصب واستمرار الحياة، كما تعني (رح م) الكنعانية فتاة، كأن يقال - رحم - بالكنعانية، مثل بقية اللهجات العربية، معنى الرحمة أيضاً، وتعني الرحم بالعربية، القرابة أيضاً، كأن يقول "ذو رحم" أو "ذو قرابة"، ولعل هذا التعبير يحمل جذور المجتمع الأمومي، وهذا ما يذكرنا بكلمة "بطن" العربية، بمعنى عشيرة، ومن البطن يتفرع الفخذ، وكلاهما مصطلحان لهما صلة بتشريح جسم المرأة»<sup>1</sup>.

لا يمكننا أن نتعمق في معنى البطن إلا بالنظر إلى باقي رموز التجمعات السكانية، وتقابلاتها لتظهر التباينات بينها.

**المداشر**: مفردها دشرة، في استعمال الطبونيم دشرة، والذي يدل على تجمع سكاني صغير لا يرقى إلى مستوى قرية، وهنا التركيز يكون على المساحة الصغيرة التي يقيم بها السكان، ورد في استعمالات بالجزائر وهي كثيرة، ومنها في ولاية تلمسان ببلدية الواد لخضر (الشولي سابقاً)، صعوداً مع مصدر الوادي، باسم "ييدر دشرة"، ويقابلها في الجهة الأخرى من الوادي "مزوغن" اسم مازيغي يدل على الأرض ذات التربة الحمراء (دلالة على الخصوبة)<sup>2</sup> وهي منطقة صغيرة تجمع بين أسماء متباينة اللغة، من العربية إلى الأمازيغية إلى أسماء مركبة تمزج بين اللغتين، وهي دلالة تعايش.

**الدواوير**: جمع دوار، والدواوير أخذت اسم شكلها الهندسي، في البدايات الأولى لاستقرار التجمعات السكانية، وعندما شعر الإنسان بحاجته إلى أخيه الإنسان، كانت البناءات البدائية تتوسع على شكل دائري طلباً للأمن، وخوفاً من الحيوانات المفترسة، عندما بدأت أولى التجارب في البناء المستقر<sup>3</sup>، ومنها الدار، والدوار .

1 جمال الدين الاخضور، عودة التاريخ، الجزء الأول، 155.

2 مستقاة من شيخ المنطقة، والتثبت مع ناطقي اللغة الأمازيغية.

3 ينظر: د جمال الدين الخضور، عودة التاريخ، : الانتروبولوجية المعرفية العربية، دراسة في الأناسة المعرفية التاريخية - اللغوية ووحدها، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، سنة 1997 ص 52، 53.

## ١ - المصطلح الطبونيمي في الدرس اللغوي الحديث

وكما هو معلوم عند أهل الدراية في البحوث الأكاديمية، لا بد من البدء بتحديد المصطلحات الطبونيمية للبحث في المجال وفق ما تقتضيه الدقة العلمية، وحتى لا يغيب المنهج العملي عن التنظيم الفعلي للموضوع، فسأبدأ بمصطلحات الطبونيميا (المواقعية) لكشف الستار عن إشكالياتها الأولية المتمثلة في طبيعة الانتساب الدراسي لهذا العمل.

وللضرورة القصدية للبحث، يتوجب علينا ترصد المصطلحات المستعملة والمتضمنة في سياقات وأشكال تركيبية لمفهوم أسماء الأمكنة التي تصنف ضمن هذا المجال، والتركيز في الوقت ذاته على ما دأبت عليها أقلام الباحثين، مرتبطة ارتباطاً عمودياً أو أفقياً بالحقل المعرفي الذي تنتمي إليه، وكل ما يمت له بصلة.

ومما لا يمكن الجزم فيه، هو استخدام مصطلح معين يدل على المفهوم الشمولي لهذا العلم الفتي، والذي لم تكتمل بعد أبعاده ولا مجالاته، مقارنة بغيره من العلوم.

ولعلنا في حكمنا هذا، نركز على افتقارنا إلى معجم تاريخي يرصد المصطلحات المستعملة، ويتتبع مختلف الدلالات التي تحملها عبر الحقب المتعاقبة، وبتعدد المجالات المعرفية لها، فقد تعدد المصطلحات بين البلدان، وبين الحقب، وأحياناً بين الهيئات العلمية السمية وغير الرسمية.

وإذا وضعنا اليد على المستعمل وسلّمنا بالمقترح، فهل تقبله آليات التوليد المصطلحي الحديث؟ ثم بالنظر إلى مقبولية المصطلح من قبل الهيئات المختصة لإجازته علمياً وتقنياً ولسانياً، هل تكون اقتراحات العلماء بشكل أحادي مقبولة وترقى إلى درجة المصطلح أم هي مشاريع تنتظر موقف الهيئات المختصة لتنعنها بالمصطلح؟ أم ننتظر شيوع الاستعمال الذي يفرضها بقوة التداول وتبناها المجامع اللغوية؟

ودون التعمق في مجال المصطلحية، نظراً لصعوبة تحديد المفاهيم الحديثة النشأة، واتساع مجالاتها ودلالاتها باتساع حقولها المعرفية، نسعى إلى الاهتمام بالمصطلحات العامة التي تشترك في الإحالة على ميادين علمية عدة، ونضيف إلى زمرتها تلك المصطلحات التي ترتبط بحضارات الشعوب، وتكشف عن أنماط تفكيرها وطرق عيشها.

كما نركز على كشف مرجعية هذه المصطلحات وإحالتها إلى المنظومة الاصطلاحية العلمية في عملية تسمية التصورات أو المفاهيم.

وقد تعددت الرؤى بالنظر إلى مجالات دراسة الأسماء الأعلام، وإن كانت هذه الدراسات قد سجلت تقدماً كبيراً في فرنسا، وفي الدراسات الأوروبية عموماً، فهي في علمنا العربي لا تزال تتخبط في تحديد المصطلحات والمفاهيم، ووضع حدود المجالات العلمية التي تهتم بدراساتها.

وإذا كنا في الجزائر سجلنا سبقاً في تحديد مصطلح الواقعية<sup>1</sup> - حسب علمنا - وذلك بمخبر المعالجة الآلية للغة العربية بجامعة تلمسان<sup>2</sup>، وتحضير مؤتمرات وندوات علمية وطنية<sup>3</sup> ودولية<sup>4</sup>، بهذا المصطلح، فقد ورد مصطلح الواقعية أيضاً في تونس في كتاب الأسمائية<sup>5</sup> للدكتورة زكية السائح<sup>6</sup>، وتنسبه إلى الدكتور إبراهيم بن مراد<sup>7</sup>، أستاذ بكلية الآداب بمنوبة، تونس، ولم تشر الكاتبة إلى تاريخ الوضع أو الذكر.

وفي المغرب الأقصى ورد ذكره في بعض التفاعلات بالتواصل الاجتماعي في المنتديات الإلكترونية بهذا المصطلح<sup>8</sup>، وفي بعض الأعمال المتعلقة بأسماء الأمكنة.

وكان في برنامج نشاط قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الملتقى الدولي 2015 وبحضور الأستاذ بيل وات ممثل الأمم المتحدة في مجال الطبوتيميا، والدكتور عون من الأردن ممثل العالم

1 هذا حسب اطلاعنا، وقد يكون غيرنا أيضاً أطلق هذا المصطلح على تسمية المجال، فالأمر يتطلب المسح.

2 الدكتور سيدي محمد غيثري، مدير مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، جامعة المسان، سنة 2008/2007.

3 ملتقى زطني ببلدية أولاد ميمون (الطافا)، في مدرسة الجمارك، سنة

4 تلمسان عاصمة القافة الإسلامية، الملتقى الدولي :

5 تبنت الدكتوة زكية السائح الأسمائية في مقابل المصطلح الأجنبي Onomstie، وأعتقد أنّ هذا المصطلح بهذا الشكل هو أقرب إلى علم دراسة الأسماء بكل أنواعها، ولا يخص الأسماء الأعلام، سنحاول تفصيل الموضوع أثناء تناولنا للمصطلح.

6 زكية السائح دحماني، الأسمائية في اللسانيات الحديثة بينسانيات بمنوبة، كلية سنة 2014.

7 إبراهيم بن مراد، أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، ينظر د. زكية السائح دحماني،

كتاب الأسمائية في اللسانيات الحديثة، بين النظرية والتطبيق، ص 16، تونس سنة 2014.

8 [-https://ar.wikipedia.org/wiki/](https://ar.wikipedia.org/wiki/)

العربي، وقد اقترحت بالمناسبة على منظم الملتقى الدكتور عتوي موضوع المصطلح العربي في مقابل المصطلح الأجنبي Toponymie مصطلح المواقعية<sup>1</sup>، الأمر الذي لم يفصل فيه.

فالمصطلح طبونيميا، ونظراً لشيوعه في عدة لغات عرف انتشاراً واسعاً، ولا يسع هنا المقام للتوقف عند أقدمية المصطلح أو أسبقيته زمنياً، نظراً لصعوبة نسبة المجالات المعرفية المنقولة إلى العربية، لذلك سنبدأ بهذا المصطلح - أي الطبونيميا - في أصله، ثم نعود إلى البدائل العربية المستعملة والمقترحة في مقابلة الشائع الأجنبي، الدخيل أو المعرب.

وقد استعمل مصطلح الطبونيميا في اللغة العربية، كما ورد في اللغات الأجنبية من باب الاقتراض اللغوي، ومنهم من يعتبره معرباً بحكم تهذيبه وقبوله علامات الاسم كـ "ال" التعريف التي تدخل على الأسماء العربية.

والطبونيميا (Toponymie) مصطلح يوناني (tópos)، استعمل للدلالة على المكان، و(ónoma) للدلالة على الاسم، وهو العلم الذي يهتم بدراسة أسماء الأماكن «الطبونيمات».

وتعدّ الطبونيميا من التخصصات التي ترتبط بعدة مجالات، منها علم اللغة وعلم الجغرافيا والتاريخ وغيرها من المجالات، مما يدلنا على معرفة ماضيها من خلال الأحداث التي تحققت في المكان، وإذا تفرعت عن علم الأسماء الأعلام الدالة على المكان، فهي بدأت تتأسس مع القرن التاسع 19 م، مع أعمال أوجيست لونيون، ومن بعده ألبيرت دوزات، وفي وقت متأخر مع أرنيس نيجر، وبول فابر<sup>2</sup>.

أما إرهاباتها مع الدراسات العربية، فكانت مع معجم بلدان لياقوت الحموي، وكتابات الرحالة العرب وربما نعود بها إلى أيام العرب قبل الإسلام لأنهم كانوا يهتمون بأنسابهم ويرتبطون بها ارتباطاً قوياً، ويتباهون بالتسميات للتفاخر ويتفاءلون بأجدادهم وتاريخهم والأحداث التي تصور بطولاتهم ومنها يستمدون تسمياتهم، فكانت الطبونيمات تعتمد تاريخ العرب لقراءتها.

<sup>1</sup> وفي إشارة إلى هذا الملتقى بعاصمة الثقافة العربية، يعدّ الملتقى الدولي الثاني في الجزائر بعد الملتقى الذي انعقد بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

<sup>2</sup> Bénédicte et Jean-Jacques Fénié, Toponymie occitane, Collection Sud Ouest Université, France 1997, P9.

ومن جهة أخرى كانت الطبيعة بالنسبة إليهم مجال ترحالهم وتنقلاتهم في حياتهم البدوية ولذلك كانت المسالك المختلفة تعتمد القرائن الجغرافية، وما تمثله الطبيعة مناخياً لتتبع التغيرات التي تحدث في جو الصحراء، وتتبع العيون والأودية<sup>1</sup>.

لم تغب في أشعار القدامى المعلومات الجغرافية من أسماء للأماكن، وكل ما يتصل بتحديد المواقع من نجوم و فلك ووصف لتغيرات الطبيعة من رياح وأنواء، فكان لها الأثر الكبير في تتبع حياتهم ومسالكهم وقد ذكرت هذه الأيام وما حملت من قصص وأخبار في القرآن<sup>2</sup>. ولعلّ ما يجب الإشارة إليه، تلك الدراسات التي كانت عند اللغويين العرب، فهم اهتموا بدراسة الأسماء من حيث الاشتقاق اللغوي لا غير.

أما غير اللغويين من مؤرخين ورحالة ثمّ فيما بعد اشتغل غيرهم بالجانب الجغرافي الوصفي للمسالك والممالك خاصة في القرن الرابع الهجري، إذ كثرت الكتابات حول الأماكن وأسمائها فيما بعد<sup>3</sup>.

ومن ثمّ يمكننا أن نجزم أنّ للعرب إرهاصات في الدراسات الطبونيمية متقدمة عن غيرهم بزمن طويل، قبل أن تتحول إلى علم مستقل بذاته.

تبحث الطبونيميا في أصل وضع الأسماء فيلولوجيا للوقوف على معانيها الأولى، بل للتأكيد على اعتبارية هذه المدلولات في مرحلة الوضع الأولى، ثم الوقوف على علاقات هذه بالمكان، وإغفال مفهوم الاعتبارية في هذه الحالات (الاسمية / المكانية) أو (اللغوية / الجغرافية)، ولذلك نجدها في هذه الحال و بإجماع الباحثين في الحقل التاريخي، يتفوقون على أنّ من أهم الحقائق الثابتة في هذا المجال و التي لم يطلها التغيير هي الجغرافية مع التحفظ على متغيرات الزمان المفتوح الذي يخضع لنواميس الكون في تفسير التطور (لما يتعلق الأمر بتغيرات القشرة الأرضية خلال ملايين السنين).

1 ينظر : محمد محمدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخريجي للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، سنة 1996، ص 134.

2 ينظر : عبد الكريم العوي، منهج البحث في التاريخ والتدوين التاريخي عند العرب، دار الكتب الوطنية، بنغازي الطبعة الثالثة، ليبيا سنة 2008م، ص 318.

3 محمد محمدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، ص 183.

ولا يتوقف الأمر عند اسم المكان، بل يتعداه إلى التطور الذي يطرأ عليها عبر تغيرات الزمان وما تعكسه هذه الأسماء من دلالات اجتماعية ونفسية وبيئية وغيرها من الدلالات الإيحائية لكل مرحلة من مراحلها التاريخية.

لهذه الأسباب، يرى **دوزات** أن العمل في هذا الحقل ليس عمل المؤرخ، ولا عالم الآثار، فهو يسلم بل يؤكد أنه من اختصاص اللساني بالتعاون مع الجغرافي والمؤرخ، وعالم الآثار وغيرهم ممن يمدونه بدعامة الأداة التي يسخرها للإحاطة بكل ما يخص هذه الطبونيمات في كل قراءة<sup>1</sup>.

### ب - مصطلح المواقع بين التأسيس والشيوع

تعددت الأسماء المقابلة لمصطلح «الطبونيميا»، فمن **أسماء الأمكنة** التي ترجمت إلى العربية بالاستناد إلى ما ورد في المعنى اليوناني لمصطلح «Toponymie» .

**الأسمكنانية**<sup>2</sup> بتركيب مزجي لغوي وفق ما يمليه النظام اللغوي العربي بوجه من وجوه تنمية اللغة العربية بالاشتقاق. فالأصل في الكلمات الأفراد، فالمركب المزجي: هو ما ركب من كلمتين أو أكثر مترججتا حتى صارتا كالكلمة الواحدة، قال ابن يعيش عن هذا المركب: "مُزج الاسمان وصارا اسماً واحداً بإزاء حقيقة، ولم ينفرد الاسم الثاني بشيء من معناه، فكان كالمفرد غير المركب"<sup>3</sup>.

ف"الأسمكنانية" بما عنته من اسم للمكان وأبعاده الدلالية لم يكن وليد مرحلة أو معنى في زمن وفي مكان، بل بما يترتب عليه من مقولات الحضارة المعاصرة، فالمكان أحد الأعمدة الثلاثة التي يقوم عليها وعي الإنسان في زماننا المعاصر، إنها مقولات "العدد" و"الزمن" و"المكان" .

<sup>1</sup> BAYLON, Christian et Paul FABRE, 1982, *les noms de lieux et de personnes*, Paris, Ed. Nathan. P.9 - 39.<

<sup>2</sup> الأسمكنانية أطلق على الطبونيميا في أول ملتقى بجامعة قسنطينة نظمه مخبر علم الأصوات، تحت إشراف د ابن مالك أمينة.

<sup>3</sup> ينظر في كتاب التنمية اللغوية .

لذلك، كان ارتباط الزمان بالمكان بمثابة السجل لأحداث ووقائع لا تجد لها قيمة إلا في ثنائية الزمكانية<sup>1</sup> منذ القدم بمعنى الزمن الثقافي الاجتماعي، الذي يتحول بدوره إلى الزمن المقدس حين يصبح الترتيب المتسلسل للوقائع المكانية مدعماً بوشائج الزمن الكبير .

أما **المواقعية**، فهي العلم الذي يدرس اسم المكان من خلال المواقع والأحداث التي شهدتها (الوقائع) دراسة علمية من جوانبها المتعددة، فانطلاقاً من الاسم إلى ما يحمله الموقع من معلومات من منظور الثابت والمتغير خلال دورانه مع الزمان.

هذا الزمان الذي يمثل معنى الخلود (أي الاستمرارية)، محدداً معنى جديداً للزمن المفتوح، وما قيمة الزمن بدون الواقعة المكانية المقدسة، يقول د. جمال الدين عن الزمان: «فهو سيكون غير ذلك بدون الواقعة المكانية المقدسة . السماء هي الفضاء الزماني المقدس، والأرض هي الموقع الذي تكثف فيه الزمان، الزمان الخطي، الدوري، الحزوني، يتجمد في لحظة تماسه مع المكان، حيث يتحدد المكان في واقع خارطة الخيال الجمعي والفردى على مدى مساحة الزمن المتجمد في لحظة الانصهار بينهما»<sup>2</sup>.

فالمكان لا قيمة له بدون وقائع تحدث في الزمن، ومن ثم يتحول إلى موقع عندما تشتغل عليها فعاليات العقل وصولاً إلى القداسة.

إنّ الواقع الذي نعيشه، يتحقق في المكان والزمان، وبالتالي في بقعة من الأرض يكون موقع الحدث الذي يسجله المخيال الجمعي، فكانت المواقع، ومن ثمّ كانت الواقعية للدلالة على المجال العلمي الذي يبحث في الخزان التراثي الذي تحمل هذه المواقع، فكان اسم المكان عنوان المدخل وبابه، لذلك، كان لزاماً علينا تتبع اللفظ من مداخله المعجمية.

واللفظ وقع (أصل المصطلح) من يَقَعُ وَقَعاً وُوقِعَ وُوقِعَ المَطْرُ بالأرض، ولا يقال سَقَطَ؛ هذا قول أهل اللغة ، وقد حكاه سيبويه فقال : سَقَطَ المَطْرُ مكانَ كذا فمكانَ كذا.

وورد في لسان العرب، وفي الصحاح في اللغة، وفي مقاييس اللغة : وَمَوَاقِعُ الغَيْثِ : مَسَاقِطُهُ . والمَوْقِعُ والمَوْقَعَةُ : موضعُ الوُقُوعِ .

1 الزمكانية : تركيب مزجي من الزمن والمكان. ينظر : جمال الدين الخضور عودة التاريخ، الجزء الثاني، ص 49.

2 جمال الدين الخضور عودة التاريخ، الجزء الثاني، ص 50.

وورد لفظ (موقع) بصيغة الجمع «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ»<sup>1</sup>، واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فلا أقسم بمنازل القرآن، وعن محمد بن سعيد، قال : ثني أبي، قال : ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ»<sup>2</sup>، قال: مستقرّ الكتاب أوّله وآخره.

وقال آخرون: بل معاه: فلا أقسم بمساقط النجوم، وعن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: مَوَاقِعِ النُّجُومِ: قال في السماء ويقال مطالعها ومساقطها. وعن بشر، عن يزيد، عن سعيد، عن قتادة، قوله: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ أي مساقطها. وقال آخرون: بل معنى ذلك: بمنازل النجوم. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايها في السماء، وذلك أن المواقع جمع موقع، والموقع المفعول، من وقع يقع موقعاً، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه به. ولعلّ المعاني المتعددة للمواقعية من جهتها الصرفية وسياقاتها النحوية والدلالية تأخذ نصيباً من هذه المعاني اللغوية التي تنضاف إلى أبعادها المعرفية.

المعنى الصرفي للمفعول والمفاعل، "الموقع" و "المواقع"، والمفعلة، ومنه في الموضوع ما ورد في كتاب شرح العلامة بحرق على لامية الأفعال، حول المعاني الصرفية للوزن: «المفعلة بفتح الميم والعين وصفاً للمكان، تدل على الكثرة من اسم ما كثر فيه، ولما كان فيه شبه نوع من الظروف الميمية ألحقها بها ولكنها لا تصاغ إلا من أسماء الأعيان الغير المشتقة»<sup>3</sup>، وقوله حول صياغتها: «ولا تصاغ إلا من اسم ثلاثي لفظاً وأصلاً أو أصلاً فقط هو من مزيد الثلاثي بعد حذف الزيادة»<sup>4</sup>.

أما الأماكنية فهي مصطلح استعمل عند الباحثين العرب، وورد في مقابلة مصطلح الطبونيميا، وهي عندهم الحقل الذي يبحث في علم الأعلام الجغرافية، وهي تعنى بكل ما

1 سورة الواقعة، الآية 75.

2 سورة الواقعة، الآية 76/75

3 جمال الدين محمد بن مالك، كتاب شرح لامية الأفعال العلامة بحرق اليمني، مطبعة التقدم، تونس 1329 هـ، ص 178.

4 المرجع نفسه، ص 179.

يتعامل معه البشر من قوى طبيعية قارة وغير قارة من أسماء خاصة بـ : الجبال ، والسهول ، والوديان، والبحار ، والرياح ، والزوابع ، والأمطار، الخ ...

ومصطلح الأماكنية هو مصطلح حديث الوضع ويؤخذ من العلم الذي يدرس الأماكن، واستعمل عند بعض الجغرافيين وبعض المهتمين بالمواقعية، وبخاصة في المغرب . وقد استعمل مصطلح الأماكنية في مجال الجغرافيا، ومنها أطروحة دكتوراه دولة في الجغرافيا بعوان: " الأماكنية المغربية : نموذج المشهد الطبيعي والبشري في أماكنية سوس، للباحث الهاشمي أحمد، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير سنة 2002م.

وقد ترك الإنسان بصمته أثناء تعامله مع إرهابات هذه القوى الطبيعية ، فحاول تفسيرها بما يتلاءم وفهمه لتخليد موروث ثقافي تركته لنا الأجيال أثناء ملاستها للمكان<sup>1</sup> بالإقامة أو بالاحتكاك، فكان لذكرياته معها الأخبار التي نستحضرها عند استنطاقنا لها عبر تجسيدات وتمثلات تحتاج إلى قراءة وتفسير .

ولعلّ الدراسات الأولى في تفسير الظواهر الطبيعية تعود إلى العهود البائدة والقديمة بالاعتماد على المعتقدات والديانات السماوية، ومع التقدم والتطور ظهرت تخرجات ودراسات أكثر موضوعية وعلمية لدراسة المكان، ومن ثمّ الدلالات التي تصاحبه عبر المراحل التاريخية بما تحمله من وقائع ومشاهد قد تكون في كثير من الأحيان سسبا في تغيير أسمائها، وتغيير مواصفها بتغيير الأحداث التي تشهدها.

فقد كان للمصريين في تفسير ظاهرة فيضان النيل بجهة الإله رع السنوية، فكانت بذلك من أخصب بقاع العالم، وقد عرفت أيضا بـ "مصر هبة النيل" القربان الذي يقدم كلها اعتقادات ذهب إليها كثير من الدارسين، ولعل التزيين الجنائزي بالقرون ارتبط بعلاقة ذلك الإنسان بالحركة الدورية للهِلال، وكان اللون الأحمر الرمز الذي يتمثل في نشر الورود والأزهار على الجنامين تعبيرا عن معاني الحياة والخصوبة.

وذهب المصريون القدامى إلى أبعد من ذلك، إذ قدسوا كثيرا من الأماكن فبنوا فيها المعابد، بخلاف العرب القدامى، فمنهم الأعراب الذين تعودوا الهجرة والترحال، فكان الأب في

---

<sup>1</sup> الفينغ شوي : تظهر هذه الإيجابية من خلال التناغم البيئي، ولعله من أقدم الأهداف التي عملت على إبرازها أقدم الفلاسفات الصينية مع الفينغ شوي، قبل آلاف السنين من زماننا، وهي اليوم تنبعث من جديد مع أحدث المناهج التعليمية بناء على فكرة انبعاث الطاقة وتوزيعها وفق محاور محدّدة تلامس جوانب إيجابية لتحسين حياة الفرد.

عائلته والشيخ في قبيلته يقومان مقام الكهنة ويتوليان إجراء المشاعر الدينية باسم ذويهم. وذلك باتخاذهم مضارب يزينونها بأصناف الجلود والأقمشة على شكل خيمة العهد في بني إسرائيل، ويطلقون عليها التسمية، ومنهم من بنى المعابد في أماكن عالية (مشارف) صنعوا فيها أصناماً بعد أن استقروا كما هو الحال في جنوب شبه الجزيرة العربية، كما هو الحال مع نخلة نجران "الشجرة السماوية المقدسة" التي كانوا يعبدونها ويزينونها بالملابس النسائية، ومثيلاًتها كثيرة من "نخلة مثنوى العزى"، و"العبلاء" مثنوى "ذي الخلصة"،.. الخ، وهي إشارة إلى وحدة التأثير بين اللغة والفكر على مساحة جغرافية وعلى مراحل تاريخية متعاقبة من التاريخ الجغرافي العربي .

لقد مرّ العالم أجمع بمراحل انتقالية للوصول إلى هذا الشكل من الاستقرار، وقد فسّر هذا التطور البطيء، هذه المظاهر الاجتماعية والنقوش المكتشفة على الآثار المختلفة التي عرفت بأسماء خلدتها، واحتفظت بأحداث ووقائع كانت قرينة هذه الرموز التي تملت في نقوش لا زال بعضها يشهد على حركية كانت يوماً محطتها هذه المواقع .

وكان الدور الأكبر والمهم، للديانات السماوية يكمن في إخراج معتقني هذه الديانات من باب الاعتقاد الضيق إلى رحابة الفكر الإلهي الواسع، إذ أرست تعاليم ثبتت قيماً أخرى غير تلك المقدسات البالية التي اتخذت من الجماجم الموجودة في البيوت والمقابر وغيرها، ركائز تخلد بها أرواح الأسلاف، وأخرى تبنت مفاهيم ارتبطت بمفهوم الآلهة المشخصة، أو الكائنات الروحية المقدسة التي صارت فيما بعد إلى ما يشبه الآلهة<sup>1</sup>.

### ج - التمييز المصطلحي والبدائل المصطلحية العربية

إذا كانت المصطلحات مفاتيح العلوم وأدواتها لتوحيد الفكر، فإنّ ضرورة تحديد مفاهيمها ودقتها بات مطلباً لا يمكن إغفاله للحدّ من الخلاف بين الباحثين، وتفادي اللبس في قراءته واستعماله<sup>2</sup>، لكن الواقع يثبت عكس ذلك، خاصة لما يتعلق الأمر بنقل هذه المصطلحات من لغات أجنبية إلى اللغة العربية.

1 جمال الدين الخضور، الجزء الأول، ص 54 - 55.

2 محسن عقون، واقع الترجمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة : أهمية الترجمة وشروط إحيائها، المجلس الأعلى

للغة العربية، الجزائر 2004، ص 70.

إنّ الجهاز المصطلحي لا يتحقق إلاّ بوجود مضمون معرفي أو مفهوم علمي ليستقيم للمصطلح وجود تسموي، فالعلاقة بين العلم والمصطلح علاقة تكاملية وتلازمية، فلا يمكن تصور أحدهما دون الآخر.

وحرصاً على قيمة الجهاز المصطلحي، يمكننا أن نقول إنّ الوزن المعرفي للعلم يكمن في المصطلح، ومن هذا المنطلق يمكننا أن نعرف كيف تصنع العلوم من اللغة معاجم قطاعية خاصة بهذا المجال أو ذاك.

هذا الوضع يفسر لنا ندرة كثير من المصطلحات العلمية في القواميس اللغوية المشتركة، لأنها أداة يتحاور بها العلم مع المعرفة، وإذا وجد فإنه يكون قد خضع لقانون التحول الدلالي<sup>1</sup>. تتعدد المصطلحات في المجال الطبونيمي، وتتعدد معها التطبيقات العملية الطبونيمية، خاصة في روافدها المادية، والمقاسات التي تظهر عليها، ولا تبدو المعايير موحّدة في داخله وخارجه، علماً أن لها طابع العلمية، ما جعل بعض النداءات تطالب بالرومنة للسبب ذاته.

وهنا يبدأ التساؤل الذي يتحصل على مشروعيته من واقع الحياة، والممارسة التي تبدو جدّ متباينة في بعدها العربي والعالمي، وإن كانت الجهود المنصبة في مختلف المستويات المحلية والعربية والعالمية، ولا أدلّ على ذلك من الملتقيات الدولية التي انعقدت وبحضور عربي ودولي .

إنّ تنميط المصطلحات العربية عموماً، ومصطلحات الواقعية خصوصاً، في المعاجم العربية عامة، والمعاجم المتخصصة في الطبونيميا خاصة، لا تزال في مهدها الأول ولم تكتمل بعد، إذ لم تضبط مداخلها بعد، ولذلك فإنّ مسألة توحيد المصطلح وتنميته أولته مدارس عديدة أهمية كبرى، ومنها مدرسة موسكو<sup>2</sup>.

توجد محاولة لمحمد رشاد حمزاوي، تخصّ بعض الأعمال في مجال المعجمية<sup>3</sup>، ولخدمة هذا المجال والدفع به قُدماً، تبلورت فكرة، لتكوين جمعية علمية متخصصة فريدة، من نوعها في

---

<sup>1</sup> عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، سنة 1984، ص 12/11.

<sup>2</sup> Maria Teresa Cabré, La terminologie Theorie, methode et applications, traduit du Catalan par M.C. cornier et J.Humbley, Les presses de l'université d'Ottawa – Canada , Armand Colin, Paris 1998, P38.

<sup>3</sup> محمد رشاد الحمزاوي : من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، دار الغرب الإسلامي، تونس 1983.

العالم العربي، تُعنى بالقضايا اللسانية المعجمية، وخصوصاً المصطلحات المعجمية، وتُدعى "جمعية المعجمية العربية"<sup>1</sup> بتونس، وللجمعية إصدار "مجلة المعجمية"، تجمع أهل الاختصاص. وكتاب المعجم العربي، وهو عمل جادّ يقدّم فيه دراسة لغوية تتبع المعجم نشأة وتطوراً، وهو إضافة في مجال المعجمية<sup>2</sup>.

ولعلّ ما ذهب إليه الحمزاوي في مسألة الترميم المصطلحي<sup>3</sup> يعد عملاً رائداً في هذا المجال، وقد اقترح استراتيجية شاملة ونظاماً منسجماً وموحداً ينطبق على جميع المصطلحات، وفيها منهجية للترميم تقوم على أربعة مبادئ - وتبنى على شرطين، أولهما : توثيقي مرجعي، والثاني : كمي/كيفي يخص قواعد الاختيار - وهي :

- الاطراد الذي يفيد الشبوع.
- وسهولة التداول.
- والملاءمة بين المصطلح العربي والأجنبي.
- والحوافز التي تدفع المستعمل إلى اختيار المصطلح.

ولما يتعلق الأمر بمصطلح يرتبط بالمعجمية وبوضع اصطلاحى خاص، ويحمل إيجاءات متعدّدة غير عادية كما هو الشأن في اسم المكان، بمعنى ما أثناء الوضع، فهو يختلف عن وضع الاسم في غيره من المجالات، فلا وجود للعلاقة الاعتبارية بين دأها ومدلولها، فعلاقة المكان باسم إنسان أو غيره، هو ارتباط مؤسس وله ما يبرره، لاعتبار المرجعية التي اعتمد عليها في الوضع، وهي الركيزة أو القرينة، وبذلك يتحول الاسم العلم إلى مصطلح آخر أكثر دقة وتأسيساً، فنحن باقتراحنا لمصطلح (المواقعية) في الملتقى المشار إليه سابقاً<sup>4</sup>، لم يكن اعتباطاً، بل بعد دراسة وبحث عميقين.

1 تكونت الجمعية بموجب التأشيرة 5152 بتاريخ 9 نوفمبر 1983.

2 حسين نصار، المعجم العربي، نشأته وتطوره - القاهرة سنة 1965.

3 محمد رشاد الجمزاوي، المنهجية العربية لوضع المصطلحات، من التوحيد إلى الترميم، مجلة اللسان العربي، مكتب

تنسيق التعريب، الرباط، عدد 24، سنة 1985، ص 46/45.

4 ينظر من الفصل الحالي، ص 3.

أما في حالة الاسم العلم الدال على الشخص فيعرف باسم مصطلح (الأنثروبونيميا) (Anthroponymie)، وهي - كما سيق أن رأينا - علم يهتم بدراسة أسماء الأشخاص (الأعلامية)، وأول العمل يبدأ من التأصيل اللغوي إلى التطور الحاصل فيها، فتتقاسمه الدراسات الفيلولوجية والمعجمية لمعرفة أصل الوضع المعجمي الذي اشتق منه إن كان مشتقا ، علما أن الأصل في هذه الأسماء أنها تأليفية وليست تحليلية، وهو فرع من علم دراسة أسماء الأعلام الأنوماستيكا (Onomastique) أو الأسمائية ، من اليونانية onoma وتعني الاسم، وهي بدورها مجال من المجالات اللغوية التطبيقية.

والأسماء الأعلام المرتبطة بالأشخاص تطلق على أسماء البشر، وهي كثيرة ومتباينة في تميّزها، منها الأسماء الشخصية، وأسماء العائلات أو الأسر، ومنها الألقاب والكنيات، وكذلك أسماء الشهرة، ويصنّف في هذه الخانة أسماء المراجع الثقافية، ومنها أسماء الأعياد، والمناسبات وأسماء المؤسسات والشركات، وأسماء المعالم التي تدخل في تعريف الهوية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات : ناسا Nasa ، حماس...<sup>1</sup>

وفي حقيقة الأمر، وردت طبونيمات في الشعر الشعبي الجزائري دالة على أسماء الحيوانات والنباتات : ففي قصيدة جبل الواعر في ركة ناقة (العرعار) للدلالة على مكان الاختباء<sup>2</sup>:

في الصَّيْفِ قَوَائِلِ      حَرَاقَةَ وَشَهْلِي غَرْغَارِ  
هَرَبُوا الْقَوْمِيَّةَ      الْبِنْدَاقَةَ لَبْدُو فَالْعَرْعَارِ<sup>3</sup>

والمياه (هيدرونيما) أو المائيات<sup>4</sup> وغيرها من مصطلحات الأسماء الأعلام الدالة على الأمكنة، تعتمد عناصر إيجابية لمنح شرعية التسمية، فكانت تصنيفات الدلالة بمثابة التأسيس للمصطلح الطبونيمي.

<sup>1</sup> منير صايبي، ترجمة أسماء الأعلام في القرآن الكريم - أسماء الأنبياء أَمْوَدَجًا، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009م، ص 2-3.

<sup>2</sup> مكان للاختفاء فيه خوفا من اكتشافهم من قبل الثوار؟

<sup>3</sup> ديوان شعراء شعبيين، شهداء ومجاهدين، ص 2 3

<sup>4</sup> للدلالة على مجاري المياه ، والبحيرات، والشلالات، والبحار ، والعيون، وغيرها مما يصنف استبدالات المائيات (Paradigme )، ينظر كتاب الأسمائية ، ص 16.

إنّ تعدّد المصطلحات في الجزائر وفي باقي البلدان العربية، واختلافها في ترجمته ونقله من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية يزيد الوضع تعقيداً، فكما يحسن بالإنسان أن يحمل اسماً يعرف به طيلة حياته، يجب علينا في عالمنا العربي أن نوحّد المصطلح العربي، ونتفق على المقابل في نقل المصطلح الأجنبي للحدّ من الاختلاف<sup>1</sup>.

وإذا كانت اللسانيات التطبيقية تقف على قدم المساواة مع باقي العلوم لما يتعلق الأمر بعلم المصطلح - أي الحقل المعرفي الذي يعالج التصورات - فهو يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها في إطار ضوابط علم المصطلحية<sup>2</sup>.

فمصطلح الطبونيميا الأجنبي بمفهومه المتعارف عليه - كونه اسماً لمكانٍ (اسم علم دال على المكان) - يعد من العناصر اللغوية التي تداولتها الدراسات في اللغة العربية قديماً، ولم تعرف بمصطلح معين إلاً بالاسم الشائع في التراث: "اسم العلم الدال" على المكان، أما في درس اللغوي الحديث، فكان علينا الاعتراف من النظريات الحديثة والأفكار المتجدّدة، ومن ثمّ مسaire الفكر العالمي في المجال، ونقل هذه المصطلحات بما تدلّ عليه من مفاهيم إلى لغتنا العربية.

ونظراً لغياب التنسيق بين دول العالم العربي - مع وجود المؤسسات المخولة لذلك كما سنرى - تعددت المصطلحات وتباينت المفاهيم:

فهي عندنا إذن - أي "المواقعية" - دراسة علمية، حديثة النشأة، وتهمّ بدراسة أسماء الأمكنة، وتعدّ بالمنظور الحالي من العلوم الفنية التي تتقاطع فيها عديد العلوم بحسب العلاقة وزوايا النظر، وهي ما أشرنا إليه بالدراسات البينية في العلوم اللغوية التطبيقية.

والمواقعية هي مجال علمي له خصوصيته التي يتميز بها، فهي في نظرنا من أهم العلوم التي يعتمد عليها الاستراتيجيون في مخططاتهم الاستشرافية، وفي برامجهم التطبيقية، فهم يستلهمون من معيّناتها، ويعترفون المعطيات التي يؤسسون بها أعمالهم من وعائها، لذلك نحن في جامعة تلمسان وفي مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، نعدّه مجالاً تطبيقياً من مجالات اللسانيات

<sup>1</sup> محي الدين صابر، التعريب والمصطلح/ مجلة اللسان العربي، عدد 28، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكب تنسيق التعريب، القاهرة سنة 1987، ص13.

<sup>2</sup> محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب، القاهرة، د.ت، ص 39.

التطبيقية، نظراً للاهتمام الخاص بالجانب اللغوي المتعلق بالاسم، قبل غيره من المجالات المساعدة وهي متعددة.

وقد تعددت الرؤى بالنظر إلى مجالات دراسة الأسماء الأعلام، وإن كانت هذه الدراسات قد سجلت تقدماً كبيراً في فرنسا، وفي البلدان الأوروبية عموماً، فهي في عالمنا العربي لا تزال تتخبط في تحديد المصطلحات والمفاهيم، ووضع حدود المجالات العلمية التي تهتم بدراستها.

وإذا كنا في الجزائر سجلنا سبقاً في تحديد مصطلح الواقعية<sup>1</sup> - حسب علمنا - وذلك بمخبر المعالجة الآلية للغة العربية بجامعة تلمسان<sup>2</sup>، وتحضير مؤتمرات وندوات علمية وطنية<sup>3</sup> ودولية<sup>4</sup>، بهذا المصطلح، فقد ورد مصطلح الواقعية أيضاً في تونس في كتاب الأسمائية<sup>5</sup> للدكتورة زكية السائح<sup>6</sup>، ونسبت وضعه إلى الدكتور إبراهيم بن مراد<sup>7</sup>، أستاذ بكلية الآداب بمنوبة، تونس، ولم تشر الكاتبة إلى تاريخ الوضع أو الذكر.

وفي المغرب الأقصى ورد ذكره في بعض التفاعلات بالتواصل الاجتماعي في المنتديات الإلكترونية بهذا المصطلح<sup>8</sup>، وفي بعض الأعمال المتعلقة بأسماء الأمكنة.

وكان في برنامج نشاط قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الملتقى الدولي 2014، وبحضور الأستاذ بيل وات ممثل الأمم المتحدة في مجال الطبونيميا، والدكتور عون ممثل العالم العربي، وقد اقترحت بالمناسبة على منظم الملتقى الدكتور عتوي إبراهيم موضوع المصطلح العربي في مقابل

---

1 هذا حسب اطلاعنا، وقد يكون غيرنا أيضاً أطلق هذا المصطلح على تسمية المجال، فالأمر يتطلب المسح.

2 الدكتور سيدي محمد غيثري، مدير مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، جامعة المسان، سنة 2007/2008.

3 ملتقى زطني ببلدية أولاد ميمون (الطافا)، في مدرسة الجمارك، سنة

4 تلمسان عاصمة القافة الإسلامية، الملتقى الدولي :

5 تبنت الدكتوة زكية السائح الأسمائية في مقابل المصطلح الأجنبي Onomastie، وأعتقد أنّ هذا المصطلح بهذا الشكل هو أقرب إلى علم دراسة الأسماء بكل أنواعها، ولا يخص الأسماء الأعلام، سنحاول تفصيل الموضوع أثناء تناولنا للمصطلح.

6 زكية السائح دحماني، الأسمائية في اللسانيات الحديثة بينسانيات بمنوبة، كلية سنة 2014.

7 إبراهيم بن مراد، أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، ينظر د. زكية السائح دحماني،

كتاب الأسمائية في اللسانيات الحديثة، بين النظرية والتطبيق، ص 16.

8 مصطلح الواقعية بدلا من الطبونيميا، استعمال وسائطي اجتماعي، غير رسمي.

المصطلح الأجنبي Toponymie مصطلح المواقعية<sup>1</sup>، الأمر الذي لم يفصل فيه المؤتمرون، وأبقوا على المصطلح الأجنبي.

وفي هذا المقام، وأثناء تعاملنا مع موضوع المواقعية، تطلّب البحث أن نبدي موقفاً من لغة المصطلحات في الفصحى وفي غيره، ومنه الشعر الملحون، ومشروعية وضعنا في الدراسات المواقعية، ليتحدّد الوضع المصطلحي بحسب الهدف من الدراسة. ولما حدّدت الأهداف العلمية من الدراسات المواقعية في عالمنا الحديث، وجدنا مسوّغاً لهذه المشروعية لأنّ المحتوى الثقافي لها يبقى بآثاره الفاعلة في الدراسات البيئية والمعرفية. وإذا كنا نعلم على وجه الخصوص واقع طبونيمات الجزائر ووضعها الصّعب والمعقد - نظراً لإغفال المسؤولين لفترة طويلة هذا الموضوع - والتدارك الأخير الذي أثار هذا الاهتمام<sup>2</sup>، فوجدنا فرصة سانحة للتعامل مع الموضوع، مع مجموعة من الأساتذة الباحثين الجزائريين من بينهم: الأستاذ فضيل شريقان في الجزائر، إبراهيم عتوي، الأستاذ بّرمضان، والأستاذة يرمش، ومن تلمسان عمر العشعاشي، وغيرهم كثير<sup>3</sup>.

## 2 - مجالات الأسماء الأعلام

ومع هذا فالأمر في العالم الغربي، ينحو إلى تحديد آخر أكثر استقلالية ودقة، خاصة أنه أفرد له مجاله الخاص، ف الأنوماستيكا علم يهتم بدراسة الأسماء الأعلام، من onoma اليونانية وتعني الاسم، وهي بدورها مجال من المجالات اللغوية، ويهتمّ - دون أي تمييز - بالأسماء

<sup>1</sup> وفي إشارة إلى هذا الملتقى بعاصمة الثقافة العربية، يعدّ الملتقى الدولي الثاني في الجزائر بعد الملتقى الذي انعقد بتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

<sup>2</sup> Les travaux de : Arthur Pellegrin, Essai sur *les noms de lieux d'Algérie et de Tunisie en 1949*.<sup>2</sup>, Hanoteau et Letourneux (1893) Grande Kabylie, Mercier (1897) pour l'Aurès, le Père de Foucauld, le Sahara (1952). La géographie linguistique, liée au nom d'André Basset : *Géographie linguistique de la Kabylie* (1929) et *Atlas linguistiques des parlers berbères (Algérie du nord)* (1936/1939), Arthur Pellegrin (1949) pour le Nord de l'Afrique. Brahim .Attoui,<sup>2</sup> Farid Berramdane,<sup>2</sup> et d'autres.

<sup>3</sup> ATOUI, Brahim.- *Toponymie et espace en Algérie*.-Alger, Ed. Institut National de Cartographie, 1998.

الأعلام، وهو يتولّى خصوصية الاسم العلم من جوانبه المختلفة لذلك كان يصنّف سابقاً في  
خانة علم المعاجم<sup>1</sup>.

وقد عرفت الأنوماستيكا اختلافاً بين المهتمين لتحديد مجالاتها، فمنهم من اكتفى  
بتحديدها في الأسماء الأعلام الدالة على الأشخاص<sup>2</sup>، في حين يذهب آخرون إلى تحديدها  
في الدلالة على الأعلام الدالة على الأشخاص والدالة على المكان، باعتبارهما يكوّنان مجالاً  
علمياً واحداً<sup>3</sup>.

وتفرّع عن علم الأسماء الأعلام، الواقعية وهي تخصّصت فرعي استقلّ بمجاله، علماً أننا  
في العلوم الإنسانية العربية لم نهتم كثيراً بهذه التفرّعات، ولم نعرها البحوث الأكاديمية في  
الجامعات. خاصة الجزائرية - الاهتمام اللائق بها إلا في العقود الأخيرة.

وفي واقع الحال، نجد فضاءات متنوعة من حقل العلوم الإنسانية، هي في الحقيقة ترتبط  
بمجال علم الاجتماع اللغوي، وعلم الاجتماع اللغوي العمراني، في حين أنّ مكانها الطبيعي  
والموضوعي هو مجال الأنوماستيكا، ومنها الأسماء الخاصة بالحيوانات، خاصة وأنها اليوم أمام  
نوع من الوضع التسموي الجديد يرتبط بحضارة تكنولوجية واستهلاكية عصرية.

وفي المقابل، نجد في عرفنا أثناء تحديد الأسماء الأعلام وضبطها، تخريجاً غير مألوف في  
تراثنا العربي، يفرض علينا تعاملات خاصة مع هذه الأسماء اليوم في دراساتنا للواقع، ولا يمكننا  
حصره بسهولة لتنوعها وجدّتها كما هو الشأن في التجارة، والصناعة، وغيرها من القطاعات،  
قهوة قوار وقهوة نيزيار، زيت العافية، نورة (اسم لبقرة)، ..

1 - الأنثروبونيميا (Anthroponymie)، وهي علم يهتم بدراسة الأسماء الأعلام<sup>4</sup>  
(الأشخاص)، بداية من التأصيل اللغوي إلى التطور الحاصل فيها، فتتقاسمه الدراسات

<sup>1</sup> Camproux, Ch, *Introduction .Les noms de lieux et de personnes* de Christian BAYLON  
et Paul FABRE .Ed. Nathan1982, Paris, p.5

<sup>2</sup> Ferdinand Brunot, 1936, *LA Pensée et la langue*, 3e éd., Paris, P.40.

<sup>3</sup> Marouzeau, J. 1943, *Lexique de la terminologie linguistique*, Paris, 2e éd, article  
«Onomastique», voir ; Baylon, Christian et Paul FABRE. 1982, les noms de lieux et de  
personnes, Paris, Ed. Nathan.P.6

<sup>4</sup> ولعلّ من الباحثين الذين اشتهروا في هذه الدراسات الخاصة بالارت دوزات Albert Dauzat : "أسماء  
العائلات الفرنسية".

الفيلولوجية والمعجمية لمعرفة أصل الوضع المعجمي الذي اشتق منه إن كان مشتقاً ، علماً أن الأصل في هذه الأسماء أنها تأليفية وليست تحليلية، وهي تخضع لتعامل بيني لأنها تحمل دلالات لغوية وأخرى وظيفية، وتضاف لها معان اعتبارية لها إichاءات ترتبط بموضوعات أخرى أو جوانب منها، فتكون بذلك موضوعاً لعلوم مختلفة.

إنّ الأسماء الأعلام الدالة على الأشخاص، تبدأ بالدلالة على تعيين الأشخاص لتمييزهم بين أفراد الأسرة الواحدة ثم بعد ذلك لتعيينهم عن باقي الأسر (محمد، زيد، عمر...).

وقد تخفي الأسماء الأعلام الدالة على الأشخاص أبعاداً دلالية وتمييزية للمراكز الاجتماعية والثقافية وغيرها، وبذلك تحصل الدلالة على الشهرة الاجتماعية أحياناً، أو تتحول إلى شخصية تاريخية، ويطمح المجتمع أو المؤسسات إلى ترسيم هذه الشهرة أو التخليد، فيطلق هذه الأسماء الأعلام على أماكن سكانية، أو مؤسسات، أو غيرها، في مثل: (عقبة ببسكرة)، والأمير عبدالقادر (قرية الأمير)، فكان المكان الذي تمت فيه اتفاقية تافنة بين فرنسا والأمير، شاهد على حدث تاريخي، وهي اليوم بلدية الأمير عبد القادر<sup>1</sup>، الشيخ محمد بلكبير، عالم وصوفي، وله كرامات، وتخرّج على يديه كثير من حفاظ القرآن، وترك بصمته في حياته، وبعد وفاته أطلق اسمه على مطار تخليداً للشيخ، فيعرف الآن المطار باسمه، وفي تلمسان مطار مصالي الحاج<sup>2</sup>). ولذلك نجدها أنثرونيما وفي الوقت ذاته طبونيمات لأنها تسجل المكان ببصمة من بصمات الإنسان.

لكننا في تعاملنا مع أسماء الأشخاص، نجد ألقاباً ليست رسمية كالتّي تعينها السلطات الإدارية، والأسماء التي أطلقت على الأشخاص دون موافقتهم مثل التي تحكمت فيها الإدارة الفرنسية أثناء الاحتلال، وإنما هي أسماء ثانية تلحق الشخص وتزيده تعريفاً يطلقه عليه المجتمع

---

<sup>1</sup> بهذا المكان تمت المعاهدة التي جرت بين الأمير عبد القادر والجنرال توماس روبير بيجو من الجيش الفرنسي بعد تعرض الأخير لخسائر فادحة بسبب المقاومة الجزائرية.

<sup>2</sup> سمي مطار توات - شيخ سيدي محمد بلكبير أو مطار أدرار، هو مطار عام يقع 11 كلم جنوب شرق ولاية أدرار جنوب شرقي الجزائر.

مطار تلمسان : مطار مصالي الحاج أو مطار زناتة، هو مطار يقع 22 كلم جنوب غربي مدينة تلمسان غربي الجزائر .

بحسب صفات موجودة فيه وعلامة دالة عليه توافق أخلاقه وصفاته المستحسنة والمستقبحة، والمستحسن منها ما حسن لفظه، والمستهجن ما استقبح لفظه ومعناه، والمستهجن منه منهى عنه<sup>1</sup>، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾<sup>2</sup>.

## ب - الواقعية (الطبونيميا)

فهي إذن - أي الواقعية - تمثل الميدان الخصب الذي لا ينضب في مدنا بالمعلومات المتعلقة بالمكان، وتزودنا بالمعطيات التي نستلهم منها التوجيه في التخطيط العصري للمنطقة، لذلك أصبح هذا المجال يثير اهتمام كثير من الباحثين من تخصصات مختلفة، فهذا المؤرخ الذي يبحث في الأخبار والسير التي تروى كلما ارتبط الأمر بالمكان الذي يعدّ قرينة قوية بها يستذكر ما يجب الوقوف عليه.

ولهذا، نجد المؤرخ يهتم بدراسة أسماء الأماكن ويوليها أهمية خاصة، فيتبع نشأة المواضيع المسماة، أو الشخصية التي خلّدت هذا الاسم لاقترانه بهذا المكان، فقصدوا تشریف فرد، أو خلدوا بها بعض الأحداث السعيدة، أو السمات ذات الطابع التاريخي التي كانت سبباً في وضعه، أو البعد الوظيفي لها، ولا يقف المؤرخ عند هذا الحد بل يتتبع تطورها عبر الحقب المتعاقبة.

وقد احتضنا في أعمالنا العلمية لهذا المجال مصطلح "الواقعية" بديلاً لـ "الطبونيميا"، في جامعتنا، ووجدناه أيضاً مستعملاً في الكتابات التونسية، وبعض الجهات في المغرب، ولكن مصطلحات أخرى تخصّ الألفاظ الدالة على اسم المكان، وتصنيفاتها في الوضع، قد اتخذت لها موقعاً في هذه الميادين البحثية الكاديمية، في مثل الأسماء التي تطلق على العيون والجبال وغيرها، وهي في حقيقتها تنعت بها أمكنة قد ترتبط بحدث أو صفة تمييزية للمكان، أو غيرها.

- والواقعية، باهتمامها بأسماء الأمكنة التي أقام بها الإنسان في مرحلة من مراحل الحياة، يكون البحث العلمي قد أولاها مكانة نظراً لقيمة هذا العلمي من الناحية البراجماتية للأمة، وهي تهتم بكل أسماء الأماكن الجغرافية حتى وإن لم يستقر بها الإنسان ودلت في اسمها على

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، تحقيق عبد العزيز بن راجي الصاعدي، منشورات مكتبة دار السلام، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الرياض سنة 1993، ص 60.

<sup>2</sup> سورة الحجرات، الآية 11

ارتباط بجانب من الجوانب المعيشية للإنسان ، لكن يشترط فيها أن تستند على قرائن التصنيف والتوصيف الطبونيمي، وقد تكون هذه الأحداث التي وقعت فيها ترتبط هي بدورها بحياة الإنسان، أو تتوفر على أوصاف ميزتها أو اشتهرت بها، إلى غير ذلك من المميزات والقرائن أو المتلازمات، وأحياناً مرجعيات المفاضلة هي التي تكنها من القيمة الواقعية.

يتعلق الأمر باسم المكان على اختلاف تبايناته الشكلية المميزة لأنواع هذه الأمكنة عن بعضها، في الاسمى والنمطية، فقد يرتبط بالتجمعات السكانية ذات طابع استقراري خاص: القرى، والمداشر، والدواوير، وغيرها من البلدات ذات الأشكال السكنية المختلفة إلى أن تمثلت في شكل مدن، وهي تتداول في معالجتها كباقي الأسماء لأنها تصنّف عناصر لغوية عادية، لأنها لم تبلغ درجة الاسم العلم الدال على مكان بعينه، فالمدينة تنطبق على كل تجمع سكاني بمواصفات معينة، أما إذا أخذت أسماء تعيينية، بحيث اشتهرت المدينة بها، واقتصرت عليها، ولا تنصرف إلى غيرها، وهو ما يسمى "درجة العلم بالغبلة"، فظهورها معرفة بـ "ال" في المدينة، إلا أن حقيقتها صارت معرفة بعلمية الغلبة، وتلغى معها الدرجة القديمة، مثل: "المدينة"<sup>1</sup>، و"العقبة"<sup>2</sup>، فإن هذه الأسماء الدالة على المكان هي التي تصنف وحدات طبونيمية وليست فقط عناصر لغوية<sup>3</sup>.

ولابدّ لنا من وقفة خفيفة، للاستدلال على التصنيف العلمي للمجال، فإذا كانت الأسماء الأعلام الدالة على المكان في السابق ينظر إليها من الزاوية اللغوية الصرفية، وتكتفي بالدراسة اللغوية من حيث أصل الوضع، والتطور التسموي، فإنّ لعلم الصرف والصيغ الدالة على المكانية، وباقي المستويات التحليلية اللغوية كالدلالة، دوراً في تحديد أبعاد المكانية المعجمية، ولما كان للمواقعية نصيب في التموضع والاستقلالية - ولو أنها كانت في الأصل ضمن علم الأسماء الأعلام - ظهرت بهذا التعريف المتعدّد والمتنوّع الذي لم يستقر بعد في حدود معرفية واضحة المعالم والأبعاد.

1 مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجهة هجرته.

2 مدينة العقبة في مصر على الحدود الشرقية مع الحدود الأردنية.

3 عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، ص 435

ولم تعدّ الواقعية علم يدرس اسم المكان لغوياً، فقد تعمقت النظرة إليه من تعيين للمكان، إلى معانٍ تمييزية للدلالة على قراءات المكان وما يخفيه من أخبار ومعلومات راوحت التاريخ ومسحت واقع الحال عبر المراحل المحدّدة، وتماشياً مع التطور الحضاري والتكنولوجي للمجتمعات.

ولهذه التداخلات المعرفية، لا بدّ لنا من وقفة مع هذه الأسماء لإظهار حدودها المعجمية والواقعية.

لا يمكننا في حديثنا عن المكان إلا أن نصفه بالموجود في هذا الوجود المستقل عن إرادة الإنسان ووعيه، وكل ما نعلمه هو أنه فضاء منسجم مع تواجد لإنسان وتفاعله معه ومع مكوّناته بالأبعاد والزمان حسب المفهوم الفيزيائي والنسبي،<sup>1</sup>.

أمّا عن البعد الاجتماعي، فإنّ الوظيفة التي يخولها الإنسان إلى المكات، فهي التي تحدّد قيمته، كما أنّ التغيرات الحاصلة والتحوّلات الناتجة عن التفاعلات بما يتناسب مع الزمان الاجتماعي والثقافي لهذا الفضاء هي التي تحدّد سيمات المكان بتلويحه بسيمات الجماعة، كما هة الحال في القوميات في عالمنا الحديث، وبذلك تلوّن قيمته.

ولعلنا في تفاعلنا هذا مع المكان في ظل الزمان، نبين الحدّ الواصف للمكان في كينونته القديمة، وقد يعتمد ثقافيا في ذلك على الواقع في الميدان، وفي ما تبيحه البيئة، وفي البعد المخيالي، وبالتالي يكون المكان في بعده الزماني الثقافي ممثلاً للبعد الجمالي، ومن تمّ تلويحه وفق الصيرورة الجديدة، لأنّه يمثل الموقع البشري الذي اشتغلت عليه الجماعة<sup>2</sup>.

## ج - أسماء أعلام تراحم المصطلحات الأخرى

الأدونيميا Odonymies: هي عناصر لغوية اسمية للدلالة في طبيعتها اللغوية بعدها القصدي على العلمية، وهي تربط بشبكات التواصل المختلفة، شبكة الطرقات، والشوارع،

1 جمال الدين الاخضور، عودة التاريخ، الجزء الثاني، ص85

2 المرجع السابق، ص 85 - 86.

والدروب، والمسالك، والمرات، والساحات، وهي تصنّف مع الأسماء الأعلام المكانية، لارتباطها بالمواقع الجغرافية، وهي في إطارها العام لا تخرج عن نطاق علم الأسماء الأعلام "الأموماستيكا".  
وشبكات المواصلات *odonymies* أو *hodonymies*، تهتم بدراسة الأدونيمات من حيث كونها أماكن، والأدونيم اسم علم يدلّ على اسم لنهج أو طريق (طريق الوريد)، أو اسم ساحة (ساحة الشهداء) أو اسم لممرّ، والدروب، (درب القطوط، الحجامين، درب الحديد)، وغيرها... وكلها تنضوي في مجال الطبونيميا التي تتسع لكل الدراسات المتعلقة بأسماء الأماكن لسانيا/جغرافياً وخاصة ما يتعلق بأسماء الأعلام بصفة أدقّ.

**هيدرونيميا Hydronymies** : ودلت في أصل وضعها على المياه، أو مجاري المياه على اختلاف أنواعها، ولما استعملت للدلالة على إمكانية ارتباط ذكر اسمها بهذا المعنى، وصارت قرائن يعتمد عليها في تحديد المكان، وعرفت هذه الهيدرونيمات على أنها تخص المكان التي وجدت بها المياه، والتي استقر بها الإنسان، وكانت مواقع الوقائع، مليئة بالأحداث التي سجلت بصمتها لعلاقة بالمياه، ونظراً لارتباط الماء بمعاني كالحياة والوجود، كان لا بدّ أن تكون للطبيعة ولمعنى الخصوبة والإنتاج ارتباط وثيق بالحياة أيضاً، وبالتكاثر، فأحيطت هذه الرموز بمهالة من القدسية، لأنّ توفير الغذاء يعني أيضاً ديمومة الحياة، وهي في واقع الأمر الدراسة العلمية لكل ما يرتبط بالماء مجاري، وعناصر، وبحيرات وغيرها مما له علاقة بالإنسان والمكان، فعدت هذه الأسماء الممكنة من مجال هذا العلم "الهيدرونيميا" وهو مأخوذ من اليونانية القديمة، *hydros* للدلالة على الماء و *onoma* اسم، وهي دراسة اتيولوجية لهذه العناصر اللغوية، والمعاني التي تحملها، وتتبع التحولات الشكلية اللغوية التي تطرأ عليها عبر تاريخها الذي يعدّ بالقرون أحياناً، التي نتوصل إليها أثناء قراءتنا للنصوص القديمة - عقود التوثيق مثلاً - وهي تنضوي مع غيرها - الطبونيميا، والأودونيميا، والأورونيميا - تحت مجال أوسع الأنوماستيكا "علم الأسماء الأعلام" الذي يربط هذه الأسماء والعلوم المهتمة بها في ظل المكان الذي تمثله الجغرافيا، وذلك لتحديدتها، وتصنيف هذه الأسماء على الخرائط الجغرافية، وتوزيعها حسب السكان، وتنوع اللهجات،... الخ.

إنّ للماء قيمة خاصة، ترتبط بحياة الإنسان وممتلكاته من ماشية وغيرها، لذلك كانت العرب في ترحالها واستقرارها تعتمد كثيراً على توفرّ الماء لتمكين الماشية منه. ولما كانت تحط

القبائل رحالها في هذه المضارب التي يوجد بها الماء، كانت تطلق على هذه العيون أو المصادر المائية أسماء تعيينية أو تحديدية، ولحملها أو نقلها في أخبارهم وأشعارهم، فعرفت بها هذه الأمكنة، وتعددت الأسباب في ذلك وتنوعت بحسب الأحداث والوقائع التي ارتبطت بالإنسان، والمكان والماء.

ففي ذكرنا لعين يوسف (تلمسان)، نستحضر قصة سيدنا موسى عليه السلام مع ابنتي شعيب نبي الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾<sup>1</sup>. يقال أنّ العين تسمى بئر يوسف عليه السلام، وعين موسى، وعرفت عدة أسماء منها: مغاير شعيب، وماء مدين، ثمّ تبعاً لظاهرة طبيعية حدثت في القرن التاسع، فأطلق عليها اسم البدع إلى يومنا، لأنه غلب عليها، وعين ملاحه<sup>2</sup>.

**الأرونيميا Oronymies** : إنّ النصوص الشعرية في التراث العربي والجزائري، وغيرها من النصوص التي تصف الرحلات والأخبار هي التي يجب أن تعتمد في تتبع هذه الأسماء لأنّ اللغة وضع واستعمال ولا عبرة إلاّ بالاستعمال الحقيقي لها.

ففي أعالي الجبال - كما هو الشأن في أحداث الثورة التحريرية - لنا مواقع شهدت أحداثاً، وجرت فيها ومعارك ضد الاستعمار الفرنسي، وتحققت فيها بطولات للمجاهدين، فكانت لهذه الأراضي تسجيلات خلدتها روايات وأشعار، ومنها: جبال فلاوسن، جبل عمور، أرونيمات Oronymes، وغيرها، ومنها أيضاً الأودية (وادي الشولي، وجبل فلاوسن، الأوراس، هيدرونيمات hydronymes).. وبالتالي فهي تكوّن قرائن لأحداث تاريخية أثناء محاربة الاستعمار وهي كثيرة، وهي أيضاً مياه تستغل لري الحقول في الحضر والأحواز، في مثل : عين وانزومته في تلمسان، اسم مركب عربي أمازيغي (عين الصخرة)<sup>3</sup>.

وقد وقعت أحداث أخرى أثناء ممارسة نشاطات مهنية أو فلاحية، منها ما كان قرينة لوقائع أثناء الرعي أو السقي أو غيرها، وقد تكون أسماء أمكنة لتضاريس reliefs، وهي هنا

1 سورة القصص، الآية 23.

2 جمال الدين الخضور، الجزء الثاني، ص 92 - 93.

3 Abbè. Bargés , Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, Imprimerie orientale de Nicolas, Paris 18, 1958, p260.

تمثل نمطاً من العناصر الطبونيمية، وهي الأورونيمات Oronyms، أو أسماء أودية hydronymes، وكلها تحمل أسماء خاصة بها تتميز عن غيرها، وهذا عبر المسار التاريخي للشعوب في أماكن تواجدها أو تجمعاتها في أشكال متنوعة لإقامات تربط الفرد بالأرض.

وتوجد أسماء أخرى استعملها الإنسان ولا تعرف بها غيرها، أو لها علاقة بحياته، أو ارتبطت بأعماله، كأسماء المصانع، والبواخر، والنجوم، وغيرها، وكل ما له ارتباط بمعيشة الناس، وعُرف باسم خاص، لا يعرف به غيره، مثل اسم طائرة، أو مؤسسة، وفي هذه الحالة شرطها ألا يشاركها في هذا الاسم غيرها<sup>1</sup>.

ففي العصر الجاهلي اشتهر وادي عبقر وكان قرينة دالة على تلقين الجن الشعر للشعراء بهذا الوادي، فارتبط اسم عبقر بوادي عبقر الذي دارت حوله الأساطير.

وذهب الجوهري إلى أنّ العَبْقُرُ موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، وفي هذا قال

ليبيد :

وَمَنْ فَادَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَبَنِيهِمْ      كُهُولَ وَشُبَّانَ كَجَنَّةِ عَبْقَرٍ  
مَضُوءًا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ      بَهِيًّا مِنَ السُّلَافِ، لَيْسَ بِجَيْدَرٍ

وقد نسبوا كل شيء تعجبوا من حدقه أو جودة صنعته وقوته إلى صفة العبقرية، فقالوا عنه عَبْقَرِيٌّ، والأُنثَى عَبْقَرِيَّةٌ. بغير ألف ولا م لأنه اسم علم لموضع.

وقال امرؤ القيس:

كَأَنَّ صَلِيلَ الْمَرُوءِ، حِينَ تَشُدُّهُ      صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدَنَّ بِعَبْقَرَا

وفي هذا قول ذي الرمة:

حَتَّى كَأَنَّ رِيَاضَ الْقُفِّ أَلْبَسَهَا      مِنْ وَشِيِّ عَبْقَرٍ، بَجَلِيلٍ وَتَنْجِيدٍ

وورد عبقر في (الصحاح في اللغة) للجوهري: موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن. وقال ابن سيده العَبْقَرِيُّ والعَبْقَارِيُّ ضرب من البسط، الواحدة عَبْقَرِيَّةٌ، قال: عَبْقَرُ قرية باليمن تُوشَى فيها الثياب والبسط، فثابها أجود الثياب فصارت مثلاً لكل منسوب إلى شيء

<sup>1</sup> عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، ص 293.

رفيع، فكلما بالغوا في نعت شيء مُتَنَاهٍ نسبوه إليه، وقيل: إنما يُنسب إلى عَبَقَر الذي هو موضع الجن.

وإذا كانت هذه الأسماء قد ارتبطت بأساطير سجلت قصصا نسجتها العقلية العربية لتخريج ظواهر عجائبية - بما فيها تلك التي ارتبطت بأسماء أمكنة، قد لا تعرف إلا بقراءات<sup>1</sup>، كما هو الأمر في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾<sup>2</sup>، - أو ولفتة من المجتمع فإن شرائح كبرى عبر هذه الأزمنة التاريخية للأمم، ارتبطت بإقامة الجماعات في أشكال عمرانية تركت حضارات للأجيال لا تزال تشهد عليها إلى يومنا هذا، فتمثلت في الإقامات السكنية ك (المدن، والقرى، وتجمعات البدو في كل قبيلة أو عشيرة أو عرش، وقبلها في المغارات التي سكنها الإنسان طلبا للأمن، وخوفا من الحيوانات المفترسة... الخ).

ولأن تسمية المكان تعد من الأسس التي لا غنى عنها، فقد أطلق الإنسان الأسماء على الأمكنة للتعبير عن ما يمكن أن نسميه "العلاقة بالمكان"، وهي بذلك تصبح ضرورية عندما تتسع رقعته الترابية ويزداد عدد المقيمين، وبالتالي يرتفع عدد مستعمليه من المقيمين أو المترددين عليه لتلبية المصالح، وهي تهدف إلى تعريفه وإبراز هويته، فالهوية الترابية لمنطقة ما، تبرز من خلال التسمية التي تسند لها.

ومنها أماكن لم تسكن ولم يُقم بها الإنسان إلا أنها اشتهرت باسم يميزها عن غيرها، لتحمل معاني وظيفية أخرى كالتوجيه والاستدلال وغير ذلك مما سنبينه لاحقاً. تطلق أسماء مميزة لأمكنة لأمر يميزها أو لغموض يكتنفها أو لأسطورة تنسج حولها، فمنها ما وجد في أنحاء متباينة من كوكبنا، فمثلاً نجد مثلث برمودا، أو مثلث الشيطان، عرف بهذا الاسم نظراً لما نسج حوله من أخبار وأساطير ارتبطت بأحداث تدور حول اختفاء سفن وطائرات في هذه المنطقة إلا أن الأمر في واقع الحال - حسب بعض الدراسات - لا يخرج عن المعدل الذي تحدث فيه مثل هذه الحالات في مناطق أخرى، ومع ذلك لا يذكر مثلث الشيطان إلا ويستحضر القارئ هذه القصص التي نسجها الإنسان. كما هو الشأن

<sup>1</sup> ينظر : فخر الدين قباوة، جذور التحليل اللغوي في المدرسة القرآنية القدمى، دار الوثقائي للدراسات القرآنية، الطبعة الأولى، دمشق، سوريا سنة 2007، ص 111.

<sup>2</sup> سورة الأنعام: الآية 98.

في مثلث التين، وهو لا يقلّ عن مثلث برمودا خطورة فيذكر حول خطورته مجموعة من الأحداث والأساطير التي يرويها اليابانيون، ومنهم من يخلط بينهما.

لكننا اليوم، نتجه لسياسة عالمية<sup>1</sup> لوضع أسماء لحاجة تداولية فرضتها العولمة بأبعاد وظيفية متعدّدة، أولاها الاستدلال على المسارات الافتراضية والواقعية لتحديد التوزيع الجغرافي للمعلومة أو للاتصال في المكان، وتحديد العناوين على سطح الأرض عبر الأقمار الصناعية، لاستغلال في تحقيق التعاملات والتواصلات والنقل عبر المواصلات، ولهذا توضع هذه الأسماء الإعلام في أغلب الأحيان لتعيين المكان باتخاذها قرائن، وأحيانا مرجعيات لأهداف معينة، أما الانتقاء التسموي فيكون لقيمة تاريخية تشهد الأحداث عليه أو لارتباطه بهذا الشخص في قرينة توحى بما خفي وتدل عليه كما هو الشأن في "البشير الإبراهيمي"، شارع "الرائد فراج" الخ... وهي مؤشرات للدلالة على شبكة المواصلات، وهي عادة ما تدلّ على الطريق، أو النهج، الخ...، وفي أغلب الأحيان نجد الأدونيم يدلّ على عناوين بريدية، لكن ليست في كل الأحوال أسماء- فقد تحمل أحيانا أرقاما للدلالة على أسماء أو حالات فردية - للتعرف عليها أو على رموز تدل عليها، فاسم العلم معرّف بنفسه، وهو كما يراه بعضهم يرتبط بالأشياء الميئة أي غير الحية والتي تمثل في أغلب الأحيان الطبيعة والأماكن المعينة من دروب ومحلات تجارية وغيرها<sup>2</sup>.

وفي بعض الحالات تضيق مجالات التطبيق الطبونيمي إلى مستويات أدنى من ذلك أو أكثر في مثل أسماء تطلق على قصور أو فنادق، أو ديار (دار اسبيطار)، وغيرها من آثار الديار من أطلال وبقايا المواقع التي عمّر بها القوم، وفي كثير من الأحيان، الأماكن التي يقف عليها الإنسان، فيستحضر أياماً أتى عليها الزمان، وكلما ذكر اسم هذه الديار والآثار إلا وحملت معها أخباراً .

<sup>1</sup> إنّ السياسة العالمية (الرومنة)، تعمل على توحيد الشكل والخط لتقريب الشفرة التي تمكّن العالم من التواصل

بسهولة خاصة مع العولمة التي أزلت الحدود الطبيعية في عالمنا الافتراضي.

<sup>2</sup> Boguslaw R.Zagórski, Toponyme de l'Afrique septentrionale, Institut Ibn Khaldoun, Varsovie 2008, P109.

الشكل 1: دار اسبيطار المعلم الذي تمّ فيه تصوير فيلم الحريق،  
القصة للأديب الجزائري محمد ديب، وقد أدخلت على الدار  
تعديلات وترميمات، وهو الآن يبدو على الشكل الظاهر في  
الصورة.



والعبرة ليست بالدار<sup>1</sup>، بل بما تخفيه من أخبار وأحداث كان لها وقع في قلوب المقيمين  
بها، فلم يتوانوا على تخليدها بأشكال تعبيرية تعددت، ومنها الشعر الذي طالما كان الأداة التي  
خلّدت هذا الخزان التراثي.

ومن مثل ما يشير إلى الديار التي تذكر أحداثاً سجّلها التاريخ، ودونتها الأشعار لتخليد  
أسماء هذه الديار، ومنه ما دونه ابن أبي طاهر في ذكر الديار على كثرة التعاليق التي تشكك في  
نسبة هذه الأبيات إليه، وهي تصور النكبة التي أصابت البرامكة، ومنها هذه الأبيات: .

يا مَنْزِلًا لَعِبَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ	طَوْرًا يُفَرِّقُهُمْ وَطَوْرًا يَجْمَعُ
أَيْنَ الَّذِينَ عَهْدْتُمْ بِكَ مَرَّةً	كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
أَصْبَحْتَ تُفَزِعُ مَنْ رَأَىكَ وَطالَمَا	كُنَّا إِلَيْكَ مِنَ الْحَوَادِثِ نَفَزُعُ
أَيَّامَ لَا أَغْشَى لِأَهْلِكَ مَرَبَعًا	إِلَّا وَفِيهِ لِلْمَسْرَةِ مَرَبَعُ
لهفي عَلَيْكَ لَوْ إِنَّ هَلْفًا يَنْفَعُ	أَوْ أَنَّ دَهْرًا رَاحِمٌ مَن يَجْزَعُ
مَا كَانَ ذَاكَ الْعَيْشُ إِلَّا حُلْسَةً	حَظْفًا كَرَجَعِ الطَّرْفِ أَوْ هُوَ أَسْرَعُ

وبالتالي يكون الأدونيم اسماً يأخذ شهرته من اللفظ الذي يتردد على الألسنة فيشيع  
وتعرف به الدار للدلالة على معنى يعرف به المكان، ومنه الدار الكبيرة لمحمد الديب، فهو رمز  
الحياة التي تجمع الفئات المحرومة في منزل شبيه بملجأ الفقراء أو الطبقات المحرومة، أو مستشفى

1 محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة سامي الدروبي، دار الهلال، مجلة شهرية، العدد 262، القاهرة سنة 1970.

للمرضى (micro-toponymes)، فمفهوم الكثرة والقلة في الاستعمال هو الأساس الذي نعتمده في تردد الكلمة بمعنى معين أو شيوع اللفظ الجغرافي بين الفئات الاجتماعية<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> تحدّده التخاطبات اليومية للمتكلمين، ينظر : مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، إعداد الحاج صالح عبد الرحمن، ص 24.

# الفصل الثاني

## الدراسات الدينية والمواقعية

## الفصل الثاني

### الدراسات البينية والمواقعية

لعلّ من بين أهمّ المسائل التي تردّدت في النقاشات العلمية، بل وسجلات ثقافية في ملتقيات ومؤتمرات - في كثير من الأحيان بين أهل الاختصاص - تلك المتعلقة بالعلوم التطبيقية والدراسات الميدانية، ولم يهتدوا بشأنها إلى رأي جامع وموحد، وكثرت حولها التساؤلات للاهتمام إلى رؤية جامعة.

فهل تعدّ الدراسات البينية الأسلوب العملي الأمثل لأي دراسة تطبيقية؟ وما علاقتها بالعلوم اللغوية التطبيقية عموماً والمواقعية خصوصاً؟ هي تساؤلات تردّدت في المحافل واللقاءات ولعلّ آخرها كان لقاء قسنطينة في تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، ولم يتوصل الحاضرون إلى اتفاق معين في كثير من جوانب المجال.

لقد تباينت آراء العلماء في كل ذلك، نظراً لتداخل مصطلحات ومفاهيم لم تُعرف بعد اتفاقاً موحداً، فمنهم من ألحّ على المنهج، ورأى في التكامل مخرجاً، ومنهم من خالف ذلك، وقال بعدم وجوده على الإطلاق، ومنهم من أوصى بالاستفادة من كل العلوم دون حصرها في منهج، ومنهم من أوصى بالاختصار على الدراسات البينية دون تصنيفها في المناهج أو وصفها بذلك نظراً لاعتبارات علمية ومنهجية، خاصة ونحن في المجالات التطبيقية كالمواقعية، وحوسبة اللغة، وغيرها نتعامل مع نظم المعلومات، والعلاقات بين النظم<sup>1</sup>.

وعادة ما يجد الباحث نفسه أمام معضلة اختيار المسلك، الذي يوصله إلى المجال العلمي الذي يستوعب العلوم التطبيقية، التي تمكّن الباحث من فكّ خيوط الظواهر اللغوية التي تعتمد على علوم أخرى، تمدّنا بمفاتيح الحلّ من خارج الاختصاص. ونحن نرى أنّ اللسانيات التطبيقية ليست بدعاً في المجال، فهي ركيزة علمية للغة في تعاطيها لموضوعات ذات الصلة ببنية الأهداف.

<sup>1</sup> عماد الصباغ، تطبيقات الحاسوب في نظم المعلومات، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، الأردن، سنة 2000، ص 16.

والمواقعية من العلوم الفتية التي تنطلق من الأسماء الأعلام (عناصر لغوية)، وتنتهي بمدّنا بينوك معلومات لا تقف عند حدّ معرفي، ولا عتبة مجالٍ علميٍّ واحدٍ، لأنها في واقع الأمر تمثل المجال البيئي في العلوم التطبيقية، لخدمة الأهداف اللغوية الجغرافية، ومدّنا بالوظائف التواصلية والعملية في مجالات الحياة البشرية، فاتحة أبواب البحث على موضوعات غير محدودة.

لذلك، فنحن نعتقد أنّ الحلّ لتجاوز هذه الحالة، ارتضاء هذه الاستقلالية المجالية البيئية للمواقعية، مع العمل على توحيد المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي، ومواكبة هذا العمل الحيوي لما يجري في العالم، وإعطاء هذه الدراسات القيمة الاستراتيجية التي تليق بها، نظراً للوظائف المتعدّدة التي يتمتع بها المجال، وخدمة للتخطيط والاستشراف، واستجابة للأهداف النفعية للبشرية، وللمتطلبات التنموية التي تسايرها.

ولعل ما ذهب إليه الغرب في توطين المكانة الحقيقية للمواقعية تعود إلى عقود بعيدة، عندما اقترح الباحث أقيست فانسون للمواقعية إطاراً ملائماً، وإدارة، ومنهجاً خاصاً ومعلومة واسعة، وطرق منتظمة، ودقة في النتائج<sup>1</sup>.

ومع ذلك، فقد ذهب ألبيرت دوزات Albert Dauzat إلى ما يشير إلى أنّ المواقعية هي أخصب مجال في علم النفس الاجتماعي. فتسميات الأماكن المأهولة ومحيطها بأسماء المجاري، والسهوب والجبال وغيرها، هي في حدّ ذاتها معلومات ثمينة لفهم الشعوب وانتماءاتها وألوياتها واختياراتها، وكل ما يستدلُّ بها عليها<sup>2</sup>.

وبالتالي، فالمواقعية لارتباطها بالمكان والإنسان، وما يتركه من آثار فيها عبر الزمان، فنحن إذن أمام صنفين من العلوم في مجال البينيات وخاصة تلك التي لها علاقة بالعمران، وعمارة الإنسان للمكان: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وبناءً على قدراته ومواهبه، وهي ما يعرف عند القدامى بالحكمية الفلسفية، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه، وهي المعلومات التي يستقيها من غيره، أو يجمعها من بيئته بالنقل والوصف أو الجرد، وهي ما نقابله عند القدامى بالنقلية الوضعية<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> Baylon Christian et Paul Fabre, les noms de lieux et de personnes, Paris, ed Nathan, 1982, P39.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 38،39،40.

<sup>3</sup> السيد صديق بن حسن القنوجي البخاري، أجد العلوم، دار الكتب العلمية، الجزء الأول، بيروت، لبنان سنة 1999، ص 154.

## أولاً : الحقول المعرفية والدراسات البينية

إنّ الدراسات البينية، تعدّ اللبنة الأساسية التي أنشئت عليها البحوث والدراسات الميدانية في محبر المعالجة الآلية للغة العربية، قبل عقدين من الزمن تقريباً، إذ شكّل فرقاً بحثية من تخصصات مختلفة لتعزيز التعاون بين العلوم الإنسانية والعلوم الأخرى، لإنجاز البحوث التطبيقية، معتمدين في ذلك على استراتيجية بحثية في برنامج علمي تطبيقي اتخذ من اللغة العربية ركيزة، وأهداف تطويرها غايةً، ومن التكامل المعرفي أرضية، الأمر الذي أسهم في تعزيز دور البحوث البينية بين التخصصات المختلفة.

اتخذنا هذا المنطلق بمثابة المنهج العملي الذي أسس للتبادل بين الخبرات البحثية، والإطلاع على الخلفيات الفكرية، والاستفادة من المناهج العلمية المختلفة بين المختصين، في مجالات علمية متقاربة أحياناً، متباينة في كثير من الأحيان في طبيعتها، إلا أنّ جدوى التعاون بينهم، أعطى هذا المنحى إمكانية الإمام بزوايا النظر المتعددة التي تحتاجها الدراسات التطبيقية، وفق طبيعة المشاريع البحثية، وفي إطار دراسة الظواهر اللغوية العربية، وما يقوم عليها من تطبيقات خدمة للممارسات التي تخدم المجتمع في سلوكاته وتعاملاته التداولية والتنموية، واستجابة للأهداف التي يسطرها الباحثون في مشاريعهم. وقد كان للنظرية الترابطية الأثر الكبير في جلب اهتمام النظريات المعرفية الإبداعية، وتوليد الأفكار الجديدة، وهي نظريات على قدمها لا تزال تشهد التحيين العملي في الدراسات الميدانية والتطبيقية<sup>1</sup>.

لذلك رأينا أنّه من الضروري الإلحاح على التمسك بالدراسات التطبيقية، بهذا المفهوم البيني، وتجاوز الأنماط الدراسية التقليدية التي تقيد الانتقال المعرفي بين المجالات البحثية المختلفة بذريعة التخصص، الذي ضيق على الباحثين مجال تحركهم المعرفي في معالجة الظواهر اللغوية التطبيقية.

<sup>1</sup> تعود إلى علماء وأعمال الفلاسفة القدامى أمثال جون لوك، وألكسندر بين وغيرهم، وأدخل هذه النظرية إلى علم النفس ميدنك الذي اقترح النظرية الارتباطية للعملية الإبداعية .

ينظر : مارك رينكو، ترجمة شفيق فلاح علاونة، الإبداع نظرياته وموضوعاته، مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله للموهبة والإبداع، العبيكان للنشر، الرياض سنة 2011، ص 11.

إنّ التضييق في الاعتراف من الحقول المعرفية، لا يعدو أن يكون انغلاقاً علمياً، يترك آثاره السلبية بحجج واهية، كثيراً ما تغنى بها بعض الباحثين باسم التخصص، لممارسة سلطة غير مؤسسة، وسطوة على العلم غير مرخصة، وبغير حق شرعي، يسهم في حرمان الباحثين من أهل الاهتمام في حقهم لتصحيح استراتيجيات البحث والتعمق فيه، للوصول إل الحقيقة المعرفية المنشودة.

أما الانغلاق العلمي باسم التخصص، وعدم الانفتاح العلمي على العلوم للاستفادة منها، ومن مختلف الحقول المعرفية مهما كان التباين فيها، ما هو في حقيقة الأمر إلاّ ترسيخ لتكريس أساليب قديمة، لا تفيد البحث العلمي، وتزيد في فلسفة التخندق المعرفي، وعدم الانفتاح على ما يفيد من زوايا النظر التي تمدنا بها التخصصات العلمية المختلفة.

وما يجب التنبيه عليه، في وصف هذا الواقع الخاطئ - في اعتقادنا - هو هذا التعارض مع حقيقة العالم، الذي يقبل التنوع للاستجابة لتطلعات المجتمعات، وحق الأفراد في الحفاظ على ثقافتهم وتميزاتهم، في كثرتهم وقتهم، باعتبارها تشكيلاً اجتماعياً متنوعاً، له انتماءه الثقافي، لا يسمح بإقصائه، ولا مصادرة إراداته.

ولعلّ ما أكدته النتائج البحثية من نتائج غير متوقعة، لحلّ المشاكل التي تتخبط فيها المجتمعات، ومعالجة الظواهر العادية والشاذة، لأكبر دليل على ضرورة الانفتاح على العلوم المختلفة، والدراسات البينية، في الاعتراف من الحقول المعرفية في عصر بات فيه مفهوم العولمة حقيقة تطبيقية ووقائع ميدانية، لا تستجيب فيها إلاّ بكسر الانغلاق وضحد الإقصاء.

ومن نتائج هذا الواقع الذي أصابنا لوقت طويل، اتهمت اللغة العربية بالقصور في بلداننا قبل العالم الخارجي وهي براء، فاللغة كانت دوماً عامل توحيد وتمتين الروابط<sup>1</sup>، لأنّها تشخيص مباشر لأفعالنا وعواطفنا وكياننا الداخلي الحساس لشتى التجمعات<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> عبد الهادي هاشم، اللغة والقومية، المعلم العربي، شهرية تربوية ثقافية، تصدرها وزارة التربية والتعليم السورية، العدد 1/2، السنة الخامسة عشر، سنة 1961، ص 6.

<sup>2</sup> روبرت شولر، البنية في الأدب، ترجمة حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 7، سنة 1977، ص

ويعدّ هذا التوجه البيئي في الدراسات، من الأساليب البحثية التي نعتقد جازمين، أنّها من أنجع الحلول للمشكلات الحقيقية أو المصطنعة التي تطعن في هذه اللغة الشريفة، فكان لا بد لنا، من تقديم فهم أفضل لها، وتحقيق نتائج دقيقة في ظلها، للوصول إلى حلول نافعة وقابلة للتطبيق لكلّ ما يستجدّ في الساحة العلمية، لتواكب اللغة العربية التطور العلمي والتكنولوجي في مواكبة العولمة.

تعدّدت المجالات العلمية وزادت اتساعاً مع التطور العلمي والحضاري الذي يطبع المسار الإنساني عبر القرون، وكلّما تقدمنا مع سيرورة الزمان، كان للعلم قدم في محطة الكون وتفاعل مع نواميسه، لذلك ظهرت تخصصات جديدة في البحث وزادت مع الدقة فيه، فكانت النتائج أكثر في العدد وأكبر في القيمة المعرفية والمكانة التي تحتلها هذه البحوث.

لكلّ هذا وجدنا ارتباطاً وثيقاً بين الموضوع الذي نخوض فيه وهذا النمط الدراسي، إذ كانت الدراسات التقليدية للعناصر اللغوية عامة تدرس في ظل مستويات التحليل اللغوي لا غير، فموضوع الأسماء باعتبارها عناصر لغوية لم تكن استثناءً، والأسماء الأعلام سارت على النهج نفسه، فعلاجه كان خارج النص، ومع التحول الحادث أكسبته السياقات شحنات دلالية جديدة لم تكن معروفة في دراساته السابقة خارج النص<sup>1</sup>.

ولعل الدراسات الغربية فتحت باباً أوسع للنهوض بهذا المجال الذي تجاوز الإطار اللغوي، ليستفيد من إحياءات دلالية كانت غير معروفة في السابق، وكانت الأعمال العلمية التي تناولتها أقلام الباحثين فتحاً لتأسيس مدرسة أسمائية تهتم بالأسماء الأعلام، وتفرعت عنها تخصصات أكثر دقة في تصنيف هذه الأسماء الأعلام<sup>2</sup>.

ولما كانت الأسمائية علم لغوي، يبحث في الأسماء الأعلام وهي دراسة علمية لها في مقابل المصطلح الأجنبي Onomastique، واتخذت الطابع الأعم لها، ومنهم من وسّمها بخصوصية المعجمية<sup>3</sup>، فكانت تحتها أصناف اسمية إعلامية ومنها دراسة أسماء أعلام

1 - زكية السائح دهماني، الأسمائية في اللسانيات الحديثة بين سانبات بمنوبة، كلية سنة 2014، ص 15.

2 منهم جورج كليبر، صاحب أطروحة: أوصاف معرفة وأسماء أعلام " : Problemes de référence : descriptions définies et noms propres » المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 Camproux,Ch, Introduction , Les noms de lieux et de personnes de Christian Baylon et Paul Fabre. Edit. Nathan, Paris 1982, p.5.

الأشخاص<sup>1</sup> L'anthroponymie ، فإنّها في الدراسات العربية التراثية لم تخرج عن إطارها عناصر معجمية، لتعيين الأشخاص، في حين هي في الدرس اللغوي الحديث لا نجد له القيمة ذاتها، بل تتعداها إلى أبعاد دلالية أكبر من البعد المعجمي، لذلك نجد تداخلاً وتبايناً بحسب نظرة الباحث إلى هذه العناصر اللغوية، ما يثير غموضاً في المسألة، وهذا لما يتعلق بوضع الحدود بين الأسماء الأعلام وأسماء الأشياء<sup>2</sup>.

أما الأسماء الأعلام الدالة على المكان، مثل أسماء المدن وغيرها من أسماء امكنة نتوصل إليها وفق استعمالنا لها في اللغة.

فنحن في مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، قد نظمنا الملتقى الدولي الأول بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة العربية<sup>3</sup>، حول المواقع، وتبيننا مصطلح المواقع في مقابل مصطلح الطبونيميا الأجنبي<sup>4</sup> Toponymie في سنة 2008، لنكتشف في كتاب الأسمائية (2014)، المصطلح نفسه، منسوباً إلى د. بن مراد من تونس، ص16.

لكننا إذا ذهبنا إلى شيوع الأسماء الأعلام في الإنسان والمكان، فهناك من يوسع في هذه الأسماء إلى مجالات أوسع، حيث العلمية تتسع إلى أسماء الآلات والطائرات والسيارات، والمحلات، وأسماء أخرى كما هو الحال في أسماء الإنسان والمكان.

ولا يشهد هذا المصطلح أي اتفاق بين العلماء في تحديد مجالاته، ما يجعله محلّ خلاف بين العديد من العلماء ، لهذا تمّ تعيين مجال لاسم الشخص Anthroponymie، ومجال آخر لاسم المكان Toponymie .

## 1. - المواقع وسياسة العولمة

كان للعولمة أثرها في تنظيم المجال الطبونيمي ميدانياً وفق تصور عالمي يأخذ بالحسبان عالمية التسمية الطبونيمية مع مراعاة ضوابط بيئية قبل الشروع في أي تخطيط نظراً للأهمية التي تكسوها الطبونيميا في مجال التنمية.

<sup>1</sup> وقد أطلق عليها د. ابن مراد مصطلح الأعلامية في مقابل المصطلح الأجنبي، ينظر المرجع نفسه ص16.

<sup>2</sup> Ferdinand Brunot, La Pensée et la langue, 3eme éd. Parie, 1979, P40.

<sup>3</sup> تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية ، ينظم مخبر المعالجة الآلية للغة العربية الملتقى الدولي الأول :.....

<sup>4</sup> Bosanquet B, Logic – Or the morphology of knowledge, vol. I, Bristol,hoemmes. Presse. 1999, p158.

وذهب علماء الجغرافيا والبيئة والمحيط في ذلك مذاهب متباينة ، فوقفوا عند عتبة الطبيعة للحفاظ عليها من كل تخريب أو اختراق ضار، فتجدهم يبحثون عن كل المبررات التي يعدونها ذريعة مقبولة يقدمونها للإنسان عبر الزمان بتعظيم هذا المكان أو لإبراز قيته التاريخية أو الفنية أو الأثرية أو غير ذلك، ليكون مسوغاً يسمح بالمحافظة عليها في كل دول العالم، وهذا وفق قوانين سطرتها مؤسسات وجمعيات دولية ووطنية.

فكانت الفكرة التي استقطبت اهتمام العالم، دافعاً قويا لتلتفت الأمم المتحدة إلى هذا المجال وتدرک أهميته، فأولته عناية خاصة تسمح للمهتمين أن يلتفتوا للأسماء الجغرافية في كل بلدان العالم، فعقدت لذلك مؤتمرها الأول في جنيف سنة 1967<sup>1</sup>.

ولعلّ هذا الفضاء البيئي لونه بصمات تاريخية تركها عظماء أو سجلها زعماء ، فكانت الحروب والغزوات من أبرز العوامل التي غيرت الحدود الطبيعية للبلدان إلى حدود سياسية أو استعمارية، فتغيرت معها الانتماءات وتضاربت معها الأخبار وفق تجاذب المصالح وتضاربها، فكان تبعاً له سجلات تاريخية تتفاعل معها في تحليلنا للظواهر التي عرفها المكان أو شهد على أحداثها، فكان للاسم الدلالة الكافية عليها، والأثر المادي الذي يكشف خباياها. وما لا يمكن إغفاله، الآثار التي خلفتها تغيرات الطبيعة بالخراب والحرمات أثناء غضبها، بالزلازل، وهيجان البراكين، وقحط السنين وغيرها من الآثار التي أضرت بالبشرية - أفراداً وجماعات - كل ذلك كان في ذاكرة التاريخ، ووقفه تأملية في مكان ما من المعمورة لتسجيله نظماً أو نثراً تخليداً أو بكاءً أو وقوفاً على أطلال تنتظر من يعود إليها لاستحضار ما بقي في مخيال الخلف الذي يأبى نسيان ما خلفه السلف، ولا بد لدارس أسماء الأمكنة أن يقف بدوره على هذه الشواهد المادية أو اللغوية وما تركته الأيام لإبراز العلاقة التلازمية بينها.

قد يختلف العلماء في تحديد مجالات الاعتراف المعرفي لهذا العلم، إلا أنهم يتفقون على أهميته في تجميع الموروث الشعبي الذي يمدنا بأخبار الشعوب والأحداث التي عرفتها في مناطق لا تزال تشهد على ما سجلته الأشعار والحكايات والأمثال وغيرها من المنطوق والمخطوط وكل الروافد التي تحبب أيامها وأخبارها خاصة ما تعلق بالوثائق الأصيلة والتي نعتبرها حافظة دقيقة

<sup>1</sup> انعقد المؤتمر في جنيف بين 03 - 22 أيلول 1967:

وذاات مصداقية في قيمتها، وهي تلك الوثائق المتعلقة بالعقود عبر المراحل التاريخية، لكن المكان بدوره يخضع لتصنيفات بحسب الصفات التمييزية الطبيعية أو تلك التي خضعت لعمل العوامل، أو فعل الفواعل، أو متغيرات الزمان، ومنها : -

## ١ - التحولات الدلالية للطبونيمات

إنّ دراسة أسماء الأمكنة في التراث العربي قديمة، وتناولتها الدراسات اللغوية العربية، وتنوعت مدونات التواجد في القرآن الكريم وفي الشعر وفي أدب الرحالة وغيرها.

ولعل الوقوف على الأطلال<sup>1</sup>، كان من أهم قرائن ورود الأسماء الأعلام الدالة على الأمكنة، فلا تخلو قصيدة من المعلقات من طبونيمات، يتمّ بها تخليد هذه الأسماء التي اقتفت خطى العرب القدامى.

قد لا نهتم بواقع ورود الأسماء الأعلام الخاصة بالأمكنة في دراسة الشعر العربي بالمستوى المطلوب، لكن لما ننظر إلى ما كتبه طه حسين في رده على الذين يصفون القصيدة العربية بالاضطراب والاختلاف<sup>2</sup>، ويتكلّم عن توظيف اسم المكان فيها بالدقة والتحديد وما يلقّه من أحداث، هناك تعرف أنّ القدامى لم يستعملوه بدلالة المكان فقط بل تعدّاه إلى بيئة وسياقات ومتعلقات تلامس الجوانب المتعددة في حياة العربي.

ثمّ يتكلّم عن الشعراء القدامى كيف كانوا يعبرون عن انتمائهم للبيئة الشعرية التي يخرج فيها الإنسان عن الحياة الواقعية المادية، فيرى الشاعر في بيئة الديار وما يتصل بها، وما ذهب منها وما بقي، وما شهدته من أحداث، ومن معاناة السكان، ويقف طه حسين عند هذه الأسماء في معلقة لبيد بن ربيعة العامري<sup>3</sup> :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا  
بِمَيِّ تَأَبَّدَ عَوْهُهَا فَرِجَامُهَا

1 ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، الناشر دار المدني بجدة، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة الطبعة الثانية، سنة 1974، ص 16.

2 كان يتكلّم عن الوحدة المعنوية للقصيدة ويضرب المثال بقصيدة لبيد، قائلاً : «وأتحداك وأسألك أن تبين لي من أين يأتيها الاضطراب والاختلاف، وكيف لا تتم لها الوحدة إلاّ من الوزن والقافية؟»، ينظر : طه حسين من تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي ، ط 4، المجلد الأول، ص 332.

3 المرجع السابق ، ط 4، المجلد الأول، ص 333.

فَمَدَافِعِ الرَّيَّانِ عُرِيَّ رَسْمِهَا  
خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوُحْيِ سِلَامُهَا  
دَمْنٌ تَجَرَّمُ بَعْدَ عَهْدِ أَنْبِيئِهَا  
حَجَجٌ خَلَوْنَ خَلَاهَا وَحَرَامُهَا

فبوقوفنا على هذه الأسماء الأعلام الدالة على المكان، نجد أن القدامى تركوا لنا تاريخاً حافلاً وواصفاً لتحركاتهم من مكان إلى مكان في البادية ولسكناتهم فيها، ولا استقرار حضرهم في المدن، لأنّ هذه العناصر اللغوية (الطبونيمات) بتمييزها تجعل من السماء الأعلام أسماء متميزة في دلالاتها وإيجاءاتها، وبالوقوف على معنى الوضع الذي يعد أصل المعنى وتحولاته<sup>1</sup>، فهذا ليبد في بادية نجد، يذكر هذه الأماكن بأسمائها لأنه كان يعرفها، ويوظفها في نظم شعري كأنه بنيان تم إنجازه بإحكام، إن حركت مكوناً انهار وفسد كله، وفي ذلك يقول طه حسين : «... ولم يكن قادراً على أن يسمي أماكن نجد بغير أسمائها، ولكن حدثني عن هذه الأبيات الثلاثة، أتستطيع فيها تقديمها أو تأخيرها؟ وكيف يستقيم لك ذلك؟ ألسنت مكرهاً بحكم المعنى، وبحكم الترتيب اللفظي نفسه على أن تحفظ لهذه الأبيات بالترتيب الذي أراده الشاعر، لأن المعنى يفرض ذلك عليك فرضاً؟»<sup>2</sup>.

ولعلنا نفهم من هذا أن العرب وقفوا على المكان لتصوير العواطف والأشجان، وكل ما كان يرتبط بالوجدان لأهميته في حياتهم، فهو بمثابة السجل لهم مع الديار،<sup>3</sup> ولا يخفونها في الأشعار، وهي تراثهم الذي يعكس مسار واقع حياتهم في التنقل والاستقرار، وفي هذا التصوير، يقول طه حسين : «تمّ يمضي الشاعر في وصف هذه الديار، وما مر بها من أحداث وخطوب، على نحو من هذا الترتيب الدقيق الذي لا سبيل إلى تغييره، حتى يقول :

صُمَّاْ خَوَالِدَ مَا يُبِينُ كَلَامُهَا	فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا ، وَكَيْفَ سُؤَالُنَا
مِنْهَا وَغُودَرَ نُؤِيْهَا وَثَمَامُهَا	عَرِيْتُ وَكَانَ بِهَا الْجَمِيْعُ فَأَبْكُرُوا

1 شرح المفصل لابن يعيش، ج 1، 19/18.

2 طه حسين من تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي ، ط 4، المجلد الأول، ص 333.

3 ينظر : أبو علي الحسن، ابن رشيق، كتاب العمدة، ، 1/ ص 563 - 564.

وبهذين البيتين قد بلغ الشاعر أربه، وأبلغك أربك من ذكر الديار ووصفها»<sup>1</sup>. والواقع في التصوير للمكان وعلاقة الشاعر لبيد بهذه الديار تصوير للعلاقات التي كانت بينها وبين من سكنوها، والحال هذا لا يُحمل إلا عبر هذه الأسماء التي تشحن بالدلالات والإيحاءات.

ومع ذلك فالعينة التي تعكس هذا الاهتمام بالمكان، لا تقف عند الشعراء القدامى، بل تناول ورود هذه الأسماء في التراث العربي دارسون ونقاد، وكانت مصب اهتمام بالغ لما لها من آثار على مجالات علمية متعددة ومنها تحديد هذه الأماكن في الخرائط، وتتبع التحول التسموي وما صاحبه من دوافع يبررها التطور الحاصل في المجتمع وعوامل التاريخ التي تعدّ سرّ التغيرات في حياة الأفراد والمجتمعات.

أما الاهتمامات العلمية وإحداث تخصصات دراسية للإحاطة بالمجال أقصد بالأسماء الأعلام وأسماء الأمكنة، فهي حديثة العهد وتعد من التخصصات الفتية التي وقفت عندها النظم التعليمية وضغوط العولمة في عصر التكنولوجيا التي كيفت النظر إلى هذه العناصر اللغوية فأخرجتها من وعاء المعجمية والدلالية التي تفرضها الوظيفة التبليغية والتواصلية إلى استثمار في شتى المجالات كالشبكة العنكبوتية والاتصال الإلكتروني مثل الاستدلال الإلكتروني على الأماكن، وكشفها وتحديدتها، (GPS، GPRS، GSM) إلى غير ذلك من الوسائل، ولا يمكن ذلك إلا بالاعتماد على هذه الأسماء أو بتشفيرها، أي أن مجالات استغلالها تكنولوجيا متعددة، ولا بد لنا من مرجعية لذلك أو قرائن في تأصيلها أو تعيينها كما هو الشأن في مسح الأراضي CADASTRE في تحديد العقار والأملاك.

إذن هي وظائف متعددة للأسماء الأعلام في العصر الحديث، ومن هنا يتضح أن الاهتمام في العالم المصنّع يتماشى والبرامجاتية الاقتصادية واللغوية في علاقة تلازمية، وللبحث العلمي نصيب من هذه المساهمة للتنمية في العالم.

ولم يكن هذا الأمر وليد العصر، وإنما كانت الفكرة قديمة عند الإنسان، بدأت مع الحاجة للتعاون والتشارك بل ربما كانت أسبق من ذلك طلبا للتضامن بين الأفراد من ذوي القربى أو العلاقات القريبة، فكان الأصل في ذلك كله الحاجة إلى التنظيم، وزادت الحاجة إلى

<sup>1</sup> طه حسين من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، ط 4، المجلد الأول، ص 333.

ذلك مع الاهتمامات المتزايدة للمجتمعات الحديثة، وتوسعت معها الطلبات على التخصصية وتنوع المجالات، فكان للتكنولوجيات الحديثة التحدي الأكبر في سرعة الاتصال، وسعة التواصل، فكان نتيجة لذلك أن تحول العالم إلى قرية صغيرة تحتاج إلى إدارات النظم الاجتماعية في بقعة جغرافية لا تعترف بالحدود بين دول العالم<sup>1</sup>.

## ب - إشكالية الرومنة<sup>2</sup>

إنّ واقع التعامل في المجال الطبونيمي في الداخل والخارج، أسال كثيراً من الحبر، ولكن دون جدوى، نظراً لصعوبة الاتفاق على لغة خطية عالمية تقرّبنا إلى عملية الجرافيمات الإنسانية، بل أحياناً الرموز الخطية، ولعلّ الذي أراده أصحاب هذه الدعوة لتقريب الاصطلاح على الرسم الخطي أشبه بالكتابة الصوتية العالمية.

إنّ الرومنة Romanisation في هدفها المباشر، مشروعة ومبتغاها نبيل، إلّا أنّنا في عالمنا العربي، نذهب في اعتقادنا الجازم، إلى ربط الحرف العربي بديننا، وفي حالات كثيرة لا نفقده قدسية التوقيف، ولذلك وجوب التحفظ وارد في دول كثيرة، وأنّ توقيفه في عقيدتنا حقيقة، لأنّ الوازع الديني في تسيير أمورنا، يحضرننا في مواقف كثيرة ذات البعد الانطباعي، والانتماء الثقافي العربي، الأمر الذي يزيدنا إلحاحاً وتمسكاً به ولا يسمح بالتنازل عنه لهذا الاعتبار، ولا اعتبارات أخرى أشرفها ذلك الذي يربطنا بهويتنا بما تعنيه وتحويه.

ومن جهة أخرى، يذهب دعاة الرومنة إلى مبررات موضوعية، ويتفهّمها أصحاب البراجماتية لمطواعيتها التداولية في الحياة الاجتماعية، وبخاصة في عصر العولمة ونفوذ تكنولوجيا الإعلام والاتصال، ودواع أخرى - لا يمنعنا تعلقنا بهذه اللغة الشريفة من ذكرها - منها :

<sup>1</sup> هاني عبد الرحمن صالح الطويل، الإدارة التعليمية، مفاهيم... وآفاق، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى، عمان سنة 1999، ص 2،3.

<sup>2</sup> الرومنة : المقصود بها في كتابة الأسماء الأعلام في اللغة تمثيل اللفظ بالحروف الرومانية، أي الرومنة حالياً، كما هو حال تمثيل اللغة التركية في يومنا بعد ما كانت تكتب بالحرف العربي، وهو اعتماد نظام عالمي لدى هيئة الأمم المتحدة لكتابة الأسماء الجغرافية بالحروف الرومانية.

تمّ تأسيس فريق من خبراء الأمم المتحدة يهتمّ بالأسماء الجغرافية UNGEGIN بنيويورك، لتوحيد الأسماء الجغرافية على الصعيد الدولي. ينظر : دليل توحيد الأسماء الجغرافية على الصعيد الوطني، إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، الشعبة الإحصائية، نيويورك 2007م، ص د.

- سياسة الرومنة دعوة قديمة ومتجددة<sup>1</sup>.
  - تمت الدعوة الأمية للكتابة بالأحرف الرومانية، على اعتبار أنّها الوحيدة التي تصلح للعالمية، وهي مغالطة في اعتقادنا<sup>2</sup>.
  - الرومنة تمثل اعترافاً بشيوع الحرف الأجنبي وصلاحيته بديلاً عن الحرف العربي، وغيره من الحروف اللغوية العالمية.
  - وفيه مصادرة لرأي دعاة التنوع اللغوي في العالم.
- فأينا في وقفنا مع هذا الإجراء الشائك، والمطلب النافع الضار في آن واحد، أن نبدي بالرأي الذي نراه أخف الضررين، بين مسأيرته لعولمة لا تستأذن ولا ترحم، وصيرورة بفعل الحاجة للتواجد في العالم وسوقه، وكيئونة تدعو إلى الاعتزاز بمجد الحرف العربي الذي لا يزال يحتاج من يحقّقه في مخطوطات تقبع لقرون في رفوف الزوايا والكتاتيب.
- كل هذه الاعتبارات، التي خطّت قراراتها في واقعنا، وبحسب ما يمليه علينا الفهم، لا بدّ لنا من المحافظة على حرفنا العربي الذي يعكس كماً نوعياً في استعمال العالم العربي - وفي كثير من الأحوال العالم الإسلامي - ووجوب تواجده في العالم دون إلغاء أو تغييب لمطلب الرومنة، فيكون الظهور تلازمي في العالم وسوقه في هذا المجال الحيوي للمواقعية.
- ومن باب الإنصاف، تتبنى دول العالم لغاتها في الواجهة المواقعية بالتلازمية ذاتها، فلكلّ أمة حق في كتابة طبونيماتها بلغاتها للحفاظ على هويتها، ورومنتها بغرض تمكين غيرهم من الشعوب منها، وذلك أضعف الإيمان.

### ج - السياسة المواقعية في الجزائر

إنّ البحث في واقع الجزائر الطبونيمي لا يعكس رؤية واضحة في هذا الجانب، لأنّ واقع الحال يكشف عن متناقضات لا يمكن حصرها لا شكلاً ولا مضموناً، وقد تفتن المسؤولون إلى الأمر في هذه السنوات الأخيرة لتبدأ حملة لوضع أسماء الشوارع والدروب بتوحيد شكل اللوحات مع تسجيل اسم الشهيد وتاريخ استشهاده.

<sup>1</sup> ينظر : سياسة الرومنة في بلاد المغرب من سقوط الدولة القرطاجية الى سقوط موريطانيا.

<sup>2</sup> يذهب أصحاب هذه الدعوة إلى رأي مفاده أنّ هذا الرسم الخطي، يمثل كلّ الحروف اللغوية العالمية، وهو ادعاء باطل، لا يعدو أن يكون سياسة هيمنية غير مؤسسة علمياً

أما باقي اللوحات الإشهارية وغيرها فلا تنميط ولا تعريب ولا رومنة، فهي حرية تصرف وفوضى في الواقع.

وإننا في محاولة واصفة لم نستطع الجرد ولا التصنيف، نظراً لغياب المعيير التي نحتكم إليها، فهي مبادرات فردية تختلف من مدينة إلى أخرى.

## 2- الدراسات البينية والتراث الثقافي

تتعدد الوجوه الممثلة للتراث الثقافي للأمم بنوعيه المادي واللامادي، وربما نجزم بوفرة هذا الأخير، فهو رغم روافده المتنوعة قد يعدّ أكبر سجلّ لأكثر خزان ثقافي في موروث الشعوب، ففي ملامسة موضوع التراث الشعبي مثلاً، نجد لنا في جزئه الأوفر في الشعر الشعبي. فلو وقفنا - على سبيل المثال لا الحصر - على هذا المنتج الأدبي الشعبي في عينة تمثل الشعر الشعبي في الثورة التحريرية، وأثره في حفظ تاريخ الشعوب، بل وفي الوقوف على الهوية باعتبارها إحدى المقومات الأساسية والحساسة لأي أمة، لوجدنا زخماً لا تغطيه الدراسات ولو جمعنا له مخابر البحث والفرق البحثية التي تنشط في المشاريع المختلفة، ولأسماء الأمكنة<sup>1</sup> في هذا النمط الأدبي نصيب، فالأمكنة التي خلدت بطولات الثورة الجزائرية، في كل ربوع الوطن، حققها المجاهدون والشهداء وخلدها الشعراء، وسجلتها كتابات جزائرية أثناء تصوير البطولات بالكلمات، وتفصيل الأحداث في فضاءات الزمان والمكان<sup>2</sup>.

---

<sup>1</sup> تشكّل ثنائية المكان والزمان أبرز المكونات الأساسية في بناء القصة الثورية الشعبية. فهما يدخلان في علاقات تلازمية مع المكونات التصويرية الواصفة، كالشخصيات والأحداث، وعادة ما يوصف المكان بأنه المحدد لمسرح الأحداث، أو الحيز الذي تتحرك فيه الشخصيات، أو المكان الذي تقيم به، ومن ثم تكون العلاقة تبادلية عندما يأخذ اسم المكان اسم الشخص (الأنتروبونيمات)، أو تباينية عندما تكون العلاقة تلازمية بين الشخص والمكان، في حالة الإقامة به، وهي علاقة ضرورية، ليكتسب المكان وظيفته الطبيعية، صفاته ومعناه المعجمي من أصل الوضع، وكذلك دلالاته السياقية.

<sup>2</sup> طبونيمات لتخليد الشهداء (Edonymes).

وما تجدر الإشارة إليه ، في تحديد البصمات التي تميز هذا الشعب، لا بدّ من الوقوف على التراث المادي واللامادي، ولا يتأتى ذلك إلاّ من خلال الثقافة التي تعدّ الرافد الأساسي للهوية، والمحدد المباشر لخصوصياتها، فهي . أي الهوية الثقافية . الجدار<sup>1</sup> الواقعي من أي غزو ثقافي أجنبي، والدعم القوي للصمود في مواجهة محاولة طمسها من قبل الاستعمار الذي أضحى يهدد الشعوب في عقر دارها بالقوة ويخترق حدودها، أما اليوم فالغزو أكبر من ذلك الذي كان بالأمس، فهذا أوسع في عالميته، وأكثر تأثيراً بعولمته.

وفي طرح هذه الإشكالية وارتباطها بالمكان، فهي إشكالية ذات تفعيل ثنائي لأثما في علاقة شبه تلازمية<sup>2</sup> - الهوية والثقافة - تظهر المسألة الخلافية بين المبادئ والأسس التي تميز التراث الثقافي في تحديد الهوية وبين الصمود في وجه محاولات الطمس، والحفاظ عليه وتمتينه ليتواصل مع صيرورة الأجيال وتطور الحضارات.

ومن هنا تطرح التساؤلات الكبرى، لتعالج في ظل الدراسات اللغوية والجغرافية، وغيرها من الدراسات التي ترتبط بالعلوم النظرية التي نستقي منها الكم الهائل من المعلومة الخاصة بالمحيط الذي نتواجد فيه، بتلويناته الثقافية، وتاريخ المسار اللغوي وما يعرفه من تطور، وربط كلّ هذا بالأشخاص الذين كانوا يقيمون بهذا المكان.

والدراسات البيئية، تعطي للمكان معنى وإيحاءات لا نتوصل إليها إلاّ بقراءة متعددة الزوايا، ولا يمكننا في الوقت ذاته إغفال اسم المكان الذي تغنى به الشعراء لحمل الأخبار، ووصف الأحداث التي يشهد عليها المكان، فكانت وفتاتهم سجلات تاريخ العرب في منظومات حفظها الرواة قبل الكتب.

---

1 عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر 2011م، ص 2

2 ينظر علاقة مكان الميلاد بالإنسان، فهي أيضا من العلاقات التلازمية التي تعتبر من مميزات الشخص ومن الصفات المحججة لهويته . ينظر :

- Kadmon,N. *Toponymy The Lore,Laws and Language of Geographical Names*.Vantage press, New York 1997, p4 .

وإذا كانت الطبونيمية<sup>1</sup> تعدّ من العلوم الفتية، فهي لا تلامس اسم المكان من زاويته المتعددة فحسب، بل تبرز هذا الموروث الشعبي للأمم، على أنه مرجعية معرفية، وهي الكاشف عن خزّانه المغمور، وذلك لانطلاقها من التراث متمثلة في عناصر لغوية (طبونيمات) مستعملة في سياق تاريخي يصور أحداث الشعوب للدلالة عليها، وقريبة أو شاهداً أو مرجعاً، لا يمكن للدارس أن يغفل قيمته في احتوائه للأحداث، ولا يمكن له أيضاً أن يقرأ هذا التراث دون أن يقف على علوم تمثّل مفاتيح لحلّ ألغازه، وولوج أسرار الحقب المتعاقبة بدلالاتها المتغيرة، والتي تسمح للقارئ أو الدارس أن يستفيد من الأدوات والإجراءات التي توفرها الدراسات البينية والحقول المعرفية التي تستقيها منها، قبل أن تستنطقها، بالتحليل والنقد والاستنتاج لكشف المستور فيها، وفك خيوطها المتشابكة والضاربة في أعماق التاريخ بمستوى أصالة هذا الشعب. وللإشارة، لا بد للدارس في هذا المجال أن يلمّ بعلم محيطه - قد تكون فرعية - تمكنه من الوقوف عليها وفق زوايا النظر - السابقة الذكر - التي يتمتع بها القارئ.

ولا بد للقارئ العربي من ملامسة تراثه - زيادة على هذه الدراسات البينية - أن يتمتع بالذوق الفني أو الجمالي، لتكون لهذه الدراسات الموضوعية تكملة انطباعية وفق ما هو معروف في علم النفس الإيجابي، الإضافات المتعلقة بالنظرة الفنية الممتعة، تكون فيها المسحة الجمالية ذات البعد القيمي الشعري والثري، وبتحكم لأدوات إجرائية ومنهجية، توظّف فيها زوايا الظل المفضلة - لميشال لوري على سبيل المثال - تعميماً للفائدة.

تلك هي الملامح الكبرى لمجال التحرك من زوايا متعددة، يكون فيها لابن الهيثم والمسالك المنتهجة بصمة، لإضفاء المنهج العلمي، وبيان أهمية الدراسة البينية لهذا التراث العربي.

---

1 تعدّدت الأسماء المقابلة لمصطلح «الطبونيميا»، فمن أسماء الأمكنة التي ترجمت إلى العربية بالاستناد على المعنى اليوناني لمصطلح «Toponymie» إلى اسمكانية بتركيب<sup>1</sup> مزجي لغوي وفق ما يمليه النظام اللغوي العربي بوجه من وجوه تنمية اللغة العربية بالاشتقاق فالأصل في الكلمات الإفراد، فالمركبّ المزجّي : هو ما رُكّب من كلمتين أو أكثر امتزجتاً حتّى صارتا كالكلمة الواحدة، قال ابن يعيش عن هذا المركّب: "مُزج الاسمان وصاراً اسماً واحداً بإزاء حقيقة، ولم ينفرد الاسم الثاني بشيءٍ من معناه، فكان كالمفرد غير المركّب"<sup>1</sup>.

لثنائية الزمان والمكان دلالة عاطفية ارتبطت بحياة العربي وتنقلاته واستقراره، وخلدها في أشعاره، فهو سجلها في الشعر الجاهلي في وقوفه على أطلال ذكرها بأسماء لا تزال شاهدة على أحداثها وذكرياتهم.

ولعلّ ما يربط الشعراء من وجدان بهذه الأطلال، وما تستثيره في في النفوس من ذكريات ترتبط المكان بتعلق الشعراء لما يقدّمه من تجربة في الحنين والشوق، خاصة وأنّ البدوي يتسم بالارتحال والتنقل لقهر الطبيعة وقساوتها، وتقلب الأوضاع الاجتماعية والسياسية لارتباطها بموارد المياه، وكثيراً ما تكون سبباً في نزاعات وصراعات تحتم على الرحيل. ولما يعود الشاعر إلى داره التي فارقها مكرها، فيقف متأملاً ومتألماً على الفراق، فينظر إلى الرسوم وإلى الآثار التي يتعرّف عليها، ثم يعيد بناءها وفق الذكريات التي يستحضرها بشوق وحنين إلى أهلها، فيذرف الدموع من أجلها<sup>1</sup>. فهذا الشعر الجاهلي الواصف للأطلال، يتخذها وسيلة للتعبير عن تجربة الوقوف بها في الحياة البدوية الجاهلية<sup>2</sup> :

أُقْبِلْ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارِ      أَمْرٌ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى  
وَمَا حَبِ الدِّيَارِ شَغْفَنَ قَلْبِي      وَلَكِنْ حَبٌّ مِنْ سَكَنِ الدِّيَارِ

فقد وقف شعراء على أطلال تحمل ذكريات، وعواطف وتخييلات، وبقايا ديار، ومعها بقايا أحاسيس لا تحتفي، وجراح لا تلتئم، هي صور المكان، وذكر الديار، رسمها الشاعر وربطها بالمكان العام، لكن مواقف كثيرة يذكرها بالاسم الذي يعينها في مثل قول امرئ القيس:

ففا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ      بسقط اللوى بين الدخول فحوملٍ

<sup>1</sup> عبد الستار فراج، ديوان مجنون ليلي، مكتبة مصر، د.ت، ص 170.

<sup>2</sup> قيس بن الملوّح ويعرف مجنون ليلي 645م، 688م، شاعر الغزل العربي، من أهل نجد. عاش في خلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن الأول من الهجرة في بادية العرب. لُقّب بالمجنون للقيامه بليلي العامرية التي عشقها ولم يوفق في الزواج بها، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويتغنى بحبه العذري، فيرى حيناً في الشام وحيناً في نجد وحيناً في الحجاز.

(سقط اللوى) و (حومل)، تحديد المكان بالاسم، ليستحضر ماضياً وأحداثاً، من خزان الذكريات، تحرك وجدان الشاعر وعواطفه، فلم يعد ما بقي من حجر مجرد طلل بل هو ما يحمله من صورة وخبر.

وهذا النابغة الذبياني في وقفته على الديار، يقول:

يا دارَ مَيَّةَ بالعلْيَاءِ، فالسَّنْدِ،  
أقوتُ، وطالَ عليها سالفُ الأبدِ  
وقفتُ فيها أُصَيْلَاناً أُسائِلُها،  
عَيِّتُ جواباً، وما بالربعِ من أحدِ

دأب الشعراء القدامى على إبراز علاقتهم بالمكان وما تزال وثيقة مع المحدثين، فهو يحرك وجدانه وشاعريته أثناء تفاعلها مع المكان وتداعياتها مع الذكريات والأشجان.

استنطاق المكان يصور الحالة النفسية للشاعر، والأطلال تمثل الإيحاءات التي يقدمها المكان، ورمزية البقايا في تمثلات شعرية لا تخفي الإحباط الذي يمثله غياب الأهل والأحبة، فأنسنة المكان تصور الحنين إلى الديار والعواطف الجياشة التي تثيرها مشاهد بقايا الأطلال<sup>1</sup>.

ونجد في اسم المكان تخليد الحدث - كما سبقت الإشارة إليه - في حياة الإنسان، ولنا في تراثنا الجزائري، حالات لا تحصى، ففي البعد الثوري في شعرنا الجزائري الملحون، ما تغنى به شعراء، فوقفوا بدورهم على المكان، وخلّدوا اسمه بوصفهم للأحداث التي تشهد عليه بحسب المراحل التاريخية.

## 1 - أهمية المكان في التراث الشعري

لعب المكان في التراث الشعري، دوراً وظيفياً واضحاً لدى شعراء الثورة. وشغل حيزاً بارزاً في تاريخ الأمم، بل وفي ما تمثله الشخصيات من بطولات، وفي تفكير العديد منها، واتخذ معان تنوعت بحسب الأدوار المنوطة بها، في الأحداث التي دارت رحاها في المكان.

تعددت دلالات المكان السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وتعددت معها قراءة رموزها التي لونتها، في الثورة التحريرية بما حملته من عناوين الكفاح، وفي الألوان الأخرى تُشحن

<sup>1</sup> فريد جحا، الحنين إلى الوطن في شعر المهجر، المطبعة العربية، الطبعة الأولى، حلب سوريا، ص80.

بدلالات وإيحاءات يحملها اسم للمكان لتخليد أحداثها عبر الزمان، كما ارتبطت بمراحل الحياة الاجتماعية فكان تصويرها من قبل الشعراء في الثنائية ذاتها، المكان والزمان.

وقد عرفت الدراسات الأدبية عموماً، والدراسات الروائية العربية خصوصاً، اهتماماً باسم المكان واستعمالاته ورمزياته، وبدأت تتجه إلى كشف شعرية المكان وجمالياته، وأصبح المكان يوظف توظيفاً فعالاً في الأعمال الذكورية والنسوية<sup>1</sup>.

لذلك، نحن نعدّ المكان، ومن خلال طبونيماته، المدخل الحقيقي لكل الأعمال الأدبية بل والمعرفية نظراً لتقاطعاته مع كل المعارف والفنون.

وظل صراع الإنسان مع الطبيعة واستمرارية الزمن في صعود وهبوط، صورته وخلده الإنسان بذكر أحداثه في كل فنون الأدب، يصف الأحداث، ويصور الأحوال بالاعتماد على قرينتي المكان والزمان.

ولمسرح الأحداث في الشعر الملحون - في كثير من الأحيان - مجال معرفي يصف أدق الأمكنة بأسماء تحدّد طبيعة الأرض والسكان، بذكر مدنها، وقراها، وأحيائها، وشوارعها، وبيوتها، وكل ما يمثل ملجأ للإنسان ومأوى له.

ويتصل القارئ بالقصيدة، فيقف على أسرارها بالتحليل، ليدرك البعد الدلالي للمكان، والوقوف على أمور ما كان ليصل إليها بهذا القدر، لو لم يكن للطبونيم هذا الدور الوظيفي الذي يوضّح العلاقة بين المكان، والشخصيات المتعاقبة عليه، وتحديد البصمات التي تميزه من خلال هذه الآثار المحفوظة في هذا التراث.

ولعل أول ما يلاحظه القارئ على هذه الطبونيمات، التباين البيّن في وصف المكان وأبعاده، وتتبع الأحداث بجزئياتها، وتوظيفها بصورة فنية تؤدي الوظيفة الخفية المرجوة منها، تحفيزاً أو تصويراً، أو حفظاً لتاريخ الأمم لرفعها إلى الأجيال، أو إلى الدارسين والمخططين لتقديمها أعمالاً أو أرضية يعتمد عليها أو وصفاً لواقع تاريخي بحيث يندمج الماضي مع الحاضر للتخطيط لمستقبل الأجيال.

<sup>1</sup> ينظر : خالد حسين، شعرية المكان في الرواية الجديدة: الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً: كتاب الرياض - العدد 83، الرياض السعودية 2000م.

ففي التوظيف الفني للمكان في الشعر العربي الملحون، يوجد رسائل الأسلاف محمولة بالقصد أو بدونه، وفي قراءة الباحثين للطبونيمات تفكيك لهذا الرسائل، على اختلاف للقراءات ، وإن كانوا جميعاً متفقين على أهميتها، ومشدودين إليها بكل حواسهم، لأنها تمثل جزءاً من وجودهم كيانهم.

فإذا كان القدامى يعتبرون الشعر عموماً، سجل تاريخ الأمم، لحفظ أيام العرب في الجاهلية أو في الإسلام، فالمكان - عندهم - كان دوماً محطة يقف عندها الشعراء، مصورين ذكريات الماضي بوقوفهم على أطلال من عمّروا بالأمس هذه الديار، وأما في شعرنا الحديث، فلنا شعر الثورة الجزائرية، مرآة عاكسة للبطولات، وكان المكان فيه فضاء الذي تصوّر فيه الأحداث، والاسم ملازمة المكان، والمعاني والدلالات معلومات وأخبار عن المكان، وأبعادها إيجاءات، لا تُكتشف إلاّ بقراءات الأجيال، ووقفات الاستذكار، وتأمل الأخلاف لاستحضار واقع الأسلاف عبر الزمان، ولعلّ ما قاله الفرزدق يمثّل أحسن توضيح لقراءة هذا التراث: «علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا»<sup>1</sup>.

أما عن التراث المادي، فالأمر لا يقل أهمية عنه في التراث اللامادي، لذلك لا نكتفي بالإشارة إلى المعالم الأثرية على اختلاف أنواعها المتواجدة بمختلف المناطق المترامية عبر ربوع الوطن، بل تتعداه إلى تلك الجزئيات المنقولة، والدالة عليه، فهي متواجدة في المتاحف والمؤسسات، والزوايا ، والديار الخاصة، وهذه على أهميتها التاريخية والثقافية محفوظة رغم المخاطر التي تحيط بها من الأيدي العابثة والمتاجرة بها في الداخل والخارج.

أمّا الأصعب في بلادنا، وهو الذي نجهل عنه الكثير، فذلك الذي تحوم حوله التساؤلات العلمية الأعمق، نظراً لقلّة إمكانياتنا المخبرية، وهو المتعلق بالحفريات والمتحجرات وما ينجرّ عنها من مستحاثات نادرة، وبحاجة إلى قراءات علمية دقيقة، بخلاف ما سبقت الإشارة إليه في محتويات المتاحف وأهميتها، إلاّ أنّها أبعد عن مكان الأصل، ويصعب تأصيلها مكانياً، فقد تحبّب هذه الحفريات أو الآثار المادية - التي تعود إلى وقت طويل في ماضي تاريخنا - معلومات تصحّح كثيراً من الأحكام، وهذا ممّا نفتقر إليه.

1 تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب سنة 1992م، ص 165.

ولعل ما ذهب إليه ابن خلدون متقدماً عن معاصريه في تصنيف اللغة ضمن سياقات جغرافية وتاريخية واجتماعية، تتقاطع - كما يراه نخبة من الباحثين - أحياناً مع التصنيفات المعيارية من مثل لغة الأشراف ، ولغة التوقيف ، ولغة الأدب<sup>1</sup>، مما يكشف لنا عن أنباء تضاف إلى ما تتوفر عليه فزيد الأمر جلاءً ووضوحاً.

## ب - الآثار المادية لاسم المكان

إنّ الحضارة العربية بنيت على اللغة في أساسها لأنها تمثل البعد القومي لهم، فهي بسحرها وبيائها، تركت بصماتها في كلّ مكان استقرّ به العرب، وبكلّ موطن وطئه قدم مسلم، لذلك اتسمت هذه اللغة بشموليتها وملاستها لكلّ مناحي الحياة، فكان للكلمة دورها، وكان لاسم المكان تصويره لكل ما يدور من أحداث ووجدان في المكان. ونظراً لعلاقة العرب بلغتهم، كانت هي الحامل للحضارة والفنون في تماثلها وأشكال ظهورها الثقافية<sup>2</sup>.

وحتى لا نقع في الفساد الأخلاقي الذي ذكره ابن خلدون حول المدينة والحضارة، لا بد لنا من التقيد بالمنحى الإيجابي لتصوير الحقائق التراثية والالتزام بالأبعاد الثقافية التي تحمل المقاصد النفعية للاستثمار الاقتصادي في تعاملنا مع المجال، كاستغلال السياحي والتجاري باعتماد التمايز واكتساب الفضائل في توظيفها<sup>3</sup>. وإننا في الجزائر، بهذا التنوع اللغوي العربي / الأمازيغي، نكون قد أحكمنا القاعدة الأساسية لهويتنا، نعمل على توصيل هذا الموروث الحضاري إلى العالم، وفي الوقت ذاته نستفيد من الموروث المادي والفكري الإنسانيين<sup>4</sup>.

1 محسن بوعزيزي، اللغة وروابط الهيمنة عند ابن خلدون، اللسان العربي وإشكالية التلقي، سلسلة كتب المستقبل العرب (55)، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، أغسطس سنة 2007، ص 153.

2 حافظ إسماعيلي علوي، نحن واللسانيات بحث في إشكالات التلقي، اللسان العربي وإشكالية التلقي، سلسلة كتب المستقبل العرب (55)، أغسطس 2007، ص 102.

3 محمود الذوايدي، أضواء على علم العمران الحضري الخلدوني، فكر ابن خلدون الحداثة والحضارة والهيمنة، سلسلة كتب المستقبل العرب (54)، فبراير 2007، ص 115 - 127.

4 بوجعة هيشور، اللغة العربية مقاومة ومصير، اللغة العربية، من محنة الكولومبالية إلى إشراقة الثورة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دار الأمة، الجزائر سنة 2007، ص 24.

فالمتاحف في الجزائر من أهم المؤسسات التي تتوفر على التحف الأثرية، وهي في الوقت ذاته تعدّ حافظة للتراث المادي من الضياع، لكنّ دراسة محتوياتها من الماديات الموضوع على رفوفها، لا تخضع للدراسة التاريخية للملاسة تغيراتها، ولا تأصيلها لمعرفة أماكن وجودها إلاّ ما نذر.

فإذا كان من واجبنا التركيز على الآثار المادية في مقابلة اللامادي، فإنّ أوضح صورة في المجال الطبونيمي، هو ما يرتبط بالمعالم الأثرية نظر لتراكمات الزمان في توضيح المكان. كما أننا - وفي قراءة لكتاب المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بمدينة تلمسان للدكتور الرزقي شرقي<sup>1</sup> - استطعنا من خلال الأعمال التي تم تقديمها بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الوقوف على أعمال ليست بالهينة، تعكس الكم الهائل لهذا التراث، وإبراز قيمته التاريخية، وما بقي من معالم الأثرية، وما يمثل ذلك من الأشكال الفنية، في صور الأرشيف، والزخرف القائم في لوحات وجدران وغيرها من الحوامل التي تشهد على وجوده وصموده.

وما يمكننا الإشارة إليه في هذا المجال تواجد أرشيف لهذه المدينة - التي أخذت أسماء متعددة منها لؤلؤة الغرب، والجوهرة والباهية وغيرها - في كثير من الدول الأجنبية ومنها تركيا، وفرنسا، وإسبانيا، وغيرها، الأمر الذي يستدعي إعادة ما يتعلق بها أو على الأقل نسخا منها، لدراستها أو تصنيفها.

ولعلّ التراث المادي يوصلنا إلى أقدم القراءات من خلال بقاياها العديدة، ومنها المستحاثات أو الأحافير أو المتحجّرات<sup>2</sup>، ومن خلال الحفائر تظهر لنا أشكال الحياة بالآزمنة السحيقة، ومنها إلى ظروف معيشتها، وحفظها خلال الحقب الجيولوجية المختلفة.

---

<sup>1</sup> الرزقي شرقي، المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بمدينة تلمسان، في عدسات مصوري القرن (19م)، نشر ابن خلدون - تلمسان سنة 2013.

<sup>2</sup> واحدها المستحاثّة أو الأُحفور، أو الأُحفورَة، أو المتحجّرة، وهي بقايا حيوانات أو نباتات محفوظة في الصخور أو مطمورة، ونظرا لطول الأحقاب الزمنية الضاربة في التاريخ، تمّ تحليلها خلال هذه المراحل التاريخية، ويطلق عليها : "علم الحفائر للإتسان والحيوان (باليونتولوجي)".

لاشك أنّ العلامات المادية التي نعتمد عليها في قراءة بعض أسماء الأمكنة عندما تغيب الكتابات حولها، تعتبر خير معبر عن الجانب المادي للحضارة.

ويمكننا معرفة القيمة الحقيقية للغة، عندما نعرفنا بماضيها البعيد والقريب، وتكشف لنا الستار عن وجودنا القومي والحضاري عبر تاريخ طويل، من خلال مخلفات الأمة وآثارها، ومن هنا تظهر أهمية اللغة التي تلعب دوراً مهماً في إبراز الأنشطة الحضارية للأمة<sup>1</sup>.

فالوقوف على هذه المستحاثات يعدّ من أهم الروافد المادية التي نعتمد عليها في قراءة الطبونيمات ذات العلاقة بها .

إنّ تتبّع العلماء لمعظم الحفائر، يوحى بأنّها للحيوانات والنباتات التي عاشت في الماء أو دفنت في الرمل أو الجليد، ولا بدّ من لنا من الاعتماد عليها لأنها تكوّن مادة للدراسة المخبرية والتحليل العلمية التي تزوّد الباحثين بالمعلومات والتأصيل للكائنات الحية عبر الحقب التاريخية المختلفة بما فيها الإنسان.

ولا بدّ من الوقوف على ظاهرة الحفائر التي نستثني منها الأسماك، لأنها في ما يعرف عنها لا تصبح حفائر، ذلك أنّها عندما تموت، لا تغطس في قاع الماء، لهذا فإن حفائر الأسماك لا تظهر إلاّ في حالات قليلة، بفعل المد والجزر. ونفوقها على الشواطئ غير وارد ولا تبقى على الشواطئ.

ما تجدر الإشارة إليه، هو أنّ العظام التي يعثر عليها علماء الآثار<sup>2</sup>، هي بمثابة المرشد المادي لكثير من القراءات والاكتشافات في كل أنحاء العالم، وفي كثير من الأحيان تكون مصدراً للمعلومة، بل وإلهام العلماء للاستدلال على حياة المجتمعات في الحقب الغابرة.

---

<sup>1</sup> ياسين خليل، اللغة والوجود القومي - اللغة أسئلة التطور الذاتي والمستقبلي - سلسلة كتب المستقبل العربي (46)، ص 38/37.

<sup>2</sup> المقصود بالعظام كل أنواع العظام بما فيها : الهيكل العظمي وعظام الرأس، والأسنان، سواء كانت للإنسان أو الحيوانات والتي لا يشهد عليها إلاّ بقايا عظمية، يقف عليها الباحثون، وكذلك الأسنان والجماجم التي تبقى لمدة طويلة تصل عند بعضها لملايين السنين كما هو الشأن في عظام الفيلة.

لقد وجدت على صخور الجبال أو تحت طبقات الجليد، والتلال وفي رمال الصحاري، وفي همم البراكين متحجرات، اعتمد عليها الباحثون في تحديد عمر الإنسان، وأصوله، وتمكنوا من التعرف على طول حياة النباتات والحيوانات في الحقب التاريخية والجيولوجية المتعاقبة، من خلال الأحافير التي عثروا عليها.

لذلك، عندما نقف على طبونيمات منطقة ما وهي تحمل أسماء نباتات غير موجودة أو حيوانات بائدة، يتساءل الواحد منا، عن سبب هذه التسمية التي لا توحى بوجود هذا النبات أو ذاك الحيوان، لكن تاريخ الوضع قد يكون بناء على قرينة وجدت في وقت سابق، فقد تترك النباتات والحيوانات الرخوة بصماتها كالأعشاب والرخويات. وقد نجد ما يدل على وجود الثمار والبذور وحبوب اللقاح بهيئتها في الطين أو التلوج وأحياناً حتى في رمال الصحراء.

وقد تترك أوراق بعض النباتات المجسمات التي تمثل شكلها أو عروقها، مطبوعة على بعض الحوامل الملائمة لحفظها وبقائها، فيتعرف الإنسان على النبات من آثار البصمات الباقية، ونظراً لنذرتها أو انقراضها في وقت لاحق، يأخذ المكان اسم هذا النبات ليكون دلالة على وجوده هناك، وفي الوقت ذاته ليعرف المكان به لأنه لا يوجد مكان آخر يعرف به، ومن ثم تكون البصمة قرينة، والاسم دليلاً ومميزاً، في مثل أشجار الصفصاف وغيرها.

### ج - اسم المكان في التراث الجزائري

ونحن نركّز على التراث الجزائري وخاصة في الشعر الملحون كما سنرى في الجانب التطبيقي، لا يفوتنا أن نشير إلى أهمية المكان في الشعر الملحون الذي خلّد أحداثاً في أماكن كثيرة من الجزائر، فشعر الثورة بحضوره الفاعل، لا يعني غياب الأغراض الأخرى كما أشرنا إلى ذلك، فهو مليء بالغزل خاصة في الملحون، وللمكان فيه محطات خالدة، والوقوف في هذا الجانب التنظيري على أسماء خلّدتها أشعار الثورة التحريرية، نستأنس بها لكثرتها وغازاتها.

ففي هذا النوع من الشعر الجزائري الملحون، رصد لكلّ مكان تخلده بصمة الثورة، ولا بدّ أن يقف الشعراء على آثارها نظراً لأهميته التاريخية، يتغنون بالبطولات التي تحققت في المكان، والأحداث التي شهدت على امتزاج المكان بدماء الشهداء، فتطلق الأسماء على هذه الأمكنة ناسجة روابط بين الدّوال والمعاني والإيحاءات .

و كان لابدّ علينا من بداية العمل النظري من إبراز هذا النمط الشعري، انطلاقاً من سمة المكان، والاسم عنوانه، وهما معاً يمثلان التقاطع المعرفي أو التطبيقي الذي لا غنى فيه عن مجالات علمية داعمة في الشعر الذي صور ثورتنا، ففي أبيات تصويرية للأحداث وربطها بالمكان، من الارتكاز على الأمكنة التاريخية ذات الشهرة التي ذاع صيتها، الأوراس (أرونيمات، Oronymes) :

في الأوراس<sup>1</sup> تكلم بارود رزيـن  
في منتصف الليل حسوا دوانا  
في الربعة وخمسين كنا مجمولين  
في الفاتح نوفمبر مع بعضانا  
جيش التحرير جا يدرب حد اثنين  
كل يوم أزيد فقه و فطانا<sup>2</sup>

ذكر الأوراس، في الملحون يعدّ من الأورونيمات (Oronyme) التي يتحدد بها الطبونيم (Toponyme) في الشعر الأوراسي، تخليداً للأحداث التاريخية التي ارتبطت بالمكان والزمان المحددين، والأوراس هنا طبونيم أكبر من مكان ضيق، فهو منطقة شاسعة خلدتها أحداث الثورة التحريرية التي حركت العواطف، فكانت طفرة النقد الانطباعي لما لها من علاقة مع الإحساس الجمعي للشعب الجزائري، بخلاف ما كانت عليه قبل انطلاق الثورة.

ولعلّ ما يتفق حوله الجميع، هو ضعف التراث الذي وجدته الشعراء الجزائريون قبل الثورة الجزائرية، ذلك أنّ المرحلة التي سبقت الاحتلال عرفت انحطاطاً كبيراً<sup>3</sup>، وبخاصة الشعر الذي كان أكثره في المدائح الدينية، وتقريباً كلّ ما وصلنا كان شفويًا، ولم يكتب منه إلا القليل من

<sup>1</sup> من الأسماء المشهورة التي تدل على المكان الشفاف أي الذي لا يحتاج إلى تعريف، فالأوراس، من الأرونيمات التي لها شيوع في الاستعمال الشائع لرمزية المكان في الثورة التحريرية (oronyme) ينظر :

Naftali Kadmon. (1997) Toponymy The Lore, Laws and Language of geographical Names. Vantage press New York. 1997 ; P7 et P 37./

<sup>2</sup> ديوان شعراء شعبيين، شهداء ومجاهدين، عن الثورة التحريرية، جمع وتقديم وترتيب د العربي دحو، دار الأملية للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2012، ص 15.

<sup>3</sup> أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزء الأول، الجزائر سنة 1981 ، 430 إلى 440.

القليل<sup>1</sup>، ومع التوعية التي رافقت جمعية العلماء المسلمين في شحذ الهمم، ظهرت محاولات كثيرة لتدارك النقص، إلا أنّهم ترق إلى طموحات الشعب، لأنّ ضعف الانتقاد وقوة الاعتقاد التي طبعت المتلقي، كانت غالبية لتأثره بالعامل الصوفي أو الطريقي آنذاك، واصطدامه بالبعد الإصلاحي الذي كان يشكك فيه، زيادة على الانغلاق الذي سبق فترة الاحتلال، والمفهوم المتداخل للأمة الجزائرية<sup>2</sup>.

إنّ الظروف الاجتماعية السائدة عززت من هذا الضعف، فالجهل ضرب أطنابه، وتفشى الظلم في أو ساط الشعب من قبل المحتل، وانتشر الفقر، الأمر الذي قلص من وعي المتلقي للشعر، وهو ما زاد في التضييق على حركة التطور في المجالات الفنية، والتعاقس في التجاوب مع الجهود العلمية، فكان العلماء الإصلاحيون يعملون على استنهاض الهمم النائمة، فكان الشعر لسان حالهم، متماشيا مع توجهاتهم الإصلاحية، فتفوقوا في الموضوعات التي تجاوب معها المتلقي لرغبته في التصدي للمستعمر، وبقي البعد الفني يراوح مكانه، بخلاف النثر الذي أبدعت فيها جمعية العلماء المسلمين.

كان التجاوب إذن، مع هذا الشعر الذي يحمل الأخبار، وينقل الأحداث للمتلقي، ومن هنا كان للشعر الشعبي في الثورة التحريرية وظيفة إعلامية مهمة، وتمثل سجّل الشعب وذاكرته، لأن وسائل الاتصال والإعلام كانت جدّ ضعيفة، بخلاف المستعمر الذي كان يملك وسائل أخرى متطورة في ذلك الوقت، (إذاعات، سينما، دور المسرح، وسائل الاتصال السلبي واللاسلكي إلى غير ذلك)<sup>3</sup>، في مثل قصيدة المعركة الكبرى، التي يبدوها تيمنا بالبسملة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم الأعراف السائدة في التبرك بالأولياء

---

<sup>1</sup> مجموعة من المؤلفين، مخطوطة، تقديم وتحقيق وتعليق : عبد الحميد حاجيات، ذخائر الغرب العربي، كتاب الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص7.

<sup>2</sup> Ghalem Mohammed, «Historiographie algérienne au 18 è siècle : savoir historique et mode de légitimation politique», in «savoirs historiques au maghreb, construction et usages», C.R.A.S.C, 2006.

<sup>3</sup> كان الشعر والبيانات التي تصدرها الثورة التحريرية أوقى الوسائل لدحض الإعلام الفرنسي على كثرته وتنوعه، وصدّ التضليل الذي كانت فرنسا تروّج له.

الصالحين، وهي العادة السائدة في القصيدة الشعرية في الملحون عموماً، بل كانت أكثر القصائد تفرداً لذلك موضوعات.

وفي القصائد التي تناولت أغراضاً أخرى، كان لا بد من التقيد بالمطالع الدينية قبل مباشرة الموضوع الذي ينظم الشاعر قصائده من أجله، في مثل :

بسم الله بديت	وعلى النبي صليت
سيدي مصباح <sup>1</sup>	لبيت نبينا محمد
راني نحكلكم حكاية	صحيحة ماهيش دعاية <sup>2</sup>

إلى أن ينتقل إلى الموضوع، ليقف على أحداث الثورة التحريرية، فيحدد الشاعر اسم المكان، هنا تونس لأنّ الموضوع اجتماع للتدبر في قضايا الثورة ومستلزمات الجهاد، التي سجّل فيها صفحات شعرية لتاريخ الثورة الجزائرية، في القصيدة التي يذكر فيها عدد الأشخاص، والموضوع، ولازمة المكان..

قالهم سيروا فالطيّارة      في تونس<sup>3</sup> نعملوا دبارة<sup>4</sup>

والقصيدة طويلة تحمل تفاصيل الأحداث، وتنقل الأخبار، وتقوي الحماس وترفع وتيرة الافتخار برجالات الوطن.

فالأشعار الشعبية تعدّ وثيقة تاريخية أصيلة لأنها سجّل الأحداث التاريخية المهمة التي شهدتها الجزائر.

---

<sup>1</sup> ولما يتعلق اسم المكان باسم إنسان فهو ارتباط مؤسس وله ما يبرره، ويطلق عليها اسم الأنثروبونيمات (Anthroponyme)، وهي علم يهتم بدراسة أسماء (الأشخاص)<sup>1</sup>، وفي مقابله الطبونيميا لتمثيل الأسمائية الإعلامية Onomastique وأول العمل يبدأ من التأصيل اللغوي إلى التطور الحاصل فيها، فتتقاسم الدراسات الفيلولوجية والمعجمية لمعرفة أصل الوضع المعجمي الذي اشتق منه إن كان مشتقاً، علماً أن الأصل في هذه الأسماء أنها تأليفية وليست تحليلية، وهو فرع من علم دراسة أسماء الأعلام الأنوماستيكا (Onomastique)، من اليونانية onoma وتعني الاسم، وهي بدورها مجال من المجالات اللغوية.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 29

<sup>3</sup> تونس : اسم البلد، وهي إحياءات للدلالة على أحداث تقع في الجزائر ويخطط لها في الخارج، والمصود مكان الاجتماع للتدبر، ص 16.

<sup>4</sup> ديوان شعراء شعبيين، شهداء ومجاهدين، د العربي دحو، ط1، سنة 2012، ص 15.

إلا أنه من الناحية الشكلية لم يضيف البصمة النوعية في جانبها الفني في تاريخ الشعر العربي الجزائري، كما كانت في موضوعه الثوري، ولو أنّ نقادا استثنوا حالات تأثرت بالحركة الشعرية في المشرق العربي، وتمكنت من تلوين شعرها بصبغة محلية، من أمثال محمد العيد، ومفدي زكريا، وأحمد سحنون وغيرهم، وهو الشعر الذي عايش الثورة، واستمر إلى ما بعد الاستقلال<sup>1</sup>.

أما الشعر الشعبي الجزائري الغنائي فكان له شأن آخر، فقد ارتبط بوجودان الشعب في آدائه وخصوصية لونه، واهتمّ بقضايا الوطن والأمة، فقاسمها الأفراح والأفراح، وأسهم شعراء الشعر الشعبي في تضييخ الجروح في كل الانكسارات والمحن التي عرفها المجتمع الجزائري فانتظموا وتجنّدوا لمحاربة المحتل، وعملوا على توحيد الشعب ليكون صفاً واحداً لنصرة القضية والعمل في المقاومة للهدف ذاته، بمنظومات هي أقرب للشعب الذي كان يعاني من مشكل ثقافي، فوجد لغته التي يستعملها تجاوبا واستثناساً خاصة بلونه الغنائي الذي ملأ الفضاء الزماني المكاني.

وبالإضافة إلى هذا كلّ، كان الشعر الشعبي الجزائري، يصور البطولات، ويفتخر بتضحيات المجاهدين، ويمجد الثوار، وينقل أدق التفاصيل عن أعمالهم، فالشعراء يرثون الذين استشهدوا منهم فيكون ذلك سجلاً لإحياء ذكراهم، وتبقى خالدة على مر الزمان، ولهذا نجد الشعر الشعبي الجزائري الغنائي يجيي الوجدان الشعبي، ففي معركة أولاد حجاز، لا تخلو هذه القصيدة من الشعر الوجداني، الذي يحرك القارئ، ويبعث فيه روح التفاعل مع القضية :

يحكيو على العساس يضرب للكبدة طيح من اليهود قداه أن خنزير<sup>2</sup>

تكلم لبارود الرعدة كشغل بقى ربي ستر على جيش التحرير<sup>3</sup>

فكانت لثنائية الزمان والمكان البصمات الكبرى، فوصف التغيرات عبر الزمان، مثّلت التطور الموضوعي والفني لهذا اللون الشعري الغنائي، أما اسم المكان وهو موضوع هذا العمل،

<sup>1</sup> ينظر د أحمد يوسف، شعر الثورة وخفوت السلالة الشعرية، مجلة الأدب واللغات، العدد الخامس، ديسمبر 2005.

<sup>2</sup> يرى الشاعر الجزائري في المحتل الفرنسي صورة اليهودي المحتل لفلسطين، فيصف تصويبة ضربة المجاهد للعدو الذي يشبهه باليهودي والخنزير.

<sup>3</sup> ديوان شعراء شعبيين، شهداء ومجاهدين، ص 49.

فنقل الأخبار ووصف الأحداث، ومن هنا تبدأ التقاطعات لهذا المكان مع التراث التاريخي للأمة، يعترف منها الشعراء بوازع ديني، لا ينفصل عن بطولات أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لتسجيل مرجعية يعتمد عليها الشعب الجزائري .

سجاعة العرب ليهم قودة ورثوها من علي وخالد والزبير<sup>1</sup>

ففي قولٍ لمازن الواعر رحمه الله، عن هنري لوفيفر، حول قيمة المكان قبل أن نتقل إلى أسماء الأمكنة في تقاطعات المعارف البشرية والتقاطعات الجغرافية الأدبية : «يعود الوصف الإيحائي المثير للأماكن الجغرافية والذي يقدمه الشعراء والروائيون بفائدة عظيمة على المهتمين بالأدب والجغرافيا على حد سواء، فهذا الوصف الذي يربط الإحساس بالمكان يمكن أن يفعل فعله في القارئ، فالجغرافي المثقف يدلل على وعيه ومعرفته بالتأثير الإنساني في الأماكن الجغرافية من خلال تحديد هذه الصفات كصيغ حقلية - ميدانية، وكأشكال مستقرة وكشبكة من الأعمال الاتصالية، وهذا يدل على أن الأماكن الجغرافية أكبر بكثير من كونها عناصر ومكونات فيزيائية على أرض الواقع...»<sup>2</sup>.

وتبحث المواقعية في أصل وضع الأسماء فيلولوجيا للوقوف على معانيها الأولى، بل للتأكيد على اعتبارية هذه المدلولات في مرحلة الوضع، ثم الوقوف على علاقات هذه الأسماء الإعلامية بالمكان، وسرّ إغفال مفهوم الاعتبارية في تحديد العلاقة الأولى بين الدال والمدلول، ولذلك نجد في هذه الحال وياجماع الباحثين في الحقل التاريخي، يتفقون على أن من أهم الحقائق الثابتة في هذا المجال و التي لم يطلها التغيير هي الجغرافية .

ولا يتوقف الأمر عند اسم المكان، بل يتعداه إلى التطور الذي يطرأ عليها عبر تغيرات الزمان، وما تعكسه هذه الأسماء من دلالات اجتماعية، ونفسية، وبيئية، وغيرها من الدلالات الإيحائية لكل مرحلة من مراحلها التاريخية، ولتكن لنا وقفة مع الشعر الأوراسي في قصيدة

<sup>1</sup> نقل الصورة الأدبية من بيئة جزائرية إلى بيئة عربية (شبه الجزيرة العربية)، نحمل إيجاءات بطولية في تلك البيئة للاشتراك في قيمتها الجهادية ، أي لها طابع تقديسي، ديني إسلامي مستوحاة من أسماء أعلام يمثلون رموزا لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدوة في البطولات والتضحيات، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>2</sup> ا.د. مازن الواعر ، الجغرافيا والأدب ، تقاطع المعارف البشرية، ص 187/188

"الجرف شقيق الأوراس"<sup>1</sup>، فالاشتغال على المكان بهدف التأقلم مع المحيط والبيئة والطبيعة، يقدم أهمية المكان بمقدار ما يناط بها من وظائف<sup>2</sup>:

الجرف <sup>3</sup> يا مسقط الراس	ما احلاك ما اقوى اصخورك
صوانك مثل لماس	احزمات شادة ضلوعك
ادواميسك بني هنداس	ظلمه داخله أفروعك
ملسه احيرير مالا	تزلق الرجل في أطلوعك
واد أهلال <sup>4</sup> سد للناس	شاهده بهذا أنجوعك
سموك أشقيق لوراس	يا جرف <sup>5</sup> وبني أعيونك

الجرف<sup>6</sup>، بني هنداس، واد أهلال، أشقيق لوراس، أسماء تعددت وتباينت في قيمتها، فأجريت التقابلات، وهي التي عرفت معارك وبطولات لمجاهدين وشهداء سقطوا فداء للوطن، وخلدتها هذه الأحداث التي وسمت أسماء هذه الأمكنة بجهات دلالية أوجتها مجريات الثورة التحريرية .

وبما أنّ أسماء الأعلام الخاصة بالمكان، ترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الأمم، وبالحيوة الأنتربولوجية للشعوب، فإنّ هذه الأسماء الأعلام أخذت قسطا وافرا في تعيين أسماء الأمكنة (المواقع) بأسماء شخصيات تاريخية، ودينية، وأسطورية، وغيرها... وكلها تحمل بصمات معرفية نحتاج إلى فك خيوطها العبور بهذا العلم الفتي، ومنها :

ديقول جا لقسنطينة      القى حتى الأرض حزينة

- 1 ديوان شعراء شعبيين، شهداء ومجاهدين، ص 41
- 2 جمال الدين الخضور، عودة التاريخ، الجزء الثاني، ص 86.
- 3 الجرف اسم مكان للدلالة على المرتفع الصخري (Oronyme)، وله شيوع الاستعمال في الثورة الجزائرية.
- 4 نسبة المكان إلى قرينة المائية (hydronymie)، للدلالة على مكان الأحداث الثورية في واد أهلال الذي قوبل بالأوراس لقيمتته حتى جعله الشاعر شقيقاً له، ينظر : الأسمائية في اللسانيات الحديثة، ص 16.
- 5 أنسنة الجرف، باستعمال النداء الذي يستعمل ويوجه للإنسان، وبالتالي يتوجه الشاعر بمناجاة الجرف.
- 6 فال " الجرف " اسم مكان، وهو في دلالة اللغوية يدلّ على المرتفع الذي يكون على ضفاف الوادي، أو ما تجرّفه السيول. ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَآتَهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، سورة التوبة 108

هذه أم البلاد

قال لهم هذه ما هي لنا

عالم مات على التدريس<sup>2</sup>

هذه بلاد ابن باديس<sup>1</sup>

قستطينة، الأرض حزينة، هذه ما هي لنا، أم البلاد، بلاد ابن باديس، هي أسماء  
لأمكنة (قستطينة)، طبونيم ، وأوصاف لها (الأرض حزينة)، ظاهراتية فنونيمات،  
(Phénonyms) ، وإسناد شخصيات تاريخية وعاملة لنسبتها إلى المكان، فيعرف بها (بلاد ابن  
باديس) (Patronyme) ، وعرفت فيما بعد طريقة البادسية نسبة إلى نهجه الدعوي والتوعوي.

ومن هذه الأسماء التي جاءت على نمط الكنية عند القدامى ولا تزال تستعمل في  
عهدنا، نحو : أب ، ابن ، أم ، نقول : ابن باديس، أبو فلان، ابن النفيس، أمّ البنين، وهي من  
العادات العربية، إذ كانوا قديماً يعدلون عن ذكر الاسم واللقب، قصداً إلى التعظيم والتشريف  
بالكنية، أما التعظيم باللفظ فمثل زين العابدين، وسيف الدولة<sup>3</sup>.

ومما عُرف أيضاً عن العرب القدامى أنهم استعملوا الكنية مع الاسم واللقب مادحين  
للإنسان أو الحيوان وربطوها بمعانٍ جديدة غير التي تحملها الأسماء، ومنهم من يرى في ذلك  
تستراً على الاسم الحقيقي، قاصدين بذلك الإخفاء. ومنهم من كان يرى في ذلك تيمناً وتبركاً،  
كأبي الحسن في كنية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكنوا الحيوانات كأبي الحارث للأسد،  
وغيرها كثير<sup>4</sup>.

وقد كانت الكنى تطلق على أسماء الأعلام (أشخاص وأماكن) وترتبط بكل صفات  
الحياة والموت، والحب والكراهية، والعلم والحقق والطيش والسماء والأرض، والنبات وغيرها،  
وكتب حولها كثير من العلماء<sup>5</sup>.

1 جعل للمكان قرينة متلازمة بشخصية تاريخية (أعلامية)، أنتروبونيم.

2 ديوان شعراء شعبيين، شهداء ومجاهدين، ص 32.

3 محمد محي الدين عبد الحميد، شرح قطر الندى وبل الصدى ومعه كتاب سبيل الهدى، المؤلف: ابن هشام

الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1994، ص 134.

4 حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ، بيروت سنة  
2003، ص 150.

5 خضر موسى محمد حمود، الكنية (المعنى والدلالة) دار الكتب العلمية، بيروت 2010 ، ص 5،

إنّ الوقوف على تاريخ معين لأصل وضع الأسماء الأعلام للدلالة على المكان من قبل الإنسان في التاريخ القديم - شأنها في ذلك لا يختلف عن تاريخ نشأة اللغة - لا يعرف لها بداية معينة، بخلاف الدراسات الأكاديمية التي أسست لظهور هذا العلم الفتي في القرن العشرين.

إنّ المكان له علاقة مباشرة بالزمن الإجتماعي، وعلاقته بالذاكرة الشخصية والقومية وبالمخيال الجماعي، ووقائع التاريخ تظلّ مرتسمة على المكان، وهو ما يسمى بالجغرافيا التاريخية<sup>1</sup>.

ففي قصيدة الجبل الأبيض<sup>2</sup>:

الجبل الأبيض سكنوه تبسة حتى لسوق أهراس  
اللي عدو للكافر رخصه والداير والعساس

وقد ترك الإنسان بصمته أثناء تعامله مع إرهاصات هذه القوى الطبيعية ، فاستعمل في تفسيره القرائن "الجبل Oronyme"، وصفات تمييزية الأبيض، في مثل الجبل الأبيض، والزرقة في مثل :

في الزرقة<sup>3</sup> والمحارقة والميمون      النسنيسة شوف بعض التفصالات

وفي كلّ ذلك يرتكز على أسماء أمكنة تكون فيها الألوان من المتداول في البيئة الجزائرية، وبما يتلاءم وفهمه لتخليد موروث ثقافي، تركته لنا الأجيال أثناء ملامستها للمكان بالإقامة أو بالاحتكاك، فكان لذكرياته معها الأخبار التي نسيها.

سجل يا تاريخ لمعاركنا      واكتب للبنين ذكرى للآبات

1 جمال الدين الخضور، عودة التاريخ، الجزء الثاني ، ص 86.

2 ديوان شعراء شعبيين، شهداء ومجاهدين، ص 19

3 والزرقة كما نقف عليها في القصيدة الثورية بإيحاءات معينة، نجدتها في استعمالات أخرى تدل على معان أخرى معجمية كاللون، وفي إيحاءات على المشابهة للدلالة على المكان(الزرقة في واد الصفصاف ببلدية شتوان تلمسان، تدل على مكان معين في مجرى الوادي).

تحضرنا عند استنطاقنا لهذا التراث اللامادي عبر تظاهرات وتمثلات معان تحتاج إلى قراءة وتفسير، معركة النسيان والمكان.

تذهب الدراسات الأولى في تفسير الظواهر الطبيعية باستحضارها للاستدلال بها على القرائن التي تعود إلى العهود البائدة والقديمة، بالاعتماد على المعتقدات والديانات السماوية، وكل ما له اسقاطات تخدم القضية الجوهرية للثورة.

ومع التقدم والتطور ظهرت تخریجات ودراسات أكثر موضوعية وعلمية لدراسة المكان، ومن ثمّ الدلالات التي تصاحبه عبر المراحل التاريخية، بما تحمله من وقائع ومشاهد، قد تكون في كثير من الأحيان سببا في تغيير أسمائها، وتغيير مواصفاتها بتغير الأحداث التي تشهدها.

على العموم أطلق الإنسان تسميات على الظواهر والأشكال الطبيعية، وهذا عكس نمط ثقافة كل فئة مجتمعية على حده.

يتعلق الأمر باسم المكان على اختلاف تبايناته الشكلية المميزة لأنواع هذه الأمكنة عن بعضها في الاسمى والنمطية، فقد يرتبط بالتجمعات السكانية ذات طابع حضاري خاص كالمدين، أو بدوي/ريفني كالقري، والمداشر، والدواوير، وغيرها من البلدات ذات الأشكال السكنية المختلفة<sup>1</sup>.

في قصيدة معركة هود شيكة، تتعدد الأماكن التي تتكرر فيها الأحداث، وتكرر معها قرائن الأسماء الأعلام: هود شيكة، صحن الرتم، الصاباط، أورونيمات Oronymes، حاسي خليفة، hydronyme.. الخ، ومن أسماء الأشخاص : لخضر، قريد، مبروك، أنثروبونيمات Anthroponyme... الخ.

---

<sup>1</sup> لماذا اختلفت التسمية قرية/مدينة؟ الأستاذ محمد إسماعيل عتوك الباحث في أسرار الإعجاز البياني للقرآن، ما محتواه أنّ لفظ القرية مشتق من الأصل "القاف والراء والحرف المعتل" ويدل على جمع واجتماع، وسميت القرية قرية، لاجتماع الناس بها. ومنه: قريت الماء في الحوض. أي: جمعه، وتجمع على (قُرَى) بضم القاف، وهي لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ (الكهف:59). أما لفظ المدينة فمشتق من "الميم والذال والنون"، وليس فيه إلا "مدينة" على وزن: فعيلة. ويقال: مَدَنَ الرجل، إذا أتى المدينة. وهذا يدل على أن الميم أصلية. وقيل: مَدَنَ بالمكان: أقام به؛ ومنه سميت المدينة.

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن التجمعات السكانية بأشكالها مثلت طبونيمات الثورة، فنسجت حولها أساطير<sup>1</sup> من مخيال العقلية العربية لتصوير بطولات للمجاهدين تمثلت في معارك وأحداث بلغت أوجها في التحدي والاستبسال.

وإذا كانت هذه الأسماء - في تراثنا العربي القديم - قد ارتبطت بأساطير سجلت قصصا نسجتها العقلية العربية لتخريج ظواهر عجائبية، ارتبطت بإمكانة معينة، ولفئة من المجتمع، فإنّ شرائح كبرى عبر هذه الأزمنة التاريخية للأمم، ارتبطت بإقامة الجماعات في أشكال عمرانية، تركت تراثا حضاريا للأجيال، لا تزال تشهد عليها إلى يومنا هذا.

ففي تراثنا اللامادي، نجد صوراً لا تخلو من هذا التصوير، وجدت في شعر الثورة التحريرية بما فيها من عجائبية تمثلت في الإقامات السكنية، ك(المدن، والقرى، وتجمعات البدو في كل قبيلة أو عشيرة أو عرش، وكذلك المغارات<sup>2</sup> التي اختفى بها الثوار طلباً للأمن، وخوفاً من الحيوانات المفترسة، واستعداداً في أغلب الأحيان لمباغطة العدو... الخ).

محمد جاب هذا القصيدة واحجازي في سكتته ظهرة البحير<sup>3</sup>

غنى على لبطل فرسان الشدة صارت بهم صايرة في حي أزيير<sup>4</sup>

في تموضع خاص للشاعر، يذكر بالمتلازمة التي تعرّفه ولا تفارقه "اسم الشخص واسم المكان"، وتصف أثره في تخليد البطولات والأبطال ومكان الأحداث الخالدة، ليحملها إلى الأجيال المتعاقبة.

1 الأسطورة هنا بالمفهوم القديم الذي يقدمها مكتوبة مغامرة العقل الأولى، التي تتحدث عن الخوارق، وهي في أشعر الثورة تستلهم منها العجائبية التي صورها الشعراء في التفاعل مع الثغور مع الثورة التحريرية. ينظر : جاك كوفان، القرى الأولى في بلاد الشام، من الألف التاسع وحتى الألف السابع ق.م، ترجمة إلياس مرقص، دمشق، دار الحصاد، الطبعة الأولى، 1995، ص 59.

2 تعدّ المغارات من أقدم السكنات للإنسان، ونجد أسماء هذه الغيران متداولة إلى يومنا بأسماء مختلفة ترتبط هي أيضاً بأحداث، ومنها ما هو مسجل في أشعار الثورة، ومنها ما سجلته كتب التاريخ، ينظر : محمد الصالح الغرناطي في ترجمته إلى البرتغالية من طرف خوزي سانطى أنطوان موري ص 320.

3 تسجيل أحداث الثورة، ويذكر المكان بالاسم "حي أزيير"، ولهذا تخليد أي شيء (هنا الزبير)، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمكان.

4 ديوان شعراء شعبيين، شهداء ومجاهدين، ص 49.

فهي إذن طبونيمات، تحتاج إلى دراسة علمية، لمعرفة خباياها التاريخية والثقافية، وما تخفيه من إichاءات دلالية لا نتوصل إليها إلا بقراءة لجغرافيتها وتاريخها والأحداث التي وقعت بها، والأساطير التي نسجت حولها للوصول إلى القوائم والحقائق من زوايا تتحدد درجات انفتاحها بتحكم المجالات التي تعكس تماثلها وتمظهراتها تركيباً وتحليلاً - وهي تعدّ من صميم الدراسات البيئية، حديثة النشأة ولم تكتمل بعد موضوعاتها - ومقدّمات موضوعاتها، تأصيل الأسماء الأعلام، فهي بالمفهوم الثقافي بناء يوجد لدى القدامى في مرحلة متقدمة في اشتغال العقل على الزمان والمكان والإنتاج والثقافة<sup>1</sup>، وتعدّ بالمنظور الحالي من العلوم الفتية التي تتقاطع فيها علوم عديدة بحسب الوظائف والعلاقات التي تحددها زوايا النظر.

وفي حقيقة الأمر، وردت طبونيمات في الشعر الشعبي الجزائري، دالة على أسماء تثير هذه العجائبية<sup>2</sup> والدلالة على الظاهرية التي تحمل إichاءاتها هذه الأسماء الأعلام، فمنها : أوروينيمات كما يتضح من (الجلب الواعر)، وإichاءات الواعر تحمل دلالات الصعوبة والمفاجآت، الحيوانات والنباتات كما في قصيدة الجلب الواعر في (ركبة ناقة العرعار) للدلالة على مكان الاختباء (ركبة ناقة) ، (العرعار)، وفيها :

حراقة واشهيلي غرغار	في الصيف قوايل
البنداقة لبدو فالعرعار <sup>3</sup>	هربوا القومية

فالتبونيمات ترد بأنواع من الإichاءات المستوحات من الطبيعة، ومنها المجاري المائية على تنوعاتها : والمياه (هيدرونيمات) أو المائيات، أطلق على كثير من الأمكنة التي تربطها بشكل مائي معين يرتسم في الاسم، وغيرها من الأسماء<sup>4</sup>.

صحيح أن أسماء الأمكنة بإichاءاتها تتنوع وتتعدّد، ولكنها في الشعر الملحون الجزائري المسجّل لأحداث الثورة، تعرف تميّزاً خاصاً، ذلك أنها لا تعتمد على ذكريات الإقامة بل على

1 جمال الدين الخضور، عودة التاريخ، الجزء الثاني ، ص 38.

2 تزفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بوعلام، دار الكلام، الرباط، المغرب سنة 1993، ص19.

3 ديوان شعراء شعبيين، شهداء ومجاهدين، ص 2 3

4 الهيدرونيمات أو المائيات : للدلالة على مجاري المياه ، والبحيرات، والشلالات، والبحار ، والعيون، وغيرها مما يصنف استبدالات المائيات ( Paradigme )، ينظر كتاب الأسمائية ، ص16.

أحداث فرضتها وقائع، ارتحل بعدها المجاهد بانتهاء الحدث، وخلدته ثورة حية لأجيال قد يتخذوا منها قرينة للاستدلال بها عن أحداث تاريخية، لا علاقة لها بالتجمعات السكانية، ولذلك وجدنا أحيانا نصباً تذكارية في مناطق خالية لم يُقَم بها الإنسان قط (براكسونيمات (Praxonymes)<sup>1</sup>.

ركبة ناقه Zoo-Toponymes (العرعار): جعل منها مرجعية للدلالة على المكان باستعارة "ركبة ناقه"<sup>2</sup> عضو من حيوان للتعبير عن المكان وقد أطلق عليها بعضهم الأسمائية المجازية نظرا للتحويل الذي يحدثه السياق أثناء الاستعمال، وهي كثيرة في تراثنا العربي. وأحيانا نستدل على المكان بما وُجد فيه من نقوش تصور حيوانات على الصخور وتسجيلات لا تمحي مع الزمان، عرفت بها البيئة.

ففي الطاسيلي وغيرها من المناطق التاريخية خاصة في الصحراء الجزائرية، تعددت صور الحيوانات، بل وصور المجموعات البشرية والحيوانية وحتى الأدوات في صور منقوشة على الصخور، تنسج قصص البطولات والأحداث على مرّ الزمان.

وعلى الرغم من صعوبة الفصل بين المكان والزمان، لما بينهما من تداخل وتواشج، ولما في فصلهما من عسف وافتعال، سنحاول دراسة كل منهما على حدة، بغية الوقوف على مظاهر وصف المكان الذي يحتضن الشخصية، ودوره في تحديد معالمها، وعلاقة كل منها بالآخر فنياً، وكذلك الحال بالنسبة إلى دراسة الزمان.

## ثانياً : المواقعية والمخططات التنموية

للتخطيط التنموي في الدول والمجتمعات أهمية قصوى، نظرا لعلاقة التخطيط بالمجالات المختلفة لتسيير الدول، ونظرا لما له من آثار نفعية على المجتمعات، كما أنه يتعلق بحاضر الأمم

<sup>1</sup> تعد البراكسونيمات من الأسماء التي تدل على أحداث وقعت في المكان مثل الأمراض الظاهرة، حقبة تاريخية، تسجل المكان ويعرف بها.

<sup>2</sup> استعارة من البيئة العربية التي اشتهرت بها المنطقة فلا يعقل أن يطلق هذا الاسم دون معرفة الناقة وخصوصيتها الخلقية والغريزية ليستدل بها على صورة أو حدث، ومن هنا تكون تسمية المكان باسم حيوان، أو أحد أجزائه، يهرف المكان بهذا الاسم (Zoo-Toponymes).

ومستقبلها، لذلك لا يخلو مشروع من دراسات استباقية تأخذ بالحسبان احتمالات تخص متغيرات الحياة وتوقعاتها، في أي نظرة استشرافية.

ولابد من الوقوف عند أنواع المخططات (قصيرة المدى، متوسطة المدى، وطويلة المدى)، مخططات تأخذ بالحسبان (نوع التنمية وفق طبيعة البلد وخصائصه وموارده الطبيعية الخ.. للنظر في نمط التنمية المتجددة، أو مستدامة، أو معاً..)، تنمية لا تخلو من إطار عام للمجتمع يتلون بهويته وثقافته (مشروع مجتمع يكون أرضية لأي مخطط أو برنامج الخ)، لا تستبعد فيه اللغة ولا المنظومة التربوية ولا التعليم عموماً، فكلّ مترابط في صنف توزيعي متكامل<sup>1</sup>.

ولما ركّزنا على المجال الطبونيمي، كان الهدف الأسمى خدمة اللغة العربية في بعدها الاستراتيجي، فكان التخطيط التنموي اللغوي أولاً في أي دراسة استشرافية لوضع البرامج، في الاقتصاد وفي التربية والتعليم وفي أي تخطيط نركز فيه على بعد تنموي دقيق، لا يجيد عن خصوصية الشعوب، وأرضية خاصة بما يتميز به البلد (هوية وثقافة).

وتبعاً لذلك، تكون اللغة أهم ركيزة في هذا العمل العلمي، وتكون الدراسة البراجماتية يبعديها الاقتصادي والاجتماعي والتربوي والتعليمي وغيرها، محطّ اهتمام أساسي، لما لها من علاقة مع مستقبل الأجيال، والبلد، ومن ثمّ يتحتّم على الباحث ملامسة الإمكانيات التطبيقية في إطار الدراسات البنينة، ليخلص إلى ربط العمل باستفادة المتكلمين من هذه اللغة وربطها بالحياة اليومية لهم، أملاً في الاستثمار الإيجابي في هذا الحقل المعرفي، والاستغلال النفعي لها، لكونها أساس التزوّد بالمعطيات، ومصدر الحصول على المعلومات التي نستقيها لبناء تصور تنموي يتماشى وإملاءات العصر.

وإذا كان التخطيط التنموي بهذه الأهمية في كل المشاريع، فهو في الحكومات الإلكترونية الركن العماد، في تكوين قاعدة معطيات توّفر لنا بنوك معلومات لتقريب المهتمين منها، في كل جهات الزمان، ومحطّات المكان.

<sup>1</sup> إبراهيم زكريا، مشكلة البيئة، مكتبة مصر، طبعة 1976، ص 79.

## 1 - الدراسات الواقعية في ضوء العولمة

أحدثت الثورة التكنولوجية العالمية أثراً وشرخاً بين شعوب العالم فزادت الهوة المتباينة أصلاً، وكان نتيجة لذلك عولمة تتحكم فيها أقمار صناعية أتت مسحاً على الحدود الجغرافية نهائياً في مجال الاتصال الإلكتروني، ولم تعد الحواجز الطبيعية قادرة على صد الغزو أيّاً كانت طبيعته، مما أسهم في هيمنة الدولة العظمى على العالم، بل واختراق متجدّد ومتطور لبعضها - بحسب المجال - لكشف أسرار الدول للاستراتيجية، وفي حالات يكون الاختراق في صميم الإدارة الإلكترونية للحكومات ويتم التصرف في المواقع إلى درجة تهديد وجودها أحياناً.

إنّ التحكم في الواقعية في ضوء العولمة أعطى لملاك وسائل الاتصال القدرة على التحكم في البنوك الإلكترونية والهيمنة عليها، بل وحتى الضربات الجوية الموجهة عبر الأقمار الصناعية، بمختلف الأسلحة العابرة للقارات "صواريخ"، وكلّ هذا لا يتأتى إلاّ بالتحكم في المواقع المستهدفة عن بعد، لذلك أوجدت العولمة صيغاً لمراقبة المواقع في العالم دون حاجة للتنقل، ولذلك على الدولة أن تستغلّ البعد الاستراتيجي في بعدها التنموي لكل القطاعات بما فيها القطاع غير التبادلي لخوض المنافسة في ضوء مبدأ دولة الرفاه<sup>1</sup>.

لكن، وفي مقابل هذه المخاطر، ظهرت مقاصد نفعية لهذا التطور الحاصل باستغلال عطاءات العولمة، فالمواقع التي أبرزتها وحدّتها هذه الوسائل التكنولوجية في ظل العولمة مكنتها من الظهور في السياحة والإشهار والتبادلات التجارية وغير ذلك من المنافع المتعددة الأبعاد.

ساد التحكم التكنولوجي لفترة طويلة ولا يزال باسم شعار تحول إلى واقع "من يمتلك المعلومة يمتلك النفوذ"، ولما شاعت المعلومة الإشهارية والتسريية في يد الكبار<sup>2</sup>، لم يعد بيد الصغار شيء إلاّ النهوض بالتنمية، والتنمية المستدامة في كل المجالات، وهو ما يحتم توفر المعطيات لتدارك التأخر، ومنه المعرفة الدقيقة بتراث الأمم وكنوزها التي لم تستغل، ومعرفة ما لكلّ منطقة من خصوصية لتمكين المستثمرين من النهوض بالقطاعات، وفق هذه الخصوصية

<sup>1</sup> جميل طاهر : النفط والتنمية المستدامة في الأقطار العربية ، الرض والتحديات ، ديسمبر 1997، ص 18.

<sup>2</sup> يقصد بها القطبان سابقاً، وأما اليوم فهي صراعات تنافسية لم تتحدّد معالمها مع العولمة " النظام الأوحده المبني على المصالح قبل الولاءات والتكتلات السياسية ، البراجماتية الاقتصادية.وعليه ، تكون المةاقعة محرك يستدعيه النظام الجديد لمعرفة أسرار القوة الاقتصادية في البلدان النامية.

الجغرافية التي لا يمكن الوصول إليها إلا بدراسات بينية وعلى رأسها التاريخ لمعرفة التطور والتغير الحاصلين عبر الحقب، وهو العطاء الذي لا يفنى، والذخيرة<sup>1</sup> التي يأمل العالم العربي تحقيقها.

## ١ - التحليل المصطلحي لنظم المعلومات

إنّ التكنولوجيا مكّنت البحث العلمي من إمكانيات لتخزين المعلومة وتوظيفها في نظام متناسق ومحكم، اقتضى مفاهيم جديد ظهرت في عالم المعرفة الجديدة، فتعدّدت المصطلحات وتخصّصت، وكان لزاماً على الباحثين من تحديد لمفاهيمها ليتسنى للباحثين شحنها بدلالات دقيقة في ظلّ الدراسات البينية، وذلك لتعدد المجالات العلمية وتباينها في الحقول المعرفية التي ظلت إلى عهد قريب متباينة، ولما كانت الأهداف النفعية هي الطابع الغالب في البحث العلمي في عصر العولمة، تعددت نتائج هذه الثورة التكنولوجية في الميدان وفي المصطلحات التي تعينها، فكان لا بد لنا من وقفة لتحديد المصطلح وتبيين المفهوم الذي يميزه عن غيره.

ولنا جملة من المصطلحات التي لا تخرج من دائرة المصطلحات الجوهرية في الواقعية ونظم المعلومات من جهة، والتكنولوجيا والحوسبة من جهة أخرى، فكان للنظريات المعرفية الدور الأكبر في تفسيرها رُغم عمق الفكر، وصعوبة دور الذهن في تقريب الآلة من الإنسان، لأنّ الإنسان لا يعالج المعلومات كما تعالجها الحاسوبات، فالبشر يستند إلى المعرفة وقواعد السلوك، فهي تفكير منطقي وتوقعي لفهم المشاكل غير المهيكلة وغير التامة<sup>2</sup>.

ما يتوجب علينا التركيز عليه، هو أهمية استعمال المصطلح والتدقيق في محتواه المفهومي في نظم المعلومات التي تستجيب لمتطلبات الحياة العصرية التي أمّلت هذه الضّرورة الملحّة تماشياً مع التطور التكنولوجي المتسارع، والمتعدد الأبعاد باستغلال المعلومات المتوفرة لخدمة القطاعات المختلفة وفي البرمجية GIS التي تسمح كل الأماكن المتاحة، والبعيدة التي قرّبتها التكنولوجيا عبر الأقمار الصناعية GPRS.

<sup>1</sup> مشروع الذخيرة العربية الذي تبنته جامعة الدول العربية، وهو المشروع الذي نال جائزة الملك السعودي، التي تحصل عليها الدكتور الحاج صالح رئيس المجمع اللغوي الجزائري، ورئيس المشروع.

<sup>2</sup> د. عماد الصباغ، تطبيقات الحاسوب في نظم المعلومات، مركز غنيم للتصميم والطباعة، الطبعة الأولى، الأردن سنة 2000، ص 70.

وبما أنّ المفاهيم في مختلف العلوم والفنون أسبق إلى الوجود من المصطلحات، يتوجب علينا في مثل هذه الحالات التي تتداخل فيها القطاعات المختلفة لتحديد المفهوم، أن نتحرى الدقة في توليد هذه المصطلحات ذات الدلالات الخاصة، وتعميمها<sup>1</sup>، وهي بالتالي تتحول من مفهوم إلى قول شارح، فالمصطلحات رموز للمفاهيم ودلائل عليها.

ولذلك نجد أنّ وضع المصطلحات لا يكفي بتأدية المفهوم المطلوب، بل هناك معايير اجتهد العلماء في ضبطها، وذهبوا في ذلك إلى طروحات تباينت فيما بينهم.

في الواقع يقدّم المصطلح المفهوم المعرفي، للباحث الذي يستغني عن العديد من الكلمات التي تعرف المفهوم المعرفي المقصود، وهو يمثل حالة لغوية خاصة من الحالات الدلالية كما هو الشأن في الواقعية التي اعتمدت علوماً كثيرة، واستنفرت آليات متاحة في النظام اللغوي العام.

ليس الأمر سهلاً، فوضع المصطلح يتطلب تمكناً من المادة، وفقها في اللغة، وإحاطة بالتاريخ، وتواجداً في النشاط العلمي المعاصر<sup>2</sup>.

أما في حالة الاضطرار إلى ترجمة المصطلحات - وهذا أمر غالب - فإن ضرورة الالتزام بالتخصص المعرفي واجبة، وأن يكون المترجم محضراً في المجال اللغوي، وأن يحتاط في ترجمته للمصطلح أن يقابله بكلمة واحدة، أو عبارات قصيرة جداً استثناءً، أو متكوّنة من كلمات إملائية.

تتميز المصطلحات الطبونيمية ونظم المعلومات بعناصر لغوية مستحدثة لتغطية مفاهيم جديدة في هذا المجال الفتي، فبين المجالين الواقعية والمعلوماتية تقاطعات بين ما هو لغوي جغرافي وبين معلومات وبيانات تُوظف بحسب الأهداف والبرامج، ويتمّ انتقاؤها وفق هذا المبدأ وتتغير مفاهيمها مع تغير الأهداف بين ما هو تطبيقي في إعداد البرامج، وما هو نظري في تفسير هذه الظواهر والاستفادة من النظريات في العلوم المختلفة .

وإذا كان علم المصطلح يبحث في العلاقة بين المفهومات واللغة، فإنّ هذا يفترض الوقوف على اللغة ثم الاعتراف من العلوم الأخرى، لتحديد المفاهيم والأفكار التي تمنح

<sup>1</sup> R.R.K. Hartman, F.C. Stock: Dictionary of language and linguistics, A.S. Publishers, London, 1973, P 236.

<sup>2</sup> إبراهيم مدكور، لغة العلم المعاصر، مجلة اللغة العربية الأردني، عمان، ج30، سنة 1986، ص 10.

المصطلح الدقة المطلوبة، لتفادي التداخل الدلالي أو المفهومي حتى لا نضيّع خصوصيته، وربما هذا يجزّنا في موضوعنا إلى النظام النفعي في اللغة - خاصة في التخطيط الاستراتيجي للتنمية اطلاقاً من اللغة، ومن هنا يمكن لعلم نفس اللغة يكون له جدوى<sup>1</sup>.

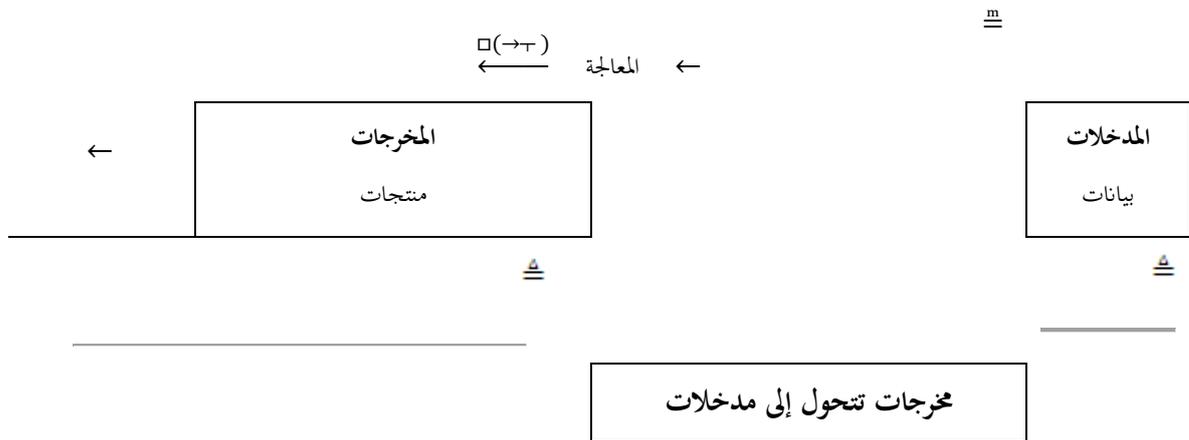
ولذلك، لا بدّ لنا من وقفة مع مصطلحات نعتقد أنّها تحتاج إلى توضيح ليتسنى لنا استعمالها والتعامل معها بالدقة الواجبة والتحديد المضبوط لمفهومها.

### ب - البعد المعرفي لنظم المعلومات

إنّ مصطلح النظم جمع نظام، والنظام هو : عمل متناسق لعناصر ترتبط في ما بينها وتتفاعل، في نطاق زمني محدد، تحكمها علاقات وآليات وظيفية لتحقيق أهداف مشتركة، وذلك بقبول مدخلات ومعالجتها بإجراءات تحويلية منظمة لإنتاج المخرجات بعملية ديناميكية لهذا النسق التام، بتعاون أفراد أو مؤسسات تنتمي لمكونات النظام الأساسية<sup>2</sup>.

وللنظام مفهوم قديم، وفي الوقت ذاته يحمل مفهوماً حديثاً وأكثر تعقيداً، فالنظام من المصطلحات التي تناولتها كل المجالات العلمية، إلا أن المفاهيم الدالة عليه تباينت من تعريف إلى آخر، كما سنرى ذلك.

البيئة الخارجية



<sup>1</sup> مازن الواعر، دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في وع اللسانيات المعاصرة، دار المتنبى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سورية - دمشق سنة 2001، ص 182.

<sup>2</sup> فايز جمعة النجار ، نظام المعلومات الادارية، دار الحامد، عمان، 2005 ، ص 5 .

هي مجموعة من العناصر تعمل مع بعضها لجمع هذه العناصر ومعالجتها وتخزينها ثم توزيع المعلومات (المنتجات) المتعلقة بموضوع معين وبشكل منهجي، يسمح باتخاذ القرار والتحكم والتحليل في المنظمة، يسمح ببناء تصور للوضع الحالي أو المستقبل.

أما نظم المعلومات في الاستعمال الشائع عندنا اليوم والذي أخذ مكانته في المؤسسات المختلفة، فهو يدل على أنظمة محوسبة تمّ تصميمها لخدمة المتعاملين والمسيرين، بهدف بناء أنظمة حاسوبية وتكنولوجية تعمل على مساعدتهم في القيام بأعمالهم وتسيير وظائفهم، ومساعدتهم في اتخاذ القرار.

ولهذه الأنظمة أهداف أخرى تعدّ دعامة لأنها توفر المعلومات المناسبة لاتخاذ القرارات الفعالة والمؤقتة للقيام بعملية التخطيط والرقابة والتوجيه لأي جهاز منظم حكومي أو مجتمعي، وفي الداخل أو الخارج.

ولقاعدة البيانات (Database) قيمة خاصة في الدراسات الاستراتيجية، وهي في المجالات الدراسية البينية تأخذ بعداً نظامياً وتطبيقياً، فوضع البرامج التطبيقية - في كثير من الأحيان - لا يكتمل إلاّ بها، ولا يستقيم إلاّ بترسيم قوانينها ، وهي عبارة عن مجموعة من عناصر البيانات ترتبط ببعضها بعلاقات رياضية، وجدول أو جداول يمثل صفوفها في أي سجل في حقول الحوسبة.

فلنا في مجال الواقعية ما يمثل ذلك، فمثلاً اسم الطبونيم، مكان وجوده، المسافة التي تبعد عن مقر البلدية أو شكل التجمع السكاني (قرية أو مدينة)، عدد المواقع التي تحمل الاسم نفسه، وغير ذلك ممّا يخص هذا الموقع أو ذلك من بيانات يمكن طلبها في أي تخطيط ممكن، تخزن في جهاز الحاسوب حيث يوم محرّك قاعدة البيانات بتفعيل التعامل مع هذه البيانات وتمكين المستعمل من تعديلها أو الإضافة إليها بحسب الحاجة، وهي كلمات، أو رموز، أو حروف<sup>1</sup>، وتعدّ هذه الصيغ بمثابة العناصر التمثيلية، لا يتضح معناها إلاّ في سياق معرّف معين يحمل دلالة ما<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> نجم عبد الله الحميدي وآخرون، نظام المعلومات الادارية مدخل معاصر، دار وائل للنشر، عمان، الاردن، 2004 ، ص 35.

<sup>2</sup> سليم الحسنية، نظام المعلومات الإدارية(نما)، الطبعة الثالثة، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2006 ، ص 24.

ونحن نتكلم عن قواعد البيانات على أنّها تمثّل مكوّنات لقواعد تطبيقية، تدعى "قاعدة بيانات أو بنك البيانات، لا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّها تختلف عن المعلومات التي هي بدورها نسخها في دراستنا للوصول إلى نتائج متوخاة، بتطبيق هذه القواعد البيانية.

فالمعلومات والبيانات في علاقة تلازمية وتكاملية في أي عملية تطبيقية لإعداد البرامج والدراسات، وإذا كنا نُجمع على أنّ البيانات تمثّل في أبسط تقديم الجداول والصفائف التنظيمية للعمل الذي يربط العناصر ببعضها ربطاً رياضياً وتطبيقياً لتيسير سجلات محوسبة، وفي خضوع تام لضوابط تستجيب للتوصيف الدقيق، فهي نظام متكامل يضعه المهندسون في الإعلام الآلي، فإنّ المعلومات في عمومها، والطبونية بصفة خاصة، هي التي تتمّ حيازتها للحصول على نتائج بعد التطبيق الآلي للبيانات، الأمر الذي يمكّننا من اتخاذ القرارات المطلوبة في أسرع الأوقات وبأقلّ تكلفة ممكنة في التسيير أو التخطيط.

ولذلك نعدّ المعلومات المقدمة للحيازة بمثابة العناصر المتغيرة التي تطبق منفردة أو تركيبية في نسق دقيق يتماشى والبناء التنظيمي للبيانات بعمليات للحصول على النتائج المرجوة لحل مشكلة، وهو ما يتطلّب تعديل أسلوب النظام، ودراسة المشكلة وصياغة الحل بحيث يصبح تنظيمياً دقيقاً لفعاليات متداخلة<sup>1</sup>.

ولكنّ هذه المعلومات التي نحزّنها وتبقى في ذاكرة الحاسوب أو خزانه، هي في الواقع معلومات نحصل عليها عند الطلب وتخضع لعمليات رياضية لحوسبتها، وتصميمية قبل ذلك بحسب الحاجة، وتحديد الأهداف، ومن ثمّ تتكوّن لنا بنوك معلومات، تُستثمر وتستغل في مجال المعالجة الآلية للغة العربية وحوسبتها، وفي عملنا التطبيقي هي لاستعمال أسماء الأمكنة واستغلالها في شتى المجالات، وفي الجالات الأخرى، وكذلك الأمر في التسيير والبحث وغير ذلك من متطلبات الحياة.

ونظراً لدقة المصطلح وما له من مفهوم مخصوص، فإنه يتوجب علينا تحديد بعض المفاهيم المعرفية لمصطلحات تستعمل في العديد من الحالات بمعنى واحد ولا اختلاف في مفهومها، رغم تباينها المفهومي في بعض الاستعمالات عند أهل اختصاص مغاير، ويتعلق الأمر بمصطلحي المعالجة الآلية للغة العربية، وحوسبة اللغة عندنا.

1 د.عماد الصباغ، تطبيقات الحاسوب في نظم المعلومات، ص 12

إنّ المعالجة الآلية للغة العربية، أوسع في مجالها من الحوسبة اللغوية لأنها تضم إليها مجموعة من المجالات العلمية بحسب مع تقطيعه طبيعة الموضوع أو الظاهرة، فالصوت في مستواه التمثيلي يتطلّب تدقيقاً لتحديد الأحياز والمخارج على مستوى الجهاز الصوتي وكيفية تحقيق الصوت في نقاط معينة من هذا الجهاز الذي يشترك مع الجهاز التنفسي في مادة واحدة، واختلفت مراحل تحقيق عملياتها نظراً لاختلاف الأهداف لكليهما واختلفت أسماؤهما، فهذا الجهاز التنفسي يتميّز بوظيفته التنفسية التي تحافظ على حياة البشر، وذاك لوظيفته التصويتية بغرض تحقيق أصوات المتوالية الصوتية للكلام والتواصل.

وأما الحوسبة فما هي إلاّ مجال من مجالات المعالجة الآلية، ومن أحد أهداف المعالجة الآلية وتطبيقاتها، مساعدة المستخدم الإداري والعالم وغيرهما على الوصول للمعلومات التي يريدونها بسهولة وسرعة من خلال استعمال الحاسوب<sup>1</sup>، فاستخدام الحاسوب في التحليل اللغوي، فتح الآفاق واسعة، وأعطى تفاعلاً كبيراً لمستخدمي الحاسوب لتحقيق قفزة نوعية محتملة له في مجالي التحليل اللغوي والترجمة الآلية، ومن ثمّ كانت النمذجة اللغوية من أولى المحاولات التطبيقية، وكانت الصورة من المراحل الإجرائية التي وجدت في حقل الرياضيات مساحة تجريدية للخوض في محاولات عديدة للتحليل اللغوي باستخدام الحاسوب، وكان ذلك ملامسة حاسوبية في حقل "ساحة المعالجة الآلية"<sup>2</sup>.

والبيانات قد توجد في كليهما نظراً لضرورة تصميم سابق - يستثمر المعلومات المدخلة وفق قاعدة بيانات جاهزة - لأي برنامج يخدم الآلية في البحث العلمي<sup>3</sup>.

والحوسبة كما يدلّ عليها المصطلح، من أصل اللفظ "حسب"، ومن ثمّ فمفهوم الحوسبة الإلكترونية استعمل للدلالة على دراسة اللغة بطريقة علمية حسابية لاستخلاص النتائج حول نظامها وسبل استخدامها ومعرفة تحولاتها والوقوف على معانيها والتغيرات التي

1 ينظر: هذا المقال نشر في مجلة لغة العصر (في تكنولوجيا المعلومات)، ونشر في الموقع على النت :

<https://amiraabahget.wordpress.com>

2 اللغة العربية والحاسوب، دراسة بحثية، ص 83/84.

3 ينظر : عبد الغني أبو العزم، الحاسوب والصناعة المعجماتية، اللسان العربي، العدد السادس والأربعون، ديسمبر

.1998

طُرأت عليها في مسارها التاريخي، وتغيراتها الآنية بحسب السياقات التي ترد فيها، وتتحكّم في الدلالات الطارئة عليها، علماً أنّها كانت في بدايتها بأعمال تدريجية<sup>1</sup>.

ولا يتحقق ضبط هذه الحوسبة إلاّ بعد حيازة المخزون الهائل من النصوص المحفوظ في التراث العربي، وهي الفكرة التي بني عليها مشروع الذخيرة العربية<sup>2</sup>.

وقد استطاع اللسانيون أن يخوضوا في هذا المجال - الذي يشترط فيه الإلمام بالمنطق الرياضي - لصياغة نظام رياضي جديد يتّسم بالتحديد والدقة لاستغلاله من قبل الآلة، وقد كان منطلقهم في هذا من مفهوم الاستغراق<sup>3</sup>، وعلّنا نجد ما يفسر هذا المفهوم المستفرد من القرائن ما نجد في بعض ما ورد إلينا في نظرية المكونات القريبة<sup>4</sup>، ومن روادها ز. هاريس (Z. Hazris)، وتناوله هوكث (C. F. Hockett)<sup>5</sup>.

وكان للنحو التوليدي التحويلي الذي نادى به شومسكي الأثر الكبير في سنّ نمط تتفرع عنها أماط الأنحاء الأخرى فيما بعد المرتبطة بالمكونات القريبة، وهي بدورها تخضع للمنطق الرياضي والتمثيل التشجيري، فكان لهذه الصياغة أثر في توجيه الأنماط اللغوية نحو الدقة العلمية الرياضية.

وقد انتقد هذه النظرية أستاذنا الحاج صالح، وهو يرى أنّ اللّغة عند العلماء العرب أصول وفروع، والفرع في الحقيقة ما هو إلاّ الأصل مع زيادة، وتفرع الفروع على الأصول هو نوع من التحويل<sup>6</sup>.

ونحن نريد الوقوف على حوسبة اللغة لا بدّ أن نشير إلى تعدّد النظريات اللّغوية التي اهتمّ بها أهل اللّسانيات الحاسوبية والمحاولات التي قادها مهندسون ولا تزال، وبعض المفاهيم التي

1 ينظر: عبد الإله الديوه جي، مفاهيم أساسية حول تقنية المعلومات، عالم الفكر، أكتوبر 1987، ص 35.

2 ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الأول، السنة الأولى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، سنة 2005، ص 24.

3 (Distribution)، والمقصود به استفراغ جميع القرائن وجميع السياقات التي تظهر فيها العناصر اللّغوية أي مجموعة القرائن المستفردة بالنسبة للعنصر اللّغوي الواحد.

4 (Théorie des composants adjacents)، وهي مكونات من العناصر على شكل وحدات تحتوي الصغريات في الكبريات.

5 عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، 2007، ص 234-235.

6 لمرجع السابق، ص 236-237.

تبناها باحثون كمفهوم العامل مثلاً أو مفهوم الأثر (Trace)<sup>1</sup>، وأولئك الذين يعملون في حقل الخوارزمات المناسبة للتحليل النحوي، نجد أنّ الاختلاف لا يزال كبيراً<sup>2</sup>.

ولما يتعلق الأمر بالعقل الاصطناعي، فإننا أمام ظاهرة معقدة، نستقي أفكارها من النظم المعرفية، والتي لا تقف عند علم بعينه، بل لا بدّ لنا من الأخذ بعلوم متعدّدة لفتح هذا الباب المغلق أصلاً، نظراً لصعوبته.

لا يخفى علينا أننا في ملامستنا لهذا المجال، نواجه مصطلحات ومفاهيم جدّ معقدة ولعلم النفس فيها وجود.

هناك مصطلحات ومفاهيم عديدة تُفرض علينا، كالإدراك والتفعيل الذهني وقوة الخيال والذكاء الاصطناعي وغيرها من الأفكار التي احتضنتها ساحة البحث في المجال اللساني العرفاني، وهي لا تزال في بداية مشوارها التأسيسي، فهذا لانقار وأمثاله كثيرون ممن يجتهد في ملمة هذا البعد النظري الذي يفتح باب التطبيق البيئي على مصراعيه<sup>3</sup>.

فاللسانيات المعرفية اقتحمت المجال من باب واسع لتلامس نظريات الذكاء الاصطناعي وما يحيط به من مجالات نفسية تكملّ التصور الذهني له.

### ج - المواقعية ونظم المعلومات

إنّ مخبر المعالجة الآلية سبق له أن نظّم ملتقى دولياً بهذا العنوان " المواقعية بتلمسان وضواحيها" في تلمسان بتاريخ 09 - 10 ماي 2011م بتلمسان، في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

وقد توصل المشاركون إلى مجموعة من التعاريف والنتائج العلمية التي تثبت أنّ هذا العلم الفتي الذي يجعل من اسم المكان منطلقاً للدراسة ومن علم اللغة موضوعاً لها بدعامة علم يهتم بالمكان كالجغرافيا وغيرها من المجالات العلمية، ومن ثمّ كان لعلم اللغة الجغرافي العنوان الأبرز في تحديد النمط الدراسي الذي أجمع الحضور على بينته، وتبعيته للعلوم التطبيقية نظراً لاستفادته

1 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2 المرجع نفسه، ص240.

3 ينظر : عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، نظرية رونالد لانقار، مسكيليان للنشر، الطبعة الأولى، سنة 2010م.

من النظريات اللسانية والنظريات الجغرافية، ومن العلوم المختلفة بحسب الأهداف، والحاجة التطبيقية النفعية التي تؤدي خدمات متكلمي هذه اللغة الشريفة.

ولأنّ نظم المعلومات على تعددها تمدّ الدراسين والباحثين بالمعلومات المخزّنة وتلك المهياة للتطبيق، فإنّ قيمة هذه المعلومات لا تتحقّق إلاّ إذا تمّ استغلالها وتوظيفها، ولا تظهر إلاّ في الكلام أو التواصل لافتراض وجود الآخر الذي يستثمر في هذا الحقل المعرفي<sup>1</sup>.

لم يعد التحكم في التكنولوجيا الحديثة وتسارعها بيد الشعوب أو الدول، فهي تتقدّم وفق متطلبات العصر، ويتغيرات جدّ معقّدة وهي آخذة في التطور المتسارع دون استئذان من جهة وفي تسابق مع الزمن، فالتطبيقات المتعدّدة تنحو نحو سوق العولمة، وعولمة السوق الموجودة للاستجابة لمتطلبات المجتمع وتسهيل حياة الأفراد، وتثبيت حقّ بقاء الشعوب.

ولأنّ الفجوة تزداد اتساعاً بين عالمنا العربي، والعالم المتقدم في امتلاك التكنولوجيا، أصبح مطلب الثورة المعلوماتية في بلداننا مطلباً لا خلاف حوله، لتمكين باحثينا من الأدوات التي تسهم تطوير لغتنا وتعليمنا إلى مصاف الدول المصنعة، وتفعيل الوسائط المتعدّدة والمتنوعة للإسهام في تسهيل التواصل، وتيسير الوسائل التعليمية في كلّ المجالات، للتموقع وأخذ زمام المبادرة والتشجيع على المنافسة الإيجابية.

لا أحد يُنكر أنّ ثورة المعلومات، حقّقت الطّفرة العلمية، خاصة وأنّ الانترنت قرّب كلّ بعيد، ووفّر التدفق العلمي والتحصيل المعلوماتي بالميزات المطلوبة من نوعية عالية، وكمّ هائل من المعطيات، وكل هذا في وقت وجيز، ما لا يمكن للباحث أن يتوفر عليه، رغم خصوصية الكتاب وفوائده.

وبما أنّنا من هذا العالم، ونتفاعل معه، ونؤثّر فيه ونتأثّر به ، لا بد أن يكون فكرنا علمياً، ولا يقتصر على دنيانا البسيطة، بل يتطلّع إلى التزوّد بالمعرفة العالمية التي تجعلنا نتعرف على غيرنا، ونستفيد من تجاربه وثقافته في إطار العولمة، وتوسيع مدارك مجتمعنا في كلّ المجالات، ونجعل من عاداتنا وتقاليدنا سلّماً معرفياً للارتقاء بهذه المكتسبات إلى المراتب العليا في بلادنا.

<sup>1</sup> خالد عبد الرزاق السيد، اللغة بين النظرية والتطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب ، القاهرة سنة 2003، ص

ولإثبات وجودنا، علينا مواجهة التحديات التي تفرضها هذه الثورة المعلوماتية بالانغماس فيها وتلويينها بخصوصياتنا، ثمّ التعامل مع معطياتها لنواكب التغيرات التي آلت إليها حياتنا العصرية.

ويجدر بنا هنا، التركيز على تمكين الأجيال النّاشئة من التكيف مع هذه المتغيرات، والدوران في فلكها بنفعية، والاستفادة من المستجدّات العلمية والتكنولوجية في كنف هذه الثورة المعلوماتية، والاستثمار في النافع مع مراعاة عامل الوقت الذي لا ينتظرنا، ومن ثمّ التفكير في كل ما يسهم في جودة الحياة لهذه الأجيال بنظرة برامجية<sup>1</sup>، تستجيب للراحة النفسية، وذلك باستغلال هذه المعلومات بما ينفع ولا يضر البعدين الانطباعي والموضوعي لذلك.

وإذا كانت الواقعية، تعتمد في مرحلة من مراحل دراساتها على تحصيل المعلومة، وكيفية الوصول إليها، والاعتماد في جزء كبير منها على الآليات التي تمكّننا من سرعة الحصول عليها، والوقوف على دقتها، وكثرة المصادر وتنوعها، فإنه لا مفرّ لنا من استغلال التكنولوجيا العصرية لتحقيق ذلك، خاصة ونحن ندرك أن الإيجاءات الدلالية لهذه الطبونيمات تتطلب الوقوف على البعد البيئي للمجالات العلمية، للاعتراف المعرفي في تفسير هذه الجوانب التي تحملها الأسماء الأعلام في مرحلة موالية.

وللإشارة، يحتاج الإنسان في عصرنا إلى حل المشاكل بالاعتماد على هذه النظم المعلوماتية، ولذلك نجده يسعى دوماً إلى تطوير الحلول الممكنة، وذلك باستغلال كل معلومة متوفرة لها علاقة بالمجال الذي تتداوله الدراسات أو تستغله البرامج التطبيقية، ونظم المعلومات الإلكترونية، أو الحاسوبية على تنوعها، لتكون أداة تكنولوجية ومعلوماتية في يد المستخدمين أو المستثمرين، وبالتالي يكون للمكان قيمة نقدية لما يتمكن الدارس من تحديد المعاني ذات العلاقة بالمكان، وكذلك الإيجاءات المتوصل إليها.

---

<sup>1</sup> Katschnig H. (1997). How Useful is the Concept of Quality of Life in Psychiatry? In Quality of Life in Mental Disorders (Eds H. Katschnig, H. Freeman, N. Sartorius), P. 3-16.

يتطلب هذا المسعى طرقاً علمية واعتماد أسلوب النظام، لتحقيق ذلك وبطرق مقبولة، يرتضيها العلماء والباحثون.<sup>1</sup>

ولما كانت تلمسان الزبانية ينظر إليها نظرة خاصة لطبيعة أراضيها، كانوا يعتبرونها أندلس<sup>2</sup> الجزائر لجمال بساتينها واخضرار طبيعتها، ولكن لم يغب عن هذا التصنيف استغلال المعلومة الجغرافية آنذاك بالرغم من قلة الوسائل بل وانعدامها مقارنة بما هو موجود في عصرنا من أقمار اصطناعية ومعلومات محوسبة، كانت إذن النظرة الجغرافية محدّدة لهذه الطبيعة، لذلك كان التصنيف الطبيعي يضمّ ثلاثة أقاليم :

- منها الجبلية التي تنحدر منها المياه (المرتفعات، قوّة الدفع ، تلاقي السيول الآتية من الجبال إلى المنحدرات)، وفرة المياه (العيون والينابيع) عين القبلي، عين تموشنت، عين الحوت، عين الدفلى، عين الخادم ، عين صيرة ...  
وادي الصفصاف، وادي مشتكانة، وادي الزيتون ...

- الأنهار والسواقي وعلاقتها بجمال الطبيعة بما فيها من بساتين وحقول وأراض خضراء.

- ومما يستنتج من قراءة هذه العلامات يدلّ على وفرة الإنتاج الفلاحي.

ساقية الرومي، ساقية الجامع ...

ولعلّ المعلومة الرئيسة التي يمكننا التوصل إليها تنبئنا بأنّ الجزائر بلد فلاحي (نتوصل إليه من المعلومات التي تقدمها لنا الطبيعة انطلاقاً من البعد التسموي)<sup>3</sup>.

وفي هذه الحالات التي تكون المعلومة في علاقة تلازمية مع المكان الذي يُستدلّ عليه بالاسم (الطبونيم)، كان لزاماً علينا استغلال المعطيات المخزّنة في الحاسوب، لتوظيفها واستغلالها في البرامج الإنمائية وغيرها، انطلاقاً من الطبونيم الذي يحمل هذه الصفات التمييزية

1 عماد الصباغ، تطبيقات الحاسوب في نظم العلومات، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن سنة 2000، ص 11، 12 .

2 ينظر : ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر سنة 1962م 125.

3 مختار حساني، تاريخ الدولة الزبانية، الجزء الثاني، دار الحصار، الطبعة الأولى، سنة 2007م، ص 26.

للمكان، وبدعامة الإيحاءات التي نتوصل إليها بالاعتماد على المعرفة السابقة، والكفاءة التي يتمتع بها الدارس أو الباحث.

تعدّ هذه المعلومات قواسم معرفية مشتركة بين علمي اللغة والجغرافيا، وهما علمان يمدّان الدارس بالأدوات والإجراءات اللازمة، لتحقيق هذا التكامل في النظام الواحد في خدمة الأهداف البراجماتية.

## 2 - الاغتراف المعرفي والمواقعية

إنّ الاغتراف المعرفي، من أهمّ ركائز البحث في الدراسات البيئية - خاصة في مستواها النظري - ولما يتعلّق الأمر بالمواقعية في بعدها التطبيقي، فإنّ اللسانيات المعرفية تعتبر المجال العلمي الرئيس لوضع أرضية نظرية لهذه الدراسات التي تستلزم ثقافة واسعة تمدّنا بالفكر التأسيسي لهذه الأرضية.

فالطبونيمات لا تُدرس مجردة، فهي تعتمد المراجع والقرائن للتعرف عليها وتمييزها عن غيرها، واعتبارها أدوات - لغوية وغير لغوية - لتحديد أصل الوضع، فهي تسعى إلى قراءتها - عند التأصيل - عبر متغيرات الزمان وضوابط التاريخ، وتلوين الضبط الثقافي للأمم<sup>1</sup>.

والدراسات البيئية في كثير من المجالات العلمية - خاصة في بعض العلوم التي لا تزال فتية في عالمنا العربي - كما هو حال المواقعية تحتاج إلى خلفية معرفية يعتمد عليها الباحث في استقاء معلوماته، والتأسيس لها، ومن الضرورة بمكان أن يحصل عليها بأدلة، ويقدمها بما يمكن القارئ من الأخذ بها، بالاستناد على هذه القرائن والمرجعيات، ويقف في ضوئها على هذه المعطيات، ويأخذ بها دون أي تردد .

والمواقعية على اختلاف دوائها الاصطلاحية في مقابلة الطبونيميا (Toponymie)، تعدّ من هذه العلوم الفتية، وأرضيتها النظرية لا تزال تجمع شتاتها المعرفي لكونها تتسع إلى علوم كثيرة لتجيب عن تساؤلات المجالات المبهمة أحيانا، والمتداخلة في أحيان كثيرة .

وبما أنّ المواقعية ترتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الأمم، وبالحياة الأنتربولوجية للشعوب، فإنّ أسماء الأعلام أخذت قسطا وافرا في تعيين أسماء الأمكنة (المواقع) بأسماء شخصيات تاريخية،

<sup>1</sup> منصور تلمسان، بنيت في عهد السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق سنة 1303، وأعيد ترميمه 1336.

ودينية، وأسطورية، وغيرها... وكلها تحمل بصمات معرفية تحتاج إلى فك خيوطها عبر هذا العلم.

إنّ الوقوف على تاريخ معين لأصل وضع الأسماء للأمكنة من قِبَل الإنسان - شأنها في ذلك لا يختلف عن تاريخ نشأة اللغة - لا يعرف لها بداية معينة، بخلاف الدراسات الأكاديمية التي أسست لظهور هذا العلم الفتي في القرن العشرين، لذلك جرى البحث على منوال الدراسات التطبيقية التي تعتمد على مجالات غير مجاورة في حقول معرفية متباينة، وفي أحيان كثيرة هي استفادة من بعض موضوعات هذه المجالات، في مثل الإلكترونيك لتحديد اسم المكان للاستدلال به على المواصلات بمختلف أشكالها.

### ١ - ثقافة المكان وروافده المعرفية

عندما نتكلم عن الخصوصية الثقافية التي تميز الفكر، فنحن نعني بذلك أنّ تقدم المجتمع وازدهاره مرتبط بمكوناته الثقافية التي تحدّد اهتماماته الحياتية، وتوجّه مساره، لأنّ المجتمع يمثّل لأسلوب حياة تنصهر فيها تقاليده وأعرافه، تلحق العوارض التي يكتسبها بالحقيقة، فتصير لديه ملكة له، وهو ميل طبيعي من البشر للأخذ عمّن سبقه، وأنه في كلّ استعمال إضافة للنظام، وتحيين لاستعمال سابق<sup>1</sup>.

كما أنّ المجتمعات تستحضر تاريخها وترجمها في سلوكاتها الفردية والجماعية بما تحمله من عقائد وقيم، وتحدّد اهتماماتها واتجاهاتها المستقبلية، ولا يغفل في علاقاتها العواطف بالمكان الذي تنصهر فيه هذه المؤثرات المادية والمعنوية، كما ينمو فيه تعاطف خاص مع ذكريات هذا الماضي بما يطبعه، ولا يمكن لهذه السلوكات الفردية والجماعية أن تنسلخ في انتقاداتها وأحكامها عن انطباعية تغذي انتماءاتها.

وإذا استقرّ الرّأي على أنّ التّنوع الثقافي يحدّد تنوع المجتمعات وعليه تتوقف الاختلافات في الأحوال الحياتية العامة، وفي التفكير والسلوكات، فإننا نجزم أيضاً أنّه في ضوء هذه

<sup>1</sup> السيّد صدّيق بن حسن خان القنوجي البخاري، أجد العلوم، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان سنة 1999م، ص 107.

الاختلافات تحدّد المستويات الحضارية للشعوب وعليه تتوقف تباينات المسافات في نسب التقدم والتخلف لديها .

ومع ذلك، يعتقد كثير من الدارسين، أنّ مفهوم الثقافة أوسع وأكثر تعقيداً ممّا نتوّهه في تعريفها ومن إدراك حقيقي لمفهومها.

ولهذا، فإن قراءة المجتمع لماضيه وحاضره، ولتحديد رؤاه المستقبلية، وتخطيط مشاريعه، لا يمكنه إغفال آثار التنافر والتجاذب التي تخلفها الأحداث التاريخية من عداوات وصدقات، وصراعات وتحالفات، واختلافات واتحادات، لأنها نظم مؤسسات، وسلوكات مجتمعات تتمّ وتتصل بما تتركه البيئات فيهم عبر مسار حياة الشعوب، وبذلك يتشبعون بهذه الثقافة كما يتشبعون باللغة الأم الحاملة لها<sup>1</sup>.

وإذا كانت الثقافة بالمفهوم الأنثروبولوجي أسلوب حياة تميز المجتمعات عن بعضها، فلا بدّ أن تلوّن مكونات حياته بتقاليد وعاداته وأعرافه وكلّ اهتماماته العقلية والعاطفية، لتستقيم له رؤيته لمستقبله، وتوضح طريقة تفكيره في تصوره لنظم مؤسساته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل ويكون لبيئته الثقافية أثرها في كل ذلك مثلما يكون للغته.

ولذلك نجد أثر هذه التنوعات الثقافية في المجتمع هي التي توجه درجات التقدم أو التخلف للشعوب، وهي التي تحدّد المستويات الحضارية لها ودرجة تباينها عن بعضها أو تقاربها، ومن ثم تكون المعرفة لدى الأفراد داخل الثقافات المكون الرئيسي للشعوب والباعث الحقيقي لتقدمهم قوة ازدهار للبلد.

وبحكم أنّ المعرفة تتركز في مفهوم شمولي لصياغتها، فهي تستلزم منا الوقوف عند هذين المصطلحين: الثقافة والمعرفة.

فإذا كانت الثقافة - كما رأينا - هي المحدّد للمستوى الحضاري للأفراد والمجتمعات، وهي التي تظهر الاختلافات، فإننا في قراءات مفهوم الثقافة وفي التعاريف التي أوردها العلماء من زواياها المتعددة، نجدها على كثرتها لا تقف على حدّ واضح، ولا بعد دقيق، بل كثيراً ما نتوهم أنّ معناها لا يزال زئبقياً نظراً لسعة حركية هذا المعنى، بل هو تأكيد على غموض معناه.

<sup>1</sup> أعمال ندوة : المعجم التاريخي للغة العربية ، قضايا النظرية والمنهجية والتطبيقية ، المجلد الأول، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة ، سنة 2010، ص 323.

لقد تناول هذا المصطلح الفلاسفة والعلماء، واستقرّ البحث مجالاً بحثياً في الأنثروبولوجيا<sup>1</sup> والاثنولوجيا، وعلم الاجتماع، وغيرها من العلوم، ولذلك اتسعت دلالاته، وتعدّدت صفاته، وكثرت تعريفاته.

في تعريف للعالم الأنثروبولوجي ادوارد تايلور لمفهوم الثقافة، يرى بأنّه: «ذلك الكل المركّب المعقّد الذي يشمل المعتقدات والمعلومات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضواً في مجتمع»<sup>2</sup>، فهي على شموليتها تجد لها إشارات زبئية في مصطلحات توصيفية لمجالاتها، ذلك أنها تحمل معاني يجتهد الباحث في توطينها في داخل بؤرة معرفية شخصية في مثل ذكره لجميع القدرات الأخرى. وهو ما يؤكّد تعقيد هذا المفهوم وشموليته.

وإذا كان مصطلح الثقافة يحمل هذه المعاني المتعددة المتعلقة بالأفراد والمجتمعات، وبها تتمايز الشعوب وتتقارب، فإننا في المقابل، نجد اللغات تتسم بصورة واضحة بالاختلاف، وهي حاملة لكلّ هذه السمات<sup>3</sup>.

إنّ قابلية الأفراد للتمييز بالبيئات التي ينشأون بها، تتمثّل في اختلاف ألسنتهم، وطرق تفكيرهم، وأنماط سلوكهم، بل كلّ يطبعها رواسب هذه النشأة وما يتخلّلها في مسار حياتهم من عادات وأعراف، وغيرها، ولا بيئة ولا منشأ إلاّ ظلّ الفضاءين: المكاني الزماني، ويكبر الأفراد وينشؤون، وتتحدّد الحياة فيهما بهذا الكلّ المعقّد الطي تتحقق فيه اللغة وكلّ العناصر

1 فهم حسين ، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية ، الكويت فبراير 1986، ص 196.

2 نقلاً عن: سامية حسن الساعدي ، الثقافة والشخصية ، بحث في علم الاجتماع الثقافي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1983 ، ص 35.

3 رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص 234.

الثقافية والأنساق المعنوية التي تنظم أنشطته الاجتماعية<sup>1</sup>، وتلك التي تشكّله وتسكن عقله، وتوجه عواطفه ووجدانه وارتباطه بالمكان والمجتمع<sup>2</sup> الذي ينتمي إليه ويزدوب فيه .

وبسبب هذا التعقيد والأهمية كثرت تعريفات الثقافة. فويسلر يعرّفها بقوله: «الثقافة كل الأنشطة الاجتماعية في أوسع معانيها مثل اللغة والزواج ونسق الملكية والاتيكييت والفن»<sup>3</sup> وفي تعريف آخر يبين فيه ويسلر أن الثقافة ضابط أساسي لمعرفة التفاعل الاجتماعي الذي يحصل بين الأفراد والجماعات ، ويبين كيف يكون هذا التشكّل الثقافي مميزاً لنمط حياتي لهذه الجماعة، إذ يقول: «الثقافة هي أسلوب حياة تتبعه الجماعة أو القبيلة تتضمن مجموعة المعتقدات»، ومنهم من يرى في هذا التعريف منحى أنثروبولوجي لا غير، أمّا بواس<sup>4</sup> فيعرّفها بأنها ذلك الكل المركّب الذي يتمثل في العادات الاجتماعية التي تميز جماعة بكلّ ما لها من ردود أفعال متأثرة بعادات المجموعة التي يعيش فيها الأفراد والجماعات، وكل منتجات الأنشطة الإنسانية التي تتحدد بتلك العادات»<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> كلارك ويسلر، عالم أمريكي اهتم بتصنيف الثقافات العالمية إلى مجموعات ثقافية وأطلق عليها مصطلح المنطقة الثقافية، بين سنة 1900، و1915، تأسيس للأنثروبولوجية الثقافية. ينظر : عصمت تحسين عبد الكريم، علم الاجتماع المعاصر، الجندرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2015، ص 193.

<sup>2</sup> روث : روث فلتون بندكت (Ruth Benedict) من مواليد 5 يونيو 1887 نيويورك ، وتوفيت 17 سبتمبر 1948، باحثة في علم الإنسان والفولكلور، تتلمذت على يد فرانز بواس في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وعرفت مارغريت ميد، وساير، وساهمت في توسيع البحوث في مجال الأنثروبولوجيا والثقافة.

<sup>3</sup> سامية حسن الساعاتي ، الثقافة والشخصية ، بحث في علم الاجتماع الثقافي ، دار النهضة ، بيروت ، 1983 ، ص 35.

<sup>4</sup> بواس : فرانز بواس(1858-1942)، من أسرة يهودية ألمانية ليبرالية، تابع دراسته العليا في الفيزياء والرياضيات والجغرافيا في الجامعات الألمانية، ثم الأنثروبولوجيا، شارك في بعثة لدراسة أثر الوسط المادي على مجتمع الإسكيمو وتوصل إلى أنّ هذا التنظيم الاجتماعي كان محكوماً بالثقافة أكثر منه بالبيئة. وركّز جهوده في البحوث الأنثروبولوجية ، واستقر نھايا بأمريكا.

<sup>5</sup> ينظر : سامية حسن الساعاتي ، الثقافة والشخصية ، بحث في علم الاجتماع الثقافي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1983 ، ص 35.

ولا تختلف كثيراً هذه التعاريف على أنّها كلّ مركّب، فلوي<sup>1</sup> يُعرّف الثقافة : «ذلك المجموع الكلي لما يكتسبه الفرد من مجتمعه تلك المعتقدات والأعراف والمعايير الجمالية وعادات الطعام والحرف التي لم يُعرّفها الفرد نتيجة نشاطه الابتكاري بل عرفها كتراث الماضي ينتقل إليه بواسطة التعلّم الرسمي وغير الرسمي»<sup>2</sup>، فالثقافة إذن، هي ذلك الموروث الفكري الذي يميز الشعوب عن بعضها البعض، وباختلاف طبيعة الثقافة تتمايز المجتمعات عن غيرها، لأنّ ارتباط المجتمعات بواقعها وتراثها الفكري والحضاري، في تغير مستمر تنمو مع نموها الحضاري، وتراجع بتخلفها وبما يصيبها من وهن ومن فقر وحروب ونكبات، وبالتالي فهي تعبّر عن مكانتها الحضارية بالثقافة التي وصلت إليها .

فالثقافة بتشعب مكوّناتها، وتعدّد مجالاتها تبقى مستعصية التحديد العلمي لأنّها تجمع خيوطاً معرفية قد لا تجتمع في رافدٍ آخر، وهو ما يزيد في كثرة الملامسات التعريفية تتقارب وتباين من باحث إلى آخر، بحسب المشارب وما تجود به البيئة من تفاعلات اجتماعية وتراكمات تاريخية.

وتتوالى التعاريف متقاربة مع التباينات الجزئية في شكلها، والمختلفة في موضوعاتها وجواهرها، ذلك أنّ الخصائص التي تميّز المكوّنات وتتلاحم مع مكوّنات أخرى في جوانب معينة، يُعرّفها مالينو فسكي<sup>3</sup>: «الثقافة هي ذلك الكل المتكامل الذي يتكوّن من الخصائص

---

<sup>1</sup> لوي: لويس هنري مورغان (1818-1881)، وهو محام و أنثروبولوجي أمريكي ومن رواد المدرسة التطورية . وكان اهتمام مورغان بنظم القرابة والنظم الاجتماعية والسياسية كبيراً ، وراسل المبشرين العاملين في جهات مختلفة من العالم مستفسراً عن أنظمة القرابة والتنظيمات الاجتماعية لدى الشعوب التي يبشرون بينها.

<sup>2</sup> سامية حسن الساعاتي ، الثقافة والشخصية ، ص 36، (مرجع سابق).

<sup>3</sup> ولد برونسلاو مالينوفسكي (1884-1942)، براكوفيا (بولندا)، نال الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ياغيلونيا عام 1908، واهتمّ بالرياضيات والعلوم الفيزيائية، وتخصّص في الأنثروبولوجيا، درس الإثنولوجيا في جامعة لايبزيغ. انتقل سنة 1910 إلى لندن ودرس الاقتصاد، ثمّ سافر في 1914 إلى بابوا غينيا الجديدة لاندلاع الحرب العالمية الأولى، وأجرى أبحاثه الميدانية فيها، ولا تزال نتائجها ذات أثر كبير على الدراسات الإنسانية التطبيقية إلى اليوم. في سنة 1922 حصل على الدكتوراه في الأنثروبولوجيا، وأصبح أستاذا في كلية لندن للاقتصاد. تمّ إصدار كتابه Argonauts of the Western Pacific، والذي احتل به مكانة عالمية، وأصبح من أشهر علماء الإنسان في العالم.

البنائية لمختلف المجموعات الاجتماعية من الأفكار الإنسانية والمعتقدات والأعراف والحرف والأدوات»<sup>1</sup>.

ولا يتعد أنزيو<sup>2</sup> عن هذا النسق الكلي من المفاهيم في نظريته للثقافة، وفي النسق ذاته نجد تعاريف لا تخرج عن نطاق الموروث الذي يطبع حياة المجموعات الاجتماعية، ومنها ما يراه ساير<sup>3</sup> نسيج من المكتسبات تترجم في سلوكات ومعتقدات، تؤثر في حياته وتحدّد هذه الممارسات وفق التفاعلات حول الثقافة أمّا: «مجموع الممارسات والمعتقدات المتوارثة اجتماعياً التي تحدّد جوهر حياتنا»<sup>4</sup>.

أمّا راد كليف براون<sup>5</sup> فيرى أن الثقافة: «هي عملية اكتساب التقاليد الثقافية وهي العملية التي تنتقل بها اللغة والمعتقدات والأفكار والذوق والمعرفة والمهارات والاستخدامات في مجموعة اجتماعية معينة أو طبقة اجتماعية من جيل إلى آخر»<sup>6</sup>، وتختلف زوايا النظر، وتعود إلى ذلك التعريف البسيط الذي يحمل تميزات خاصة في حياة الأفراد، فتكون بالنسبة لهم

---

1 محمد حسن غامري، طريقة الدراسات الانثروبولوجية الميدانية، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، سنة 1979، ص28.

2 أنزيو : ولد ديديه أنزيو في 8 جويلية 1921 بـ"ملان" بفرنسا، ومات 25 نوفمبر 1999 بباريس، أستاذ مبرز في علم النفس، بجامعة نانتيير، وهو عضو بجمعية النفسانيين بفرنسا، وحصل على التبريز في الفلسفة في 1848، وتحصل على دكتوراه دولة سنة 1957.

3 ولد إدوارد ساير في ألمانيا سنة 1884، انتقل رفقة أسرته إلى إمريكا وهو صغيراً، ثمّ كولومبيا أين أنهى تعليمه، وتعرّف على فرانز بواس، عمل باحثاً في جامعتي كاليفورنيا وبنسلفانيا. ثمّ عيّن محافظاً بالمتحف الأنثروبولوجي بأوتاوا، درّس الأنثروبولوجيا والألسنيّة العامة في جامعة شيكاغو (1925-1931) ثمّ جامعة بال. كان له تأثيره الأقوى على اللسانيات في الولايات المتّحدة، ويعدّ أحد مؤسّسي علم الأصوات الوظيفي (Phonologie)، وصاحب نظرية اللغة منظمّة ومصنّفة للتجربة الحسيّة، وهي "ركيزة أبحاثه الأنثروبولوجيّة، توفّي في بال 1939.

4 Edward Sapir. Anthropologie, Tome 1 culture et personnalité, (Traduction de Christian Baudelot et Pierre Clinquart) Editions de Minuit, Paris, 1967, p 75.

5 ولد ألفريد ريغنال راد كليف براون في 17 يناير من عام 1881 في برمينجهام بإنجلترا، تخرج من جامعة كامبردج، وعدّ الأستاذ الأول للأنثروبولوجيا بجامعة أكسفورد، خصص جل أعماله لدراسة الشعوب غير الصناعية والسكان الاصليين لأستراليا.<sup>[5]</sup>

6 A.R.Radcliffe Brown, fonctionalisme ; A rotest american antropologist, 1949, p321.

سلوكات ومناهج حياة، ومنهم هير سكوفيتش<sup>1</sup> وغيره كثير ممن يعرفها أي الثقافة بأنها طريقة طرق حياة الناس، وأساليبها الملائمة لذلك<sup>2</sup>.

فهي إذن، وكما يعبر عن ذلك علماء كثيرون، تتوزع على عدة تعاريف وأفكار وسلوكات، بل هي كلّ مرّكب بين المتوارث والمكتسب، ومنهم عدد كبير من يراها مفهوماً متغيراً يخضع للتخريج والتأويل لمضمونها ووظائفها.

إذن، تتلخص الثقافة من وجهات نظر عديدة بأنها أفعال، وأشكال سلوكية، وممارسات ومعتقدات، وموروثات جينية، وهي تصورات وأفكار وقيم ومواقف وغير ذلك، ومن أجل ذلك تفرّع من علم الأناسة فرع خاص يهتم بدراسة الثقافات ومقارنتها إنه علم الاتنولوجيا<sup>3</sup>، وتبلور هذا العلم واتضحت مجالاته بعد الحرب العالمية الثانية<sup>4</sup>.

وإذا كان هذا هو مفهوم الثقافة، فإن اللغة تعدّ من أهمّ أنساقها، فهي الوعاء الذي يحتوي جميع الأنماط الثقافية، وهي الوسيط الأهم بين الأفراد وثقافتهم، وهي بدورها نمط ثقافي، ولا يمكننا فهمها فهما جيداً إلاّ بفهم الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع<sup>5</sup>.

قد لا نغفل عاملاً أساسياً مثل ما هو الحال في الثقافة التراكمية لكي يستقيم التعريف بأمر لا بدّ من الوقوف عليه، لأنّ المؤكّد الذي يثبتته الواقع التاريخي هو أن الإنسان يبدأ من حيث انتهت إليه الأجيال الأخرى ويستمر في إثراء ما وصله من تراث وتراكمات ويساير التطور الحاصل فيها.

لا بدّ من الوقوف على أبواب المعرفة عند المصطلح، لأن تطورات المصطلح تكون من اللغة إلى المفهوم الذي يرتبط بالفكر، ولأنّ الألفاظ في وضعها الأوّلي ليست عناصر لغوية تحمل معاني محددة بالوضع، أو دلالات في ضوء الاستعمال أو السياقات التي تحددها، ثمّ

1 ميلفيل هير سكوفيتس : عالم أنثروبولوجيا وفولكلور، أمريكي من مواليد 1895 وتوفي 1963، وقد قام بأعمال دراسية حول الزنوج في إفريقيا.

2 محمد الجوهري، المدخل إلى الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1990، ص 89.

3 لفي ستروس : من أهم أهدافها الكشف عن العمليات العقلية والإدراكية للأفراد داخل المجتمعات الإنسانية بغية الوصول إلى تفسير بشأن تعدد الثقافات واختلافها.

ينظر : فهيم حسين ، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، ص 229/228

4 ينظر : المرجع نفسه ، ص 235.

5 ينظر: أحمد أبو زيد، حضارة اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، العدد الأول، القاهرة سنة 1971، ص 25.

يتحول اللفظ إلى مصطلح يقف على مفهوم يخضع للمقاربات المنهجية، أو ينتمي إلى فرع من فروع المعرفة، أو طرح فكري يستند إلى نظريات علمية أو صيغ فكرية يتوصل إليها العلماء في ظل الاستفادة من الحقول المعرفية .

وإذا كان هذا هو حال ثقافة المكان، فإنّ للروافد المعرفية تناغم خاص في قراءة المكان وتأثير زوايا النظر العلمية باختلاف التخصصات، وإنّ تجاذبات بينية تُفَعِّل الحقول المعرفية لتفسير الدلالات والوصول إلى الإيجاءات بالتأويل والتخريج، واستغلال النظريات المعرفية لتفكيك شفرات التعقيد الذي يعكس ثقافات الشعوب.

ومع ذلك، ظهرت في عصرنا أدوات وأجهزة تمّ تسخيرها لمساعدة الإنسان على فهم الظواهر والأشياء المبهمة، كما هو الحال في الأقمار الصناعية التي تعدّ ثورة تكنولوجية تمدنا بالمعلومة لفهم نواميس الكون.

وعلى هذا الأساس، لا يمكننا إغفال المدّ الإلكتروني وأثره على هذه الثورة التكنولوجية في عالمنا المعاصر، وما نجم عنها من نظام جديد وعوامة فُرضت على الجميع، ونحن بدورنا، مطلوب منا مساندة الركب في استغلال الوسائل الإلكترونية، خاصة الوسائط التي أصبحت أكثر من ضرورة للتنمية في ظل التفاعل بين المتعاملين والشركاء الاقنصاديين وكذلك التعاون لبعث التكامل التجاري بين الدول في عصر التجارة العالمية.

فهي ثقافة العصر التي لا تقتصر على هذا المكوّن المركب الذي كان سائدا قبل اليوم، واقتحمت الساحة الفكرية ثقافة جديدة تلوّنت بطابع العصرية، ووظفت كل هذا الجديد التكنولوجي الذي أزال الحدود وبعث في الكون مدّا في النظر لا توقفه الحواجز المادية أو غير المادية - تلك التي شكّلت بالأمس القريب مطّبات أنتجتها الطّابوهات المختلفة عند الإنسان، كالكنيسة والطقوس الدينية<sup>1</sup>، وغيرها كثير - فكان المنعطف الذي أطلّ بوجه جديد في فلسفة جديدة للنظرة إلى الوجود.

<sup>1</sup> ولعلّ من أقدم ما تحمله أسماء اعلام الدالة على الأمكنة، ما ورد إلينا في أصل تسمية "جانت" وما تحمله من حكايات وأساطير تلك التي ارتبطت بقبائل جانت وما لها من علاقة بطقوس لا تزال إلى يومنا تقام بمناسبة عاشوراء "السببية"، بل تشد الرحال لحضور هذه التظاهرة الاحتفالية التي مرّ عليها مئات القرون.

ينظر : مريم بوزيدي، تن كيل سبّية في معنى شعيرة عاشوراء بواحة جانت، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ، الجزائر سنة 2013 CNRPAH ، ص 76- 77 - 78 - 80 - 81.

## ب - تعدد الوجوه البراجماتية في نظم تعليمية الواقعية

وهي بمثابة إجماع تاريخي على أهمية الفكر وتفعيله بما يسمح بفلسفة اللغة، في مسارها التاريخي، ووقفاتها مع نظريات لسانية معرفية.

إنّ الجغرافيا التي تدرس المكان وتحدّده، تعتمد على اللغة لملازمة اسم يميزه عن اسم آخر ليس فقط في دوالها، ولكن أيضا في مدلولاتها، لأنها أحيانا تتغير الأسماء وتبقى المسميات، ففي مثل تلمسان، قد عُرفت باسم بوماريا، وأقادير، وتاقرارت،.. الخ.

وتتفق الدوال في مواطن كثيرة، وتكرر الأسماء الأعلام الدالة على المكان، وهي متعددة ومختلفة في واقعها الجغرافي، كما هو الشأن في منصور<sup>1</sup> الطبونيم الذي يتكرّر ويوجد في عدة دول عربية، وعين الدفلى<sup>2</sup> التي تتكرر في عدّة أماكن من الوطن، وغيرهما من المتواجبات في داخل الجزائر وخارجه.

إنّ الوقوف على طبيعة الاسم العلم ليس كغيره من الأسماء في تحديد علاقة الدال بالمدلول، ومفهوم الاعتباطية في تحديد المعنى، الأمر الذي يستدعي النظر في تحديد مستويات اللغة، ومستويات تحليلها لملازمة هذه المعاني، ويستحضر علوما مختلفة لقراءتها والإحاطة بالمعاني التي نتوصل إليها، والإيحاءات التي تحملها التنوعات الاستعمالية، لأن زوايا النظر تجعل من الطبونيم وحدة متغيرة المداخل المعجمية والمفهومية، ومتباينة الحقول المعرفية، كما سنوضح ذلك لاحقا .

تعاملت المناهج التقليدية مع أسماء الأمكنة دون الاستفادة من العلوم الأخرى في خدمة الموضوع، فكانت الدراسات حكرًا على مجالات بحسب الاختيارات لنوع الدراسة في ظل المجال العلمي الواحد لا غير، إذ يدرس المكان جغرافيا لتحديد مكاني، ووصف جغرافي طبيعي، أو

<sup>1</sup> منصور تلمسان، ولم يبق منها إلا معدنة المسجد - طولها 38م - وباحته وجدار يحيط به، وقد بناه السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق سنة 1303، وأعيد ترميمه 1336. ومنصورة بولاية برج بوعريج حديثة المنشأ، تعود إلى الحقبة الاستعمارية (21000 نسمة)، ومنصورة قسنطينة/ والمنصورة غرداية، والمنصورة بمصر سنة 1219 في عهد الدولة الأيوبية، وكانت تسمى جزيرة الورود، ثم أطلق عليها اسم المنصورة بعد معركة النصر على الصليبيين، وهي اليوم عاصمة محافظة الدقهلية، تقع على الضفة الشرقية لنهر النيل، والمنصورة بتونس، مقر حامية عسكرية في العهد العثماني ..

<sup>2</sup> عين الدفلى القرية التابعة لبلدية شتوان، ولاية تلمسان، وعين الدفلى الدائرة التي انفصلت عن ولاية الشلف في التقسيم الإداري الأخير.

اقتصادي، أو تجاري الخ، أو يدرس لغويا لتحديد أصل الوضع قبل تحوله إلى طبونيم، أو المداخل بالاستعانة بالمعجم إذا تعددت ، أو في صرفيا لتحديد الصيغ لاسم المكان من خلال أوزان أو سماع، الخ.. لكن البحث العلمي والتقدم التكنولوجي سمحا للباحثين - في ظل رؤية تجمع بين تجارب علمية وتبادل معرفي واسع - بالتعمق في نظراتهم، لمعرفة تنوع مداخلها، وأعدادها،(ينظر ابن الهيثم).

فكانت بقدر هذا التعاون متباينة التداول مع توحد المقاصد رغبة في الوقوف على الحقائق العلمية.

لقد كانت المناهج التقليدية بمثابة القيد الموجه للبحث العلمي لما كانت تركز على نظام واحد فقط، في الوقوف على الحقائق العلمية<sup>1</sup>، في الوقت الذي كان الدرس العلمي الحديث يستفيد من تنوع المجالات العلمية ببرامج أكثر انفتاحا على الحس النقدي، وأكثر استعانة بمفاتيح العلوم الاخرى فيما دأب عليه الغرب في دراساتهم البيئية (بين التكامل والتعاون/ ينظر بيداغوجيا التعليم الافتراضي كوزليرن)، فركزوا على المهارات والتدقيق والإتقان ولا يتم الوصول إلى ذلك إلا بالتكامل بين أهل الاختصاص في المجالات العلمية المتقاربة والتي تكمل بعضها بعضا، والتعاون في الوقوف على الزوايا المتباينة بالاعتراف من مجالات علمية لا يمكن الاستغناء عنها لتغطية الزوايا المستعصية في مجال الاختصاص، والاستفادة من العلوم الاخرى في حقول معرفية مختلفة عنها ولكنها ضرورية (فالرياضيات، نظريات وعمليات لا قيمة لها في تجردها، ولكنها ضرورية في تطبيقاتها، فاللغوي يحتاجها في الجرد والإحصاء والتصنيف وغير ذلك ، ولكن التباين كبير في التصنيف العلمي للمجالين والحقلين).

والنموذج الرياضي للغة<sup>2</sup>: بدأت تطبيقاته اللغوية مع ظهور النظرية التوليدية والتحويلية للعالم الأمريكي (تشومسكي) فكان النموذج الرياضي للغة بقواعد رياضية تبنت ثابت فيها وعليه نسجت نظامها<sup>3</sup>، وبذلك بدت كأنها رؤية لسانية علمية جديدة، انطلق فيها من عموميات لغوية وفق تجريد ذهني يتمثل الواقع اللغوي.

1 جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، الطبعة الأولى، ص 170/16.

2 Le modèle mathématique de la langue. (modélisation des langues naturelles et leur fonctionnement)/

3 محمد سويس، لغة الرياضيات في العربية، دار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقق والدراسات، بيت الحكمة، د.ط، 1989، ص 08.

قد يحتاج التطبيق التعليمي التربوي في مستوى ابتدائي لبرنامج تعليمي خاص بفترة من المتعلمين من ذوي الحاجة الخاصة، أو عسر القراءة مثلاً، الديسلوكسيا، وهذا بالنسبة لسوق العمل، قد يعد استجابة لمطلب شريحة واسعة من المجتمع، وفي الوقت ذاته حل لمعضلة تعليمية تربوية تستفيد من تكنولوجيا التعليم (اللوتس للبرمجيات مثلاً)، وهذه المحاولات في عالمنا العربي تسهم في تطوير التعليم وتطوير الدراسات البينية في خدمة الفكر واستجابة للتطور المعرفي المعاصر.

وإذا كان للتعليم والتعليمية نصيب من هذه الدراسات، فإن الطبونيميا وعلم الجغرافيا اللساني عموماً من أحوج العلوم الى هذه الدراسات، وكذلك القواميس الجغرافية الالكترونية المتعلقة بمجالات ذات البعد البيني متعددة، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجد البرامج السياحية تقف على عدد من المعالم السياحية بدعامات متعددة ومتنوعة، لا تستغني عن التعاون البحثي في الدراسات البينية، لكونها لا تكتفي بمجال علمي واحد (اسماء المعالم السياحية، المساجد العتيقة<sup>1</sup>، والزوايا، والعناصر المائية والسدود الى غير ذلك من المعالم التي لا تعرف بدون أسماء ولا يمكن أن نقف عليها دون تأصيل أو معرفة أصل الوضع وأسبابه وتطور أسمائه وأحداث مسمياته وغير ذلك مما لا يمكن حصره في ملامسة اشارية لا غير)، وربما نقف عند تداول لغوية تطعمها اختصاصات متعددة<sup>2</sup>.

إن الطابع الأكاديمي للتخصصات التي دأبت عليها جامعاتنا العربية، في مسارها التعليمي والبحثي، وفي نقلها للمعارف وتوليدها، كانت تتبني النظام الواحد اعتقاداً في التخصص والتدقيق، ما نجم عنه كثرة التخصصات الدقيقة رغبة في التمكن من جزئيات المعرفة تفصيلاً واحتواءً، لكن العلم في تطور مستمر ولا تغيب عنه المناهج، بل توأكبها تغيراً وتطوراً في تسارع لا يكل، مع المنافسات العلمية العالمية بحكم جبرية البراجماتية الاقتصادية، وتقارب العالم بتقريب مسافته التي تتحكم فيها التكنولوجيا، وكان الأثر الأكبر لتنوع وسائطه

<sup>1</sup> والمقصود بالعتيق الذي يدرك حديث جنسه بالنسبة إليه، فيكون بالنسبة إليه عتيقاً، وهو الذي يبقية أكثر مما يبقى أمثاله مع تأثره بفعل الزمان. ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة السابعة، بيروت سنة 1991م، ص 110.

<sup>2</sup> فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، التداولية من أوستن إلى غوفمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2007، ص 181/180.

وكثرتها، في عالم جديد، غيرته العولة وتحكمت فيه قوى الاتصال، وانعكس ذلك على التنمية الشاملة لاقتصاد الدول، وتحكم الدول العظمى في توجيهه، لتحكمها في وسائل الاتصال العالمي، وتسخير التكنولوجيا في تحقيق ذلك.

فهذا النظام الذي ساد العالم قديماً، لم يعد يصلح لهذه المتغيرات في زماننا، فتم تعزيزه بنظم جديدة ومناهج حديثة، تأخذ بعين الاعتبار الجديد الذي يتجدد ويتطور، فلا مفر من تعدد نواقل المعرفة وتنوع مصادرها، والاستفادة من حقوقها على تباينها، بما يقتضيه الدرس البيئي الجديد، نظراً لثرائه وشمولية إلمامه، ولعلّ تعدد الوسائط وتنوعها وارتباطها بنظم تواصل جديدة تسير مستحدثات التكنولوجيا، مكنت هذه النظم والمناهج من التغير المستمر وهذا تماشياً مع نواميس الكون ومقتضياته<sup>1</sup>.

إنّ الإقبال على تبني طرق جديدة، ومناهج حديثة تستلهم أسسها من هذه الدراسات البيئية التي لا تزال في انتشار دائم في مستوى مختلف المؤسسات العلمية، تعرف توسعاً كبيراً لملازمة تخصصات تطبيقية تخدم مستجدات البحث العلمي والتطور التكنولوجي، كما أنّ الارتكاز المنهجي والإجرائي على ما توفره هذه الدراسات هو أيضاً في تزايد لا يتوقف، بحثاً عن حل للقضايا الغامضة، وكشف الأسرار التي تعرفها الظواهر المتداخلة.

### ج - المواقعية والدراسات التطبيقية

ولعلّ الدراسات الغربية، فتحت باباً أوسع للنهوض بهذا المجال الذي تجاوز الإطار اللغوي، ليستفيد من إيجاءات دلالية كانت غير معروفة في السابق، وكانت الأعمال العلمية التي تناولتها أقلام الباحثين فتحاً لتأسيس مدرسة أسمائية تهتم بالأسماء الأعلام، وتفرعت عنها تخصصات أكثر دقة في تصنيف هذه الأسماء الأعلام<sup>2</sup>.

ولما كانت الأسمائية علم لغوي، يبحث في الأسماء الأعلام وهي دراسة علمية لها في مقابل المصطلح الأجنبي Onomastique، واتخذت الطابع الأعم لها، ومنهم من وسمّها بخصوصية

1

منهم جورج كليبر، صاحب أطروحة: أوصاف معرفة وأسماء أعلام :

2

«Problemes de référence , descriptions définies et noms propres».

المرجع السابق ، الصفحة نفسها.

المعجمية<sup>1</sup>، فكانت تحتها أصناف اسمية إعلامية ومنها: دراسة أسماء أعلام الأشخاص L'anthroponymie<sup>2</sup>، فإنّها في الدراسات العربية التراثية لم تخرج عن كونها عناصر معجمية، لتعيين الأشخاص، في حين هي في الدرس اللغوي الحديث تأخذ منحى جديداً، ولا نجد لها القيمة ذاتها، بل تتعداها إلى أبعاد دلالية أكبر من البعد المعجمي، لذلك نجد تداخلاً وتبايناً بحسب نظرة الباحث إلى هذه العناصر اللغوية، ما يثير غموضاً في المسألة، وهذا لما يتعلق بوضع الحدود بين الأسماء الأعلام وأسماء العامة<sup>3</sup>.

أما الأسماء الأعلام الدالة على المكان، مثل أسماء المدن وغيرها من أسماء أمكنة، تتوصل إلى دلالاتها وفق استعمالنا لها في اللغة.

فنحن في مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، قد نظمنا الملتقى الدولي الأول بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة العربية<sup>4</sup>، حول أسماء الأمكنة، وتبيننا مصطلح المواقعية في مقابل مصطلح الطبونيميا الأجنبي<sup>5</sup> Toponymie في سنة 2008، لنكتشف في كتاب الأسمائية (2014)، المصطلح نفسه، منسوباً إلى د. بن مراد من تونس، ص16.

لكننا، إذا ذهبنا إلى شيوع الأسماء الأعلام المتعلقة بالإنسان والمكان، فهناك من يوسّع في هذه الأسماء إلى مجالات أوسع، حيث العلمية تتسع إلى أسماء الآلات والطائرات والسيارات، والمحلات، وأسماء أخرى كما هو الحال في أسماء الإنسان والمكان<sup>6</sup>.

ولا يشهد هذا المصطلح أي اتفاق بين العلماء في تحديد مجالاته، ما يجعله محلّ خلاف بين العديد من العلماء، لهذا نشأ مجال علمي يهتم بدراسة اسم العلم لتعيين الأشخاص Anthroponymie، ومجال آخر – كما سبقت الإشارة – للدلالة علم يهتم بدراسة اسم المكان Toponymie، للتفريق بين أصل تفرعاتها (علم الأسماء الأعلام) Onomastique، والتفرعات الأخرى التي لا تزال تبحث لها عن امتدادات في الواقع وتوسعات له .

<sup>1</sup> Camproux, Ch, Introduction , Les noms de lieux et de personnes de Christian Baylon et Paul Fabre. Edit. Nathan, Paris 1982, p.5.

<sup>2</sup> وقد أطلق عليها د. ابن مراد مصطلح الإعلامية في مقابل المصطلح الأجنبي، ينظر المرجع نفسه ص16.

<sup>3</sup> Ferdinand Brunot, La Pensée et la langue, 3eme éd. Parie, 1979, P40.

<sup>4</sup> الملتقى الدولي الأول : مواقعية تلمسان وضواحيها، تنظيم مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011.

<sup>5</sup> Bosanquet B, Logic – Or the morphology of knowledge, vol. I, Bristol, hoemmes. Presse. 1999, p158.

<sup>6</sup> طبونيمات من نوع بروكسيمات،

وتعددت تعاريف المكان وعلاقته بالزمان، ولعل ما ذهب إليه العلماء في تحديد مفهوم المكان المتمثل في تراكمات الزمن، يعدّ من أقرب المفاهيم العقلية في ظل ثنائية الزمان والمكان<sup>1</sup>.  
فنحن نعتقد أنّ الزمان هو الذي يحدّد المكان، وهو الذي يتحكم في الأسماء الأعلام الدالة على المكان، وهو المؤثر الأهم في تغيير الأسماء الأعلام الدالة على الأمكنة، وفي نواميس الكون التي تحدث تطور الأشياء.

وعلى الدراسات الطبونيمية تتبع التغيير والتطور الحاصلين في الأمكنة وفي أشكالها التسمية وتغير معانيها، وتعدّد إيجاءات التي تدور بدوران التطور مع الزمان.

المكان ن \* ز

ن (عدد طبيعي) 0

ن = (خال من النبات) تزرع فيه بذرة نباتية في سنة معينة، في البداية وتعتبر وضعية ابتدائية، زس = س (سنة).

(ن) ن \* ز (غابة) تتحول إلى غابة "ع طبونيم بعد عقود ز س = ع

المكان = ن × ز

ن (عدد طبيعي) ≠ 0

(خال من النبات) تزرع فيه بذرة نباتية في سنة معينة، في البداية ز × س = 0

(غابة) تتحول إلى غابة "ع = طبونيم بعد عقود ز × س = ن

إنّ المكان يخضع لمفهوم الثابت المتغير، فهو ثابت في وصفه ضمن الفترات المحدودة زمانياً، وهو متغير في وصفه عبر الزمان المفتوح (مجموعة حقبة متتالية)، وذلك لتتبع التغيرات ووصفها. فهي لاعتبار التراكمات الفاعلة، وسجلات الأحداث، واستحضار الذكريات التي يحملها الإنسان، تبقى الأسماء الأعلام الدالة على المكان دائماً متعلقة بالعناصر الثلاث: التاريخ، وما يحدث في الفضاء الجغرافي، والإنسان، في ترابط يدلّ عليه البعد التسموي، لهذه الحقب في تاريخ المكان وعلاقته بالزمان، بين البعد الخطي والدائري<sup>2</sup>.

1 جمال الدين الخضر، عودة التاريخ، الجزء الثاني، 49، 50، 51.

1

2

وإدراكا من الباحثين أنّ ما عجز عنه التخصص الواحد، قد يجد له حلا في تخصصات أكثر ملاءمة في علوم أخرى للعلاج الشمولي، ووعيا منهم بأهمية زوايا نظر مغايرة وتفاضلية في بعدها الإجرائي لحل المشاكل المعقدة والمتداخلة (ميشال لوري)، يسعى أهل الاختصاص إلى تعميق معرفتهم بالعلوم المجاورة وذات الصلة، وأحيانا الاستعانة بحقول معرفية لكسب مرجعيات وقرائن خاصة للفهم المتناسك للقضايا المتباينة لأنها مستعصية في التخصص الواحد وتتجاوز الحقل الواحد، فهي تصنف ضمن القضايا الاستراتيجية التي تخضع لسياسة التخطيط التنموي للبلد، ولذلك تراعى فيها خصوصيات ولا تعرف لها حلولاً إلا ضمن حقول معرفية متباينة دون غيرها من الحقول .

وتقوم الطبونيميا بما هي عليه من تداعيات معرفية، برفع إحدى النداءات لتطوير البرامج التعليمية، في الدراسات البينية على مستوى كافة مراتب التعليم في النظم التعليمية، لتكوين وحدة المعرفة والاقتصاد فيه، وهو أحد أهم متطلبات تحديات هذا النوع من الدراسات لمواجهة تحديات العولمة.

وتكون البداية تركز على العامل الإحصائي لمعرفة التكرارية في جميع مستوياتها انطلاقا من العلاقة التي تربطه باسم المكان.

### ثالثا : الواقعية والتنمية

كان لا بدّ أن نسخر أسماء الأماكن لأهداف نفعية لإنسان هذا العصر، فلم تكتف هذه الأسماء (الطبونيمات) بحمل دلالات لموروث مخزون، بل استغلت قرائن ومرجعيات في توجيه الاتصال والمواصلات، على اعتبار أنها أدلة مكانية، يعتمد عليها المتنقل عبر وسائل النقل المختلفة وراجلاً.

إنّ الواقع البراجماتي الذي فرضه العصر بما اصطحبه من تطور تكنولوجي، فرض علينا تحولا نمطيا للحياة اليومية، بل دخل بلادنا بدون استئذان ولا ترخيص، اضطارا لا اختيارا، فال

GPS<sup>1</sup> ما فتى يتحقق عبر برامج وطنية ودولية مترابطة بشبكة من العلاقات بمجالات التنمية والتنمية المستدامة.

ومن ثمّ، فالمجالات العلمية التي تؤسس وتنظر لأرضية هذه التطبيقات والممارسات في الحياة العملية وفي المخططات الاستشراعية لا تتوقف على تخصص علمي واحد، ولا تكتفي في سندها على حقل معرفي واحد، وفي ضوء ذلك، كانت الدراسات البينية العول في مجال الطبونيميا .

لكن ما يجب التركيز عليه، هو أنّ هذه الدراسات التي تهدف إلى وضع الساسة والحكام على اطلاع بما يمكن التوصل إليه في الدراسات المستقبلية لوطننا العربي، لا تزال في عتبة الطريق، ومنها الدراسات البينية التي تمثل العول<sup>2</sup> في كل ما نهدف إليه، وعليه لا بد من إعادة بناء العقل العربي وفق هذا التوجه العلمي، والحس النقدي الذي يكسر طابوهات الماضي، ويتمرد على الموروث الذي لا يزال حبيس ذهنيات بالية لا تؤمن بإمكانية امتلاك رؤية

---

<sup>1</sup> إنّ نظام تحديد المواقع إلكترونياً، يعتمد بالأساس على أرضية تتخذ من الخرائط الإلكترونية منطلقاً لها، وتتوفر على آلية تحديد أسماء الأماكن، والشوارع، والمعالم، ويعدّ كل طبونيم فيها بمثابة قرينة للاستدلال المكاني، ترتبط إلكترونياً بجهاز ج ب س (GPS)، وهو نظام عالمي يستغل في الملاحة، ومزود بخرائط جوجل (google)، وجوجل إيرث (Google Earth) وجوجل ماب (Google, Maps) يعمل بنظام الأندرويد، وهو ذات النظام الذي يفترض أنه سيشغل بالعربية في مشروع الذخيرة العربية، يفترض أن يكون عربياً .

<sup>2</sup> معنى عول في معجم المعاني الجامع ، عَوَّلَ : فعل، عَوَّلَ على، يعوِّل ، تعويلاً ، فهو مُعوِّل ، والمفعول مُعوَّلٌ عليه ، عَوَّلَ أَلماً وَحُزْناً : رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ ، عَوَّلَ عَلَيْهِ أَوْ بِهِ : اعْتَمَدَ عَلَيْهِ ، اِتَّكَلَّ عَلَيْهِ ، اسْتَعَانَ بِهِ عَوَّلْنَا عَلَيْهِ فَوَجَدْنَاهُ نَعْمَ الْمُعَوَّلُ ، عَوَّلَ إِلَيْهِ فِي حَاجَتِهِ : لَجَأَ إِلَيْهِ ، عَوَّلَ عَلَى السَّفَرِ : عَزَمَ عَلَيْهِ وَعَقَدَ النَّيَّةَ ، وَطَنَّ نَفْسَهُ عَلَيْهِ ، عَوَّلَ الرَّجُلُ : اتَّخَذَ عَالَةً الْعَوَّلُ .

وفي علم الفرائض : زيادة الأنصاء على الفريضة، فتتقص قيمتها بقدر الحصص.

استشرافية قومية، تعتمد على مشروع أمة بنقاش واسع، يسمح لنا بتقديم برامج فكرية عقلانية باستطاعتها تحريك الراكد، وتأسيس مدرسة مستقبلية بتقنيات وأدوات العصر<sup>1</sup>.

وكما سبقت الإشارة إليه، كان المنطلق في هذه الدراسة - من الزاوية الاستشرافية - من التخطيط التنموي وهي زاوية جدّ دقيقة ومتميزة ، لأهميتها العملية والتطبيقية في المخططات التنموية والاستراتيجية، لذلك تنوعت المجالات العلمية في خدمتها، وتعددت الحقول المعرفية في الاعتراف من معينها.

أمّا عن منطلق البحث الواقعي، فمن أسماء الأمكنة، وهي أسماء على تميزها عن غيرها بطابعها البنائي التأليفي الخاص، بخلاف الأسماء التحليلية الأخرى، تحمل إيجاءات تقدّمها تراكمات الزمان، صانعة المكان، وفاتحة مداخلها التي يقدمها اسم المكان بارتباطاته مع أحداث الزمان بواقع فعل الإنسان أو الطبيعة أو متغيرات الزمان<sup>2</sup>.

## 1 - البعد التنموي وآليات التطوير

ومن ثم كان للتطور التكنولوجي المتسارع في عالمنا، الأثر الكبير في توجيه هذه الدراسات نحو الفائدة التي يجنيها البحث من هذا التطور الذي استجاب بصفة لا تراجع معها لما تقتضيه العولمة في عصر لا مكان فيه للمتخلفين عن الركب.

وبالفعل، بدأ التفكير في إصلاحات هيكلية من نوع لبرالي منذ نهاية القرن الماضي، ففتنت كثير من الدول النامية نهج التغيير بعد الهزائم المتكررة خاصة على مستوى السياسات الاقتصادية والاجتماعية، حيث كان الفشل في مختلف نماذج التنمية في العشرية السابقة<sup>3</sup>.

---

1 محمد إبراهيم منصور، الدراسات المستقبلية، ماهيتها وأهمية توطينها عربياً، منتدى الجزيرة السابع، بالعاصمة القطرية الدوحة، أبريل 2013.

2 ينظر : مفهوم المكان في ص 09 - 16، من هذا البحث.

2 إنّ نظام تحديد المواقع إلكترونياً، يعتمد بالأساس على أرضية تتخذ من الخرائط الإلكترونية منطلقاً لها، وتتوفر على آلية تحديد أسماء الأماكن، والشوارع، والمعالم، ويعدّ كل طبونيم فيها بمثابة قرينة للاستدلال المكاني، ترتبط إلكترونياً بجهاز ج ب س .

3 Stéphane Teillet : L'impasse de l'anti-développement, Institutions et développement, La fabrique institutionnelle et politique des trajectoires de développement ; presse universitaires de Rennes, 2007, p4.

وعليه، أعيد النظر في سياسة التخطيط التنموي، فكان لا بد على أهل الاختصاص - في إطار المطالب المتكررة لحوكمة الفكر الاقتصادي - من دراسة أسباب هذا الفشل، وحصر مواطن الضعف في الفكر التنموي السائد في سائر بلدان العالم النامي بشكل أساسي.

كان من نتائج هذه الدراسات التي أسهمت فيها - زيادة على أهل الاختصاص - هيئات دولية حول أسلوب الحكم لبعث التنمية، جملة من المفاهيم تخص مجالات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وغيرها من المجالات، تركزت بالخصوص حول ممارسة القواعد التي تتسم بالفعالية "الحكم الرشيد"، والحوكمة<sup>1</sup>.

فالتنمية لم تعد مفهوما اقتصاديا فقط، بل طالت مجالات عدة<sup>2</sup>، منها ما يتعلق بإعادة تنظيم وتوجيه النظام الاقتصادي والاجتماعي لتحسين الانتاجية، ورفع دخول الأفراد، وتعديلات جذرية لمواجهة تحديات كبرى للانتقال إلى مستوى تنموي أرقى<sup>3</sup>.

وكون الجزائر من هذه الدول النامية، بقيت حبيسة المحاولات ولم تتمكن من تحقيق النجاح التنموي، رغم توفر وفرة المال المتوقع على ارتفاع سعر النفط، وبحسب الظروف الاقتصادية العالمية<sup>4</sup>.

وبدون التعمق في تحليل الوضع التنموي الجزائري الذي عرف محاولات كثيرة وشعارات متعددة، نسعى في عجلة لملامسة هذا الجانب وفق ما يقتضيه موضوع البحث.

---

<sup>1</sup> راوية توفيق، الحكم الرشيد والتنمية في إفريقيا، دراسة تحليلية لمبادرة النيباد، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مشروع دعم التكامل الإفريقي، سنة 2005، ص 33.

<sup>2</sup> المؤسسة العربية لضمان الاستثمار، تقرير مناخ الاستثمار في الدول العربية لعام 1993م، الكويت، ص 59 - 61.

<sup>3</sup> فالجزائر بما لها من خيرات فلاحية، تحتاج إلى دراسات واقعية لإعادة ترشيد الفلاحة بناء على ما كانت تتمتع به من خيرات حسب المناطق الجغرافية، ووفق دراسات قد تتوصل إليها من اسم المكان وبناء على إيجاءات تتوصل إليها من طبونيمات اشتهرت بها، مثل: وادب الزيتون، ....

<sup>4</sup> بعد الوتيرة المتضاعفة لسعر النفط، وبدلا من الاستثمار في المجالات التي تحدد مواطن الوفرة الطبيعية والنجاعة لبعث التنمية المستدامة بالاعتماد على هذه الدراسات التي توحى من خلال البنوك المعلوماتية، عدنا إلى سياسة التقشف بعد تدهور سعر النفط، ما نجم عنه ثغرة غياب البدائل.

إنّ من اهتمامات الفكر الاقتصادي التنموي، دراسة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية التي تعترض تقدم الدول النامية وتطورها، فهو يقف على أسباب فقرها وتخلفها، ويسهر على وضع سياسات لإخراجها من وضعها المتردي.

وإذا كانت التنمية هي عبارة عن ممارسات عمومية وخاصة لدفع الشعوب نحو تحسين أوضاعها بتوفير ما ينفعها، من استثمارات واختراعات ومقاولات وتكوين، وغير ذلك مما يكون عاملاً قوياً لتحسين مستوى معيشة سكان منطقة بعينها، فلا بدّ لنا من معرفة هذه المناطق بما تحمله من مرجعيات وقرائن دالة على أسرار الاستغناء والاستثراء، لمعرفة الانسان الذي أقام بها، وما يحمله من مخزون حضاري يميزه عن غيره، فيكون التخطيط من المكان العيني، وبالاستدلال عليه بالاسم.

ومهما كان الفضاء في سعته وضيقه، وفي تاريخه ومراحل الثغرات التي سجلت به، لا بدّ من الوقوف على الطبونيمات، لأنّها تعدّ من المعلومات الموجّهة والقرائن الدالة، ولا نكتفي بالتخطيط التنموي الذي تحركه عوامل تتغيّر بتغيّر العوامل السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والإجراءات الظرفية .

لماذا الواقعية والتنمية؟ وما علاقتها بالتنمية المستدامة ؟

استوقفتني أسئلة كثيرة حول الموضوع في الندوات التي انعقدت في تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، وفي قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، لملامسة الواقعية في ملتقيين دوليين، وكان من بين ما أثار انتباهي، بعض الطبونيمات التي عالجه المتدخلون، إذ كانت على تنوعها تخص مناطق من الجزائر، وفي كلّ منها إيجابيات تدعو إلى التفكير حول أسرار التسمية، منها ما أثار تساؤلات لم تعرف أجوبة، وأخرى أخذت وقتاً في تقليب الموضوع من جميع جوانبه لمعرفة أسباب الوضع التسموي، ومناقشة الموضوع مع أهل الاختصاص للوقوف على هذه المسائل المستعصية في ربطها بالحقل المعرفي الذي يمدّها بالدعامات العلمية لفك خيوطها وإزتلة غموضها.

ولما كانت العلاقة بين الاسم والمكان، لها دلالات ترجع تصاعدياً للتاريخ، وأفقياً للواقع الذي لم يبق منه إلاّ الأثر أو الإيحاءات التي تحملها دلالات الكلمات بداية من المراجع أو القرائن:

ف "وادي الزيتون"<sup>1</sup> اسم علم مركب، وهو لا يعدم معنى من معاني الأرض (التربة) التي تربط بالزيتون (phythotoponymes)، وتاريخ المنطقة يؤكد وجود الواد ووفرة الزيتون، وواقع الحال لا يزال يشهد على ثراء المنطقة به، فمعصرات الزيتون التي تجعل من بلدية صبرة مقصدا لطالب زيت الزيتون، لا تفوّت فرصة إثبات الوجود لقراءة ماضٍ زاخرٍ بهذه المادة واكتسبت شهرة وطنية بيئة خاصة (choronymes) .

وبالعودة إلى قاعدة المعطيات الجغرافية التي سبقت الإشارة إليها، تجعل من طبونيم "عين صبرة"<sup>2</sup>، إيجاءات يقرأها أهل الاختصاص الفلاحي، فتكون على الشكل التالي: "أرض المنطقة المذكورة صالحة لغرس أشجار الزيتون"، وهي المعلومة التي تحتفظ بها الذاكرة من اسم المكان، سواء ثبت وجود أشجار الزيتون في واقع الحال أم لم يثبت، ولولا توفر أنواع أخرى من المنتوجات الفلاحية كالكروم وغيرها، لقلنا هي متخصصة في الزيتون نظراً لشهرتها. والتنمية المستدامة لا تتوقف عند شجرة الزيتون بل في المعلومة التي نحصل عليها من هذا التراث، والتي تكون الباعث للتفكير في الموضوع أو التخطيط أو الاستشراق.

### 1 - المواقعية والتخطيط الاستراتيجي

يفترض في المؤسسات العمومية والخاصة باختلاف طبيعة نشاطاتها، أنها تتوفر على قاعدة معطيات تُعتمد في تسيير نمط عملها، وتعتمد هذه المعلومات أيضاً عند الحاجة سواءاً أتعلق الأمر بالتسيير أو المراقبة أو التخطيط أو غير ذلك من النشاطات التي تعتمد المعلومة قبل اتخاذ القرار، لكننا نصطدم أحياناً بضرورة تجديد البرامج التطبيقية لأنها قد أغفلت أهمية التخطيط الاستراتيجي في خدماتها، فتصطدم بعدم مساندة الإدارة المعلوماتية المنافسة والتطور، وقد يعود ذلك لقدم أنظمة التشغيل، أو لغات البرمجة وقواعد البيانات المتبناة.

ونحن في عالم يتغير ويتطور بسرعة في بيئته، ونظم تسييره للتكنولوجية الجديدة والمتجددة، لذلك لا بدّ من تجديد البرامج البسيطة أو القديمة في واقع عصري ومعقد.

<sup>1</sup> وادي الزيتون، قرية تتبع إقليمياً لمنطقة صبرة التي تبعد على مقر الولاية ببضع كيلومترات، وهي تشتهر بأشجار الزيتون الذي يبيّن طبيعة العلاقة بين دال الطبونيم ومدلوله الأصلي، أما التعيين الخاص فيعين القرية.

<sup>2</sup> عين صبرة، هي عين مشهورة في بلدية صبرة، اشتهرت بصفائها، وعضوية مائها، وأشجارها المحيطة بها، ووفرة ظلها، باردة صيفاً، ودافئة شتاءً.

وهنا، تكون إلزامية التخطيط الإستراتيجي أكثر من ضرورة لتحديث البيئة المعلوماتية، لتفادي أي اصطدام يؤدّي إلى الفشل، ولا يكون هذا إلاّ تبعاً للفكر التنموي في الأدبيات الاقتصادية التي تعتبر ردّ فعل للتخلف أو الانحطاط<sup>1</sup>.

إنّ التخطيط في أي عمل ولأي مشروع مهما كانت طبيعته، يتوقف على الفاعلية وقابلية التنفيذ، وتبني المراحل التي يتوجب على الباحث أو المنفذ أن يحترمها مقترنة بتواريخ مضبوطة لتحقيقها.

هذا لما يتعلق التخطيط بالشكل العام للمشاريع، أمّا التخطيط الاستراتيجي فهو مرتبط أساساً بأفكار ومشاريع طويلة المدى بل قد تكون تحطّط لأجيال، أما التخطيط التكتيكي أو المرحلي، فهو يرتبط بمعالجة المشاريع المرحلية والطارئة.

وبما أنّنا نتعامل مع موضوع يخص المعلومة لاستغلالها في التخطيط الاستراتيجي، فإنّ الأمر يتعلق بحالات تتوقف على الأهداف والحاجات.

- بداية الأمر يكون مع المسهمين في الجهاز النظامي الرسمي الذي يتولّى التخطيط، ومن هذا الجهاز الطرف الذي يتعامل مع المعلومة ويستخدمها في البرامج لتسيير الأعمال، ويشترط المعرفة التامة بما يتطلبه التخطيط الاستراتيجي من معرفة دقيقة للأهداف والحاجات من هذه الانظمة المعلوماتية، وبالتالي يتسنى لكل مستخدم التعامل مع هذه المنظومة وما هو مطلوب منه لتمكين غيره في الإدارة من توظيف المعلومة والتعامل مع هذه البرامج الجديدة.

- أما عن الجهة الإدارية المشرفة، فتحتاج إلى القيام بدور توفيق بين معرفتين، الأولى يخص التخطيط البرمجي المعلوماتي وأبعاده الاستراتيجية ومدى تطابقه مع المعرفة لثانية المتعلقة بالخطط التي تبناها المؤسسات الرسمية في المستقبل لتفتح بذلك الإمكانيات أمام المستثمرين وأمام الأجيال لتنشط دور الحكومات الإقتصادي في الأسواق العالمية ضمن الخطط المعلوماتية لتوسيع المؤسسات والعمل على استمراريتها، باعتبار أنّ الحكم ممارسة للسلطة السياسية والإدارية

<sup>1</sup> ألسا أسيدون، ترجمة مطانيوس حبيب، النظريات الاقتصادية في التنمية، دمشق دار لبقاضل، الطبعة الأولى، سوريا سنة 1997، ص 19.

والاقتصادية للتسيير الحسن في كل المستويات، والتمكّن من الآليات التي يقوم من خلالها المواطنون بالتعبير عن مصالحهم<sup>1</sup>.

- وللوقوف على السوق العلمي وما تحكمه من ضوابط تجعله يتغير بحسب المؤثرات والمستجدات، يجب على الإدارة المعلوماتية أن تكون على دراية بتوجهات الإقتصاد، فالسوق تتغير، ولا بد على الأنظمة المعلوماتية والبرامج أن تسايرها لتفادي الخلل وبالتالي الشلل الذي يصيب كثيرا من المؤسسات نتيجة حدوث المفاجآت في هذه الأسواق. ولذلك يفترض في هذه الإدارة المعلوماتية أن تتوقع في خططها الاستراتيجية تحديث الأنظمة الموجودة متى دعت الحاجة إلى ذلك بحسب المتطلبات والمستجدات.

ونحن نتحدث عن الخطط الاستراتيجية للمعلومات لا بد من النظر في قيمة الواقعية بالنسبة للتخطيط وكيفية استغلال الإدارة لها وفي أي حالة يمكن الاستثمار في حقلها ومن ثم إعطاء البعد الزماني المكاني حقه في التخطيط، وكما يكون للغة البرمجة متغيرات يقتضيها العامل التاريخي، فإن لغة الطبونيمات لها لغات متغيرة يفرضها الواقع اللغوي التاريخي والحضاري للأمم، وبالتالي فالتعاطي مع هذه اللغات للوصول إلى المعلومة التي ترتبط بالمكان هي أولوية الأولويات في التخطيط للمكان أو فيه.

## ب - الواقعية والتنمية البشرية

للتنمية البشرية علاقة بمؤثرات الزمان عبر فضاءات المكان، فإذا كان للتطور عامل ينعكس على سلم التغيرات صعودا أو نزولا، فإنّ للتوسعات عبر المكان انتشارا أفقيا للعناصر، وتمثيلا للنظام الذي يخضعها لنواميس الكون، وهذا يعني أن الإنسان غير حر في سلوكه وتفكيره، بل يخضع لمؤثرات المجموعة المرتبط بها<sup>2</sup>.

1 برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، إدارة الحكم لخدمة التنمية البشرية المستدامة، سنة 1997، ص 8.

2 عصمت تحسين عبد الكريم، علم الاجتماع المعاصر، الجنادرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ص 13.

والاهتمام بالإنسان، يعد من بين الأمور التي لا غنى عنها في الدراسات الاستراتيجية للمشاريع الإنمائية، فالإنسان هو الهدف في مشروع أي أمة<sup>1</sup>، ورفاهيته هي الأهداف في البرامج التنفيذية وليس العكس، ولأنّ الإنسان يرتبط بالمكان الذي يعتبر لازمته من ميلاده إلى وفاته، فإنّ الأحداث لها أيضاً هذا الارتباط بل التي تخلّد المكان، أو تحملها، فمنه القيمة ومن الأثر الذي يقع فيه تكتسب هذه القيم، وقد اهتمت الإتنولوجيا بهذا العلم الذي يهتم بالإنسان من الناحية النظرية، كون الإنسان متميزاً عن باقي الكائنات الحية<sup>2</sup>.

لذلك فالتنمية البشرية كونها، تهتمّ بإعداد الإنسان للحياة ومواجهة التحديات، فلا بدّ من تهيئته لذلك، ومن ثم نتساءل عن مدى استعداد الأفراد والمؤسسات.

ثم هل تم إرسال موظفين للتدريب على لغات برمجة وأنظمة حديثة لمواجهة هذه التحديات؟

- هل تم التخطيط لنقل البرامج على اختلافها إلى معمارية حديثة تواكب الواقع عندنا؟
- هل تم شرح الواقع الفعلي لإدارة المؤسسات المالية وذات الصلة؟

نحن أمام واقع اجتماعي ومؤسسي، يكون فيه التغيير ظاهرة طبيعية من نوااميس الكون، وضروريات الحياة عموماً، ولذلك يكون التغيير من الممارسات التي يقوم بها الإنسان في مختلف الميادين منذ القديم، وفي كل المجالات الحياتية، في الطبيعة والأخلاق والسياسة والاقتصاد وغير ذلك<sup>3</sup>.

في واقع حالنا الاجتماعي والمؤسسي، لا تزال المصالح المختلفة بما فيها المعلوماتية، منهمكة بعمليات تخص تنظيم المستخدمين ودعمهم ، ولا يزال العمل الكبير مخصص للصيانة

---

<sup>1</sup> علي حرب، سياسة الفكر، مصائر المشروع الثقافي العربي، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، ج1، الطبعة الأولى، الناشر الدار البيضاء، المغرب سنة 2001، ص13.

<sup>2</sup> حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأنتروبولوجيا في المجال التطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية سنة 1989، ص3.

<sup>3</sup> عزت السيد أحمد، القيم بين التغير والتغيير: المفاهيم والخصائص والآليات، مجلة جامعة دمشق، المجد 27، العدد الأول والثاني، سنة 2011، ص 601.

وإجراء التعديلات المتجدة يومياً بناءً على احتجاجات المواطنين والموظفين وتزايد طلباتهم، لأنّ الدراسات والخطط التي يفترض فيها التحديث والتطوير المستمرين، بقيت على حالها منذ زمن. وتعاملت الإدارات المعلوماتية في المؤسسات بنظمها التقليدية لوقت طويل، فكانت الأساليب الخاصة التي اعتادت عليها هي المهيمنة، الأمر الذي أكّد فشل هذه المؤسسات على المستوى الاستراتيجي والتخطيط الاستراتيجي.

ما يلفت الانتباه، هو التباطؤ في تدارك علاج المنظومة المعلوماتية، بل وفي إصلاحها في الوقت المناسب.

إذن عدم الاهتمام بالتنمية البشرية أثر سلباً على التنمية العامة وفي المؤسسات خاصة، لأنّ الإنسان الذي يجلس وراء الآلة، وهو الذي يبرمجها وسحجر فيها المعلومات الضرورية وفق للبيانات المسطرة.

قد لا يغيب على حاذق أنّ المسألة ليست في المعلومة ولا في البرنامج فقط، بل هي مسالك يختارها الإنسان في تعامله مع هذه النظم بحسب الحاجات والأهداف التي يسطرها مسبقاً. ورحم الله ابن ابن الهيثم في رؤيته للحقيقة، فهو يربطها زوايا النظر، إذ تفتن إلى ثنائية الواقع والحقيقة في ملامسة الزوايا والمسالك، إذ يقول: « إنّ الحق واحد، وإنما يكمن الاختلاف في المسالك المؤدية إليه»<sup>1</sup>.

لذلك، فإنّ الهدف من بحثنا عن التنمية في آخر المطاف، هو الإنسان في حدّ ذاته، وإلاّ ما فائدة الأرض بدونه؟

### ج - الواقعية والتنمية الشمولية

إنّ مفهوم التنمية في بعده الشمولي يتوقف على جملة من الخطوات تتخذها الدول والحكومات للنهوض بمقوماتها الأساسية التي تمكّنها من الاعتماد على قدراتها الخاصة لتوفير حياة الرفاه للمواطن، بل الحياة المهنية للمجتمع المتناسك.

ولتحقيق هذه الطفرات في التسيير وتوفير الاحتياجات للبلد دون تبعية للغير، لا بدّ أن تكون المسألة الجمهورية تتهدف إلى كيفية توفير الثروة للبلد، دف إلى كيفية توفير الثروة للبلد،

<sup>1</sup> ينظر ابن الهيثم، زوايا النظر.

ومن هذا المنطلق يمكننا الوقوف على أمر أساس يتمثل في معرفة خبايا القوة الطبيعية التي عليها يبنى التخطيط للتنمية المستدامة في البلد.

وعليه، تكون المعرفة التامة بالفضاء المكاني وما يحتوي عليه من مصادر الثروة الخارجية (السطحية) والداخلية (الباطنية)، ومعرفة كيفية استغلالها، وتوزيعها للاستثمار فيها، من أولى الأولويات.

لا يستقيم التخطيط الشمولي دون الوقوف على المشاكل والعوائق التي تعترض المسيرة التنموية في البلد، كما يتوجب على الدول والحكومات اتخاذ التدبير التي تقتضيها المساعي الإجرائية لاقتراح الحلول التي تمكن المؤسسات من النهوض وذلك من خلال استغلال أهل الاختصاص في من أبناء البلد في كل المجالات.

ومهما كانت الجهود التي يتخذها الاستراتيجيون، فهي لا تخرج عن نطاق البحث في كيفية خلق الثروة والحصول عليها، وهي كلها مجالات تنمية اقتصادية لا غير، في حين أن خصوصية البلد اعتبارات حتمية لإنجاح المشاريع الإنمائية، وضرورة لكل إجراء تنموي<sup>1</sup>.

وبالرغم من الاختلاف المصطلحي، إلا أنّ الأهداف كانت تصب في مفهوم واحد أسمى، إذا تحقّق حصل التفوق التنموي المتمثل بالدرجة الأولى في تحقيق حياة يكون فيها العيش والإنتاج في إطار الحضارة الأصيلة للإنسان، بل وبما له من علاقة مع الحفاظ على بيئته والتوازنات البيئية التي تؤثر عليه وعلى التنمية مباشرة<sup>2</sup>.

## 2 - المواقعية والتنمية الاقتصادية

وتلمسان ببيئتها المواتية نظراً لتنوع طبيعتها التي حباها الله بها، تتوفر كل مؤهلات التنمية الاقتصادية بما في ذلك الوعاء الحضاري الذي ميّزها عن غيرها، فاشتهرت بتنوعها

<sup>1</sup> ينظر : إسماعيل صبري عبد الله، العرب بين التنمية القطالية والتنمية القومية، مجلة المستقبل العربي، العدد 3، سنة 1978، ص 15 - 16.

<sup>2</sup> جاك رومان، من التنمية الاقتصادية إلى النمو البشري، ترجمة وزارة الثقافة، دمشق 1977م، ص 87.

الاقتصادي، ففي كل بقعة منها توجد نشاطات حرفية وتجارية، ومنتجات صناعية بحسب الجهة وطبيعتها، من صلاحية التربة إلى وفرة المياه وغير ذلك مما قد يتطلبه النشاط .  
فقد كان لرجالها تعلقٌ بالعلم والتجارة، وكانت في باديتها الفلاحة وتربية المواشي، وتخصص سكان الأحواز في الفلاحة والحرف، فكانت كل الجهات تمدّها بما تحتاج إليه من موادّ لا تتوفر عليه المدينة.

وإذا كانت تلمسان بساحتها ودروبها وأزقتها تحمل أسماء تدل على هذه النشاطات التي وسمتها في مسارها التاريخي، فإننا اليوم نركز على هذا التراث لقراءة هذه الحياة الاقتصادية المتميزة، لنتمكّن من بعثها من جديد في قراءة تراثية، تبدأ بالارتكاز عليه للمرور قدماً على ملامسة عصرنة أملتها العولمة التي لم تستأذن أحداً، فالتطور واقع لا بدّ منه لأنّه ظل يتغيّر مع التاريخ، ويلجّ على إحداث تغييرات جذرية في كافة مناحي الحياة<sup>1</sup>.

## 1 - الواقعية والصناعة والحرف

يعتمد الباحثون على المعطيات التي تمدهم بالمعلومة المطلوبة في أي مجال أو تخصص، لوضع برنامج تطبيقي باستغلال البيانات التي تمكننا من أي تخطيط.  
والطبونيميا لكونها تهتم باسم المكان، تمدنا بالمعلومة التي يحملها هذا الاسم إما لعلاقتها بدلالاته اللغوية كما هو الحال في درب الصباغين أو الدباغين، وهي أسماء حرف أطلقت على هذه الدروب، فهي تحمل من بين دلالات الاسم، هذا البعد الوظيفي الذي يستند على الدال والمدلول في تحديد اللفظ المعجمي، لكونه يحمل معنى معجمياً لا غير أي معنى أصل الوضع.  
أما في الطبونيميا فلا علاقة للمعنى المعجمي بالمعنى الطبونيمي الذي يدل على أنّه اسم لدرب وأطلق عليه لتعيينه، لكنّ الإيحاءات تبدأ بهذه العلاقة التي تحدّد ممارسة النشاط الحرفي مع المكان.

وما ينطبق على الصباغة، ينطبق على حرفة النسيج "الدراز" وهو الاسم المتداول بتلمسان، وتعنى به شعراء الملحون في حقبة من حقبة تاريخ تلمسان، والطرزين وقد احترفها الرجال أيضاً في صناعة السروج، في حين امتهنت النساء هذا الفن وكان يعرف باسم المبوذ.

<sup>1</sup> حسن محمد أحمد محمد مختار، الإدارة الاستراتيجية (المفاهيم والنماذج)، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر 2008، ص 295.

وأما الفخار فأُطلق أيضاً على حرفة الفخار ويعرف ممتهنوا هذا الحرف بالفخارين، وأطلقت هذا الأسماء على مواقع في تلمسان، كما هو الحال على سبيل المثال بالنسبة لـ "درب الفخارين"<sup>1</sup>..

وتعددت الصناعة وتنوعت بتلمسان، من صناعة المفروشات والمنسوجات الصوفية والحريية والقطنية، إلى صناعة السجاد والجلود، واستخراج الزيوت النباتية والأسمدة، وغير ذلك كثير ممّا ورد في طبونيمات تلمسان.

ولعلّ ما يهمننا هنا هو الوصول إلى هذه الدلالات من خلال السماء الأعلام الدالة على المكان، والوقوف عليها في النصوص وكلّ ما يمكن الوصول إليه في تراثنا اللامادي الشفوي والمكتوب .

ولعلّ ما يمكننا الإشارة إليه في هذا المجال، ما عرفته تلمسان في العهد المرابطي لما بدأ التوسع العمراني السكاني، حيث صاحبه إنشاء أسواق تقليدية تمكّن السكان بما يحتاجونه من سلع، فظهرت صناعات وحرف في أحياء بأكملها: منها : الصاغة الذين يمتنون صناعة الحلبي من معادن مختلفة، والصباعين التي اشتهرت بها أسواق تلمسان خاصة القيسارية، وهي متخصصة في صباغة الصوف والقماش، والخراطين، وقد كانت مهنة الخراطة على مختلف المواد بحسب طبيعة المادة، الحلفويين، وقد اختصوا في كل منتجات الحلفة، خاصة وأن محيط تلمسان يتوفر على هذا المنتج الذي كانت تصنع منه الأطباق، والقُفف (جمع قفة)، وسوق الذي اشتهر بالغزل من الصوف وباقي المواد النسيجية.

## ب - المواقعية والفلاحة

للفلاحة ارتباط وثيق بتلمسان وأحوازا ذات الأراضي الخصبة<sup>2</sup>، وهي تشتهر بأنواع الأشجار كالرمان والتفاح والتين والزيتون والخوخ واللوز والجوز، وغيرها من أنواع الأشجار المثمرة، واشتهرت بمحداثقها وبساتينها التي تغني بها الشعراء، ومنها الحدائق التابعة للبنائيات التي كانت تميزها (العرسات).

<sup>1</sup> ويوجد في منطقة عرفت بمزاولة الحرف الطينية كالخزف والقرميد وغيرها من الأعمال اليدوية ذات الصلة بالمادة الخام، وفي هذا الدرب يوجد ضريح الولي الصالح سيدي الوضاح، ولا يبعد عن باب القرمادين إلاّ بأمّتار..

<sup>2</sup> عبد الحق حنيش، سير أعلام تلمسان، ص 55، و130.

وتنوعت الفلاحة بتلمسان والمناطق التابعة لها، فهي تتمتع بمناخ يتماشى وهذا التنوع النباتي، ففي مناطق كالوادي لخضر وبني صميل، وتيرني وغيرها من المناطق الشديدة البرودة اشتهرت بإنتاج الكرز، وفي مناطق بني سنوس وصبرة مغنية وندرومة ووادي الزيتون وأولاد ميمون وسيدي العبدلي وغيرها اشتهرت أيضاً بالزيتون، وفي جهات من وادي الصفصاف أشجار الصفصاف التي سميت القرية بهذا الاسم، وشتوان المساحات الشاسعة من الكروم، وخاصة على حافتي وادي مشتكانة الذي يأتي من تلمسان مروراً بعين الدفلى (نبات الدفلى الذي يغطي مساحات كبيرة تحيط بكل العيون الموجودة في المنطقة، إلى غير ذلك من الأنواع النباتية والفلاحية بحسب الجهات والمناخ الذي يميزها.

وقد حاول المسؤولون تطوير الفلاحة في السنوات الأخيرة بالاستثمار في القطاع بدعم من الدولة التي تداركت الأمر مع تطوير آليات العمل في الفلاحة خاصة السقي بالرشّ الحوري في زراعة الحبوب، والري بالتقطير وغيره مما يسهم في رفع الإنتاج ووفرته.

## ج - التجارة والسياحية

يوجد ارتباط وثيق بين المكان والنشاطات التي ترتبط به، والأحداث التي يسجلها التاريخ فيه، ولعلّ أيّ نشاط تجاري أو مهني كان يُزاول به في مكان ما، إلاّ وله أثر فيه يحتفظ بلمسة منه، ففي مثل زقاق الرمان، كانت تباع به القشور اليابسة للاستطباب، ولاستعمالات أخرى<sup>1</sup>، قهوة الرمان، خدمات تجارية ولقاءات التجار بها<sup>2</sup>، أو غيره مما تزخر به، وإمّا يرتبط بجانب من عادات السّكان الحرفية التي تشتهر بالمادة الطبيعية التي تسهم في تكوين منتج تجاري.

فدرب القيسارية، ودرب سيدي حامد، وساحة الرمة وغيرها من الأزقة والأحياء لا تزال بمسحتها التجارية القديمة.

<sup>1</sup> ازقاق الرمان، درب ضيق، ولا يؤدي إلاّ للديار التي تتواجد به، أي لا مخرج له، وينسب للرمان، لكون هذا الدرب عُرف بطبيعة عمل بعض العشابين الذين كانوا ينشرون قشور الرمان في واجهة لبيعها يابسة لاستعمالها في التداوي أو بعض أنواع الدباغة.

<sup>2</sup> قهوة الرمان، أكتسبت اسم شهرتها من هذا الاسم الذي ارتبط بشجرة الرمان التي لاتزال شاهدة إلى يومنا هذا، ينظر الشكل رقم .

ولدروب تلمسان وأزقتها أسماء تحمل دلالات مهنية ووظيفية كثيرة ترتبط بعناوين تجارية كما هو الحال في **درب اليهود** في وسط تلمسان<sup>1</sup>، ويعدّ من الدروب التي اشتهرت بتجارة الذهب، فقد اقتص هؤلاء اليهود بصناعة المعادن الثمينة، كالمجوهرات والذهب والمرجان وغيرها، ولا تزال إلى يومنا تعرف نشاطاً تجارياً لا يتوقف، وهي من ممتلكات اليهود التي سلمها السلطان للجالية اليهودية، وتروى عنها قصة علاج أفرايم أنقاوة لبنت السلطان، فكافأه بقطعة أرض مقابلة للمشور، وقد كانت هذه الأحياء للجالية اليهودية التي اندمجت في المجتمع التلمساني، وانسجمت مع النسيج العمراني الذي لا يزال يحتفظ ببعض من بناياته.

وقد دعم هؤلاء اليهود المهاجرين من الأندلس، اليهود أو المسلمين لتنمية الصناعة بمدينة تلمسان وتطويرها بمهارتهم وخبرتهم في هذا المجال وأيضاً برؤوس أموالهم<sup>2</sup>.

ربما يطرح التساؤل عن سبب اختفاء بعض المهن التي كانت وراء تجارة رائجة في تلمسان، مثل صناعة الأواني النحاسية وتجارها، وبعض النشاطات النسيجية وأسواق بيعها من زرابي وسجاد وغيرها، ولم يعد لها أثر في العقود الأخيرة.

ولا نذكر التجارة بتلمسان دون الوقوف على ماضيها التجاري وأهمية موقعها في هذا المجال منذ عهود، فهي بحكم موقعها على الطريق التجاري الرابط بين فاس وتونس وتقترب من الموانئ الساحلية، تجعل منها قطباً سيطر في استقطاب المهتمين إلى يومنا<sup>3</sup>.

قد نعرف ما قدمته التكنولوجيا والصناعات الحديثة للأسواق التجارية من منتج جديد يختلف عن منتجات الصناعة التقليدية التي لا نجد لها بديلاً في المجال الثقافي، ومع ذلك فتلمسان اشتهرت منذ عهود بالعلم والتجارة، فقد كان بنو مرزوق من هذه الأسر التي اشتهرت بالمجالين<sup>4</sup>.

---

1 أطلق اليهود على تلمسان اسم قدس شمال إفريقيا، فهي مزارة لهم، وبها دفن إفرايم بن أنقاوة (عنقاوة)، بحى اقياسة.

2

3 عبد الحق حنيش، سير أعلام تلمسان، ص 53، 54.

4

عائلة ابن مرزوق تعدّ من العائلات التي حافظت على طلب العلم، ونبغ منهم علماء تركوا بصمتهم في تلمسان الثقافية.

ولعلّ المجال التجاري يتحقق أيضاً في الخدمات السياحية، لأنها تتمثل مورداً للرزق، وكون تلمسان من أهمّ الحواضر في المغرب العربي، أبحرت كل من زارها من الرحالة وطلاب العلم، فوصفوها في كتاباتهم، وأسفارهم، وزادت شهرتها وإشعاعاتها الباهرة عبر التاريخ<sup>1</sup>.

إنّ السياحة في عصرنا تعددت مجالاتها وأنواعها، فالسياحة الدينية واللغوية وغيرها ممّا هو من صميم التخطيط الآن لا يمكنه أن يتحقق بدون عنوان مكاني، لذلك اسم المكان هو مفتاح اللغوي للمعلومة قبل أي محدّد آخر.

## الباب الثاني

# الجانب التطبيقي

<sup>1</sup> شهاب الدين بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في عجائب الأمصار، دار الكتب الوطنية

مخطوط رقم 6778، تونس ورقة 206.

## الباب الثاني

### الجانب التطبيقي

#### تمهيد

إنّ تلمسان العينة الجغرافية التي اخترتها للدراسة الطبونيمية في بعدها التطبيقي، هي من أعرق المدن الجزائرية حضارة، وهي تزخر بكنوزها التراثية المادية واللامادية، وهي إحدى المواد الدراسية الخصبة لقراءة طبونيماتها التي عرفت مراحل تاريخية متعاقبة ، وتغيرات العامل الحضاري بعدد تتابع الأمم والحضارات التي استوطنت وغدت هذه التغيرات.

وقبل تحديد موقع تلمسان وتبيان حدودها، لا بدّ لنا من إشارة إلى أنها تتميز بموقعها الجميل، تحيط بها البساتين والحقول من جميع جوانبها، وهي في وسط سلاسل جبلية تزينها وفرة المياه التي تغني بها شعراء المنطقة<sup>1</sup> :

وهي تقع شمال غرب الجزائر، يحدها شمالا البحر المتوسط، وجنوبا ولاية النعامة، وشرقا ولايتي عين تموشنت وسيدي بلعباس، وغربا المغرب الأقصى. وهي منطقة تاريخية وسياحية،

---

<sup>1</sup> سعيد بن عبد الله المنداس (1583-1677)، له قصائد الشعر الحوزي، (عدة مقطوعات شعرية قصيرة، وهي

باللهجة العامية

عفت عدة تسميات بحسب مراحل تواجد الإنسان بها واستقراره، فكانت أقادير الأمازيغية، وبوماريا في العهد الروماني، وتاقرارت المرابطية، وتلمسان التي اتخذها الزبانيون عاصمة لهم.

تلمسان الجغرافيا والتاريخ، تعدّ من المتغيرات التي عرفها المؤرخون والدارسون، وقبل الخوض في التفاصيل حول تلمسان، لا بدّ لنا من معرفة الفضاء الزماني المكاني لها في تتبع تطورها عبر هذا المسار، لأنها عرفت تغيرات في حدودها الجغرافية، وتحولات ثقافية، وفي تشكيلتها السكانية، طيلة هذه الحقب التاريخية، وعرفت تغيرات وفي وعائها المعرفي، ولذلك يتوجب علينا الوقوف على التغير والتطور اللذين يحدثهما الفعل التاريخي، فيتغيّر معها كلّ شيء، وتتغيّر معها الأسماء الإعلامية المكانية التي أصبحت الوعاء للقرائن المعرفية والمرجعيات التي تقاس بها قيم الأشياء كلها عبر الحقب التي عرفتها هذه المدينة العتيقة، فلا عجب إذا وجدنا من يرى أنّ أسماء الأماكن تتضمن معان ومدلولات متعددة، وذات قيمة تاريخية هامة، بل هي أقدم عهداً من أسماء الأشخاص، وهي في بعض الأحيان المصدر الوحيد الذي يؤرخ لفترة ما<sup>1</sup>.

وتلمسان بموقعها الاستراتيجي الذي يجعل منها معبراً وممرّاً لجهات مغاربية وإفريقية، تتمتع بطبيعة جغرافية متنوعة، ففيها السهول وتلال قليلة الارتفاع، وهي بوابة صحراء شاسعة، تفتتح على شعوب وقبائل متنوعة الأعراق والعادات، وتحيط بها إلى جهة الجنوب سفوح جبال الأطلسي، وهي تشتهر بالحدائق والكروم والواحات، ما جعلها في تنوعها الطبيعي تعدّ ثراء ليس له مثيل، ولعلّ هذه الخصوصية هي التي أهلتها لتكون مستقرّ القبائل التي حطت بها، ومحطّ إعجاب من مرّوا بها، أو تعرّفوا عليها<sup>2</sup>.

وأما عن المدينة، فوسطها الطبيعي يبنى بتنوع حضاري لا يتوقف على نمط واحد، فهي تحمل ألوان التاريخ الذي خطّ عليها تنوع الشعوب والثقافات، فكانت مزيجاً منحها طابعاً حضارياً خاصاً ومتميزاً.

قد يقف المتأمل لواقع تلمسان مشدوداً لتساؤلات تبدو ضرورية وتنتظر الجواب من واقع المجتمع الجزائري الذي تلوّن بهذه الثقافات المتميزة أحياناً، ولا يفسرها إلاّ التمايز بين طبقات اجتماعية هي بدورها تنمّ عن انتماء يفسر نسبياً الاختلاف، ومنه:

<sup>1</sup> ينظر : سلطان عبد الله المعاني، مفردات قديمة في السياق الحضاري، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2005، 157.

<sup>2</sup> عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر 2011م، ص 33.

كثرة العلماء لهذه المدينة التي أنجبت أمثال ابن مرزوق (الأسرة التي اشتهرت بالعلم)، وغيره من الأسر التي تحررت من آثار الجهل، وفي المقابل نجد الطابع الذي يميز أهل تلمسان بالمجتمع المحافظ، بل وهذا الانتماء الثاني يحدده العرف الديني والطقوس، وكثرة الأضرحة والأولياء الصالحين، فكان لها هذا الملمح العلمي والعقدي الذي ترك بصمته في المجالات التسموية للأشخاص والآمكنة .

ولعلّ أبرز ما يظهر من هذه الثقافات ذات الارتباط بموضوعنا، تلك التسميات الواقعية التي تعرف بها بالمدينة الجزائرية، وأسماء أماكن عرفتها تلمسان، إذ تعددت وتنوعت بين الأمازيغية<sup>1</sup>، والعربية<sup>2</sup>، و الإسبانية<sup>3</sup>، والتركية<sup>4</sup>، والبونيقية<sup>5</sup>، والفرنسية<sup>6</sup>، وغيرها من اللغات واللهجات<sup>7</sup> التي تركت بصمتها في الثقافة الجزائرية منذ القدم .

إنّ تلمسان الموحدية ليست هي تلمسان المرينية وليست هي الزّيانية، فهي كلّ هذا المزيج الذي أحدثه التاريخ في تعاقبه على تلمسان، بمتغيرات حدود المكان في ظلّ تغيرات الزمان.

---

1 أقادير وتلمسان، وتاقرارت، ويازرو، وامزوغن، وغيرها من الطبونيمات التي عرفتها المنطقة، ولا تزال بعضها مستعملة مهما طال عليها الزمن.

2 العربية : هي ألفاظ عربية، مثل : المنصورة، العباد، إمامة، وغيرها من الأسماء التي لها معانٍ عربية من أصل وضع اللفظ قبل استعماله للدلالة على المكان.

3 الإسبانية : يوجد أسماء إسبانية في الغرب الجزائري خاصة بني صاف والمرسى الكبير، بوهران مثل بوابة سانتون، وكان الإسبان يسمونها باريرا (Barrera)، سانتا كروز (Santa cruz)، بمعنى حاجز يفصل بين مدخل المدينة وطريق الميناء، وهي بوابة المرسى في ما بعد. ينظر بشير مقييس، مدينة وهران - دراسة جغرافية العمران - المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص95.

4 التركية : كتشاوة يعدّ من المساجد التي بقيت ضمن معالم الأسماء العلمية التركية .

5 البونيقية : وهي من اللغات المنقرضة التي عُرفت قديما بالجزائر، وعرفت أيضا باللغة القرطاجنية، أو الفينيقية البونية، وهي لغة كنعانية سامية كانت منتشرة في شمال إفريقيا (من القرن الثامن الميلادي إلى القرن الخامس الميلادي).

6 شاتو ناف (Château neuf) ، من الأبراج التي شيدت في عهد المرينين، شيده السلطان أبو الحسن علي بن عثمان سنة 1347م، ثم تم توسيعه الإسبان وأكملوا بناءه. ينظر : بشير مقييس، مدينة وهران - دراسة جغرافية العمران - ص92.

7 اللهجات التي انتشرت في الجزائر عبر مسارها التاريخي، منها : الأمازيغية القبائلية، الشاوية، الترقية، الميزابية، لهجة تبلبلت، وغيرها .....

تلمسان بأوصافها الدقيقة لها ما يميزها في حالات استقرارها وفي تغيراتها التي تأثرت بعجلة التاريخ، ودار الوصف فيها مع تناوب الحكام عليها.

فهذا ابن مرزوق الخطيب الذي احتك بالعلماء والحكام يصفها، ويذكر المجتمع التلمساني بأدق التفاصيل، فهي مدينة العلماء التي اشتهرت بها تلمسان، وهي مدينة المؤسسات الثقافية بأواعها، وتعدّد مساجدها ومدارسها ودور التعليم المختلفة، واشتهرت بالعمران، فهي بحق مهد الحضارة.

وكانت تلمسان قبلة الزوار واستقرّ بها الوافدون من عدة جهات حتى صارت عاصمة للزيانيين، وكانت لها مكانة اقتصادية خاصة، ولوّنتها مسحة حضارية ميزتها عن غيرها<sup>1</sup>. وتلمسان بما حباها الله، تعتبر من أهم مراكز المعالم التاريخية والأثرية في الجزائر، وبخاصة التراث المادي في جانبه المعماري العربي الإسلامي، وفي عام 1292 كانت وجهة للأندلسيين العرب بعد رحيلهم من الأندلس.

ولعلّ تلمسان المرابطية أكثر شهرة بمراكزها الدينية، وعدد مساجدها التاريخية الرائعة كالجوامع الكبير وجامع سيدي بلحسن وضريح الوالي الصالح سيدي بومدين. وتلمسان مقصد سياحي مهمّ نظراً لكثرة مرافقها الطبيعية، ومناظرها الخلابة ووفرة الخدمات بها، فهي راقية في تعامل سكانها الذين وصفوا بالتمدّن والتحضّر، خاصة وأنها تأثروا بالطابع الأندلسي في كثير من العادات، ولهم مع مدينة فاس قواسم سلوكية وحضارية كثيرة. وتزخر بمجمّات معدنية في كلّ جهاتها، ومنها محطة حمام شيغر للعلاج بالمياه المعدنية الساخنة، وحمام بوغرارة، وحمام سيدي بلخير الذي غمرت مكانه مياه سدّ بوغرارة، وحمام سيدي العبدلي، وتحمامنت بين أوزيدان وعين الحوت، وفيها شلالات لوريط بمياهها العذبة وفيها عدة واحات خضراء وسهول خصبة.

وتلمسان، تعدّ من المدن القديمة في غرب الجزائر، وهي قريبة من حدود المغرب، وهي تعدّ من أهم مدن المغرب العربي شهرة، فقد كانت عاصمة لمملكة عربية بربرية تحت حكم سلالة عبد الواد أو الزيانيين في القرون الوسطى.

<sup>1</sup> عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، ص 167.

ولعلّ من أهم الحصون والقلاع التي تمّ بناؤها في المنطقة، واتخذت شهرة تاريخية، جعلت منها مثصدا للسياح، مدينة المنصورة، وهي مدينة إدارية بمحاذاة المدينة القديمة (تلمسان)، وهي تعدّ من الآثار التي تركها التواجد المريني بها، وقد كانت تلمسان قبلة لمئات الآلاف من الاندلسيين الوافدين من قرطبة وغرناطة بعد سقوط هذه الأخيرة سنة 1492. أمّا تلمسان العثمانية، فقد تمّت تبعتها للإمبراطورية العثمانية في سنة 1553، وبذلك ظلّت محمية من المحاولات التوسعية الإسبانية. وبعد سقوط مدينة الجزائر بيد الاحتلال الفرنسي، ووقوع المدن الغربية بيد الاستعمار، وقعت تلمسان تحت سيطرته في 1844.

ولهذا يتوجب التذكير، بعد الأوضاع التاريخي إلى ربطها بالموقع الجغرافي الحالي، لأنّ تحديد مساحتها وتعيين حدودها، ووصف الحكم فيها، خضع لتغيّرات التاريخ بفعل عوامل متباينة، منها الفتوحات والحروب وتوزيع الأقاليم - عند الملوك والسلطين - ثم ضرورات التحكم في التسيير تبعاً لتطورات العصر الحديث، فكان التقسيم الإداري الأخير، أحد هذه المنتجات السياسية التي أقرها النظام الحالي للبلد، فصارت تلمسان تتربع على مساحة .....، وتحدها مدينة سيدي بلعباس من الجهة الشرقية، ومن مدينة وجدة المغربية الجهة الغربية، وتبعد عن الحدود الجزائرية المغربية بأقل من 50 كم عبر الطريق السيار، ومن الجهة الشمالية عين تموشنت، وأما الجنوب فتحدها ولاية النعامة.

وتلمسان بموقعها الاستراتيجي، كانت دوماً مركز إشعاع ثقافي عبر المراحل التاريخية المتعاقبة، فهي محاطة بمحاذيق غنّاء، وبساتين من كل الجهات، ممّا جعلها تتميز بهواء جميل، وماء وفير، وأعجب بها كل من رآها<sup>1</sup>، وتغنى بها الشعراء في قصائد لا تزال تشهد على جمالها، وهي قريبة من البحر الأبيض المتوسط، وارتفاعها عن سطحه يفوق 800م، وهي بوابة للصحراء، الأمر الذي عزّز مركزها التجاري.

وعرفت تلمسان العتيقة بأسوارها وأبوابها، ودروبها، وتعدّد مصادرها الفلاحية والاقتصادية وتنوعها، إلا أنّها اشتهرت أيضاً بصناعات وحرف كانت مزدهرة عبر أجيال.

<sup>1</sup> André Iecocq, TLEMCEN VILLE FRANCAISE (1842-1852), Tome 1er , Imprimerie Editions Internationales S.A- TANGER 1940, P8.

وتلمسان بماضيها التاريخي الهام<sup>1</sup>، تعد من أعرق المدن الجزائرية، فهي تزخر بثروة أثرية تنامت مع الأيام عبر مسارها التاريخي الطويل، فكانت لها إسهاماتها في تشكيل الرصيد الحضاري العربي الإسلامي بل والحضاري الإنساني، ما جعلها تتبوأ مكانتها وتُختار عاصمة للثقافة الإسلامية، لسنة 2011م، وهي بموقعها الاستراتيجي، كانت دوماً مركز إشعاع ثقافي عبر المراحل التاريخية المتعاقبة، فهي محاطة بجذائق غناء، وبساتين من كل الجهات، مما جعلها تتميز بهواء جميل، وماء وفير، وتغني بها الشعراء في قصائد لا تزال تشهد على جمالها، وتفنن الإمام ابن مرزوق الخطيب في وصفها فقال عنها<sup>2</sup>:

بلد الجداول ما أمر نواها      كلف الفؤاد بحبها وهواها  
يا عاذلي كن عاذري في حبها      يكفيك منها ماؤها وهواها

وقد شبهها يحيى بن خلدون، مؤرخ ملوك بني عبد الواد، بالعروس فوق منصة والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين<sup>3</sup>، وما زاد في ميزانها الجمالي، حسن مناخها لقربها من البحر الأبيض المتوسط، فهي ترتفع عن سطح البحر بما يزيد 800م، وهي في الوقت ذاته بوابة للصحراء، الأمر الذي عزز مركزها التجاري.

وعرفت تلمسان العتيقة بأسوارها وأبوابها التي أتت عليها الأيام ولم يبق منها إلا بعض السّمتات وبعض المعالم التي حظيت بحماية في العقود المتأخرة بحكم تصنيفها.

<sup>1</sup> ما يؤكد هذا العمق التاريخي، الضارب في ما قبل التاريخ، بقايا الحضارات القديمة للإنسان منذ ما قبل التاريخ والتي تشعد عليها بعض الأماكن المعروفة عالميا كحضارة "أوزييدان"، التي تعود إلى العصر الحجري القديم .

<sup>2</sup> الأمير محمد بن عبد القادر. تحفة الزائر في أخبار الجزائر والأمير عبد القادر، بيروت، سنة 1964، ص18

<sup>3</sup> يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق Alfred Bel، ج1، الجزائر: 1910، ص9.

الشكل رقم 2:  
خريطة تلمسان بتقسيم إداري جديد، يمثل اليوم تلمسان  
المستقلة



## الفصل الأول

# الدراسة التطبيقية للقراءة المواقعية

## الفصل الأول

### الدراسة التطبيقية للقراءة الواقعية

قد يحتاج التطبيق العلمي للقراءة الطبونيمية إلى منهج يلمّ بشبكة من العلاقات بين المجالات وتوظيف لثقافات ومعارف، كغيره من التطبيقات التي لا تستغني على الدراسات البيئية.

فالمواقعية في حاجة إلى المناهج الخاصة شأنها في ذلك شأن الترجمة، وتعليمية لغة التخصص وغيرها، ذلك أنها في تعاملها الخاص مع الميادين العلمية، تستلهم خصوصيتها من تقاطع علومها. وتستند على الانتقال في زوايا القراءة إلى التحول المنهجي بحسب ما يمليه الواقع اللغوي، وضرورة استحضار المجال العلمي الخاص، للاعتراف من نظرياته وقوانينه، وبالاستناد على الخلفية التي يقتضيها الحقل المعرفي المطلوب.

ووجدت هذه المناهج تطبيقات لها في مؤسسات تعليمية كثيرة، أثناء إعدادها لبرامج تعليمية خاصة بفئات من المتعلمين من ذوي الاحتياجات الخاصة، كعسر القراءة مثلاً (الديسليكيا) Dyslexie، وهذا تماشياً مع سوق العمل، ويعد استجابة لمطلب شريحة واسعة من المجتمع، وفي الوقت ذاته حل لمعضلة تعليمية تربوية تستفيد من تكنولوجيا التعليم (اللوتس

للبرمجيات مثلاً)، وهذه المحاولات في عالمنا العربي تسهم في تطوير التعليم وتطوير الدراسات البيئية في خدمة الفكر واستجابة للتطور المعرفي المعاصر.

## أولاً - الدراسات الواقعية

تتعدّد الدراسات ذات الطابع المعرفي والبعد التطبيقي في المجالات اللغوية، وتتعدّد معها الأساليب والمناهج نظراً لطبيعة الموضوع التطبيقي الذي يتّسم بالبيئية في كل توجهاته النفعية. فالدراسات الطبونيمية تخضع لهذا النمط في المعالجة لأنها تنطلق من مدونة لغوية غير عادية، فهي تتقاسم المعرفة في اللغة والجغرافية وتستفيد من علوم شتى، خاصة إذا كانت لها أهداف عصرية، تشترك مع العولمة في الأبعاد واستغلال التكنولوجيا الحديثة.

إذا كان المنطلق من الأسماء الأعلام على تنوعها وعدم محدوديتها في التعريف والإحاطة، فإننا نعتبر الدراسة معرفية، وبالتالي فهي فلسفية في نمطها، وتفتح باب التساؤلات والقراءات على مصراعيها، والوقوف على محكّ العمليات الذهنية بعمق، ففي هذه الحالة ستقف مع التيار الذي يرى فيها أنها تلامس أنواعاً غير محدودة من الأسماء الأعلام، من الأسماء، إلى العلامات الإشهارية، وغير ذلك<sup>1</sup>.

## 1 - الواقعية والدراسة التطبيقية

إنّ الدراسات التطبيقية تغترف من النظريات العلمية للقيام بأي عمل تطبيقي يخدم المصالح الإنسانية أو تسهيل الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية، ولذلك كانت المجالات التطبيقية متنوعة ومتجدّدة لا تتوقف على مكان أو زمان، فهي تغترف من الفكر الإنساني وخدمة الإنسان.

لذلك ظهر في علم اللغة الجغرافي مجال علمي يقف عند المكان، وتباينت موضوعاته، فمن اسم المكان إلى تصنيف اللغات واللهجات، وتوزيعها باقترانها بمتكلمها وربطها بالمكان، فكانت الآطاليس الجغرافية من أهم المجالات العلمية المعالجة لها، واهتمت بالخرائط لربط هذه الظواهر بالمكان، وبالقبائل المستقرة به.

ومن أهم ما يعتمد عليه هذا المجال التطبيقي اللغوي الجغرافي، التعرف على الفوارق اللغوية بين الأفراد والجماعات، وتوزيع اللغات واللهجات توزيعاً جغرافياً يسهل تصنيفها،

<sup>1</sup> Camproux, Ch, *Introduction .Les noms de lieux et de personnes* de Christian BAYLON et Paul FABRE .Ed. Nathan1982, Paris, p.5

والتعامل معها، والتحكم فيها بالوسائل المتاحة من أدوات وبرامج تطبيقية لا تتحقق إلا بدراسة  
بيئية، تسهم فيها عدة علوم تمثيلاً وتطبيقاً.

### أ - المواقعية والدراسات الميدانية

لما يتعلّق الأمر بالتداول الميداني، فإنّ واقعاً يتجلّى لم يكن يوماً في مصاف الطبونيميا،  
إنّها كثيرة ومتنوعة فهي ليست دائماً الأسماء الأعلام الدالة على المكان، فهي لوائح، وإشارات،  
ورموز، وإشهارات، وسميات، كلّها لها علاقة بالمكان بشكل معين ومستحدث، أقرّه الموجود  
على أرض واقعنا العالمي اليوم، منها أسماء الشوارع والدروب بأشكالها التي أطلقت تخليداً  
لشهداء الثورة التحريرية (شارع الرائد فراج، بوسط مدينة تلمسان بمحاداة متحف أبي الحسن  
التنسي، وشارع قازي أول محمد، سابقاً جان جوريس واشتهر في الاستعمال التلمسان بـ "راس  
البحر")، أو النصب التذكارية التي أنشئت للدلالة على واقعة استشهد فيها ثوار، وهي كثيرة  
في الوطن الجزائري، أو معركة بعينها (معركة فلاوسن)، أو ما يدل على اتفاقية أو هدنة (الأمير  
عبد القادر)، أو غير ذلك من النصب والقرائن المادية الموضوعة بعد الاستقلال بتدشين رسمي  
- في الغالب - من المجاهدين .

وفي المقابل، نجد أماكن ترسم مرور أحد الرموز أو الأعلام، أو ما يدل على استقرار  
لتسجيل أحداث كطلب العلم أو للتعبّد أو لأمر جليل يتوجب على الدارس تتبعه لأهميته.

### ب - مواقعية تلمسان العتيقة

من ذلك ما نسجله في تلمسان في درب سيدي اليدون، خلوة سيدي السنوسي -  
والتي لا تزال شاهدة إلى يومنا - وهي تعدّ من المعالم التي لا تزال شاهدة على دروب تلمسان  
العتيقة.

### الشكل رقم 3:

يسجل دروب تلمسان العتيقة مروراً بدرب سيدي اليدون إلى درب سيدي الجبار، درب السلسلة (المنطوق المتداول درب السلسلة)، وهي أحياء قديمة لم يعد بإمكانها مقاومة التأثير الضار بعمارها نظراً لقدمها وضعف الترميم المطبق عليها لإعادة الاعتبار لها.



إنّ النظر في متغيرات الزّمان، في ظلّ ملامسة المكان، يستلزم الوقوف على أسماء الأمكنة لمساءلتها، بل وقراءة ما كتب حولها، لمعرفة الحقب التاريخية وما اختزنته من تراث يميزها قبل أن يعرفها لعشاقها ومريديها.

لذلك نخلص إلى القول : إنّ تلمسان عرفت تاريخاً يشوبه غموض وتداخل في الأخبار والروايات، ونسجت حولها الأساطير والحكايات في تتبّع نشأتها وتطورها، وتداخلت الأحاديث حول بداية تأسيسها، فلا يوجد اتفاق بين المؤرخين حول هذه المسألة<sup>1</sup>.

### الشكل رقم 4:

يمثل الدرب الذي يربط سيدي اليدون براس البحر (Jean Jaures).



1 ينظر : محمد بوزواوي، مآثر تلمسان ، ماضياً وحاضراً، القافلة للنشر والتوزيع، 2011م، ص 8.

تلمسان العتيقة علامات وقرائن وشواهد مادية وغير مادية، وهي عديدة ولا يتسع المقام لجردها أو ذكرها بالتفصيل الذي يليق بمقامها، فنحن نكتفي بإشارات وعبارات لتعيين البصمات التاريخية والحضارية لهذه المدينة المتميزة.

الشكل رقم: 5

يمثل خريطة لتلمسان الحديثة



وبداية تلمسان العتيقة مع أقادير، ومن هنا بدأت التساؤلات، أيهما أقدم وجوداً في تاريخ تلمسان؟ وهل حقيقة أعادير أسبق بكثيرٍ، من الوجود الروماني؟ وما مكانة بوماريا من كل هذا؟ وغيرها من الأسئلة التي تطرح حول الموضوع .

فإذا كانت "أقادير"<sup>1</sup> النواة الأولى لمدينة تلمسان، وهي أصل هذه القلعة التي أطلق عليها في ما بعد اسم تلمسان، هذا لا يعني أنها بقيت أمازيغية النشوء، فقد أسهمت حضارات متعاقبة، تركت لمستها عليها متمثلة في تراثها المادي واللامادي وشاهداً على الحقب والأحداث التي خلدتها.

إنّ هذا التراث الذي يعدّ مفخرة تلمسان التاريخ، وتلمسان الفن، يعدّ بحقّ ديوانها الذي يحفظ لها وقفات التاريخ، ومسارها الذي يشهد تطورها .

<sup>1</sup> أقادير: كلمة أمازيغية، ومعناها "الجرف"، أو المدينة المحصنة أي الصعبة المنال أو الاقتحام، أو الجدار القديم ومن ثم نسجت قصص كثيرة ربطتها بقصة السيد الخضير مع موسى عليه السلام والتي وردت في القرآن الكريم في سورة الكهف، ودحض ابن خلدون هذا الربط، وأنكره.

منهم من يرى هذه القرية التي اختطها بنو يفرن الزيانيون، تعود إلى عصور قديمة جداً، وهي المنطقة ذاتها التي توطنت فيها قبيلة زناتة الكبيرة، بالمغرب العربي، ينظر : محمد بوزواوي، مآثر تلمسان ، ماضياً وحاضراً، ص 8.

وبالعودة إلى تناوب القراءة، كان لابد لنا من وقفة مع الوجود الروماني، لتسجيل الأثر الكبير في معالمها العمرانية، وتلويناتها الفنية، ومن بينها المسحة التسجيلية لطبونية تلمسان، إذ عُرفت وقتها باسم "بوماريا"<sup>1</sup>، وهي تتحرك في دائرة الزمن مع هذه الآثار الرومانية.

ومع ذلك، نلفت انتباه القارئ أنّ الوندال<sup>2</sup> لم يتمكنوا من الاستقرار بتلمسان طيلة فترة حكمهم، أي ما يقارب ثلاثة قرون، من بداية الربع الأخير من القرن الخامس الميلادي إلى عام 671 م.

وبالعكس من ذلك كله، تعدّ الفتوحات الإسلامية للمغرب بداية حضارة جديدة تنتشر على هذه الأرض، لتبقى في هذه البلاد بزعامات متعدّدة، في فترة تخلّلتها صراعات وتحالفات، وتداولات على الحكم بتجاذبات وتكتلات لقبائل وعشائر، بل ولولاءات سياسية ومذهبية، استمرت هي بدورها لقرون<sup>3</sup>.

ولعلّ ما ينبغي الوقوف عليه، ما كان للزعيم المسلم والقائد العظيم عُقبة بن نافع الفهري<sup>4</sup> من فضل كبير في بسط النفوذ الإسلامي على هذه الديار، وأخضع العديد من

---

1 أنشأ الرومان في تلمسان مركزا حربيًا في القرن الثالث الميلادي أسماه "بوماريا Pomaria"، ولم يبق لها إلا الأثر القليل من الشواهد، ولا يذكر التاريخ كيف اندثرت. وبوماريا، تعني الحدائق والبساتين الغنية بالأشجار، والتي تغمرها مياه الجداول، يقول ابن خميس التلمساني :

كتمت هواها ثم برح بي الأسي	وكيف أطيق الكتم والدمع فاضح
لساقية الرومي عندي مزية	وإن رغمت تلك الرواسي الرواشح
فكم لي عليها من غدو وروحة	تساعدني فيها المنى والمنائح

2 من القبائل الجرمانية الشرقية، انفصلوا الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس قبل الميلاد، أسسوا هم دولة في شمال إفريقيا مركزها مدينة قرطاج.

3 أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن خلدون، بغية الزواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ج2، الجزائر، ص 27.

4 هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي، شهد فتح مصر، وجهه عمرو بن العاص إلى إفريقيا والياً في سنة 42 هـ، توفي في سنة 63 هـ، التفاصيل في سيرته في البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق لاني بروفنسال، بيروت، سنة 1948، 19/1.

المناطق والقبائل إليه بالقتال في سفوح الأطلس المتوسط، حتى بلغ شواطئ البحر المتوسط<sup>1</sup>، وحقق الانتصار، وسرح جيوشه ظناً منه تحقيق الهدف، ولما تفتن البيزنطيون لقلعة عدد جيشه، حاصروه وقاتلوه إلى أن لقي حتفه على يد كسيلة البربري<sup>2</sup>، الذي تشجع للتوسع والزحف على هذه الأراض، إلى أن ولي الخلافة عبد الملك بن مروان الذي انتقم منه وقتله، واستعاد منه كل المناطق إلى حضن الإمبراطورية الإسلامية.

ومنذ الفتح الإسلامي (671م) وحتى نهاية الحكم الأموي وبداية الحكم العباسي ظلت تابعة للأمويين والعباسيين، ومع ذلك هي بدورها خضعت فيما بعد لعواصف التغيير نظراً للصراعات والتجاذبات، فكان الحكم فيها يتقلب وفق هذه المؤثرات.

كان للزناتيين<sup>3</sup> التواجد المثير ولو لفترة قصيرة بقيادة "أبو قرّة اليفريني"<sup>4</sup>، وذلك بمحاولة فرض واقع جديد، يميزه الانفصال عن الحكم العباسي، إذ انشقوا عنهم طيلة القرن الثامن الميلادي،

كان للأدارسة وجود سلس، جاؤوا من فاس بالمغرب الأقصى، وفتحوا تلمسان بالمصالحة مع زعيم قبائل زناتة، وظلوا يحكمون تلمسان طيلة القرن التاسع الميلادي، أمّا في ما بعد فقد كان تواجد الأدارسة على شكل قبائل في منطقة تلمسان.

---

<sup>1</sup> هناك قال قولته المشهورة، بعد أن أدخل فرسه في ماء البحر : « يا رب! لولا أنّ البحر منعي لمضيت في البلاد إلى مسكن ذي القرنين » ينظر : إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر سنة 1983، ص 14.

<sup>2</sup> ينظر : إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، مرجع سابق، ص 14.

<sup>3</sup> يعدّ بنو عبد الواد من أهمّ فروع قبيلة زناتة<sup>3</sup>، ومن أشهر القبائل البربرية المتنقلة بصحراء المغرب الأوسط بحثنا عن المراعي بين سجلماسة ومنطقة الزاب بإفريقية.

وشارك بنو عبد الوادي عقبة بن نافع الفهري أثناء حملته المشهورة لفتح بلاد المغرب سنة 62هـ / 682م، وشكّلوا قوة ضمن جيشه في فتوحاته، وقد أبلوا بلاء حسناً مع المسلمين وساندوهم، وحسّن إسلامهم، ولما حلّ بنو هلال بالمغرب، انتقل بنو عبد الوادي إلى تلمسان، واختلطوا ببني يفرن، واستقروا هناك.

<sup>4</sup> أبو قرّة اليفريني، من قبيلة بني يفرن، فخذ من قبائل زناتة، ينظر : ينظر : إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، مرجع سابق، ص 14.

لم يدم العهد طويلاً للأدارسة، رغم محاولاتهم العديدة، وجاءت بعدهم قبائل من كدالة جنوب موريتانيا، واتخذوا مراكش عاصمة لهم، بعد محاصرتهم لتلمسان عام 1079م بزعامة «يوسف بن تاشفين» الذي فتحها، وكانت لهم بصمتهم عليها، إذ بنوا فيها ضاحية «تاغرارت» الجزء الآخر لمدينة تلمسان، والمكمل لها، ومن أبرز معالمهم في هذه المدينة : مسجد تلمسان الكبير.

كان لعبد المؤمن بن علي الكومي ، الفضل الكبير في تأسيس الدولة الموحدية، بعد أن حاصر تلمسان، عام 1143م، وبهزمته للمرابطين، فُتحت المدينة لهم، ودام حكمهم لتلمسان طيلة 40 سنة.

استخدم الموحدون بني عبد الواد للحفاظ على تلمسان، إلا أن شوكتهم قد قويت فيما بعد، وذاع صيتهم وعلا شأنهم عندما استطاعوا أن يصدّوا قبائل (بني غانية الطامعة في تلمسان)، فما كان من الخليفة الموحدي بالمغرب الأقصى إلا أن كافأ زعيمهم بتعيينه حاكماً له. واستمر حكم بني عبد الواد لتلمسان ثلاثة قرون، ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي إلى نهايات القرن الخامس عشر.

قدم المرينيون في ما بعد من المغرب الأقصى، وحاصروا تلمسان سبع سنوات ابتداء من عام 1299هـ بقيادة زعيمهم السلطان المريني «أبو يعقوب<sup>1</sup>» ولم يرفع الحصار عن المدينة إلا بموته. استطاع المرينيون أن يبنوا خارج أسوار المدينة القديمة مدينةً جديدةً أطلقوا عليها اسم «المنصورة».

وقد عاد المرينيون مرة ثانية لحصار تلمسان بقيادة أبي الحسن المريني ففتحوها ودام حكمهم لها إحدى عشرة (11) سنة.

---

<sup>1</sup> أبو يعقوب المريني هو يوسف الناصر توفي 13 مايو 1307 م، وهو أحد سلاطين المرينيين، وهو ابن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور، شارك أثناء حكم أبيه في عدة غزوات في الأندلس ضد القشتاليين. ينظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، مكتبة الخانجي 1997، ص 100 .

أما حقبة الدولة العثمانية فقد كانت طويلة، وقد خضعت تلمسان للحكم العثماني منذ عام 1555م، بعد أن كان قد فتحها القائد العثماني « بابا عروج » الذي استنصر به « أبو زيان » من بني عبد الواد على عمه « أبو حمد الثالث » الذي انتزع منه الحكم. كان الاحتلال الفرنسي للجزائر الأثر الكبير في طمس هوية الجزائر من خلال لغتها ومعالمها، ومن موروثها الشفوي، وكان لحكم الأمير عبد القادر الذي لم يدم طويلاً ، فدخل تلمسان وبنى مركز عسكري في حي « المشور » أكد نوايا فرنسا الخبيثة، فعملت على تغيير الموروث بنوعيه المادي واللامادي لتلمسان العتيقة، فضاع كثير من التراث العمراني والفني بإدخال تغييرات وتعديلات غيبت الطابع الحضاري للمدينة، واستمر الواقع المفروض إلى عام 1962م حين استقلت الجزائر.

وإذا كان ولا بدّ من الإشارة إلى مرحلة تاريخية تركت بصمتها في واقع تلمسان الثقافي، والوعاء المصطلحي الطبونيمي الذي سجلته محطات تاريخية بموروث ثري لا يمكننا تجاوزه، فهي تلمسان الحاضرة الإسلامية في المغرب الإسلامي، التي بقيت ولفترة طويلة، مركز إشعاع ثقافي وسياسي، خاصة وأنها كانت عاصمة لمراحل حكم في ظلّ كثير من الدويلات الإسلامية، فكانت بحق - على ما عرفته من انقسامات - فترة زاخرة ثقافياً، ومنها الدولة المرابطية، وحكم الزناتيين، والدولة الإدريسية، ودولة الموحدين والمرينيين.

وكما أشرنا سابقاً، وحتى نبقى على صلة بالواقع والتاريخ، لم تحمل تلمسان هذا الاسم (الطبونيم) دائماً، بل كما رأينا ، تغيرت الأسماء الأماكنية بحسب مسحة المرحلة، كانت تسمى أقادير وبوماريا ثم تفرارات، ووردت لها أسماء في روايات عديدة منها: تلمسان بكسرتين، وأخرى تلمسان بالنون عوض اللام، وهما مدينتان إحداهما قديمة أقادير للرعية، وأخرى حديثة واسمها تافرزت للجند وأصحاب السلطان<sup>1</sup>، وكما تغيرت أسماءها، تغيرت أوصافها، كانت تكنى بعدة كنى منها مدينة الجدار<sup>2</sup>، ولؤلؤة المغرب، وجوهرة المغرب، وعروس المتوسط..

1 عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، ص 20 - 21، (مرجع سابق).

2 ورد اسم مدينة الجدار في الأشعار، في مثل :

هي من المدون السبعة

امدينة الجدار أصلها

يستحسن الوطن والبقة

الناس كل من يدخلها

ولتلمسان في محطاتها التاريخية بصمات شعرية في مراحلها المختلفة، شهدت على التطور والتغير، وذكرت فيها أشعار ظلت شاهدة على الانتحال التسموي لها، وتعدد أسمائها، وأوصافها، ووقفت واصفة لوسطها الطبيعي والثقافي، ومتتبعة لصراعاتها المتتالية، وانتصارتها التي تحققت في كثير من مراحل ازدهارها، فأرّخ لذلك المؤرخون، وكتبوا عن مجريات أحداث التاريخ بأدق التفاصيل في كثير من الأحيان، وهذا لم يمنع المؤرخين من إهمال كثير من الجوانب في أعمالهم بالتركيز على ما كانوا يريدون إبرازه، وتجاوز ما يريدون إغفاله ...

ولعل الوقوف على الحقبة الزيانية، ونسبتها إلى بني عبد الواد - وهم أحد فروع زناتة<sup>1</sup> - أشهر القبائل البربرية المتنقلة بصحراء المغرب الأوسط بحثا عن المراعي بين سجلماسة ومنطقة الزاب بإفريقية، يعدّ من أساسيات تاريخ المنطقة.

شارك بنو زيان عقبة بن نافع الفهري أثناء حملته المشهورة، لفتح بلاد المغرب، سنة 62هـ / 682م، وشكلوا قوة ضمن جيشه في فتوحاته التي أبلوا فيها البلاء الحسن مع المسلمين وساندوهم، وحسن إسلامهم.

ولما حلّ بنوهلال بالمغرب، انتقل بنو عبد الوادي إلى تلمسان، واختلطوا ببني يفرن، واستقروا هناك.

وعرفت تلمسان حروبا كثيرة، وتغيرات في الحكام، فمن سيطرة المرابطين ، سنة 468 هـ/1075م، إلى بني عبد الوادي (23 أكتوبر 1086) ثم انضوائهم تحت راية الوحدين التي عظم شأنها في المغرب الإسلامي، سنة 540هـ/1145م. وانفصل يغمراسن بن زيان في 627هـ/1230م وأعلن استقلاله، وطلب المبايعة من بني عبد الواد التي تمت له بمبايعة كبيرهم جابر بن يوسف.

وبقي الحكم في يد بني زيان الذين ذاع صيتهم، وتوسع نفوذهم في عدة مناطق جهات الزاب و باقي الجهات الشرقية إلى غاية سنة 753هـ/1352م، وعندما هلك السلطان أبو سعيد الزياني على يد السلطان أبي عنان المريني، اشتدّ الوهن بهم، وتمّ قتلهم وتشتيتهم إلى جهات مختلفة.

<sup>1</sup> كان بنو عبد الواد من أمراء هذه القبائل الرحل، و كانت تنقلاتهم في منطقة الأوراس ومنطقة الزاب، وهم ينسبون إلى بني زيان في رواية لعبد الرحمن بن خلدون، وفي أخرى أنّ بني زيان ينسبون إلى الأدارسة وهي رواية يحيى بن خلدون..

ولما قويت شوكة أبي عنان المريني ووصل إلى طولقة حاصرها في أول الأمر بجيش كبير - لأنها كانت محصنة - ثم اقتحمها وخرّب ديارها، وشدّد في تشريد أهلها لأنها كانت مقصد المنشقين والمعارضين، خاصة الذواودة الذين وقفوا له بحزم وشدّة، ثمّ أسر أميرها عبد الرحمن الطولقي وأودعه السجن بفاس، ولم يخرج من طولقة حتى خرّبها، سنة 758هـ.

عادت الفرصة لبني زيان لاستعادة حقهم في العرش، بعد الدعم الذي وجده أبو حمو الزياني من الذواودة وبني عامر، وكانت البداية من تلمسان، إلى أن طوع الزاب ووصل طولقة وعيّن أبو حمو أخاه أبا جميل أميراً على طولقة، و تركه مع أسرته و أصحابه، في سنة 759 هـ توفي أبو عنان المريني، وفي سنة 760 هـ وتمكن أبو حمو موسى الزياني من ملك أجداده، ودخل إلى تلمسان على رأس جيش كبير أكثره من بني عامر و من الذواودة. ومن بادية رياح عاد الذواودة الى مواطنهم.

ولما تمّ استرجاع مجد الدولة الزيانية - رغم الحروب التي كانت مع بني حفص وبني مرين، تحوّلت تلمسان إلى مدينة إشعاع علمي واقتصادي وظهر بعدها الحضاري، وصارت أهمّ حاضرة في بلاد المغرب الإسلامي.

ولما استتبّ الأمر للدولة الزيانية، ظهرت خلافات داخل بني زيان على الملك، فتعدّدت المناوشات والحروب، وكثر الحلفاء بينهم في الداخل والخارج، وتعدّدت التجاذبات بينهم، ممّا أشعل نار الفتن داخل المغرب الأوسط فكانت الفرصة ليتحرك السلطان عبد العزيز المريني على تلمسان في 772 هـ.

ظهرت ارتدادات في الدولة الزيانية بين أبنائها وأدعيائها فكان لهم الحكم مع تغييرات على الأرض للتناوب على النفوذ في مناطق متعدّدة، وفي هذه الفترة توفي السلطان المريني عبد العزيز 774هـ، دخل أبو حمو تلمسان، وفي ذات الوقت رحل أبو زيان الى تطري لاسترجاع نفوذه على المنطقة الشرقية.

أمر السلطان أبوحمو ابن خلدون بالتحرك بدعم صاحب بسكرة أحمد بن مزني والذواودة في معركته مع أبي زيان، وانتهى الحصار بهزيمته فهرب إلى جبل غمرة، وتمت ملاحقته للقبض عليه لكنه هرب ثانية إلى الصحراء (ورقلة) الذين فأجاروه وأكرموا نزله.

ولما نصّب سالم بن إبراهيم - كبير الثعالبة المتغلبين على فحص متيجة - أبا زيان ملكاً على المغرب الأوسط تولى قيادة التمرد، ممّا دفع أباحمو إلى تعيين ابنه عبد الرحمن أبي تاشفين لردع المتمردين، الذين أصيبوا بخسائر كبيرة في صفوفهم، وقتل معظم قادتهم.

تمّ التوسط بين أبيحمو و أبي زيان، ليقبل هذا الأخير بالعودة إلى بلاد الذواودة مقابل مبلغ من المال، وجراية سنوية، وارتحل سنة 776هـ ليستقر به المقام نهائياً في تونس، ويستعمل في عدة مناسبات ورقة ضغط ومساومة مع أبيحمو في النزاعات ضد تلمسان.

دامت الفتن في الدولة الزيانية بالرغم من الازدهار الذي عرفته في شتى المجالات، وبالرغم من كثرة الولاءات واختلافها، فهم ينتمون للنبلاء ومنهم من ينسبهم للشرفاء من آل البيت<sup>1</sup>، وقد نالوا من المجد ما يعتبره المؤرخون نتيجة للمكانة التي كانوا يحتلونها في المجتمع التلمساني وفي المناطق الحليفة، وعرفوا بهذه الكنية لبني زيان التي اشتهروا بها: "أولاد بوزيان"، الكنية التي عرفت شيوعاً في هذه الأسرة، وكانت تطلق على أحفاد الأمراء الزيانيين .

استغل أبو زيان الانشقاق بين أبناء أبيحمو الثاني فتحرك في اتجاه مدينة الجزائر التي اتخذ منها إمارة له في 5 يناير 1438م، ونبعت له متيجة، والمدية، وتنس ومليانة، إلا أن سكان الجزائر العاصمة تمردوا عليه وقتلوه في السنة ذاتها، ونجى ابنه محمد الذي استقر بتنس وجعلها إمارة له حتى سنة 1461م، وبعدها زحف من مليانة على تلمسان، وأصبح محمد بن أبي زيان يعرف بالمتوكل بن أبي زيان ملك على الدولة الزيانية من 1461م الى (1485م).

---

<sup>1</sup> محمد بن بو زيان، وهو المولى أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بن المولى أبو عبد الله محمد أبي زيان المستعين بالله بن أبي ثابت يوسف بن أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبيحمو الثاني بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، و أمه المولاة أمة العزيز بنت محمد بن أبي الحسن بن أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبيحمو الأول بن أبي سعيد بن يغمراسن بن زيان.

وبقي الملك في يد اولاد محمد المتوكل بن ابي زيان محمد ورجع الاعتبار لهم، ولعائلاتهم من بعد، ولعب نسبهم الشريف الدور الأسمى في استتباب الأمن بالرغم من محاولات من الأمير الحفصي التي انتهت بالصلح والمصاهرة مع المتوكل الذي زوجه ابنته سنة 1466م.

وبقي الحكم اولاد بوزيان إلى آخر تاريخ الدولة الزيانية، عندما برزت التدخلات الإسبانية والتركية وبني حفص والمرينيين، والصراع داخل الأسرة الزيانية، فكانت بداية الوهن ونهاية حكمهم في القرن العاشر الهجري، وكانت أيضا مرحلة ضعف المغرب العربي الكبير، لتتوالى الحملات الصليبية الإسبانية والبرتغالية وسقوط المواني المطلة على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي في أيدي الغزاة، وبذلك سقطت الدولة الزيانية المستقلة في سنة 912هـ/1506م.

تشكّلت الأسرة الزيانية بين مناطق المغرب العربي، ومنهم من نكّل بهم العثمانيون وقتلهم، وزاد في معاناتهم الفساد الذي قام به الإسبان في تلمسان ومقدساتها، فانضم من بقي منهم إل السعديين، ومنهم من ارتحل إلى فاس التي احتضنتهم وتولوا المناصب والحكم في الدولة العلوية.

أمّا تلمسان في العهد العثماني والاحتلال الفرنسي، فهي حقبة تاريخية أخرى كانت لها آثارها في جميع المستويات وشؤون الحياة.

### ج - الأداة التكنولوجية والقراءة المواقعية

وإذا كان للتعليم والتعليمية نصيب من هذه الدراسات، فإن الطبونيميا وعلم اللغة/الجغرافي عموماً، من أحوج العلوم الى هذه الأدوات التكنولوجية، فالقواميس الجغرافية/الالكترونية المتعلقة بمجالات ذات البعد البيئي متعددة- الطبونيميا على سبيل المثال لا الحصر - تجد لها في البرامج السياحية مجالاً حيويّاً، تقف على عدد من المعالم السياحية بدعامات متعددة ومتنوعة، وهي لا تستغني عن التعاون البحثي في الدراسات البيئية - لا تكتفي بمجال علمي واحد (اسماء المعالم السياحية، المساجد العتيقة، والزوايا، والعناصر المائية والسدود الى غير ذلك من المعالم التي لا تعرف بدون أسماء ولا يمكن أن نقف عليها دون تأصيل أو معرفة أصل الوضع وأسبابه وتطور أسمائه وأحداث مسمياته - وغير ذلك مما لا يمكن حصره في ملامسة إشارية لا غير .

إن الطابع الأكاديمي للتخصصات التي دأبت عليها جامعاتنا العربية في مسارها التعليمي والبحثي في نقلها للمعارف وتوليدها، كانت تتبنى النظام الواحد اعتقاداً في التخصص والتدقيق، ما نجم عنه كثرة التخصصات الدقيقة رغبة في التمكن من جزئيات المعرفة تفصيلاً واحتواءً، لكن العلم في تطور مستمر ولا تغيب المناهج عنه بل تواكبه تغيراً وتطوراً في تسارع لا يكل، مع المنافسات العلمية العالمية بحكم جبرية البراجماتية الاقتصادية، وتقارب العالم بتقريب مسافات التي تتحكم فيها التكنولوجيا، وكان الأثر الأكبر لتنوع وسائطه وكثرتها، في عالم جديد، غيرته العولة وتحكمت فيه قوى الاتصال، كما هو الشأن في نظام GIS و GPS الذي سنراه في الفصول اللاحقة.

فهذا النظام الذي ساد العالم قديماً، لم يعد يصلح لهذه المتغيرات في زماننا، فتم تعزيزه بنظم جديدة ومناهج حديثة تأخذ بعين الاعتبار الجديد الذي يتجدد ويتطور، فلا مفر من تعدد نواقل المعرفة وتنوع مصادرها، والاستفادة من حقوقها على تباينها بما يقتضيه الدرس البيئي الجديد نظراً لثرائه وشمولية إلمامه.

إنّ الإقبال على تبني طرق جديدة، ومناهج حديثة تستلهم أسسها من هذه الدراسات البيئية التي لا تزال في انتشار دائم في مستوى مختلف المؤسسات العلمية، تعرف توسعاً كبيراً لملازمة تخصصات تطبيقية تخدم مستجدات البحث العلمي والتطور التكنولوجي، كما أنّ الارتكاز المنهجي والإجرائي على ما توفره هذه الدراسات هو أيضاً في تزايد لا يتوقف، بحثاً عن حل للقضايا الغامضة، وكشف الأسرار التي تعرفها الظواهر المتداخلة.

وإدراكاً من الباحثين أن ما عجز عنه التخصص الواحد قد يجد له حلاً في تخصصات أكثر ملاءمة في علوم أخرى للعلاج الشمولي، ووعياً منهم بأهمية زوايا نظر مغايرة وتفاضلية في بعدها الإجرائي لحل المشاكل المعقدة والمتداخلة (ميشال لوري)، يسعى أهل الاختصاص إلى تعميق معرفتهم بالعلوم المجاورة وذات الصلة، وأحياناً الاستعانة بحقول معرفية لكسب مرجعيات وقرائن خاصة للفهم المتناسك للقضايا المتباينة لأنها مستعصية في التخصص الواحد وتتجاوز الحقل الواحد، فهي تصنف ضمن القضايا الاستراتيجية التي تخضع لسياسة التخطيط التنموي

للبلد، ولذلك تراعى فيها خصوصيات ولا تعرف لها حلولاً إلا ضمن حقول معرفية متباينة دون غيرها من الحقول .

لعل الطبونيميا بما هي عليه من تداعيات معرفية ترفع إحدى النداءات لتطوير البرامج التعليمية في الدراسات البيئية على مستوى كافة مراتب التعليم في النظم التعليمية لتكوين وحدة المعرفة والاقتصاد فيه، وهو أحد أهم متطلبات تحديات هذا النوع من الدراسات لمواجهة تحديات العولمة.

ولعلّ ما ورد في النظرية السلوكية لـ "سكينر" من أنّ إدراكنا لحقيقة مفادها أنّ البيئة تختار السلوك اعتباراً على طبيعة نتائجه، وأنّ التغييرات السلوكية المرجوة تحدث نتيجة لتغيير الظروف البيئية التي يتعرّض لها الأفراد<sup>1</sup>.

## 2 - قراءة الواقع الطبونيمي لتلمسان

ففي تلمسان، كغيرها من المدن الجزائرية، لا يمكن لزائرها أن يتغافل وجهات يحدّثه بها العام والخاص:

لعلّ البداية في استكشاف تلمسان، تكون من معالمها التاريخية، وهي عديدة ومتنوعة، مادية ولا مادية، وإذا كان الأمر في غياب الواقع التاريخي فيها يتحدث، فكانت البداية من ساحة المشور التي كانت في أيام ازدهارها مركزاً للإدارة الحكومية، في القرن الحادية عشر. والمدينة تتوفر أيضاً على ساحات ممتدة مشهورة هي مواقف لقراءات، ومنها ساحة عبد القادر وفيها متحف الآثار الذي حل مكان المسجد الصغير الذي كان يعرف باسم مسجد سيدي بن لحسن. والمدينة القديمة محاطة بالأسوار .

وإذا كان للقراءة مقاصد، تكون الوجهة إلى لمزارات الدينية : هي عديدة في تلمسان، ويقصدها الزائرون من كل حدب وصوب، وتعددت مقاصدهم، من الوقوف على تلمسان التاريخ والحضارة، خاصة طلاب العلم والبحث، وحتى الزائر العادي لما تتمتع به تلمسان من مناظر خلابة إلى التبرك بالأولياء الصالحين.

<sup>1</sup> www.new-educ.com

## ١ - المزارات الدينية Eponymes

- سيدي بومدين : يعدُّ المقام من أهمّ المزارات واشهرها، فهو قبلة الزائرين والوافدين من كل جهات الوطن بل ومن خارجه، ويوجد أيضاً جامع قرب ضريحه يحمل اسم جامع سيدي بومدين، وهو تحفة فنية قيل الكثير في جماله<sup>1</sup>.

الشكل رقم 6:

يمثل صورة لسيدي بومدين، يعدُّ من بين أشهر المزارات في تلمسان، وتوجد بجواره مدرسة العباد ، وقصر السلطان، وهي تحف فنية في العمارة، ولها قيمة تاريخية وعلمية، وبجانبه ضريح سيدي أبي زكريا يحي بن دوغان|كريا يحي بن يوغان.



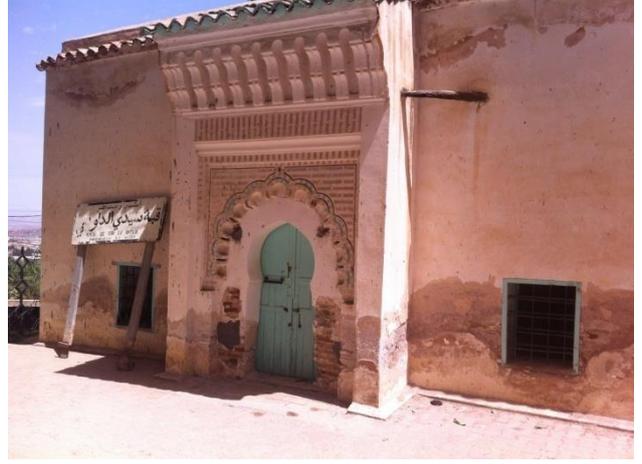
- سيدي الداودي : وهو أبو جعفر ، أحمد بن نصر الداودي الأسدي التلمساني ، اختلف العلماء في أصله ، فقيل هو من المسيلة وقيل من بسكرة . رحل إلى طرابلس الغرب وسكن بها مدة طلبا للعلم ، ثم انتقل إلى تلمسان واستقر بها إلى أن وافته المنية. وصل إلى رتبة عالية من العلم، وأصبح من أئمة المالكية بالمغرب، وصفه القاضي عياض بقوله: كان فقيهاً، فاضلاً، متفنناً، مؤلفاً مجيداً، له حظ من اللسان والحديث والنظر، كما أثنى عليه ابن فرحون وعده من علماء الطبقة السابعة، وأخذ عنه تلامذة كثيرون منهم : أبو بكر بن الشيخ أبي محمد بن أبي زيد وعبد الملك البوني وغيرهما، ومن آثاره "الأموال" في أحكام أموال المغانم والأراضي التي يتغلب عليها المسلمون (مخطوط في دار الكتب المصرية ) مصوّر عن الأسكيريال (1165) و"النامي" شرح لموطأ مالك، له عدة مؤلفات. توفي بتلمسان سنة 402 هـ على أرجح الأقوال،

<sup>1</sup> محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1981م، ص 403.

ودفن بضريحه المشهور إلى الآن شرقي باب العقبة في طريقنا إلى حي عين الدفلى، وهو الطريق المشهور باسمه إلى يومنا، وله تفسير للقرآن الكريم..

#### الشكل رقم: 7

وتعدّ منطقة سيدي الداودي منطقة سياحية لما تزخر به من آثار تحيط به من كل الجهات، باب العقبة، باب ارواح وسور أقادير وغيرها من المعالم التي لا تزال تشهد على تاريخ الحي، كما أنّها تشتهر بحقولها الخضراء وبتنوع أشجارها.



- سيدي وهب : وهو من التابعين -حسب روايات السكان - دفن سيدي يعقوب، أين يوجد ضريحه ومقبرة .  
- سيدي الحلوي

#### الشكل رقم: 8

يمثل ضريح سيدي الحلوي الذي يعرف باسمه الحي وسيدي الحلوي نسجت حوله الحكايات، بداية بالتسمية التي يحكى أنه كان يوزع الحلوى على الأطفال، ولقب بالمتهم لأنه كان مطلوباً من السلطان، وقيل أنه قتل بفصل رأسه عن جسده ولذلك دفن رأسه قرب المسجد الذي يحمل اسمه ولا يبعد عنه الضريح إلا بأمطار.



- سيدي الشعار : يوجد ضريح سيدي الشعار عند باب سيدي بومدين لا يبعد إلا بامتار عن درب مسوفة والقران، ومن جهة السور جامع باب زير، ولم يعد ضريح سيدي الشعار يظهر نظراً لوجوده في الطابق الأرضي لعمارة مبنية فوقه وهي مؤسسة للصناعة التقليدية (تصدير العروسة التلمسانية).

#### الشكل رقم 9:

الصورة المؤسسة مستحدثة تحمل اسم الشهرة "تصدير العروسة التلمسانية"، وفي الطابق السفلي من المؤسسة (الطابق الأرضي سابقاً) يوجد ضريح سيدي الشعار، وكان مزاراً قبل تفجير بنايات التي كانت تجاوره أيام الفتنة الجزائرية (العشرية السوداء).



- لالة ستي (الهضبة Oronymes) : لالة ستي الطبونيم، مرتفع طبيعي يطل على مدينة تلمسان، وهي تمثل اليوم الوجهة السياحية لمدينة تلمسان لما تتوفر عليه من مرافق الاستقبال، فهي تمكّن الزائر من صورة كاملة لتلمسان المدينة (فرجة)<sup>1</sup>. أما عن الأنثروبونيم Anthroponyme لالة ستي، فالروايات التي نسجت حولها كثيرة، فمنهم من يعدّها بنت سيدي عبد القادر الجيلاني وهي ولية صالحة إيبونيم Eponyme، قدمت من بغداد واستقرت بتلمسان في القرنين السادس والسابع الميلادي.

ومنهم من يرى أن اسمها الحقيقي هو "الضاوية" تيمناً بالولية الصالحة دفينه البصرة (العراق) المدعوة ربعة الضاوية، ولالة ستي كنية<sup>2</sup>.

- الزوايا والأضرحة : تعدّد الزوايا والأضرحة التي تركت بصمتها في المجتمع الجزائري حتى صارت من الملامح المميزة لهذه الثقافة، فكانت ضمن العرف التسموي السائد، وهي ظاهرة مغربية ملونة بالمقدس والدين، ولذلك كانت لتلمسان هذه المسحة التي أعطت للمجتمع

<sup>1</sup> محمد العربي حرز الله، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، دار السبيل للنشر والتوزيع، سنة 2011م، ص 379.

<sup>2</sup> Hassaine Daoudji Dalila, sur les traces de Lalla Setti, La sainte de Tlemcen, Editions Assabil, Alger 2011, P 102.

التلمساني الشعور بالانتماء التقديسي للولي الصالح سيدي أب مدين شعيب، فكان هذا الاسم من انتقاءهم لتسمية أبنائهم، ومعمّر نسبة لسيدي معمّر بلعالية والذي يوجد ضريحه قرب المتحف وثكنة ميلود، كلية طبي حالياً - دفين تلمسان، حسب بعض الروايات - وهو أصلاً من الابيض سيدي الشيخ، ونسجت حوله قصص تتطلب التثبت مع السلطان لكحل. كما قيل إنّ له عدة مقامات في عدة مدن جزائرية، منها تلك الموجودة بمدينة تنس. ومما يقال أنه شقيق سيدي محرز سلطان تونس، وقيل إنه دفين الابيض سيدي الشيخ.

ضريح سيدي معمّر أبو العالية بتلمسان ، قرب المتحف



وإنّ كثرة الأضرحة والأولياء الصالحين بتلمسان، جعل منها قبلة للزوار، طلبا للتبرّك والتمنّ بها، وهي مشهورة بعلمائها .

وتلمسان معالم مخلّدة لهؤلاء العظماء الذين ذكرهم التاريخ، وخلدتهم السجلات وكتب التراث ومنهم كتاب البستان لابن مريم الذي ذكر كثيرا من هؤلاء العلماء<sup>1</sup>.

**الحمامات Hagiotoponymes:** طبونيمات اقترنت بالمجاري المائية، وهي عادة ما تكون مياهها ساخنة إلى دافئة، وهي تعد من نمط الهيدرونيومات لأنها تركز بالأساس على الماء، ولذلك نجدها مؤهلة بالسكان. يوحد بولاية تلمسان حمامات كثيرة منها : حمام مشهور، هو حمام بوغرارة، وقد تعدّدت تأصيلات الاسم باجتهادات مختلفة : منها "جبيدة"، من أصل "جبذ" نسبة إلى جر العربة، وهو ما جعل دوزي يلتمس لها تحريجا من اللغة الأرقونية جيفادا

1 محمد بوزواوي، مآقر تلمسان، ماضياً وحاضراً، ص 22.

Juvada ، الأرض التي تحرث بثورين<sup>1</sup>. وحمّام بوغرارة تنسج حولها قصص مروية من قبل السكان مفادها أنّها تعود إلى عهود قديمة (الروماني)، إذ تمّ بناء مسبح للنبلاء، وقيل أيضاً لإحدى بنات أحد السلاطين.

وحمّام بوغرارة ترجع تسميته في الرواية الجزائرية الشائعة إلى الولي الصالح سيدي محمد بن يحيى بن الإمام بن يونس الفاسي، وسمي بـ"بوغرارة" كناية لصفة عُرف بها أنه كان يحمل أغراضه في غرارة وهي كيس مصنوع لحمل الأغراض، وقد نصب خيمته بقرب العين التي بها الحمام، فعرفت باسم هذا الرجل الصالح، وكانت العرب تكني من عرف بصفة بأسماء مشتقة منها<sup>2</sup>، وذهب ا. شريقن إلى أنّها من أصل أمازيغي، وهو تخريج مستبعد، نظراً لثقل التخريج العربي وتأصيل الكلمة.

واليوم يعدّ حمّام بوغرارة مقصداً للسياح والأشخاص المصابين بالأمراض الجلدية والروماتيزم، ويقع بين وادي مولاي ووادي تافنة، ولا يتعد كثيراً عن قرية لكفاف، ويتبع لمقاطعة دائرة مغنية.

ومن الحمامات المحيطة به - وهي حمامات معدنية - حمّام الشيقور، وهو أيضاً قبلة للذين يعانون من أمراض الكلى، والأمراض الباطنية، أمّا حمّام سيدي بلخير فقد تمّ نقل الضريح لوقوعه في بحيرة سدّ بوغرارة وهو أيضاً يقع في بلدية بوغرارة، وهو من الحمامات المعدنية التي كانت تقصد لعلاج الأمراض الجلدية، ونسبته إلى الولي الصالح الذي كان موجوداً ضريحه بعين المكان قبل بناء السدّ.

**تحمّامنت** : يقع في بلدية شتوان بين عين الحوت وأوزيدان، وهو أيضاً حمّام معدني، ويقصده المصابون بالأمراض الجلدية وهناك توجد مغارات يقال إنه وجد بها رفات الإنسان الأول، ما يدلّ على أنّ المنطقة سكنها الرجل البدائي.

<sup>1</sup> R.Dozy et W.H.Engelmann, Glossaire des mots espagnols et portugais dérivé de l'arabe, P 1861, P292. (<https://trove.nla.gov.au/work/509056>)

<sup>2</sup> حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، مرجع سابق، ص 150.

**حمام سيدي العبدلي :** وهو من الحمامات المشهورة بتلمسان، غير أنّه فقد كثيراً من شهرته نظراً للوضع الذي آل إليه، فتراجع عدد الزوار مقارنة بسابق عهده.

وقبل مغادرة تلمسان يستحسن الصعود الى القلعة المشرفة على المدينة وكانت المقر الرئيسي للمستعمرين الفرنسيين كمنطقة سكنية راقية.

## ب - طبونيمات ذات طابع تجاري درب سيدي حامد

### الشكل رقم: 10

يمثل درب سيدي حامد يتقاطع مع درب الإخوة بن شقرة والصورة تظهر جانب من التدرسة القرآنية الملحقة بمسجد سيدي القلعي، وهي قريبة من ساحة الرمي ودرب الصباغين كما تظهره الصورة أسفل هذا الشكل.



هذه الصور تبين الوسط التجاري والسياحي للمدينة العتيقة (تلمسان قرب مسحد سيدي القلعي بشارع الإخوة بن شقرة).

**شارع الإخوة بن شقرة:** وهو شارع تجاري وحرفي، ولا تزال تشهد على ذلك نشاطات إلى يومنا هذا.

### الشكل رقم : 11

تمثل الصورة ساحة الرمي: وساحة الرمي تتقاطع دروب تجارية ونشاطات حرفية ومصليات عتيقة (مساجد صغيرة)، وهذه الساحات هي عبارة عن أسواق شعبية



### الشكل رقم : 12

لا يزال هذا الدرب يحمل اسم الصنعة (الحرفة التي كانت تنشط هناك، درب الصباغين



### الشكل رقم : 13

تمثل الصورة درب الصباغين، ولا يزال إلى يومنا يزال نشاطه بصفة أخف في مجال الصباغة لأنه تقريبا انقرضت ولم تعد موحودة إلا بمستوى أقل مما كانت عليه.

### - درب الصباغين



صورة

### الشكل رقم:14

تمثل الصورة سوق الغزل وهو يعج بالتجار والمتسوقين من البضاعة التي تعرض على الأرض، وهي سوق شعبية لا تخضع لتنظيم حكومي.

التقط

ت

حديثاً

سنة

2018



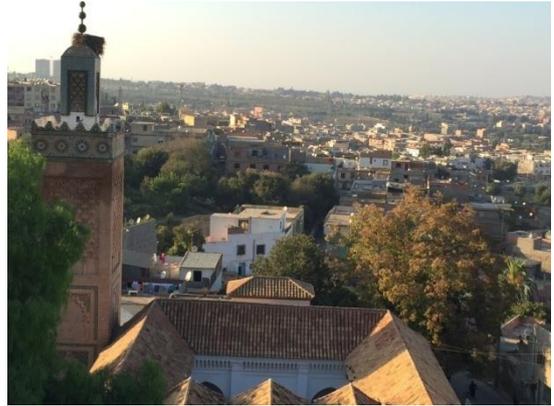
وللاشارة فإنّ المواقع التجارية في المدينة العتيقة توجد ساحات كثيرة للنشاط التجاري، ومنها من لا يزال يشهد هذا الواقع.

## ج- المدارس التعليمية التقليدية :

- مدرسة سيدي الحلوي: تم بناء هذه المدرسة في أوائل القرن السابع الهجري، وتقع في شمال المدينة، من قبل السلطان أبي عنان المريني، بجانب ضريح سيدي الحلوي، والمسجد القائم إلى يومنا في المدينة<sup>1</sup>.

### الشكل رقم: 15

تمثل الصورة جامع سيدي الحلوي والمدرسة، ومدرسة سيدي الحلوي تعدّ من المدارس العتيقة ، وهي اليوم تقوم بوظيفة تعليم القرآن



<sup>1</sup> عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية ثقافية، الجزء الأول، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص 144.

– المدرسة التاشفينية<sup>1</sup>: تعدّ من بين التّحف العمرانية والحضارية التي اشتهرت بها تلمسان، وقد شيّدت في وسط تلمسان قريبة من الجامع الأعظم، وداخل الأسوار التي كانت تحيط بها من كلّ جوانبها، وقد أمر ببناءها السلطان الزياني عبدالرحمن أبو تاشفين، وذلك سنة 765هـ.

ولعلّ ما اشتهرت به هذه المدرسة هو تفرّدها في هندستها وروعيتها الفنية، وزخرفتها المتميزة<sup>2</sup>، وقد قصدها الطلاب من كلّ أنحاء المغرب، واستقرّ بها العلماء ودرّسوا فيها، فكانت تعدّ جامعة بحق، تدرّس فيها كلّ العلوم، ومن أشهر علماء التاشفينية: أبو عبدالله الشريف التلمساني، ونظراً لما لعبته هذه المدرسة من دور تثقيفي وتوعوي، ونظراً لإشعاعها الذي طال كل بقاع المعمورة، كان قرار السلطة الاستعمارية بدمها لطمس هذا المعلم الحضاري بحجة توسيع المدينة سنة 1873م.

– المدرسة اليعقوبية: اشتهرت تلمسان بعلمائها ومدارسها وزواياها وكثرة دور الثقافة فيها، فتعددت وتنوعت، والمدرسة اليعقوبية واحدة من هذه المؤسسات العلمية، وقد أمر بينائها الأمير الزياني أبوحمو موسى الثاني في سنة 963هـ بوسط تلمسان قرب مسجد الشيخ إبراهيم المصمودي في حي باب الحديد.

<sup>1</sup> ومّا يشير إليه حاجيات عبدالحميد في هذا الموضوع، أنّ تلمسان في الفترة التي تلت الاحتلال بحوالي خمس عشرة سنة كانت تلمسان لاتزال تحافظ على مقومات الحضارة الإسلامية، ولم تأت عليها يد المستعمر إلاّ بعد تلك الفترة بسنوات، والمدرسة التاشفينية من المعالم التي طالتها يد التخريب.

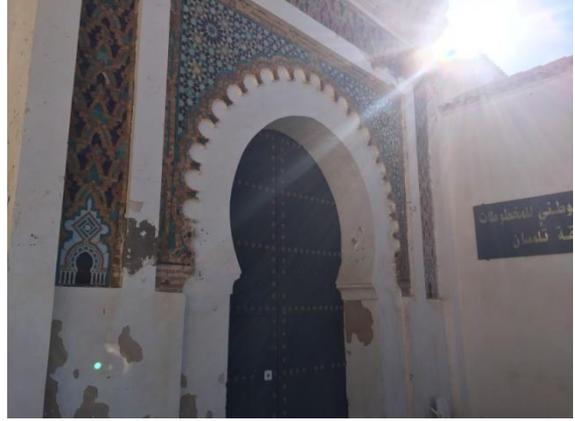
ينظر: د عبد الحميد حاجات، كتاب الجواهر الحسان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1982، ص 7.

<sup>2</sup> قال عنها الشيخ التنسي: "الجليلة العديمة النظير"، أما المؤرخ الفرنسي جورج مارسلي الذي عايش المدرسة: "شكل المدرسة كان جميلاً ومتميزاً...". ينظر:

<http://www.elkhabar.com/ar/islamiya/413430.html#sthash.9eFLSvsB.dpuf>

## الشكل رقم 16:

مدرسة العباد : تقع بجوار ضريح سيدي بومدين وقرية من قصر السلطان المريني، ولا تزال إلى يومنا مع تغيير الوظيفة وهي تابعة لوزارة الثقافة، وكانت لها وظيفة تعليمية وتحفيظ القرآن، وهي مؤسسة لحفظ المخطوطات. تقع المدرسة بالعباد بجوار مسجد سيدي بومدين، في أعالي تلمسان.



- مدرسة دار الحديث : تأسست على يد جمعية العلماء المسلمين، ولا تزال تؤدي وظيفتها الأصلية في التكوين الديني ، وبها مسجد للصلاة.

ولدار الحديث نشاط توعوي لا يتوقف، وهي بحكم رصيدها المعرفي ومكتسباتها الثقافية لا تزال تؤدي مهامها إلى يومنا على أكمل وجه.

- مركز الدراسات الأندلسية : منشأة حديثة بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، وهي تحفة فنية على الطراز الأندلسي، أما في شكلها وهندستها وطابعها العمراني فهي تمثل صورة جمالية مستلهمة من واقع قصر الحمراء بالأندلس.

وكان الهدف الرئيسي من إنشائها الاهتمام بالتراث التلمساني الأندلسي، وكل الأعمال العلمية ذات الصلة.



## ثانيا : الدراسات الواقعية والمخططات التنموية

للتخطيط التنموي في الدول والمجتمعات أهمية كبرى، نظرا لعلاقة التخطيط بالمجالات المختلفة لتسيير المؤسسات والمشاريع على مستوى الدول والأشخاص، ونظراً لجذواه الاقتصادية ولما له من آثار نفعية تستفيد منها الأمم، فإنّ الاهتمام بهذا المجال يزداد يوماً بعد يوم في المؤسسات العلمية الأكاديمية والرسمية.

كما أنّ الدراسات الطبونيمية تهدف إلى استغلال نظم المعلومات التي يوفرها المجال لحاضر الأجيال ومستقبلها، ولذلك لا يخلو مشروع من دراسات استباقية تأخذ بالحسبان احتمالات تخص متغيرات الحياة وتوقعاتها، في أي نظرة استشرافية.

ولابد من الوقوف عند أنواع المخططات ومددها (قصيرة المدى، متوسطة المدى، وقصيرة المدى)، مخططات تأخذ بالحسبان نوع التنمية - وفق طبيعة البلد وخصوصيته وموارده الطبيعية الخ... - للنظر في نمط التنمية (متجددة، مستدامة)... الخ، ولا تخلو من إطار عام للمجتمع، يتلون بهويته، وثقافته (مشروع مجتمع يكون أرضية لأي مخطط أو برنامج).. الخ.

نرى في واقع الدراسة النمطية للطبونيمية، من واقع الاستغلال الإقتصادي له في المستوى العالمي، وخاصة باستغلال التكنولوجيا وأهداف العولمة، استثمارات من الهيئات الرسمية والمؤسسات الشعبية من يوظف ذلك في مجالات السياحة والإشهار بتوظيف المواقع الإلكترونية لكل ما يمكن استغلاله أو توظيفه للأهداف ذاتها، ولنا في أماكن العبادات والأضرحة والزوايا وغيرها من الطقوس التي تعرّف بالشعوب وتاريخها وما يمثل هويتها، كلّ ذلك يعدّ من المعلومات التي تبنى عليها المشاريع الإنمائية بالتوظيف الموجّه والاستغلال القاصد، ولنا في تركيا ومصر والأردن في البلدان الإسلامية عينات رائدة في المجال، أما في الدول الغربية فإنّ أماكن إذا وضعت في زوايا المقارنة أو التقابل، فإنها غير مقبول نظراً للتباين الواضح في القيمة والأثر، ومع ذلك نجد توظيفها البراجماتي في هذه الدول الغربية يجعل منها مصدراً لجلب المال والمنفعة التي لا تقارن بمثيلاتها في العالمين العربي والإسلامي .

ونحن نلامس هذا الجانب لا نريد مقارنة المواقع بقدر ما نريد مقارنة توظيفها الهادف، واستغلالها في التنمية الاقتصادية الوطنية والجهوية (أوروبا الموحدة).

## 1 - المعطيات الواقعية والتخطيط التنموي

ولما تمّ اختياري للمجال الطبونيمي، كان الهدف الأسمى خدمة اللغة العربية في بعدها الاستراتيجي، فكان التخطيط التنموي اللغوي أولاً في بعد دقيق لا يجيد، وأرضية خاصة بما يتميز به البلد (هوية وثقافة)، تكون اللغة أهم ركيزة في هذا العمل العلمي، وتكون الدراسة البراجماتية ببعديها الاقتصادي والاجتماعي أيضاً محط اهتمام أساسي، ومن ثمّ يتحتّم على الباحث ملامسة الإمكانيات التطبيقية في إطار الدراسات البنينة، ليخلص إلى ربط العمل باستفادة المتكلمين من هذه اللغة وربطها بالحياة اليومية لهم، أملاً في الاستثمار الإيجابي في هذا الحقل المعرفي، والاستغلال النفعي لها، لكونها أساس التزوّد بالمعطيات، ومصدر الحصول على المعلومات التي نستقيها لبناء تصور تنموي يتماشى وإملاءات العصر.

وإذا كان التخطيط التنموي بهذه الأهمية، فهو في الحكومات الإلكترونية الركن العماد في تكوين قاعدة معطيات توفّر لنا بنوك معلومات لتقريب المهتمين منها، في كل جهات الزمان، ومحطات المكان.

والبداية في تصورنا لن تكون إلاّ انطلاقاً من المكان الذي يمثل المناطق والقطاعات في مختلف الجهات، ومما لا شك فيه أنّ طبيعة المكان بتاريخه الطويل، وبأبعاده التسموية عبر الزمان تعدّ من القرائن المادية لما كتنت تزخر به في المجالات الاقتصادية وبالتالي يكون منها المنطلق في التخطيط.

وتعدّ الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر من بين الموروث الذي تعبر عنه هذه الإيجاءات التي نتوصل ليها من اسم المكان. ولعلّ الاستراتيجية المتبناة لتنمية القطاع في بلدنا لا تحيد عن التصنيف الجهوي والتوزيع الجغرافي لمختلف النشاطات الاقتصادية.

ركزت الجزائر في السنوات الأخيرة على تحسين القدرات الذاتية للإطارات والحرفيين، كما اهتمت ببناء الأنظمة المعلوماتية للقطاع، ومن ثمّ أنظمت المعلومات المساعدة على اتخاذ القرار، وتسمح هذه الآلية بوضع سجل للصناعات التقليدية والحرف على مستوى الغرف،

وربطها بمركز على المستوى الوطني لمدّ البطاقة الوطنية للصناعة التقليدية والحرف بالمعلومة، وأول مهمة لهذه الغرف هو تسيير نظام المعلومات<sup>1</sup>.

لكننا في واقعنا نعيش الحاضر ونتطلّع إلى المستقبل في سياسة تسيير المعلومة لا غير، وهو الأمر الذي يبدو أنه يسجل قطيعة مع الماضي، وفي ذلك عدول عما ينبغي أن يكون. إنّ المعلومة التي تحتزن في منظومتنا، ولا تُستمد من موروثنا الذي يمثل ماضينا، قد تبقى مبتورة ما لم تستثمر بتوجهاتها في تحسين اقتصادنا، وذلك ما نعتبره من إجحاءات الماضي في تخطيط الحاضر لتوجيه المستقبل، خاصة إذا علمنا أنّ هذه القطاع في الجزائر مقترن بالسياحة وبالتالي يكون المكان في علاقة تلازمية مع الصناعة التقليدية والحرف والسياحة<sup>2</sup>.

### 1 - البنوك الإلكترونية :

لا يمكننا إغفال الثورة التكنولوجية في عالمنا المعاصر، ولا يمكننا التخلف عن الركب في استغلال الوسائل الإلكترونية، خاصة الوسائط التي أصبحت أكثر من ضرورة للتنمية، في ظل التفاعل بين المتعاملين والشركاء الاقتصاديين، وكذلك التعاون لبعث التكامل التجاري بين الدول في عصر التجارة العالمية.

وما لا يدع مجالاً للشك، هو أن هذه البنوك العامة والإلكترونية في المال والأعمال، وفي البنوك المعلوماتية، لا يمكنها الاستغناء عن الاتصال ووسائله، والإعلام ووسائطه، ذلك أنّ العملية الإلكترونية أصبحت تخضع للبرمجة لاحتواء المعلومات والاحتفظ بها لتكون قاعدة معطيات، لذلك صار المال المتحكم في التجارة العالمية وحركيتها الافتراضية لا تزيد عن كونها اتصال إلكتروني يعمل بلا حدود ولا تنقل.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أهمية هذه البنوك الإلكترونية ومدى تأثيرها في سيورة الاقتصاد وتسيير شؤون الدول، وما تشهده الساحة المصرفية في العالم من تحول في العقود الأخيرة، إذ عرفت توسعاً كبيراً فرضته التكنولوجيات البنكية، وهو اتجاه حديث ويختلف عن البنوك التقليدية، في سرعة الخدمات والمزايا المختلفة والمتعددة.

<sup>1</sup> الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية والحرف، تطور قطاع الصناعة التقليدية والحرف في الجزائر - 2009/1962،

ط 2، ص ب 73 سيدي فرج، سطاوالي، الجزائر، ص 36/35.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 28.

فالبنوك الافتراضية أعطت دفعا قويا للخدمات عبر المواقع المتعددة التي تقدمها الشبكة، خاصة ما يتعلق بقاعدة المعطيات، وسعة قاعدة المعلومات والعلاقات بين الزبائن والمتعاملين، وتنوع وسائل الدفع المصرفي الإلكتروني.

ومع ذلك فإنّ هذه المزايا، لا تلغي المخاطر التقنية الفجائية التي تواجه المستخدمين، مع تنوع احتمالات وقوع الأخطاء في البرامج وسوء استخدام هذه الأنظمة، وغيرها مما يرتبط بمسيرة التطور التكنولوجي العالمي وعلاقتها بهذه الأنظمة الخارجية المتغيرة والمتسارعة. وخارج البعد التقني والتنظيمي وما يرتبط بهما من برامج، فإنّ المزايا المتعددة للوظائف الإلكترونية كثيرٌ

### ب - التنوع الوظيفي للبنوك الإلكترونية

صحيح أنّ التطور التكنولوجي أصبح يعمل على جبهات متعددة وعلى أصعدة مختلفة في وقت واحد، لذلك أضحى البرمجة في الاستثمار واستغلال البنوك المعلوماتية تجارة رائجة، ومن يتوفر على المعلومة يكتسب القوة في تحريك المال والأعمال.

وللغة وما يرتبط بها نصيب من هذه التجارة، هذا إن لم نقل أنّها عماد هذا النشاط التجاري الافتراضي في عصر العولمة.

وبما أنّ الاقتصاد يركز في اهتماماته على أهداف أساسية توجه التخطيط ليكون برامجها في كلّ شيء، كان للتعدّد الوظيفي للبنوك الإلكترونية الوجود الأكبر دلالة وفعالية في هذه المخططات التي تبعد يوما بعد يوم عن البنوك التقليدية وتنغمس في مقتضيات العصرنة والعولمة.

فإجماع المتعاملين والمهتمين بأهمية تنويع الخدمات، والتكاليف المنخفضة وريح الوقت، كلّها عوامل عزّزت من هذا الاختيار الذي لا مفرّ منه، إذ تحولت من البنوك ذات الأماكن الثابتة إلى فضاءات مفتوحة لمواقع متعددة التوجّه بين التجارة والمال، والإدارة، والاستشارة الشمولية في الأنظمة العامة المسيّرة للخدمات أو المعاملات في الصفقات على مواقع النت الافتراضية تاركة المجال لقوة المنافسة في الزمن السريع والفضاء المفتوح.

## ج - الطبونيميا والبنوك الإلكترونية

وكما سبقت الإشارة إليه، كان المنطلق في هذه الدراسة - من الزاوية الاستشراافية - التخطيط التنموي وهي زاوية جدّ دقيقة ومتميزة، لأهميتها العملية والتطبيقية في المخططات التنموية والاستراتيجية، لذلك تنوعت المجالات العلمية في خدمتها، وتعددت الحقول المعرفية في الاغتراف من معينها.

أمّا عن منطلق البحث الطبونيمي، فمن أسماء الأمكنة، وهي أسماء على تميزها عن غيرها بطابعها البنائي التأليفي الخاص، بخلاف الأسماء التحليلية الأخرى، تحمل إيجاءات تقدّمها تراكمات الزمان، صانعة المكان، وفتحة مداخلها التي يقدمها اسم المكان بارتباطاته مع أحداث الزمان بفعل الإنسان أو الطبيعة أو متغيرات الزمان<sup>1</sup>.

فلا بد للمعلومة التي تقدمها إيجاءات بدلالات القراءة نكتسب معلومة من الطبونيم الذي يحمل معه هذه الإيجاءات عبر الزمان المفتوح (الحقب المتعاقبة)، والفضاء الواسع الذي يمثل مجموع الأمكنة .

من هنا ، تكون المعلومة ما تقدمه طبيعة الطبونيم وأسباب التسمية التي تربطها علاقة بالواقع، فعين الحجر ، اتصفت بطبيع الأرض الحجرية، السرّ الذي جعلها تشهر على عهد كثرت فيه المحجرات مصانع الرمل وما يتبع.

تلمسان، وقصص الماء والينابيع التي اشتهرت بها، والقراءات المختلفة للاسم التي لا تبتعد عن لازمة الماء لقراءة البعد التسموي...

هذا لما يكون للطبونيم علاقة بين ما هو تسموي من جهة، وما تقدمه هذه الطبونيمات من معان نفعية ترتبط بالمكان وما يزرع به من منتج أو طابع خدماتي يتميز به

<sup>1</sup> ينظر : مفهوم المكان في ص 09 - 16 .

<sup>1</sup> إنّ نظام تحديد المواقع إلكترونياً، يعتمد بالأساس على أرضية تتخذ من الخرائط الإلكترونية منطلقاً لها، وتتوفر على آلية تحديد أسماء الأماكن، والشوارع، والمعالم، ويعدّ كل طبونيم فيها بمثابة قرينة للاستدلال المكاني، ترتبط إلكترونياً بجهاز ج ب س .

كالسياحة بأنواعها حمامات معدنية، معالم أثرية، المناظر الطبيعية المتميزة، والسياحة الدينية كالزوايا، المساجد العتيقة، الأضرحة، وغيرها مما له خصوصية في المجال .

ولعلّ من أهم ما يسهّل التعريف والخدمات هذه البنوك بمختلف معطياتها واستغلال معلوماتها، ومن أبسط الخدمات وأسهلها في الاستعمال والسرعة، ما تقدمه للمستخدم من معلومات في أي مكان يتواجد به في العمل أو في البيت، في السفر أو الاستقرار، كتحديد الفنادق على بعدها، وعمليات الحجز والاطلاع والاستعلام وغيرها عن ما يجري من استثمارات عن بُعد كتلك الناتجة عن عوامة الأسواق، دون التقيّد بالمكان والزمان.

## 2 - التطور التكنولوجي والتنمية

ومن ثم كان للتطور التكنولوجي المتسارع في عالمنا، الأثر الكبير في توجيه هذه الدراسات نحو الفائدة التي يجنيها البحث من هذا التطور الذي استجاب بصفة لا تراجع معها لما تقتضيه العوامة في عصر لا مكان فيه للمتخلفين عن الركب.

وبالفعل، بدأ التفكير في إصلاحات هيكلية من نوع ليبرالي منذ نهاية القرن الماضي، فبنت كثير من الدول النامية نهج التغيير بعد الهزائم المتكررة خاصة على مستوى السياسات الاقتصادية والاجتماعية، حيث كان الفشل في مختلف نماذج التنمية في العشرية السابقة<sup>1</sup>.

وعليه، أعيد النظر في سياسة التخطيط التنموي، فكان لا بد على أهل الاختصاص - في إطار المطالب المتكررة لحوكمة الفكر الاقتصادي - من دراسة أسباب هذا الفشل، وحصص مواطن الضعف في الفكر التنوي السائد في سائر بلدان العالم النامي يشكل أساسية.

كان من نتائج هذه الدراسات التي أسهمت فيها - زيادة على أهل الاختصاص - هيئات دولية حول أسلوب الحكم لبعث التنمية، جملة من المفاهيم تخص مجالات سياسية

<sup>1</sup> Stéphane Teillet : L'impasse de l'anti-développement, Institutions et développement, La fabrique insitutionnelle et politique des trajectoires de développement ;presse universitaires de Rennes, 2007, p4.

واجتماعية واقتصادية وثقافية وغيرها من المجالات، تركزت بالخصوص حول "الحكم الرشيد ، والحوكمة"<sup>1</sup>.

فالتنمية لم تعد مفهوما اقتصاديا فقط، بل طال مجالات عدة ، منها ما يتعلق بإعادة تنظيم وتوجيه النظام الاقتصادي والاجتماعي لتحسين الانتاجية ورفع دخول الأفراد وتعديلات جذرية لمواجهة تحديات كبرى للانتقال إلى مستوى تنموي أرقى.

### ١ - الطبونيمية والتنمية في الجزائر

وكون الجزائر من هذه الدول النامية، بقيت حبيسة المحاولات ولم تتمكن من تحقيق النجاح التنموي، رغم توفر وفرة المال المتوقع على ارتفاع سعر النفط، وبحسب الظروف الاقتصادية العالمية.

وبدون التعمق في تحليل الوضع التنموي الجزائري الذي عرف محاولات كثيرة وشعارات متعددة، نسعى في عجلة لملامسة هذا الجانب وفق ما يقتضيه موضوع البحث.

إنّ من اهتمامات الفكر الاقتصادي التنموي، دراسة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية التي تعترض تقدم الدول النامية وتطورها، فهو يقف على أسباب فقرها وتحلفها، ويسهر على وضع سياسات لإخراجها من وضعها المتردي.

وإذا كانت التنمية هي عبارة عن ممارسات عمومية وخاصة لدفع الشعوب نحو تحسين أوضاعها بإعطاء لما ينفعها، من استثمارات واختراعات ومقاولات وتكوين وغير ذلك مما يكوّن عاملا قويا لتحسين مستوى معيشة سكان منطقة بعينها، فلا بدّ لنا من معرفة هذه المناطق بما تحمله من مرجعيات وقرائن لمعرفة الانسان الذي أقام بها وما يحمله من مخزون حضاري يميزه عن غيره، فيكون التخطيط من المكان وبالاستدلال عليه بالاسم، ومهما كان الفضاء في سعته وضيقه وفي تاريخه ومراحل التغيرات التي سجلت به، وليس التخطيط التنوي الذي اختفى وراء العوامل السياسية الإغراءات الظرفية .

كان لا بدّ أن تسخر أسماء الأماكن لأهداف نفعية لإنسان هذا العصر، فلم تكتف هذه الأسماء (الطبونيمات) بحمل دلالات لموروث مخزون، بل استغلت قرائن ومرجعيات في

---

<sup>1</sup> الحكم الرشيد والحوكمة :

توجيه الاتصال والمواصلات، على اعتبار أنها أدلة مكانية، يعتمد عليها المتنقل عبر وسائل النقل المختلفة وراجلاً.

## ب - التنمية وتحديات العولمة

إنّ الواقع البراجماتي الذي فرضه العصر بما اصطحبه من تطور تكنولوجي، فرض علينا تحولاً نمطياً للحياة اليومية، بل دخل بلادنا بدون استئذان ولا ترخيص، اضطراراً لا اختياراً، فالـ GPS ما فتئ يتحقق عبر برامج وطنية ودولية مترابطة بشبكة من العلاقات بمجالات التنمية والتنمية المستدامة.

ومن ثمّ، فالمجالات العلمية التي تؤسس وتنظر لأرضية هذه التطبيقات والممارسات في الحياة العملية وفي المخططات الاستشرافية لا تتوقف على تخصص علمي واحد، ولا تكتفي في سندها على حقل معرفي واحد، وفي ضوء ذلك، كانت الدراسات البيئية العول<sup>2</sup> في مجال الطبونيميا .

لكن ما يجب التركيز عليه، هو أنّ هذه الدراسات التي تهدف إلى وضع السياسة والحكام على اطلاع بما يمكن التوصل إليه في الدراسات المستقبلية لوطننا العربي، لا تزال في عتبة الطريق، ولا بد من إعادة بناء العقل العربي وفق هذا التوجه العلمي، والحس النقدي الذي يكسر طابوهات الماضي، ويتمرد على الموروث الذي لا يزال حبيس ذهنيات بالية لا تؤمن

---

<sup>1</sup> إنّ نظام تحديد المواقع إلكترونياً، يعتمد بالأساس على أرضية تتخذ من الخرائط الإلكترونية منطلقاً لها، وتتوفر على آلية تحديد أسماء الأماكن، والشوارع، والمعالم، ويعدّ كل طبونيم فيها بمثابة قرينة للاستدلال المكاني، ترتبط إلكترونياً بجهاز ج ب س (GPS)، وهو نظام عالمي يستغل في الملاحه، ومزود بخرائط جوجل (google)، وجوجل إيرث (Google Earth) وجوجل ماب (Google, Maps) يعمل بنظام الأندرويد، وهو ذات النظام الذي يفترض أنه سيشغل بالعربية في مشروع الذخيرة العربية، يفترض أن يكون عربياً .

<sup>2</sup> معنى عول في معجم المعاني الجامع ، عَوَّلَ : فعل، عَوَّلَ على، يعوِّل ، تعويلاً ، فهو مُعوِّل ، والمفعول مُعوَّلٌ عليه، عَوَّلَ أَلماً وَحُرْناً : رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ، عَوَّلَ عَلَيْهِ أَوْبِهِ : اعْتَمَدَ عَلَيْهِ ، اِتَّكَلَّ عَلَيْهِ ، اسْتَعَانَ بِهِ عَوَّلْنَا عَلَيْهِ فَوَجَدْنَاهُ نَعْمَ الْمُعَوَّلُ ، عَوَّلَ إِلَيْهِ فِي حَاجَتِهِ : لَجَأَ إِلَيْهِ، عَوَّلَ عَلَى السَّفَرِ : عَزَمَ عَلَيْهِ وَعَقَدَ النَّيَّةَ ، وَطَنَّ نَفْسُهُ عَلَيْهِ ، عَوَّلَ الرَّجُلُ : اتَّخَذَ عَالَةً الْعَوَّلُ .

وفي علم الفرائض : زيادة الأنصباء على الفريضة، فتتقص قيمتها بقدر الحصص.

بإمكانية امتلاك رؤية استشرافية قومية، تعتمد على مشروع أمة بنقاش واسع، يسمح لنا بتقديم برامج فكرية عقلانية باستطاعتها تحريك الراكد، وتأسيس مدرسة مستقبلية بتقنيات وأدوات العصر<sup>1</sup>.

### ج - الطبونيميا والبدائل الاستراتيجية

إن المسالك التي توصلنا إلى الحقيقة التنموية بالاعتماد على الدراسات الاستراتيجية لا تنطلق من العدم، ويتوجب على القائمين عليها أن يؤسسوا مخططاتهم على معطيات بل على مرجعيات وقرائن، فالمرجعيات لتحديد القيم التخطيطية بالاعتماد على التجارب السابقة، وهي كثيرا ما تحمل في تعيين الأماكن، وتبطن بإيجاءات الاسمية.

وقوفنا على قول ابن الهيثم في رؤيته للحقيقة ترتبط ارتباطا وثيقا بزوايا النظر، فهو تفتن إلى ثنائية الواقع والحقيقة في ملامسة الزوايا والمسالك، يقول ابن الهيثم رحمه الله: «إنّ الحق واحد، وإنما يكمن الاختلاف في المسالك المؤدية إليه»<sup>2</sup>.

لذلك، لا يمكننا أن ننظر إلى المستقبل من زاوية واحدة ولا إلى الواقع في دراساتنا الاستراتيجية من زاوية واحدة بل للمستقبل أرضية الحاضر والماضي للاعتراف قبل التخطيط، الأمر الذي يجعل من هذه الطبونيمات قاعدة معطيات بذكر التاريخ وقراءات الماضي للواقع بمختلف أنواعه وبملاسة مجالاته العلمية التي تمكننا من هذه البدائل في ظل الرؤية الاستراتيجية للطبونيمات.

فالمواقعية وإن كانت تهتم بكلّ الأمكنة، من مدن، وقرى، وأماكن عمرها الإنسان أو ترك فيها بصمات لذكرها، والوقوف عليها، أو مسالك تشهد على لقاءات تجارية، أو رحلات تاريخية، أو نظرا لحوادث طبيعية غيرتها، فوسمتها بآثار تشهد عليها<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> محمد إبراهيم منصور، الدراسات المستقبلية، ماهيتها وأهمية توطينها عربيا، منتدى الجزيرة السابع، بالعاصمة القطرية الدوحة، أبريل 2013.

<sup>2</sup> القول لابن الهيثم في المناهج، ويتفق مع جورج مونان في تحديد زوايا النظر: متاح الألسنية

<sup>3</sup> Poirier, Jean, Toponymie. 1965, Méthode d'enquête, Québec, Les Presses de l'Université Laval, 165 p. Préface de Fernand Grenier. P19.

# الفصل الثاني

## طونيمات الشعر الملحون التمساني

## الفصل الثاني

### طبونيمات الشعر الملحون التلمساني

يتميّز الشعر الملحون التلمساني بتنوعه، فهو يعكس التنوع الحضاري الذي يظهر في لغته التي تتمثل في ألفاظ القصيدة من عربي وأمازيغي وبونريقي، كما تتمثله الأسماء الأعلام الواردة في أشعار الملحون التلمساني الوصفي، واللفظ العربي بطابعه الفصيح والملحون، وبمجمعه الحضري والحوزي وحتى البدوي في أنحاء من تلمسان المترامية الحدود ومكوّنة بوابة للصحراء الجزائرية الغربية.

ولعلّ هذا الواقع اللغوي المنتظم، الحامل لطبونيمات تلمسان في مراحل تاريخها المتعاقبة، يحتمّ على الباحث الإلمام بتاريخ المنطقة، قبل قراءة هذا الموروث الحضاري اللامادي، لأنّه لا فهم لدلالات هذه الطبونيمات إلاّ بفهمها في لغاتها الأصلية، بل وفي وعائها الثقافي، ولنا في معجم الأسماء الأمازيغية والرومانية والتركية والإسبانية والفرنسية أكبر دليل.

أما عن عامية الشعر الملحون الذي لا يزال يشهد على أحداث المنطقة وأيامها، فهو يتوفر على معجم يتباين في الفترة الواحدة أفقياً، ويتباين عمودياً بفعل التطور بتباين المراحل التاريخية لها.

قد تكون لهذه الطبونيمات قصص وحكايات، وقد تكون شاهداً على أحداث تاريخية تحفظها هذه الأماكن، وتحملها دلالات الأسماء (الطبونيمات)، وقد تكون لها إحياءات بمفاهيم ووجوه تخريرية لا يتفق حولها المؤرخون ولا حتي الدارسون، نظراً لتحكّم الظروف السياسية أو غيرها آنذاك، فيكون واجب التحفّظ عن الكشف والإظهار لأسباب تاريخية لا تفسّر إلاّ بقراءات عديدة، وقد تبقى مغمورة لفقدان شهود العيان.

لذلك يتوجب على دارس طبونيمات تلمسان أن يتوقّف لقراءة هذا الشعر الملحون وخصوصياته قبل الوقوف على الألفاظ الخاصة - أي الطبونيمات - لأنّها تعدّ من التراث الذي يحفظ الحقب المتعدّدة، والتنوع الحضاري الذي تشهد عليه تعاقب المراحل، واختلاط الأعراق والأجناس.

## أولاً - مكانة اللهجات بين العامية والفصح

تعدّ اللغة العربية من أرقى اللغات السامية<sup>1</sup>، وهي ليست بدعاً بينها، فقد طرأ عليها تغير وخضعت للتطور طيلة قرون من التداول وفي بيئات مختلفة.

فكانت للقبائل العربية لغات، وهي تعرف داخل اللغة الواحدة باللهجات، فهي أصناف لغوية تتحقّق في مستوى من مستويات اللغة الاستعمالية.

وإذا كان التعدّد اللغوي يؤثر ويتأثر بالتخاطبات اليومية للمتكلمين، فإنّ تعدّدها يظهر في جوانب كثيرة من وجوه اللغة، فهي تعرف أيضاً اختلافات في مستوياتها التحليلية اللغوية، ومنها بصفة خاصة التغيرات الصوتية، وتكون في هذه الحالة بمثابة أوفونات فقط، نظراً لعدم ثبوت تغير المعنى، فالعلاقة بين هذه الوحدات الصوتية علاقة تبادلية، والوظيفة تحدّد بالسلبية لعدم تحديد القيمة الصوتية من خلال الصفات التمييزية لها.

فنحن في مدينة الغزوات مثلاً، قد لا نفهم منطوق أسماء نظراً لاستبدال صوتي لهجي خاص بالمنطقة، ومنها : القاف، والكاف، والشين، وأصوات أخرى ذات علاقة تبادلية لأسباب لهجية في عدة مناطق بتلمسان، ومنها استبدال القاف/ همزة، وغيرها كثير.

ولعلنا أثناء دراستنا لهذه اللهجات، نقع في ما وقع فيه النحاة القدامى، إذ أشار أحمد سليمان يقوت إلى هذه القضية التي تخصّ عدم الالتفات إلى اختلاف اللهجات بقوله : «وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية، إذ أنّ عدم التفات النحاة إلى اختلاف اللهجات أدّى بهم إلى التمحل والتكلّف في الإعراب حتى يخضعوا شواهد هذه اللهجات للقواعد العامة التي وضعوها، دون أن يربحوا أنفسهم فيقولوا إنّ هذه لهجة من لهجات العرب، فشكل هذا جانباً كبيراً من العوارض الإعرابية»<sup>2</sup>، وقس عليها باقي التغيرات في المستويات التحليلية اللغوية الأخرى.

وفي منطق اللغات وانتشارها في مناطق واسعة من الأرض للعوامل والأسباب المتنوعة، وتكلّمت بها جماعات عديدة وطوائف مختلفة من الناس، استحال على الناس المحافظة على وحدتها الأولى أمداً طويلاً، ومن ثمّ تتشعب إلى لهجات، ولكلّ لهجة مسلك خاص بها في

<sup>1</sup> جرجي زيدان، - الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية - تاريخ اللغة العربية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1987، ص 27 أو 28.

<sup>2</sup> أحمد سليمان يقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983، ص 120.

سبيل تطورها، مع اختلاف مناهجها، ومع الأيام تتميز عن غيرها وتختلف في كثير من الوجوه عن تلك التي انبثقت من أصل تشترك فيه، وقد تتفق معها في وجوه أخرى<sup>1</sup>.

ولعلنا في تركيزها على هذه الأشكال اللغوية - الشعر الملحون المعتمد للعاميات - نكون قد استجبنا لمطلب علمي يخدم التنمية اللغوية في جوانب كثيرة، منها : أننا نقف على مفردات في العاميات وهي تعدّ من الفصحح العربي أو القريب من الفصحح العربي، والذي لم تتمكن القواميس العربية من احتوائه.

وقد تفضّن العلماء أنّ هذا المستعمل العامي المتواجد في اللهجات والخطاب اليومي للمتحدثين بلهجاتهم في المواقف المختلفة، وقضاء الحاجات اليومية بهذه اللهجة، ويتمثل القسط الأوفر منها في الخطاب اليومي، وهو غير متدارك في قواميس الفصحح 80%، وهذا ما ما يطلق عليه مصطلح العفوية اللغوية عند النطق<sup>2</sup>.

ولذلك نجد من العلماء وأهل الاختصاص من يفرّقون بين لغة المدرسة والتلقين، وما تقتضيه من تحكّم في نظام اللغة من إعراب وتشدّد فيه، ومن جهة أخرى لغة التخاطب اليومي بين أفراد المجتمع، والتي يجب الوقوف عليها وعدم تجاهل التعابير العفوية ذات المستوى المستخفّ في الاستعمال من قبيل المشافهة التي تمتاز عن الفصحح بعدم أخذها بالإعراب والتنوين مثلاً، وقد أنّهم بعض القدامى - ومنهم الجاحظ - المتكلّفين بالإعراب في خطابهم اليومي، ووصفهم بالمتشدّقين والمتفقيهن، ومن الذين وصفوا الخطاب اليومي للعرب الخشخاش بن الحباب، بقوله : «إعراب العرب الخطف والحذف»<sup>3</sup>.

ولذلك، نحن نرى في هذه المادة اللغوية التي اتخذناها مدوّنة لدراستنا، هي المصدر الحقيقي الذي نعول عليه في وقوفنا على طبونيمات كانت موجودة ولم تعد كذلك، فهي إذن الغزارة الحقيقية التي يُفترض أن تتكاتف من أجلها الجهود لحصر القوائم الطبونيمية التي تداولتها الخطابات اليومية في المشافهات العفوية في مراحل تاريخية لتلمسان الثقافة والتراث.

1 علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة سنة 2006، ص 172-173.

2 مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، إعداد الحاج صالح عبد الرحمن، ص 24.

3 المرجع نفسه، ص 27.

## 1 | - الشعر الملحون التلمساني

يعتبر النص الشعري الملحون في القصيدة التلمسانية، أقرب إلى الفصحى في لغته، فقصائد الشيخ بن سهلة أو ابن مسايب أو ابن تريكى وغيرهم، يضبطون لغتهم ورصيدهم المعجمي على الفصحى السهل في انتقاء ألفاظه التي تمثل التداول الاستعمالي اليومي المبسط، لذلك نجدها تعكس المعجم المحيّن بحسب المراحل والحقب.

ونحن في دراستنا يتبين لنا في أغلب الأعمال التأصلية، أنّ أصل هذه الطبونيّات المستعملة في لغة التداول اليومي الشعبي، ما هي إلاّ اللغة العربية الفصحى التي لا تخضع في تراكيبيها للإعراب، وأحياناً تنفلت عن النظام الصرفي، وهي تنتمي إلى أصل عربي متداول ومستعمل في الفصحى مع الحرص على تهذيبه بما يتماشى وواقع النظام اللغوي.

أما النماذج التي ليست عربية الأصل كالأمازيغية أو اللغات الأخرى، فنجدها تحافظ على شكلها الأصلي أو تتركب مع عناصر لغوية مزيجية : عربي / أمازيغي، وهكذا.

والعامية العربية هي من اللهجات العربية في صورها التداولية البسيطة عند عامة الناس، أي يفهمها الأمي والمثقف على حدّ سواء، بخلاف اللهجات التي تمثّل لونا قليلاً أو لغة عشيرة أو تجمع نميزه لهجته عن غيره من الأشكال التعميرية.

وتتميز لغة الشعر التلمساني الملحون بلغته التي تميزه عن غيره، فمعجمه هو يمثل انغماس اجتماعي خاص يعكس المكوّن الثقافي الحضاري للتلمساني.

والشعر الملحون التلمساني ليس بدعة في هذا التراث الجزائري، فهو يغترف من لغة النسيج الاجتماعي الذي ينتمي إليه، ففي المستوى الصوتي تتميز الهمزة في التكملة التلمسانية كما هو الحال في بعض المدن الحضرية العربية التي تشترك في بعض تحقيقاتها الصوتية: القاف تنطق همزة في تلمسان، وفاس ، والقاهرة، وغيرها من المدن العربية، وكذلك الأمر بالنسبة للجيم، والتاء ، وغيرها من الأصوات التي تتميز بها اللغة التلمسانية، وهي توجد في كثير من المنتوجات الشعرية في الملحون التلمساني.

وبعدّ الشعر التلمساني من التراث الذي ترك بصمته في الثقافة التلمسانية التي حافظت على اللغة وعلى ما يصاحبها من سلوكات حضارية عكستها العادات التي لا تزال تتجسد في ثقافتنا التلمسانية اليومية.

## ١ - دراسة النماذج اللغوية في الشعر التلمساني

لا توجد لغة بمعزل عن ثقافة متكلميها الأصليين، فاللغة تجربة وتعبير عن أحاسيس يحملها المتكلمون بها - كما سبق أن أشرنا إليها - لذلك تعد اللغة ظاهرة اجتماعية، فهي حاملة لمومته وانشغالاته، ومعبرة عن أفراحه وأفراحه، والمواكبة لانتصاراته وانكساراته، وهي مكوّن أساسي من مكونات هويته، ولا تكتمل بها.

إنّ اللغة كما توجد في الواقع الاجتماعي والثقافي، تتحقق على أشكال، فهي فصيحة وغير فصيحة كما هو الحال في واقع لغتنا اليوم، وهي لهجات متعددة، وهي أيضاً علمية وأدبية، وهي عامة وخاصة، ولغة تعليم عام ولغة تخصص، وهي لغة صعبة وسهلة في آن واحد بحسب السامع المستهدف، وهي في كلّ ذلك تقاطعات لمجالات علمية عند دراستها، واغتراف من حقول معرفية عند ملامستها لقراءة ما تخفيه وما تظهره، إذن هي تلك الثقافة التي تساوي الحياة البشرية.

والنموذج الثقافي التلمساني يعكس مستوى السكان المعرفي التداولي في المنطقة، فقد اشتهرت تلمسان بميزة خاصة تمثلت في اندماج علمائها وشيوخها في المجتمع واحتكوا به.

فهذا أبو يزيد عبد الرحمن الذي كان ينشط في النجارة، وكان الخطيب أبو زيد بن أبي العيش تاجراً في وسط مدينة تلمسان، يحتك بكل فئات المجتمع، وأسهم تواجد دكانه بوسط المدينة قرب المسجد الكبير تلاقى العلماء والفقهاء واحتكاكهم بعامّة الناس.

وكان أبو إسحاق يزاول مهنة الخياطة، وهو أيضاً كان يملك محلاً لخياطة الملابس في وسط المدينة بل في درويها (درب القبابين). أمّا أبو عبد الله محمد بن مرزوق فقد كانت سمعته العلمية لا تقلّ عن شهرته التجارية، فكان تاجراً كبيراً وله عدة محلات تجارية بوسط المدينة، بل في قلب الحي التجاري (القيصارية ودرب مرسى الطلبة)، وقد بضاعه، وزيادة على ذلك كان ينسخ فيها الكتب ويبيعهها.

وكان أبو العباس بن القطان (المؤرخ) يمارس التجارة لحسابه وحساب أبي إسحاق التنسي في وسط المدينة بالقيصرية<sup>1</sup>.

ولما كانت تلمسان تزخر بمؤلاء الأعلام - وغيرهم كثير ممن ورد ذكرهم في كتاب البستان لابن مريم وغيره - كان اختيارنا للعمل في حقل الواقعية، باتخاذ تلمسان عينة تفي بالغرض، خاصة وأنّ الأشكال والنماذج التي تتواجد فيها الأسماء الأعلام الدالة على المكان "الطبونيمات" متنوعة ومتعدّدة.

وفي وقتنا على المصطلح، وجدنا له خصوصية واصفة ومحددة للطبونيم من زاوية علمية تخصّصية، لكننا في قراءتنا لورود الطبونيمات في النصوص وفي الميدان، وجدناها مشحونة بثقافة لغات الأمم التي تمثلها عبر الحقب التاريخية بألوانها الحضارية المتعاقبة على تلمسان، فكان للقراءة اللغوية بأبعادها المعرفية، أسرار كونية يكتشفها الباحث من لغات الطبونيمات.

ولنكون أكثر دقة في بحثنا، يجب علينا أن نجزم بأنّ النموذج اللغوي الذي نتدارسه في مدوّنتنا هو النمط اللغوي ذاته الذي حملته لغة الطبونيمات في الشعر الملحون التلمساني، وبالتالي التأكيد على تميّز لغوي في منطوق سكان تلمسان منذ زمان، لوّثته هذه الحضارات واللغات التي توطّمت بهذه البلاد، ولعلنا هنا نتبّى فكر ألبير دوزات بخصوص هذا الموضوع، فهو يربط كل ذلك بهجرات الشعوب، وتنقلاتهم، وبالغزوات، وهو ما يرتبط مباشرة باللغة المستعملة<sup>2</sup>.

وقد وقف عند هذا الموضوع، دارسون كثيرون ومنهم ويليام مارسي الذي درّس لهجة تلمسان، عندما كان أستاذاً ومديراً للمدرسة الفرنكو/إسلامية (1904/1898)<sup>3</sup>.

وما دام الأمر يتوقف على المسحة الثقافية والحضارية لهذه الشعوب، والتي تظهر في اللغة بصفة أوضح، فإن استعمال الطبونيمات لا بدّ أن يشحن وبصيغ متعددة، ووفق اختيار المستعملين.

<sup>1</sup> نقلا عن مخطوطات محمد بن مرزوق، الخزانة العامة بالرباط، رقم 20، صفحات 12 - 10.

<sup>2</sup> BAYLON, Christian et Paul FABRE, 1982, *les noms de lieux et de personnes*, Paris, Ed. Nathan. P.39.

<sup>3</sup> WILLIAM Marçais, *Le dialecte arabe parlé à Tlemcen*, Paris :E, Leroux, 1902.

ولعلّ هذا الأمر ترك بصمته أيضاً على مصطلحات المجال - كما سبق أن رأينا ذلك - ما لم يتم تداركه بتوحيده في العالم العربي، فنحن في اختيارنا للمواقعية مصطلحاً، نجده يُداول بمسميات أخرى كعلم الأماكن أو الأماكنية في جهات أخرى، وتستعمله عادة الحكومات للتحقق من اسم مكان، و يستعمله الباحثون من أجل التحقق من دقة بعض الأسماء الأعلام وعدد ورودها بنفس الدال في جهات متعددة في البلد الواحد، أو في عدة بلدان كما هو الحال في المغرب العربي أو حتى العالم العربي، فمثلاً طبونيم "المنصورة" يتكرر وروده في عدة مناطق من العالم العربي على سبيل المثال لا الحصر، كما وردت في الروايات<sup>1</sup> واستخدمها راسمو الخرائط، بمختلف أنواعها في الاستغلال المدني أو العسكري في كثير من الدول.

وللوقوف على هذه المصطلحات ودراسة بنيتها اللغوية على الأقل في مستوياتها الشكلية لا بد لنا من التقيّد في بداية الأمر بما التزم به القدامى من التدرج في مستويات التحليل اللغوي.

ولعلّ ما ذهب إليه الزمخشري من أن الكلمة هي اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع<sup>2</sup>، يجرنا إلى اعتبار الطبونيم كلمة ولفظة في آن واحد<sup>3</sup>، ففي كثير من الاستعمال لا يخلو اللفظ من معنى اللفظة ودلالة المكانية بالقصد وطبيعة الربط بين الدال والمدلول.

وما لا يجب إغفاله، هو الوقوف على طبيعة أسماء الأمكنة من هذا كله، هل هي كلمات ؟ أو أسماء فقط دون باقي وحدات الكلم؟ وما هي ضوابط التحكم في تحديدها؟

فالطبونيم عنصر لغوي، وهو في تقسيم النحويين وحدة كلم، و"الكلم" جمع "كلمة"، وهي تتحقق بإضافة التاء لاسم الجنس "كلم" وذلك عند صياغة المفرد، كـ "شجر" اسم جنس مفرد "شجرة"<sup>4</sup>.

ولأن الاسم قد يتكون من كلمة مفردة مثل "فرس"، وأكثر من وحدة كلم، في مثل "كأس إفريقيّا" أي مركب من اسمين، فقد ينطبق على كليهما من الناحية الشكلية، إلا أنّ

1 ينظر : عبد الحميد بن هدوقة، ربح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، الجزائر، سنة 1989، ص 5.

2 جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم اللغة، ص 6.

3 طارق نجم عبد الله، دراسات في النحو والصرف، ص 83.

4 عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، ص 35.

الأمر في الطبونيمات قد يختلف في دلالاته ، فهو لا يركز على المعنى المعجمي كما سنرى ذلك، بل يقف على مرجعيات تدلنا عليه، في مثل : "منصورة" و "عين النّجار" ، و"عرسة ديدو"<sup>1</sup> وغيرها من العناصر اللغوية الدالة على اسم المكان.

لكنّ الأمر في علم اللسان الحديث قد يطرح بشكل آخر، فقد تمّ النظر إلى الكلمة من حيث مفهومها، على أنّها وحدة غامضة المعالم، فهي وحدة دلالية غير قابلة للانقسام إلى عناصر ، وهي تحتل مكانة في القاموس، ومعناها يتحدّد باستعمالها في الجملة، ومن ثم في النص<sup>2</sup>.

ويذهب لويس جيلبير منحى آخر، فيرى في الكلمة أصواتاً دالة لتسجيل ما في ذهنه، أو هي بعبارة أخرى، أدلة على أفكاره<sup>3</sup>.

قد يختلف علماء اللغة العربية في تحديدهم للكلمة، إلا أنّهم يتفقون على أنّها تتشكل من مجموعة من الأصوات، فهي تتراوح بين الوحدات المقطعية القصيرة (مقطع واحد / syllabe) إلى ثلاث مقاطع أو أكثر.

لكنّ ما يجب التنبيه إليه هو آلية التشكيل أثناء التحقيق التي تتدخل فيها ظواهر لغوية إجرائية تتنوع وتتعدد تصوراً وتحقيقاً، شكلاً وتحويلاً قبل أن تستقرّ وضعاً لعناصر لغوية ذات دلالة تحمل من الدقة ما يميزها عن بعضها في التصوير والتعبير وفق ما تقتضيه سياقات الاستعمال، وأهداف التبليغ، لتنتهي في مصاف المعجم اللغوية وقواميس التخصصات المصطلحية.

والعمل في هذا الحقل، يتطلب معرفة بمستويات التحليل اللغوية، وعلوماً مجاورة أو بعيدة يستدعيها الوضع في ظل فنيات التشكيل وآليات التحويل، فالنحت والترادف والتضاد والاقتراض والترجمة والتحويل، وما إلى ذلك من مقتضيات التصميم للكلمات أو الطبونيمات على اختلاف أشكالها وأصنافها، وما تظهر عليه من هيئات شكلية بالزيادة أو الحذف في

---

<sup>1</sup> والعرصة معناها في القواميس القديمة : الساحة في وسط الدار أو المكان الخالي من البناء، وفي ظل التطور الدلالي عند أهل المغرب، العرصة تطلق على الحديقة يصفة عامة، فيها خضر وأشجار مثمرة، وعلى الحديقة تكون وسط الدار أو ملحقة، (جنان). ينظر : أعمال ندوة: المعجم التاريخي للغة العربية، المجلد الأول، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، سنة 2011م، ص155، 156.

<sup>2</sup> Maria-Alice Medioni : Construire un vocabulaire en langue, Dumass-Titoulet imprimeurs octobre 2002 , Paris/P :12-13.

<sup>3</sup> Louis Guilbert : La créativité lexicale, librairie la rousse , Paris 1975, P 105.

عناصرها، وكذلك أثناء توسيع مكوناتها بالدمج أو الإصاق لمختلف عناصرها من وحدات الكلم أسماء، أفعال، صفات، .. الخ، كلها عوامل أساسية لا يستغني عنها اللغويون في آليات الوضع أو التوليد اللغويين عند حاجة المستعملين لكلمات جديدة معبرة في مسارات الأمم وحضاراتها.

ولهذا، عرف الدرس اللساني الحديث، أي بعد فرديناند دي سوسير قفزة جديدة، تنظر إلى المسار اللغوي بوصفه نظاماً يتحدد بموجب القوانين التي تضبط اللغة، وهو ما يضيف عليها الشرعية العلمية، شأنها في ذلك شأن الظواهر الأخرى، ولا يمكننا في هذا المقام أن نغفل تطورات هذا العصر التكنولوجية السريعة، وما تواكبها من فراغات لغوية (معجمية)، لمواكبة مستجدات العولمة، المطلب الذي بات يحير العالم العربي.

ومن ثمّ ظهرت الاهتمامات العلمية بالمواقعية<sup>1</sup>، والاعترافات الرسمية العالمية سنة 1938 بفرنسا<sup>2</sup>، بعد الاعمال التي سببت هذا التاريخ وبرؤى مختلفة.

ولعلّ من مقترحات جامعة الدول العربية لمشروع الذخيرة العربية والذي يسير بوتيرة ثقيلة ومتباطئة نظراً للصراعات والفتن التي يعرفها عالمنا العربي، يعدّ من أهمّ المشاريع التي تحمل حلولاً لمثل هذه الانشغالات.

## ب - جرد الطبونيمات وتصنيفها

إنّ الإحصاء في الدراسات العلمية يعدّ المعيار الذي ينجم عن الجرد في دراسة الورد والاستعمال، قبل التصنيف والحكم والتقنين، للظاهرة اللغوية.

وقد تعددت النماذج التطبيقية في هذا المجال، فوضع النموذج الإحصائي للغة<sup>3</sup> من خلال نظرية المعلومات لـ (شانون) الأمريكي والسلاسل الإحصائية لـ ماركوف "الروسي" تمّ وضع أسس النموذج الإحصائي للغة، كل ذلك سمح باستخدام معيار دقيق لقياس كمية المعلومات اللغوية، ومن ثمّ تحديد علاقات الارتباط بين الظواهر اللغوية المختلفة<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> BAYLON, Christian et Paul FABRE, 1982, *les noms de lieux et de personnes*, Paris, Ed. Nathan. P74 .

<sup>2</sup> انعقد أول مؤتمر دولي بياريس، وينال الاعتراف العالمي الرسمي لميلاد علم جديد، تفرع عن علوم اللسان، "الطبونيميا".

<sup>3</sup> Le modèle statistique de la langue.

<sup>4</sup> نبيل علي ، اللغة العربية والحاسوب، دراسة بحثية، تقديم: أسامة الخولي، دار تعريب، د.ط، 1988، ص83.

لكنّ الطبونيمات التي وقفنا عليها ليست كلها عربية وفصيحة، فنحن أمام أسماء تأليفية بسيطة ومركبة، عربية ومعربة، أمازيغية وأجنبية، وهجينة ومستغربة، وبالتالي لا بدّ من معرفة مميزات كل اسم والوقوف على خصوصيته.

إنّ العناصر اللغوية العربية كغيرها من العناصر في اللغات المختلفة، تحتاج إلى وقفة لوضع<sup>1</sup> الحدود المعجمية للعناصر اللغوية العربية، وتلك التي قد تعرف تحولات إلى مصطلحات فيما بعد، لحمل مفاهيم في عرف التخصصات العلمية للمجالات المختلفة، علماً أنّها لم تفقد صفاتها التمييزية التي تتماشى مع أصل الوضع<sup>2</sup> من جهة، وقيمتها الدلالية بحسب السياقات، وبحسب مستوياتها التحليلية اللغوية والوظيفية، وما قد يدل على معنى بالطبع، كـ "أخ" عند النائم في دلالتها على الاستغراق في النوم<sup>3</sup>.

فإذا كانت الكلمة العربية لها عدة معانٍ دون حدود واضحة في ظل التقسيمين النحوي والوظيفي، فإنّ ثمة معانٍ يتحكم في تحديدها السياق الذي ترد فيه، أمّا المصطلح فيختص بتصور أو أكثر من تصور أحياناً لتحديد المفهوم الواحد، ويسبق حتى وجود المصطلح ذاته<sup>4</sup>. لذلك، سنعمل انطلاقاً من هذا التصور على التعامل مع هذه العناصر وفق ما يقتضيه المنهج في التدرج مع هذه الألفاظ في ظل آليات توليد المصطلح، خاصة وأنّ الدراسات المصطلحية بالعالم العربي تنظر إلى الوحدة المصطلحية باعتبارها وحدة لغوية دون ربطها بـ "المفهوم" ما يتعارض والطرح العلمي<sup>5</sup>.

1 توضع الأسماء للدلالة على المعاني، فهي للتعين أو حمل الصفات أو التحديد، والوضع مجموعة من الدلائل اللغوية وغير اللغوية، تعرف عليها القدامى في أشكالهم التعبيرية، ولعل ما ذهب إليه الجاحظ في تلخيصها ما يوضح أصناف الدلالات على المعاني، كآلآتي: اللفظ والإشارة، والعقد، والحال، وهي خمسة دلالات، ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة سنة 1984م، الجزء 1، ص 76

2 أصل الوضع اللغة للدلالة على معناه، واستعملوا في حقيقة اللغة، بما يفهم في الدراسات اللسانية الحديثة التواضع أو الكود في اللغة أو في غيرها في نظر الحاج صالح عبد الرحمن، اعتبارية العلاقة بين الدالة والمدلول، وللاحتراز به عن الطبع والتوقيف وغير ذلك من الأمور. ينظر: شرح المفصل لبن يعيش، ج1، ص19/18. والحاج صالح في الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص2.

3 شرح المفصل لابن يعيش، ج1، ص19/18.

4 سمير روجي الفيصلي، المشكلة اللغوية، لبنان 1992، ط1، ص 107.

5 د.خالد البيعقوبي، آليات توليد وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، دار ما بعد الحداثة، الطبعة

الأولى، سنة 2006، ص5.

إذن، لابد من الوقوف على مصطلح الطبونيم من مداخل متعددة، فهو يخضع لتصنيفات الوحدات اللغوية التي تُعرف بناءً على زاوية نظر معرفية أو على تقسيم لغوي أو نحوي أو لساني أو فكري إلى غير ذلك من التقسيمات التي تسمح بوسم هذا المصطلح بما يميزه عن غيره من الأسماء، ويصنّفه ضمن مجال علمي أو حقل معرفي، لذلك وجب علينا تحديده في ظل التداول الذي يفرضه علم اللغة الجغرافي، ولكن قبل كل ذلك نتدرج مع هذه العناصر اللغوية وفق وجودها في النظام - أي وحدة لغوية - أو الواقع اللغوي فتعامل معها على أنّها عناصر لغوية معجمية، أو معرفية في ظل الحقول التي ننوي خوضها ضمن تمايزات الدراسات التباينية.

والأبعد من ذلك، هو التركيز على واقعها اللغوي وفق مظهرها الشكلي - أي اللفظي - مع ما يميزها عن صفة الإفرادية التي يختص بها الاسم المفرد، فالطبونيم لفظة قد يكون كلمة مفردة أو مركبة، أو أكثر من عنصرين لغويين، وبذلك فهو ليس بالضرورة جزء من وحدات الكلم الثلاث.

ومن ثمّ كان القول أولاً بما ذهب إليه النحاة القدامى، فهم يميزون بين التقسيم اللغوي، والنحوي، والوظيفي للكلمات، وعرفوا قيمها، وحددوا مفهومها، فكانت على ثلاثة معانٍ لغوية:

فقد أطلقت الكلمة على معنى الحرف الواحد من الحروف الهجاء، وعلى اللفظة التي تحمل معنى، وأيضاً على الجملة والقصيدة والخطبة<sup>1</sup> أي أنهم لا يستعملون بالضرورة الكلمة بمعنى الكلمة<sup>2</sup>. وبما أنّ الكلمة في أصل الوضع تطلق على الجزء الواحد من أجزاء الكلم الثلاث، فهي لا تكون إلاّ اسماً أو فعلاً أو حرفاً، وهي الألفاظ الدالة على معنى.

وهي بهذا التعريف، لا تكون - أي الكلمة - دالة على الطبونيم، قد تظهر في صورة اسم، ولكن ليس بالضرورة مفرداً في مثل "عين الدفلة"، "عين الحوت"، و"عين تموشنت"، وبذلك يتحقق الطبونيم في شكل كلمة مفردة، وأحد أجزاء الكلم الثلاث، كما قد يكون كلمتين أو أكثر، أي كلمة مركبة.

<sup>1</sup> ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، د.ت، ص16.

<sup>2</sup> حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج1، ص29.

وهكذا تكون عملية الجرد مرتبة بحسب هذه المواصفات والضوابط التي يتم التوافق عليها لتصنيفها بحسب الأهداف ومجال الاستعمال، أي التعامل مع الطبونيم أثناء التوزيع التكيي على أنه وحدة تأليفية.

ولا يمكن للدارس أن يقوم بجرد العناصر اللغوية وتصنيفها إلا في وعائها المعرفي وعائلتها اللغوية التي تنتمي إليها، لأنّ اللغة تمثّل لثقافة المتكلم، وهي تتمتع بخصوصية تميزها عن غيرها من اللغات. ولا بد من تحديد منهج عملي للقيام بجرد ما تسمح به النصوص والواقع الميداني. إنّ جرد الطبونيمات كلّها أمر مستحيل، لأنّ الواقع المحكي يسجل المستعمل والمندثر، وتبقى حالات يضع فيه الواقع اللغوي إذا لم يسجل، ولم يستعمل من قبل المتكلمين. ونحن في تعاملنا مع هذا الواقع اللغوي الخاص - أثناء جرده - الذي يستجيب لمطلبات نظامية<sup>1</sup>، نحتز من إصدار أحكام دون التأكد من شيوع الصفات التمييزية للطبونيمات.

### ج - الاستعمالات اللهجية في الملحون التلمساني على نمط الفصح

تفطن كثير من علماء اللغة العربية إلى قيمة الاستعمال العامي أو اللهجي الذي يتناول الواقع اليومي للمتكلمين بالخطاب العفوي الشفوي، وأشاروا إلى أنه يحتوي أكبر عدد من الألفاظ العربية، وهي في الواقع تزيد بكثير عن تلك الموجودة في القواميس اللغوية العربية، القديمة والحديثة<sup>2</sup>.

ولما كان الشعر الملحون، يمثّل هذه اللغة البسيطة التي يستعملها الناس، تبين لنا أنّها تحتوي على ألفاظ من نوع الطبونيمات (أسماء الأعلام الدالة على المكان)، اتخذنا منه مدونة لدراستنا، ومكمّلة للقائمة التي تكوّن لنا قاعدة الاستثمار المعرفي التطبيقي.

ومن أسماء الأمكنة التي وردت في نمط خاص قد يكون ناذراً في الاستعمال الفصح، ما أتى على وزن الفعل من أسماء الأمكنة في مثل: "يبدر" وزن يفعل في "يبدر دشرة"، و"يبدر الدشرة"، ما دلّ على أسماء يكون القيد فيها تابعاً في مثل "دشرة" في "يبدر دشرة"، فقرية

<sup>1</sup> تراعى فيه نظم البيانات التي تساير البيئة المعلوماتية وتوقعاتها في التخطيط، ينظر في موضوع الواقعية وأثرها في التوجيه الاستراتيجي والتخطيط التنموي، من هذا الفصل، ص 63.

<sup>2</sup> مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، إعداد الحاج صالح عبد الرحمن، ص 24.

"بيدر" عرفت أسماء قبل أن تستقر على الطبونيم **بيدر الدشرة**، التي نفيد معنى آخر غير معنى الطبونيم المركب، وهي دلالة التعريف والتنكير في **دشرة**، حقيقة عرفت هذه القرية أسماء متعددة، مبينة بعض التمايزات تحمل معانٍ مختلفة بحسب الصفات التمييزية لبعض جوانب الواقع السوسيو- ثقافي للسكان، لذلك ظهرت بأسماء أخرى للتجمع السكاني ذاته بدلالات مختلفة منها : **الحلّة، والعلّة، والحلّة**، وكلّها طبونيمات ذات قيمة دراسية علمية عالية، ف"بيدر الحلّة" تبدأ بالصيغة الصرفية الفعلية على خلاف الاسم التي تعد من أصل الوضع ، وما الفعل إلا فرع منها، وكانت لرويات التسمية دلالات وإيحاءات، سنذكرها لاحقاً، وتبقى الإشارة إلى العلاقة بين **بيدر** الفعل والمحدد **دشرة** في "بيدر **دشرة**" من حيث التركيب النحوي في أصل الأسماء المركبة الدالة على المكان والتي تُعدُّ في صيغها التركيبية من التراكيب المسكوكة التي لا يسمح بالتصرف في نظامها التراتبي .

اسم (شخص)	أعلامية Andronyme	اسم مفرد
عمير <sup>1</sup> (تصغير عمر)		
اسم (نبات)		اسم جنس من الأشجار
الصفصاف <sup>2</sup>		
اسم (رتبة)	اسم مكان ينسب إلى أسماء	اسم مركب
الأمير	شخصيات تاريخية أو مذهبية <b>عبد</b>	رتبة + اسم شخص
	<b>القادر</b> <sup>3</sup> مسمّياتية <sup>4</sup> Eponymie	
فعل (صبغة): اشتقاق من الوحدة	اسم	وجدة مركبة للدلالة على اسم
المعجمية الاسمية بيدر إلى الوحدة الفعلية	<b>دشرة</b> <sup>1</sup> : شكل لتجمع سكاني	

1 اسم قرية تابعة لدائرة شتوان، وهي تقع بين بلدية بن سكران وشتوان، وكما تدل عليه الصيغة الصرفية للدلالة على وظيفة التصغير في البناء الصرفي العربي **تصغير عمر** عمير، اسم علم "شخص للدلالة على المكان .Andronyme

2 حي الصفصاف، يمثل قرية تابعة لبلدية شتوان في التقسيم الإداري ، وهي تنسب إلى نهر الصفصاف الذي ينحدر من جبل البغل ويصب في نهر يسر وينتهي إلى رشقون. ينظر:

عبد الحق ديمش، سير أعلام تلمسان، ص 43.

3 الأمير عبد القادر نُسبت إليه قرية في دائرة بني صاف ولاية عين تموشنت، تخليدا لهذه الشخصية التاريخية والتي ربطت المكان بعهدة التافنة .

4 أن تنسب مدناً أو جبالاً أو بحيرات وغيرها إلى أشخاص، ينظر الأسمائية ، ص 166.

المكان : صيغة فعلية + اسم	(تصنيف سوسولوجي)	ييدر ومع ذلك حافظ على دلالة الإيحائية، ووظيفته التعيينية للمكان، بالاستناد على الصفات المشهورة التي تميزه ييدر (صيغة فعلية : بدر)
اسم مركب حاسي <u>Hydronyme</u> + بونيف =	اسم بجح، بونيف ...	اسم (ماء) مائيات حاسي (بئر)
اسم شخص <u>Andronyme</u> حاسي + بونيف = طبونيم	اسم (نبات) الدفلى	اسم (ماء) مائيات عين "مجرى مائي" <u>Hydronyme</u>
<u>Toponyme</u> طبونيم يتكون من محدد مائي + وصف تمييزي بـ عضو من الجسم		
عين + الدفلى = <u>Toponyme</u> محدد مائي + نبات = <u>Toponyme</u> عين + الحوت (اسم عام) محدد + حيوان (اسم عام) واد + صفصاف (محدد مائي + نبات) حمام + بوغرة محدد مائي + كنية محدد + نبات أدونيم (درب) <u>Odonyme</u> + تصنيف عقدي	اسم (سمك) الحوت <sup>2</sup> اسم (أسماك) <sup>3</sup> الكلب، السبع... <sup>4</sup> الوادي الحمام اسم (صنف عقدي) اليهود <sup>5</sup>	اسم (ماء) مائيات عين اسم (ماء) عين واد الصفصاف حمام بوغرة اسم (مكان) درب
هيدرونيومات : <u>hydronymes</u> عين + النجار = <u>Toponyme</u> محدد مائي + نبات تمييزي عين + الدفلى	اسم : شخص حرقي النجار <sup>6</sup> اسم : نبات الدفلى <sup>7</sup>	اسم : المياه عين اسم : المياه عين

1 شكل التجمع السكاني وفق التصنيف الجزائري....

2 Wiliam Marcais version toponyme A El Houtz

3 DORION, Henri, POIRIER, Jean, Lexique des termes Utiles à L'étude des Noms de Lieux, Les Presses de l'Université aval, CANADA, 1975.

4 وهي أيضا أسماء أماكن تحمل أسماء حيوانات ، تقابلها في اللغة الأجنبية Zoonymes أو Zootoponymes

، أحيانا يتعلق الأمر بأسطورة أو مثل في قصة : يضؤب بما المثل العربي الشائع : على نفسها جنت براقش.

5 وسط مدينة تلمسان، وله قصة بين السلطان والطبيب اليهودي أنكاوة الذي عالج بنت السلطان.

6 حي عين النجار ، المتواجد بالكيفان، بتلمسان.

7 كانت نباتات الدفلى تحيط بينابيع المياه وعلى طول سواقيها، وكان ذلك إلى غاية جفاف العيون التي كانت

بأعداد كبيرة منها عين الخنش التي كان يستعملها رجال القرية للاغتسال على طول أيام السنة، فهي باردة صلفا وحرارة

اسم (ماء)	اسم (حرف)	محدّد مائي + صفة مهنية (النجارة)
عين	الدّباغين <sup>1</sup>	محدّد مائي + صفة مهنية (الدّباغة)
اسم : كناية عن الصّلاح	اسم	محدّد للدلالة على السيادة والصّلاح +
سيدي	بومدين <sup>2</sup>	رجل دين، صوفي، ولي صالح، إشارة إلى تصنيف ديني، أو رتب الصوفية، الخ . (hagiotoponymes) أو
<b>Hagionymes</b>		
درب الحجامين	درب + الحجامين	درب الحجامين = <b>Toponyme</b>
	تطبيب تقليدي مهنة	درب <b>Odonyme</b> + الحجامين
اسم (ماء)	اسم (اللون) إيجاء	محدّد مائي + صفة لون
الواد	الأخضر <sup>3</sup> : صفة	محدّد مائي = الوادي (الواد) =
	<b>Toponyme descriptif</b>	هيدرونيم)، <b>hydronyme</b>
اسم (ماء)	اسم (قبيلة)	محدد مائي + قبيلة
واد <sup>4</sup>	سوف <sup>5</sup> : علاقة إضافة	

شتاء، إلا أن معظمها لم يعد له أثر بعد طفيان الإسمنت على كل المنطقة وذلك بإنشاء منطقة صناعية أتت على الأخضر واليابس، ولم يعد لتلك البساتين وجود.

<sup>1</sup> توجد بحج أقادير، وهو من أقدم الأحياء، وكان يمثل المدينة القديمة أقادير التي بناها إدريس الثاني، وعين الدباغين كان يعتادها دباغو الجلود ولا تزال إلى يومنا مقصدا لهم، إلا أنّ هذه الحرفة تقلصت إلى درجة أنها تنذر بالانقراض.

<sup>2</sup> سيدي بومدين الغوث ، الولي الصالح الذي وافته المنية قرب "تاقبلت" ، وهو دفين العباد، وصاحب القول: "ما هذا؟" وهو يشير إلى تلمسان في اتجاه العباد، فقبل له: "العباد"، فقال: "ما أحلى الرقاد" وقيل لذلك دفن بالعباد.

<sup>3</sup> الواد الأخضر، للدلالة على اللون الأخضر الذي يميز طول ضفتي النهر، لكثرة النباتات أنواع الأشجار التي تغطيه **Toponyme descriptif** وكان يسمى سابقا واد الشولي، قبل أن يقترح الاسم الجديد الواد لخضر تيمناً، وفي بعض الروايات تشاؤماً وتطيراً من الاسم الشولي لعاملين: الأول: الشولي وهو اسم " الثاني: القصدة الثورية المشهورة والتي غناها أصحاب الصف لفرقة سبدو وتحمل دعاءً، نظراً لقتل فرنسا الشهيد بن علال بما بعنوان الله يعطيك ارم آ واد الشولي .

<sup>4</sup> الواد في اصل الوضع يطلق على مجرى الماء، وهو هنا يخضع لروايات منها : واد كان يجري به الماء قديماً، وهو نحر صحراوي غظته اليوم الرمال، وقيل أيضاً إنّ تدفق الرمال به لما كانت تعصف بها الرياح، كانت تشبه جريان الماء، فأطلقت عليها قبيلة طرود هذا الاسم للنشابه الموجود، وقيل لتشبيه نشاطهم بجريان الماء.

<sup>5</sup> في نظر الباحثين "سوف" نسبة إلى قبيلة مسوفة التارقية البربرية، ومنهم من يربطها بقمم الكثبان الرملية لشبهها بجدة السيوف، ورواية تحملها على دلالة الصوف لكونها مقصدا للصوفية الذين كانوا يجدون فيها الهدوء المنشود.

اسم (ماء)	اسم (نبات)	هيدرونيومات : <u>hydronymes</u>
واد	الزيتون <sup>1</sup> : علاقة إضافة	هيدرونيومات : <u>hydronymes</u>
لالة ستي	محدد + اسم صالحه (مرتفع "سفح الجبل")	أرونيومات : <u>Oronymes</u>
الكدية (مدخل تلمسان)	اسم مرتفع	أرونيومات : <u>Oronymes</u>

أمّا عن الأرقام، فقد استعملت للدلالة على غير العددية في استعمالات كثيرة ومنها تلك المستعملة في التواصل الاجتماعي، وهي بدائل عن حروف خطية (جرافيمات)، وهي من 2 - 9، وهي بدائل أيضا في اللغات الأجنبية الأخرى، وتستعمل أحيانا بدائل في الاختصار مكان التعابير الخطية .

ولكن ما يجب الإشارة إليه، هو هذه القيمة الخطية التي أخذتها الأرقام في التواصل الاجتماعي، هل لها شرعية التداول، أو لها مرجع معين لتأسيسها علمياً، أم أنّ المستعملين ارتضوها فقط لشيوع تداولها على الشبكة.

## 2 - واقع المصطلح في التخاطب اليومي

إنّ الخطاب اليومي، وما يحمله من عفوية لغوية تواصلية، مكن المتحدث البسيط من هذه الاستعمالات لتتوسع إلى كافة الشرائح الاجتماعية، وهو ما أجاز لها الشرعية بعد شيوعها مكونة مادة غزيرة في المدونة اللغوية التداولية في عصرنا الحديث، وتبناها الوعي الجمعي في هذا الوعاء اللغوي العامي في سائر اللهجات، وتمّ حملها إلى التواصل الاجتماعي المكتوب، وتدخل في الحياة الرقمية للحاسوب وغيره من الوسائط الرقمية، 2 = الهمزة، 3 = العين، 4 = الذال، الخ<sup>2</sup>، وهي في ذلك أشبه بما يكون في الكتابة الصوتية العالمية.

وربما يكون لنا مثال أوضح في أرقام فرق كرة القدم، فتكون هذه الأرقام بمثابة أسماء الأشخاص، أو عناوين رقمية للدلالة على كل لاعب وسهولة التعرّف عليه من رقمه.

<sup>1</sup> قرية تابعة لبلدية صيرة، وهي أيضا للدلالة على كثرة أشجار الزيتون التي اشتهرت بها المنطقة، ولا تزال إلى يومنا هذا المنطقة قبله لطالبي زيت الزيتون.

<sup>2</sup> لعلّ من أهمّ ما يمثّل هذا الاستعمال العربي الذي لا يخضع لنظام معيّن، هو واقع التواصل الاجتماعي الذي فرضه قانون الاستعمال والشيوع، فكان في الشّات التواصلية بديلا للأصوات العربية وحروفها التي لا يوجد لها بديل في اللغات الأجنبية، وهي أشبه - في فلسفة وضعها - بالكتابة الصوتية العالمية من حيث وظيفتها اللغوية، وهي تدخل ضمن لغة التخاطب اليومي المستحدثة.

وتكون الأعداد - أيضاً - قيماً للاسم الطبوني، بعد ما شاعت في الاستعمال، أو وجدت قرينة لتبنيها دلالة ذات العلاقة الطبيعية لتعيين الممكن، في مثل "500" في "حي 500 سكن بإمامة، وحي 48 سكن بشتوان"، وعادة ما يدل على عدد السكنات التي انطلق بها المشروع السكني في التأسيس الرسمي لتمييزه عن غيره من الأحياء السكنية، في مثل "حي 1060 سكن" بإمامة وهكذا تعددت الأحياء ذات العنوان الرقمي الذي أصبح طبونياً فيما بعد، لا يعرف الحي إلا به، ولا يزال، وتوجد بعض الأسماء التي أطلقت على أحياء لا تزال قيد الإنجاز بطرق فوضوية ومع ذلك تعرف كغيرها بأسماء لاقت شيوعاً، مثل: حي بوخاتم بإمامة، وغيرها. وقد يدل الرقم المحدد على الترتيب الزمني لوجود المشروع، فيكون قيماً، في مثل منصوره واحد، ومنصورة إثنين الخ..

وقد يطلق على الحي اسم تمييزي بحرف صوتي، عادة ما يكون من أصوات اللغة الفرنسية التي شاع استعمالها - بحكم الموروث الثقافي الاستعماري - يكون قيماً له، ودالاً عليه، في مثل "ساحة ج (G)"، وتعدّ هذه الحروف الخطية كما هو الشأن في الأرقام بمثابة الأسماء الدالة على قيم لغوية - رقمية أو حرفية - للدلالة على تمييز إمكاننا من التعريف بالشيء أو التعرف عليه، والهدف منه سهولة التواصل وتبسيطه، أكروطنيم (Acronymes) <sup>1</sup>.

## 1 - آليات التوليد المصطلحي

وإذا وضعنا اليد على المستعمل والمقترح، فهل تقبله آليات التوليد المصطلحي الحديث؟ ثم بالنظر إلى مقبولية المصطلح من قبل الهيئات المختصة لإجازته علمياً وتقنياً ولسانياً، هل تكون اقتراحات العلماء بشكل أحادي مقبولة وترقى إلى درجة المصطلح أم هي مشاريع تنتظر موقف الهيئات المختصة لتنتجها بالمصطلح؟ أم ننتظر شيوع الاستعمال الذي يفرضها بقوة التداول؟

ودون التعمق في مجال المصطلحية، نظراً لصعوبة تحديد المفاهيم الحديثة النشأة، واتساع مجالاتها الدلالية باتساع حقولها المعرفية، نسعى إلى الاهتمام بالمصطلحات العامة التي تشترك في الإحالة على ميادين علمية عدة، ونضيف إلى زمرتها تلك المصطلحات التي ترتبط بحضارات الشعوب، وتكشف عن أنماط تفكيرها وطرق عيشها.

<sup>1</sup> ينظر ؛ <https://www.dorar-aliraq.net>

كما نركز على كشف مرجعية هذه المصطلحات وإحالتها إلى المنظومة الاصطلاحية العلمية في عملية تسمية التصورات أو المفاهيم.

فالمصطلح **طبونيميا** Toponymie، ونظراً لشيوعه في عدة لغات، ولا يسع هنا المقام للتوقف عند أقدمية المصطلح أو أسبقيته زمنياً، نظراً لصعوبة نسبة المجالات المعرفية المنقولة إلى العربية، لذلك سنبدأ بهذا المصطلح – أي الطبونيميا. في أصله، ثم نعود إلى البدائل العربية المستعملة والمقترحة في مقابلة الشائع الأجنبي، الدخيل أو المعرب.

الطبونيميا Toponymie مصطلح يوناني τόπος ، للدلالة على المكان و ónoma

للدلالة على الاسم، وهي العلم الذي يهتم بدراسة أسماء الأماكن. «الطبونيمات».

تبحث الطبونيميا في أصل وضع الأسماء فيلولوجياً للوقوف على معانيها الأولى إيتيمولوجياً، بل للتأكيد على اعتبارية هذه المدلولات في مرحلة الوضع، ثم الوقوف على علاقات هذه بالمكان، وإغفال مفهوم الاعتبارية في هذه الحالات، ولذلك نجدتها في هذه الحال و يجمع الباحثين في الحقل التاريخي، يتفقون على أن من أهم الحقائق الثابتة في هذا المجال و التي لم يطلها التغيير هي الجغرافية.

ولا يتوقف الأمر عند اسم المكان، بل يتعداه إلى التطور الذي يطرأ عليها عبر تغيرات الزمان وما تعكسه هذه الأسماء من دلالات اجتماعية ونفسية وبيئية وغيرها من الدلالات الإيحائية لكل مرحلة من مراحلها التاريخية.

صحيح أن التاريخ كفيل بتغيير كل شيء في الوجود والذي يثبته النظام الذي يخضعه لقانون التغيير، بعوامل كثيرة الاستبدال القسدي للدول والحكومات بحسب مقتضيات الحال، في حين أن العمل الأكاديمي مغيب في أغلب الأحيان، ويكون للعوامل التأصيلية دور في المحافظة على استعمال الطبونيم .

## ب - الواقع المصطلحي العربي للمواقعية

وبما أنّ واقع المصطلحات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الأمم، وبالحياتة الأنثروبولوجية للشعوب، فإنّ أسماء الأعلام أخذت قسطاً وافراً في تعيين أسماء الأماكن (المواقع) بأسماء

شخصيات تاريخية، ودينية، وأسطورية<sup>1</sup>، وغيرها... وكلها تحمل بصمات معرفية تحتاج إلى فك يوطها عبر هذا العلم.

إنّ الوقوف على تاريخ معين لأصل وضع الأسماء للأمكنة من قبل الإنسان - شأنها في ذلك لا يختلف عن تاريخ نشأة اللغة - لا يعرف لها بداية معينة، بخلاف الدراسات الأكاديمية التي أسست لظهور هذا العلم الفتي في القرن العشرين.

وقد استعمل مصطلح الطبونيميا في اللغة العربية، كما ورد في اللغات الأجنبية من باب الاقتراض اللغوي، ومنهم من يعتبره معرباً بحكم تهذيبه وقبوله علامات الاسم كـ "ال" التعريف التي تدخل على الأسماء العربية.

تعددت الأسماء المقابلة لمصطلح «الطبونيميا»، فمن أسماء الأمكنة التي ترجمت إلى العربية بالاستناد على المعنى اليوناني لمصطلح «Toponymie» .

الأسمكانية بتزكيب مزجي لغوي<sup>2</sup>، وفق ما يمليه النظام اللغوي العربي بوجه من وجوه تنمية اللغة العربية بالاشتقاق. فالأصل في الكلمات الأفراد، فالمركب المزجي: هو ما رُكب من كلمتين أو أكثر امتزجتاً حتى صارتاً كالكلمة الواحدة، قال ابن يعيش عن هذا المركب: "مُزج الاسمان وصاراً اسماً واحداً بإزاء حقيقة، ولم ينفرد الاسم الثاني بشيء من معناه، فكان كالمفرد غير المركب" .

فالأسمكانية بما عنته من اسم للمكان وأبعاده الدلالية لم يكن وليد مرحلة أو معنى في زمن وفي مكان، بل بما يترتب عليه من مقولات الحضارة المعاصرة، فالمكان أحد الأعمدة الثلاثة التي يقوم عليها وعي الإنسان في زماننا المعاصر، إنها مقولات "العدد" و"الزمن" و"المكان" .

لذلك، كان ارتباط الزمان بالمكان بمثابة السجل لأحداث ووقائع لا تجد لها قيمة إلا في ثنائية الزمكانية منذ القدم بمعنى الزمن الثقافي الاجتماعي، الذي يتحول بدوره إلى الزمن المقدس حين يصبح الترتيب المتسلسل للوقائع المكانية مندغماً بوشائج الزمن الكبير .

<sup>1</sup> كما هو الحال بالنسبة لحمام الغولة في أقادير، وحمام الغولة: أنشئ أثناء حكم يغمراسن بن زيان، في مرحلة توسيع المدينة في الجنوب الشرقي منها، وكان ذلك قبل سنة 1282. والغولة في مجتمعنا العربي تستعمل لوصف وحش خيالي، وهو موجود في قصص الخيال الشعبية، ويوجد ما يشبه ذلك في ثقافات الأمم الأخرى .

<sup>2</sup> عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، ص 186.

**المواقعية** هي العلم الذي يدرس اسم المكان من خلال المواقع والأحداث التي شهدتها (الوقائع) دراسة علمية من جوانبها المتعددة، فانطلاقاً من الاسم إلى ما يحمله الموقع من معلومات من منظور الثابت والمتغير خلال دورانه مع الزمان.

هذا الزمان الذي يمثل الخلود، محددًا معنىً جديداً للزمن المفتوح، وما قيمة الزمن بدون الواقعة المكانية المقدسة، يقول د. جمال الدين عن الزمان: «فهو سيكون غير ذلك بدون الواقعة المكانية المقدسة . السماء هي الفضاء الزماني المقدس، والأرض هي الموقع الذي تكثف فيه الزمان، الزمان الخطي، الدوري، الحزوني، يتجمد في لحظة تماسه مع المكان، حيث يتحدد المكان في واقع خارطة الخيال الجمعي والفردى على مدى مساحة الزمن المتجمد في لحظة الانصهار بينهما»<sup>1</sup>.

فالمكان لا قيمة له بدون وقائع تحدث في الزمن، ومن ثم يتحول إلى موقع عندما تشتغل عليها فعاليات العقل وصولاً إلى القداسة.

إنّ الواقع الذي نعيشه، يتحقق في المكان والزمان، وبالتالي في بقعة من الأرض يكون موقع الحدث الذي يسجله المخيال الجمعي، فكانت المواقع، ومن ثمّ كانت المواقعية للدلالة على المجال العلمي الذي يبحث في الخزان التراثي الذي تحمل هذه المواقع، فكان اسم المكان عنوان المدخل وبابه، لذلك، كان لزاماً علينا تتبع اللفظ من مداخله المعجمية.

واللفظ وقع من يَقَعُ وَقَعًا وُوقِعًا وُوقِعَ المطرُ بالأرض، ولا يقال سَقَطَ؛ هذا قول أهل اللغة ، وقد حكاه سيبويه فقال : سَقَطَ المطرُ مكانَ كذا فمكانَ كذا،

وورد في لسان العرب، وفي الصحاح في اللغة، وفي مقاييس اللغة : ومَوَاقِعُ الغيثِ : مَسَاقِطُهُ. والمَوْقِعُ والمَوْقَعَةُ : موضعُ الوُقُوعِ .

وورد لفظ (موقع) بصيغة الجمع في سورة الواقعة، في الآية (75) فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، واختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فلا أقسم بمنازل القرآن، وعن محمد بن سعيد، قال : ثني أبي، قال : ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن

1 جمال الدين الخضور، عودة التاريخ الجزء الثاني، ص 50.

عباس، قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾<sup>1</sup>، قال: مستقرّ الكتاب أوّله وآخره.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم، وعن ابن أبي نجیح، عن مجاهد، قوله: مَوَاقِعِ النُّجُومِ: قال في السماء ويقال مطالعها ومساقطها. وعن بشر، عن يزيد، عن سعيد، عن قتادة، قوله: فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ أي مساقطها. وقال آخرون: بل معنى ذلك: بمنازل النجوم. وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: فلا أقسم بمساقط النجوم ومغاييها في السماء، وذلك أن المواقع جمع موقع، والموقع المفعول، من وقع يقع موقعًا، فالأغلب من معانيه والأظهر من تأويله ما قلنا في ذلك، ولذلك قلنا: هو أولى معانيه، وبه تتحدّد نعاني المواقع.

ولعلّ المعاني المتعددة للمواقعية من جهتها الصرفية وسياقاتها النحوية والدلالية تأخذ نصيباً من هذه المعاني اللغوية التي تنضاف إلى أبعادها المعرفية.

المعنى الصرفي للمفعول والمفاعل، "موقع" و "مواقع"، والصيغة لا تزيد عن معنى صيغة الجمع للموقع.

أما الأماكينية<sup>2</sup>، فهي مصطلح أوّل ما استعمل كان عند الباحثين المغاربة في مقابلة مصطلح الطبونيميا، وهي عندهم الحقل الذي يبحث في علم الأعلام الجغرافية، وهي تعنى بكل ما يتعامل معه البشر من قوى طبيعية قارة و غير قارة من أسماء خاصة ب: جبال، سهول، وديان، بحار، رياح، زوابع، أمطار، الخ... وهي المكان وما يحيط به من دلالات مكملّة للمعنى المقصود باسم المكان.

### ج - اسم المكان ونواميس الكون (إرهاصات طبونيميا)

وقد ترك الإنسان بصمته أثناء تعامله مع إرهاصات هذه القوى الطبيعية، فحاول تفسيرها بما يتلاءم و فهمه لتخليد موروث ثقافي تركته لنا الأجيال أثناء ملامستها للمكان بالإقامة أو بالاحتكاك، فكان لذكرياته معها الأخبار التي نستحضرها عند استنطاقنا لها عبر تجسّدات وتمثّلات تحتاج إلى قراءة وتفسير.

1 سورة الواقعة، الآية 75.

2 أحمد صابر، الترجمة باعتبارها شذوذاً في مجال الأماكينية، ترجمة وئام المددي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الواقع والآفاق، أقادير سنة 1999م.

ولعلّ الدراسات الأولى في تفسير الظواهر الطبيعية تعود إلى العهود البائدة والقديمة القديمة بالاعتماد على المعتقدات والديانات السماوية، ومع التقدم والتطور ظهرت تخريجات ودراسات أكثر موضوعية وعلمية لدراسة المكان ومن ثمّ الدلالات التي تصاحبه عبر المراحل التاريخية بما تحمله من وقائع ومشاهد قد تكون في كثير من الأحيان سسبا في تغيير أسمائها، وتتغير مواصفها بتغير الأحداث التي تشهدها.

فقد كان للمصريين في تفسير ظاهرة فيضان النيل بهبة الإله رع السنوية، فكانت بذلك من أخصب بقاع العالم، وقد عرفت أيضا بـ "مصر هبة النيل" القربان الذي يقدم كلها اعتقادات ذهب إليها كثير من الدارسين، ولعل التزيين الجنائزي بالقرون ارتبط بعلاقة ذلك الإنسان بالحركة الدورية للهلال، وكان اللون الأحمر الرمز الذي يتمثل في نشر الورود والأزهار على الجثامين تعبيرا عن معاني الحياة والخصوبة.

وذهب المصريون القدامى إلى أبعد من ذلك، إذ قدسوا كثيرا من الأمكنة<sup>1</sup>، فبنوا فيها المعابد، بخلاف العرب القدامى، فمنهم الأعراب الذين تعودوا الهجرة والترحال، فكان الأب في عائلته والشيخ في قبيلته يقومان مقام الكهنة ويتوليان إجراء المشاعر الدينية باسم ذويهم. وذلك باتخاذهم مضارب يزينونها بأصناف الجلود والأقمشة على شكل خيمة العهد في بني إسرائيل، ويطلقون عليها التسمية، ومنهم من بنى المعابد في أماكن عالية (مشارف) صنعوا فيها أصناماً بعد أن استقروا كما هو الحال في جنوب شبه الجزيرة العربية، كما هو الحال مع نخلة نجران "الشجرة السماوية المقدسة" التي كانوا يعبدونها ويزينونها بالملابس النسائية، ومثيلاها كثيرة من "نخلة مثنوى العزى"، و"العبلاء" مثنوى "ذي الخلصة"، الخ، وهي إشارة إلى وحدة التأثير بين اللغة والفكر على مساحة جغرافية وعلى مراحل تاريخية متعاقبة من التاريخ الجغرافي العربي .

لقد مرّ العالم أجمع بمراحل انتقالية للوصول إلى هذا الشكل من الاستقرار، وقد فسّر هذا التطور البطيء، هذه المظاهر الاجتماعية والنقوش المكتشفة على الآثار المختلفة التي عرفت بأسماء خلدتها، واحتفظت بأحداث ووقائع كانت قرينة هذه الرموز التي تملت في نقوش لا زال بعضها يشهد على حركية كانت يوما محطاتها هذه المواقع .

<sup>1</sup> منها معبد الكرنك ( الإله آمون) بعدّ الموقع الأكثر قداسة في مصر القديمة، وهو قبلة للسواح من كلّ أنحاء العالم.

وكان الدور الأكبر والمهم للديانات السماوية في إخراج معتنقيها من باب الاعتقاد الضيق إلى رحابة الفكر الإلهي الواسع، إذ أرست تعاليم ثبتت قيماً أخرى غير تلك المقدسات البالية التي اتخذت من الجماجم الموجودة في البيوت والمفاير وغيرها، ركائز تخلد بها أرواح الأسلاف، وأخرى تبنت مفاهيم ارتبطت بمفهوم الآلهة المشخصة، أو الكائنات الروحية المقدسة التي صارت فيما بعد إلى ما يشبه الآلهة.

أما الاستعمالات المختلفة للمصطلحات ذات الصلة بالطبونيما فإنّ علوماً فنية تتقارب أحياناً وتتباعداً، وأحياناً تتداخل في مجالاتها مع الطبونيما أو تتقاطع، ظهرت ضمن العلوم الفنية التي عرفتها العقود المتأخرة من القرن الماضي، ومنها .:

- **الأنثروبونيميا (Anthroponymie)**، وهي علم يهتم بدراسة الأسماء الأعلام<sup>1</sup> (الأشخاص)، بداية من التأصيل اللغوي إلى التطور الحاصل فيها، فتنقسم الدراسات الفيلولوجية والمعجمية لمعرفة أصل الوضع المعجمي الذي اشتق منه إن كان مشتقاً، علماً أن الأصل في هذه الأسماء أنها تأليفية وليست تحليلية، وهو فرع من علم دراسة أسماء الأعلام **الأنوماستيكا (Onomastique)**، من اليونانية onoma وتعني الاسم، وهي بدورها مجال من المجالات اللغوية، وتكوّن مع الطبونيما مجال الأنوماستيكا العام .

الأسماء الأعلام الدالة على الأشخاص، تبدأ بالدلالة على تعيين الأشخاص لتمييزهم بين أفراد الأسرة الواحدة ثم بعد ذلك لتعيينهم عن باقي الأسر (محمد، زيد، عمر...).

الأسماء الأعلام للدلالة على شهرة أو شخصية تاريخية نريد تخليدها (عقبة بيسكرة)، الأمير عبدالقادر (قرية الأمير) المكان الذي تمت فيه اتفاقية تافنة بين فرنسا والأمير، وهي اليوم بلدية، الشيخ بلكير...<sup>2</sup>.

- أما **الطبونيما** لا تهتم بأسماء الأمكنة التي أقام بها الإنسان في مرحلة من مراحل الحياة البشرية فقط، بل تهتم بكل أسماء الأماكن حتى وإن لم يستقر بها الإنسان، لكن تستند

<sup>1</sup> ولعلّ من الباحثين الذين اشتهروا في هذه الدراسات الخاصة بالبارت دوزات ; Albert Dauzat : "أسماء العائلات الفرنسية"

<sup>2</sup> جمال الدين الخضور، عودة التاريخ الجزء الأول، ص 52.

على قرينة منها أحداث وقعت فيها، أو أوصاف ميزتها أو اشتهرت بها إلى غير ذلك من المميزات من القرائن أو المتلازمات .

يتعلق الأمر باسم المكان على اختلاف تبايناته الشكلية المميزة لأنواع هذه الأمكنة عن بعضها، في الاسمى والنمطية، فقد يرتبط بالتجمعات السكانية ذات طابع استقراري خاص كما رأينا ذلك في أسماء الأمكنة بين المعجمية والمواقعية<sup>1</sup>، القرى، والمداشر، والدواوير، وغيرها من البلدات ذات الأشكال السكنية المختلفة إلى أن تمثلت في شكل مدن.

ولكن الأمر في العالم الغربي، ينحو إلى تحديد آخر أكثر استقلالية ودقة، خاصة أنه أفرد له مجاله الخاص، فعرف بـ **الطبونيميا** كما سبق أن أشرنا لأصل المصطلح.

فهي إذن - أي الطبونيميا - تمثل الميدان الخصب الذي لا ينضب في مدنا بالمعلومات المتعلقة بالمكان، وتزودنا بالمعطيات التي نستلهم منها التوجيه في التخطيط العصري للمنطقة، لذلك أصبح هذا المجال يثير اهتمام كثير من الباحثين من تخصصات مختلفة، فهذا المؤرخ الذي يبحث في الأخبار والسير التي تروى كلما ارتبط الأمر بالمكان الذي يعدّ قرينة قوية بها يستذكر ما يجب الوقوف عليه.

ولهذا، نجد المؤرخ يهتم بدراسة أسماء الأماكن ويوليها أهمية خاصة، فيتتبع نشأة المواضع المسماة، أو الشخصية التي خلّدت هذا الاسم لاقتارانه بهذا المكان، فقصدوا تشريف فرد، أو خلدوا بها بعض الأحداث السعيدة، أو السمات ذات الطابع التاريخي التي كانت سبباً في وضعه، أو البعد الوظيفي لها، ولا يقف المؤرخ عند هذا الحد بل يتتبع تطورها عبر الحقب المتعاقبة.

أما علماء البيئة والمحيط، فيقفون عند عتبة الطبيعة للحفاظ عليها من كل مخرب أو اختراق ضار، فتجدهم يبحثون عن كل المبررات التي يعدونها ذريعة مقبولة يقدمونها للإنسان عبر الزمان بتعظيم هذا المكان أو لإبراز قيمته التاريخية أو الفنية أو الأثرية أو غير ذلك، بمسوغ يسمح بالمحافظة عليه في كل دول العالم، وهذا وفق قوانين سطرتها مؤسسات وجمعيات دولية ووطنية<sup>2</sup>.

1 ينظر الفصل الأول : الصفحات من 42 إلى 52.

2 إبراهيم زكريا، مشكلة البيئة، مكتبة مصر، طبعة 1976، ص 79.

ولعلّ هذا الفضاء البيئي لونه بصمات تاريخية تركها عظماء أو سجلها زعماء ، فكانت الحروب والغزوات من أبرز العوامل التي غيرت الحدود الطبيعية للبلدان إلى حدود سياسية أو استعمارية، فتغيرت معها الانتماءات وتضاربت معها الأخبار وفق تجاذب المصالح وتضاربها، فكان تبعاً له سجلات تاريخية تتفاعل معها في تحليلنا للظواهر التي عرفها المكان أو شهد على أحداثها، فكان للاسم الدلالة الكافية عليها، والأثر المادي الذي يكشف خباياها. وما لا يمكن إغفاله، الآثار التي خلفتها تغيرات الطبيعة بالخراب والحرمات أثناء غضبها، بالزلازل، وهيجان البراكين، وقحط السنين وغيرها من الآثار التي أضرت بالبشرية - أفراداً وجماعات - كل ذلك كان في ذاكرة التاريخ، ووقفه تأملية في مكان ما من المعمورة لتسجيله نظماً أو نثراً تخليداً أو بكاءً أو وقوفاً على أطلال تنتظر من يعود إليها لاستحضار ما بقي في مخيال الخلف الذي يأبي نسيان ما خلفه السلف، ولا بد لدارس أسماء الأمكنة أن يقف بدوره على هذه الشواهد المادية أو اللغوية وما تركته الأيام لإبراز العلاقة التلازمية بينها.

قد يختلف العلماء في تحديد مجالات الاعتراف المعرفي لهذا العلم، إلا أنهم يتفقون على أهميته في تجميع الموروث الشعبي الذي يمدنا بأخبار الشعوب والأحداث التي عرفتها في مناطق لا تزال تشهد على ما سجلته الأشعار والحكايات والأمثال وغيرها من المنطوق والمخطوط وكل الروافد التي تحبب أيامها وأخبارها خاصة ما تعلق بالوثائق الأصيلة والتي نعتبرها حافظة دقيقة وذات مصداقية في قيمتها، وهي تلك الوثائق المتعلقة بالعقود عبر المراحل التاريخية، لكن المكان بدوره يخضع لتصنيفات بحسب الصفات التمييزية الطبيعية أو تلك التي خضعت لعمل العوامل، أو فعل الفواعل، أو متغيرات الزمان، ومنها : -

- الهيدرونيومات فهي تخص الأماكن التي وجدت بها المياه، والتي استقر بها الإنسان، وكانت مواقع الوقائع، مليئة بالأحداث التي سجلت بصمتها لعلاقة بالمياه، ونظراً لارتباط الماء بمعاني كالحياة والوجود، كان لا بد أن تكون للطبيعة ولمعنى الخصوبة والإنتاج ارتباط وثيق بالحياة أيضاً، وبالتكاثر، فأحييت هذه الرموز بهالة من القدسية، لأنّ توفير الغذاء يعني أيضاً ديمومة

الحياة، وهي في واقع الأمر الدراسة العلمية لكل ما يرتبط بالماء مجاري، وعناصر، وبحيرات وغيرها مما له علاقة بالإنسان والمكان<sup>1</sup>....

في أعالي الجبال، كما هو الشأن في أحداث الثورة التحريرية . جبال فلاوسن ، جبل عمور وغيرهما، وبالتالي فهي تكوّن قرائن لأحداث تاريخية أثناء محاربة الاستعمار وهي كثيرة. وقد وقعت أحداث أخرى أثناء ممارسة نشاطات مهنية أو فلاحية، منها ما كان قرينة لوقائع أثناء الرعي أو السقي أو غيرها، وقد تكون أسماء أمكنة لتضاريس (oronyms) ، أو أودية (hydronymes)، وكلها تحمل أسماء خاصة بها تميزها عن غيرها، وهذا عبر المسار التاريخي للشعوب في أماكن تواجدها أو تجمعاتها في أشكال متنوعة لإقامات تربط الفرد بالأرض.

ففي العصر الجاهلي اشتهر وادي عبقر وكان قرينة دالة على تلقين الجن الشعر للشعراء بهذا الوادي، فارتبط اسم عبقر بوادي عبقر الذي دارت حوله الأساطير.

وذهب الجوهري إلى أنّ العَبْقُرُ موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن، وفي هذا قال

ليبد :

وَمَنْ فَادَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَيَبِيهِمْ كُهُولَ وَشُبَّانَ كَجَنَّةِ عَبْقَرٍ

مَضَوًّا سَلْفًا فَصَدُّ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ بَهِيًّا مِنَ السَّلَافِ، لَيْسَ بِجَيِّدٍ

وقد نسبوا كل شيء تعجبوا من حَدَقِهِ أو جَوْدَةِ صِنْعَتِهِ وقوته إلى صفة العبقرية، فقالوا عنه عَبْقَرِيٌّ، والأُنثَى عَبْقَرِيَّةٌ. بغير ألف ولام لأنه اسم علم لموضع.

وقال امرؤ القيس:

كَأَنَّ صَلِيلَ المَرُو، حِينَ تَشَدُّهُ صَلِيلُ زُيُوفٍ يُنْتَقَدَنَّ بِعَبْقَرَا

وفي هذا قول ذي الرمة:

حَتَّى كَأَنَّ رِيَاضَ القُفِّ أَلْبَسَهَا مِنْ وَشِي عِبْقَرٍ، بَحْلِيلٌ وَتَنْجِيدٌ

وورد لفظ عبقر في (الصحاح في اللغة) للجوهري: موضع تزعم العرب أنه من أرض

الجنّ. وقال ابن سيده العَبْقَرِيُّ والعَبَاقِرِيُّ ضرب من البسط، الواحدة عَبْقَرِيَّةٌ، قال: عَبْقَرُ قرية

<sup>1</sup> ينظر : جمال الدين ، عودة التاريخ، ص 155 .

باليمن تُوشَى فيها الثياب والبسط، فثيابها أجود الثياب فصارت مثلاً لكل منسوب إلى شيء رفيع، فكلمة ثبالغوا في نعت شيء مُتَنَاهٍ نسبه إليه، وقيل: إنما يُنسب إلى عَبَقَر الذي هو موضع الجن.

وإذا كانت هذه الأسماء قد ارتبطت بأساطير سجلت قصصا نسجتها العقلية العربية لتخريج ظواهر عجائبية ارتبطت بأمكنة معينة ولفئة من المجتمع فإنّ شرائح كبرى عبر هذه الأزمنة التاريخية للأمم، ارتبطت بإقامة الجماعات في أشكال عمرانية تركت حضارات للأجيال لا تزال تشهد عليها إلى يومنا هذا، فتمثلت في الإقامات السكنية كـ (المدن، والقرى، وتجمعات البدو في كل قبيلة أو عشيرة أو عرش، والغيران التي سكنها الإنسان طلباً للأمن، وخوفاً من الحيوانات المفترسة... الخ)،

ولأن تسمية المكان تعد من الأسس التي لا غنى عنها، فقد أطلق الإنسان الأسماء على الأمكنة للتعبير عن ما يمكن أن نسميه "العلاقة بالمكان"، وهي بذلك تصبح ضرورية عندما تتسع رقعة الترابية ويزداد عدد المقيمين، وبالتالي يرتفع عدد مستعمليه من المقيمين أو المترددين عليه لتلبية المصالح، وهي تهدف إلى تعريفه وإبراز هويته، فالهوية الترابية لمنطقة ما، تبرز من خلال التسمية التي تسند لها.

ومنها أماكن لم تسكن ولم يُقم بها الإنسان إلاّ أنها اشتهرت باسم يميزها عن غيرها، لتحمل معاني وظيفية أخرى كالتوجيه والاستدلال وغير ذلك مما سنبينه لاحقاً. تطلق أسماء مميزة لأمكنة لأمر يميزها أو لغموض يكتنفها أو لأسطورة تنسج حولها، فمنها ما وجد في أنحاء متباينة من كوكبنا، فمثلاً نجد مثلث برمودا، أو مثلث الشيطان، عرف بهذا الاسم نظراً لما نسج حوله من أخبار وأساطير ارتبطت بأحداث تدور حول اختفاء سفن وطائرات في هذه المنطقة إلاّ أنّ الأمر في واقع الحال - حسب بعض الدراسات - لا يخرج عن المعدل الذي تحدث فيه مثل هذه الحالات في مناطق أخرى، ومع ذلك لا يذكر مثلث الشيطان إلاّ ويستحضر القارئ هذه القصص التي نسجها الإنسان. كما هو الشأن في مثلث التنين، وهو لا يقلّ عن مثلث برمودا خطورة فيذكر حول خطورته مجموعة من الأحداث والأساطير التي يرويها اليابانيون.

الأدونيميا أو شبكات المواصلات odonymies أو hodonymies وهي تهتم بدراسة الأدونيمات، والأدونيم اسم علم يدلّ على اسم لنهج أو طريق (طريق الوريد)، أو اسم ساحة (ساحة الشهداء)، أو اسم لممرّ، الخ... وكلها تنضوي في مجال الطبونيميا التي تتسع لكل الدراسات المتعلقة بأسماء الأماكن الجغرافية وخاصة ما يتعلق بأسماء الأعلام بصفة أدقّ. والأدونيم عبارة عن اسم شخص، يطلق على اسم المكان لتخليد الشخص (مليحة حميدو) (المرأة)<sup>1</sup>.

ويكون الأدونيم اسماً، يأخذ شهرته من اللفظ الذي يتردّد على الألسنة فيشيع، وتعرف به الدار للدلالة على معنى يعرف به المكان، أولاد رياح.

### ثانياً: الطبونيمات التراثية والتحويلات اللغوية والدلالية

وتعيين المكان لقيمة تاريخية تشهد الأحداث عليه أو لارتباطه بهذا الشخص في قرينة توحى بما خفي وتدل عليه كما هو الشأن في اسم شارع "البشير الإبراهيمي" الشخصية التي تركت بصمتها في جمعية العلماء، ارتبط اسمها بعدة مؤسسات علمية وثقافية، وذلك تخليداً لذكراه، وكذلك شارع "الرائد فراج" المجاهد الشهيد، الخ... وهي مؤشرات للدلالة على شبكة المواصلات، وهي عادة ما تدلّ على الطّريق، أو النهج، الخ...، وفي أغلب الأحيان نجد الأدونيم يدلّ على عناوين بريدية، لكن ليست في كل الأحوال أسماء - فقد تحمل أحياناً أرقاماً للدلالة على أسماء أو حالات فردية - لتعرف عليها أو على رموز تدل عليها.

وفي بعض الحالات تضيق مجالات التطبيق الطبونيمي إلى مستويات أدنى من ذلك أو أكثر في مثل أسماء تطلق على قصور أو فنادق، أو ديار (دار اسبيطار) دار العبادي بين قريتي الصفصاف وعين الدفلة (microtoponymes)، وغيرها من آثار الديار من أطلال وبقايا المواقع التي عمّر بها القوم، وفي كثير من الأحيان، الأماكن التي يقف عليها الإنسان،



فيستحضر أياماً أتى عليها الزمان، وكلما ذكر اسم هذه الديار والآثار إلا وحملت معها أخباراً.

### الشكل رقم: 17

تبيّن الصورة دار اسبيطار "الدار الكبيرة لمحمد الديب"، وهي التي تمّ بها تصوير الفيلم، وهي لا تزال على حالها مع إدخال ترميمات عليها



ولعلّ الصفات التمييزية نجدها في كلّ الطبونيمات سواء كانت تاريخية أو إيجائية، وأحياناً حتى خرافية، ففي المغرب مثلاً اسم مدينة "تارودانت"<sup>1</sup> التي كانت تسمى في فترة سابقة "المحمدية" ليعود بعد ذلك الاسم الأصلي الذي توصل إليه الباحثون ما يعني عبارة "غرق الأولاد" بالأمازيغية "تروا دان"، وقد نسجت حولها أسطورة تذكر أنّ امرأة قروية كانت تغتسل بجانب النهر، فغرق أولادها في النهر، فصاحت "تروا دان" يعني "الأولاد + غرقوا"، ومن ثمّ ارتبط المكان بهذا الاسم.

وانطلاقاً من هذه الأمثلة للأسماء الأعلام، نلاحظ ما ينسج من حكايات وأساطير عن اسم مكان معين، وتتعدد معه التخريجات والتأويلات وكلها تقبل الصواب أو الخطأ.

ولعل ما يشبه ذلك، مرويات عن اسم مدينة "مراكش" يحكى عنها أنّ المنطقة كان بها لصوص من قطاع الطرق - وما يزيّج الرواية أنّ اسم "المغرب" بالانجليزية "marocco" مشتق من سبيل القوافل التجارية التي تأتي عبر سجلماسة - وكان التجار يعبرون المنطقة بسرعة خوفاً

<sup>1</sup> تارودانت، من أقدم مدن المغرب وأعرقها، فقد عمرها الإنسان منذ عصور قديمة، ولعبت أدواراً تاريخية وسياسية هامة في حياة المغرب السوسية، ينظر : ar.m.wikipedia.org

على تجارتهم وأنفسهم، وأطلق عليها هذا الاسم "مر + كش" يعني مُرٌ بسرعة، مراكش<sup>1</sup>. (وكانت عاصمة للدولة المرابطية).

والعبرة ليست بالدار، ولا بالأحجار التي تُبقي الآثار، بل ما تخفيه من أخبار، وأحداث كان لها وقع في قلوب المقيمين بها، فلم يتوانوا في تخليدها بأشكال تعبيرية تعددت، ومنها الشعر الذي طالما كان الأداة التي خلّدت هذا الخزّان التراثي المعرفي.

ففي الشعر الجاهلي، وهو كثير في ذكر الديار، نجد أشعاراً لمجنون ليلي، من أروع ما

قيل:

أُمُرٌ عَلَى الدِيَارِ دِيَارِ لَيْلَى      أَقْبَلُ ذَا الجِدَارِ وَذَا الجِدَارِ ا  
وَمَا حُبُّ الدِيَارِ شَعْفَنَ قَلْبِي      وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِيَارِ

ففي هذه الأبيات نجد استعمال الفصح في لغة الشاعر، فهي من أرقى ما يمثل ذكر الديار التي تذكر الشاعر، وفيها يستعمل الصور الأدبية الرائعة والتي تقدّم الأحاسيس الجياشة والعواطف الصادقة، بل وتفاعل الشاعر مع هذه الديار ومع من كان بالأمس يقطنها.

وأما ذكر الديار في الشعر الملحون في مثل ما هو موجود في الشعر الزجل، وهو كثير في ذكر الديار، إلا أن ما يلاحظ عليها هو هذه اللغة التي تمثل عصر الشاعر، وما يميّزها عن الفصح ذلك الطابع الشعبي واللغة العامية التي يتوجّه بها إلى شريحة عريضة من معاصريه، كما نجد أشعاراً كثيرة من الملحون مجهولة القائل، ومنه<sup>2</sup>:

---

1 مدينة مراكش، هذا الاسم العلم يحدّد جانباً آخر من تاريخ هذه المدينة انطلاقاً من اسمها، كونها في الماضي منطقة خالية من السكان، وكانت تمرّ بها القوافل التجارية، الأمر الذي أغرى لصوصاً للإقامة بها حتى بناها يوسف بن تاشفين.

وفي تأويل آخر للاسم بعيد عن المعنى الحقيقي كل البعد، "حينما أراد يوسف بن تاشفين تأسيس عاصمة لدولته خرج للمكان "مراكش" فأعجبه انبساطه، ووافق أن سمع رجلاً يسأل ابنه هل حقاً سقيت هذا الحقل؟ فأجاب: نعم قد فعلت مرة وكش. أي سقيته مرة وقد نشف، فأعجب بالكلمة المنحوتة من هاتين الكلمتين «مر» و«كش» فاتخذها اسماً لعاصمة دولته، دولة المرابطين الصنهاجية النشأة.

وفي مدينة بلد الوليد باسبانيا (بالإسبانية) Valladolid، فاسم هذه المدينة، شاهد تاريخي على أن المسلمين كانوا بمهذ المنطقة و تركوا بصماتهم التي تتجلى في أسماء الأماكن الباقية مع مرور الزمن  
2 عبد الحميد حاجيات، ذخائر الغرب العربي، كتاب الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، ص 124.

تَفَقَّدْتُ بَعْدَ الضَّاعِغِينَ الدِّيَارَ

وَجَدْتُ المِنَازِلَ قَدْ ضَحَّتْ خَالِيَا

شَجَّتَنِي وَزَادَتْنِي بُكَاءً وَاصْفِرَّازَ

وَلَمْ تَبْقِ مِنِّي لِلصَّبْرِ بَاقِيَا

لغة الزجل لا تخضع للإعراب ولا لقواعد المستويات التحليلية اللغوية التي تعتبر النظام الذي نحتكم إليه، ومنها تسكين أواخر الكلم.

ولابدّ من إشارة إلى ما يدلّ على هذه الآثار التي تذكر أحداثاً سجّلها التاريخ، ودوّنتها الأشعار لتخليد أسماء هذه الديار، ومنه مثل ما دونه ابن أبي طاهر<sup>1</sup> في ذكر الديار على كثرة التعاليق التي تشكك في نسبة هذه الأبيات إليه، وهي تصور النكبة التي أصابت البرامكة، ومنها هذه الأبيات: .

يا مَنْزِلًا لِعَبِّ الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ

طَوْرًا يُفَرِّقُهُمْ وَطَوْرًا يَجْمَعُ

أَيْنَ الَّذِينَ عَهْدْتُهُمْ بِكَ مَرَّةً

كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُدُّ وَيَنْفَعُ

أَصْبَحْتَ تُفْرِغُ مِنْ رَأْيِكَ وَطَالَمَا

كُنَّا إِلَيْكَ مِنَ الحَوَادِثِ نَفْرَعُ

أَيَّامًا لَا أَغْشَى لِأَهْلِكَ مَرَبَعًا

إِلَّا وَفِيهِ لِلْمَسْرُورَةِ مَرَبَعُ

لَهْفِي عَلَيْكَ لَوْ إِنَّ هُفًّا يَنْفَعُ

أَوْ أَنَّ دَهْرًا رَاحِمٌ مِنْ يَجْرَعُ

مَا كَانَ ذَاكَ العَيْشُ إِلَّا حُلْسَةً

حَظْفًا كَرَجَعِ الطَّرْفِ أَوْ هُوَ أَسْرَعُ

ويستعمل طبونيم الدار للدلالة على إيجاءات تصور حياة فئة من المجتمع تماسكاً ومعاناة، ومن مثل ذلك، الدار الكبيرة لمحمد الديب، فهي رمز الحياة التي تجمع الفئات المحرومة في منزل شبيه بملجأ الفقراء أو الطبقات المحرومة، أو مستشفى للمرضى، microtoponymes.

وإذا تتبعنا ورود اسم العلم الدال على المكان في التراث العربي، فإنّ الإحصاء يعدّ عاملاً أساسياً لأننا نأخذ بمفهوم الكثرة والقلّة في الاستعمال، فهو الأساس الذي نعتمده في تردد الطبونيم بمعنى معين، أو شيوع اللفظ الجغرافي بين الفئات الاجتماعية بمعنى آخر .

وقد وردت أماكن تحمل أسماء العيون والمياه في الشعر العربي، الهيدرونيومات، ذلك أنّ الماء له قيمة خاصة ترتبط بحياة الإنسان وممتلكاته من خيام، وماشية وغيرها، لذلك كانت العرب في ترحالها واستقرارها تعتمد كثيراً على توفّر الماء لتمكين الماشية منه وضروة حياته.

<sup>1</sup> أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الماروزي، الملقب بإبن طيفور، وهو مؤرخ وأديب وجغرافي عراقي 819م، 893م

- 204هـ، 280هـ، ولد في بغداد من عائلة يرجع نسبها إلى ملوك خراسان.

ولما كانت تحط القبائل رحالها في هذه المضارب التي يوجد بها الماء، كانت تطلق على هذه العيون أو المصادر المائية أسماء تعيينية لحملها أو نقلها في أخبارهم وأشعارهم، فعرفت بها هذه الأمكنة التي مثلت المرجعية الثقافية، والقرينة الجغرافية .

فالنصوص الشعرية وغيرها من النصوص التي تصف الرحلات والأخبار هي التي يجب أن تعتمد في تتبع هذه الأسماء، لأنّ اللغة وضع واستعمال ولا عبرة إلاّ بالاستعمال الحقيقي لها، وهو ما يفترض فيه العاكس الحقيقي لحياة البداوة بما فيها من ذكريات، وهو الاستعمال الذي كان الحاج صالح عبد الرحمن يلحّ عليه بتسميته بمصطلح "لغة التخاطب اليومي"<sup>1</sup> لأنه في حقيقة الأمر الممثل لواقع لغة العربي في فترة تحيينية للغة الاستعمال، ودليل على انغماسه في لغة عصره بما لها وما عليه من تأثير وتأثر.

## 1 - العامل التاريخي والتحول الدلالي للطبونيمات

إنّ دراسة أسماء الأمكنة في التراث العربي قديمة، وتناولتها الدراسات اللغوية العربية، وتنوعت مدوّنات التواجد في القرآن الكريم وفي الشعر وفي أدب الرحالة وغيرها. ولعل الوقوف على الأطلال كان من أهمّ قرائن ورود الأسماء الأعلام المتعلقة بالأمكنة، فلا تخلوا قصيدة من المعلقات إلا وتم تحليد هذه الأسماء التي اقتفت خطى العرب القدامى. ونحن في قراءتنا للشعر العربي الجاهلي، وفي ذاكرتنا الشعبية، لا تزال بعض الطبونيمات عالقة بأذهاننا من خلال المعلقات، فهذه **جبال الدخول وحومل** في شعر امرئ القيس تسجل المواقع في منطقة نجد<sup>2</sup>.

قَفَا نَبْكَ مِنْ دِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ  
بِسْفَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

قد لا نهتم بواقع ورود الأسماء الأعلام الخاصة بالأمكنة في دراسة الشعر العربي بالمستوى المطلوب، لكن لما ننظر إلى ما كتبه طه حسين في رده على الذين يصفون القصيدة العربية

<sup>1</sup> مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، إعداد الحاج صالح عبد الرحمن، ص 24.

<sup>2</sup> ويسمى هذا الموقع اليوم **جفرة الصاقب**، وهو عبارة عن جبل شامخ وتسمى كل تلك المواقع باسمه "الصاقب".

بالاضطراب والاختلاف<sup>1</sup>، ويتكلم عن توظيف اسم المكان فيها بالدقة والتحديد وما يلقه من أحداث، هناك تعرف أنّ القدامى لم يستعملوه بدلالة المكان فقط بل تعداه إلى بيئة وسياقات ومتعلقات تلامس الجوانب المتعددة في حياة العربي.

ثمّ يتكلم عن الشعراء القدامى كيف كانوا يعبرون عن انتمائهم للبيئة الشعرية التي يخرج فيها الإنسان عن الحياة الواقعية المادية، فيرى الشاعر في بيئة الديار وما يتصل بها، وما ذهب منها وما بقي، وما شهدته من أحداث، ومن معاناة السكان، ويقف طه حسين عند هذه الأسماء في معلقة لبيد بن ربيعة العامري<sup>2</sup> :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا      بِمَيِّ تَأَبَّدَ عَوُّهَا فَرِجَامُهَا  
فَمَدَافِعُ الرِّيَّانِ عُرِّيَ رَسْمُهَا      خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الوُحْيِ سِلَامُهَا  
دِمْنٌ تَحْرَمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْبَسِهَا      حِجَجٌ حَلَوْنَ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا

فبوقوفنا على هذه الأسماء الأعلام الدالة على المكان، نجد أن القدامى تركوا لنا تاريخاً حافلاً وواصفاً لتحركاتهم من مكان إلى مكان في البادية ولسكناتهم فيها، ولا استقرار حضرهم في المدن، لأنّ هذه العناصر اللغوية (الطبونيمات) بتمييزها تجعل من السماء الأعلام أسماء متميزة في دلالاتها وإيحاءاتها، وبالوقوف على معنى الوضع الذي يعد أصل المعنى وتحولاته<sup>3</sup>، فهذا لبيد في بادية نجد، يذكر هذه الأماكن بأسمائها لأنه كان يعرفها، ويوظفها في نظم شعري كأنه ببيان تمّ إنجازه بإحكام إن حركت مكوناً انهار وفسد كلّ، وفي ذلك يقول طه حسين : «... ولم يكن قادراً على أن يسمي أماكن نجد بغير أسمائها، ولكن حدثني عن هذه الأبيات الثلاثة، أتستطيع فيها تقديمها أو تأخيرها؟ وكيف يستقيم لك ذلك؟ ألسنت مكرهاً بحكم المعنى، وبحكم

1 كان يتكلم عن الوحدة المعنوية للقصيد و يضرب المثال بقصيدة لبيد، قائلاً : «وأتحداك وأسألك أن تبين لي من أين يأتيها الاضطراب والاختلاف، وكيف لا تتم لها الوحدة إلا من الوزن والقافية؟»، ينظر : طه حسين من تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي ، ط 4، المجلد الأول، ص 332.

2 المرجع نفسه ، ط 4، المجلد الأول، ص 333.

3 شرح المفصل لابن يعيش، ج 1، 19/18.

الترتيب اللفظي نفسه على أن تحفظ هذه الأبيات بالترتيب الذي أراده الشاعر، لأن المعنى يفرض ذلك عليك فرضاً؟<sup>1</sup>.

ولعلنا نفهم من هذا أن العرب وقفوا على المكان لتصوير العواطف والأشجان، وكل ما كان يرتبط بالوجدان لأهميته في حياتهم، فهو بمثابة السجل لهم مع الديار،<sup>2</sup> ولا يخفونها في الأشعار، وهي تراثهم الذي يعكس مسار واقع حياتهم في التنقل والاستقرار، وفي هذا التصوير، يقول طه حسين : «ثم يمضي الشاعر في وصف هذه الديار، وما مر بها من أحداث وخطوب، على نحو من هذا الترتيب الدقيق الذي لا سبيل إلى تغييره، حتى يقول :

صُمَّاً خِوَالِدَ مَا يُبِينُ كَلَامُهَا	فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا ، وَكَيْفَ سُؤَالِنَا
مِنْهَا وَعُودَرَ نُؤِيْهَا وَثَمَامُهَا	عَرِيْتُ وَكَانَ بِهَا الْجَمِيعُ فَأَبْكُرُوا

وبهذين البيتين قد بلغ الشاعر أربه، وأبلغك أربك من ذكر الديار ووصفها<sup>3</sup>. والواقع في التصوير للمكان وعلاقة الشاعر لبيد بهذه الديار تصوير للعلاقات التي كانت بينها وبين من سكنوها، والحال هذا لا يُحمل إلا عبر هذه الأسماء التي تشحن بالدلالات والإيحاءات<sup>4</sup>.

ومن هنا تطرح التساؤلات الكبرى لتعالج في ظل الدراسات الجغرافية والأدبية، والدراسات الطبونيمية ليكون للمكان معنى لا يقرأ إلا من زواياه المتعددة، ولا يمكننا في الوقت ذاته إغفال اسم المكان الذي يتغنى به الشعراء لحمل الأحبار ووصف الأحداث التي يشهد عليها المكان، لأن دور الوسط أو البيئة لا يقف عند مستوى العناصر اللغوية، وإنما يتعداه إلى الأنماط المعيشية والتفكير وهو ما يُتوصل إليه من خلال الإيحاءات التي تؤديها الطبونيمات،

1 طه حسين من تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي ، ط 4، المجلد الأول، ص 333.

2 ينظر : المرجع نفسه، المجلد الأول، ص 333..

3 ينظر : المرجع نفسه، المجلد الأول، ص 333.

4 مازن الواعر، التفكير اللغوي عند الجغرافيين العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، الجغرافيا والأدب ،

تقاطع المعارف، ص 187.

فتقاليد العرب في جاهليتهم كانت أقوى من قوانين هذا الزمن، وهي أكثر شدة عندما يتعلق الأمر بحرص الفرد على قبيلته وسمعتها، ولذلك يقف الأطلال ويذكر الديار ويتغزل بمن كانوا يوماً هناك<sup>1</sup>.

ومع ذلك فالعينة التي تعكس هذا الاهتمام بالمكان، لا تقف عند الشعراء القدامى، بل تناول ورود هذه الأسماء في التراث العربي دارسون ونقاد، وكانت مصب اهتمام بالغ لما لها من آثار على مجالات علمية متعددة ومنها تحديد هذه الأماكن في الخرائط، وتتبع التحول التسموي وما صاحبه من دوافع يبررها التطور الحاصل في المجتمع وعوامل التاريخ التي تعدّ سرّ التغيرات في حياة الأفراد والمجتمعات.

أما الاهتمامات العلمية وإحداث تخصصات دراسية للإحاطة بالمجال أقصد بالأسماء الأعلام وأسماء الأمكنة، فهي حديثة العهد وتعد من التخصصات الفتية التي وقفت عندها النظم التعليمية وضغوط العولمة في عصر التكنولوجيا التي كيفت النظر إلى هذه العناصر اللغوية فأخرجتها من وعاء المعجمية والدلالية التي تفرضها الوظيفة التبليغية والتواصلية إلى استثمار في شتى المجالات كالشبكة العنكبوتية والاتصال الإلكتروني مثل الاستدلال الإلكتروني على الأماكن، وكشفها وتحديدها، (GPS، gprs، gsm) إلى غير ذلك من الوسائل، ولا يمكن ذلك إلا بالاعتماد على هذه الأسماء أو بتشفيرها، أي أن مجالات استغلالها تكنولوجيا متعددة، ولا بد لنا من مرجعية لذلك أو قرائن في تأصيلها أو تعيينها كما هو الشأن في مسح الأراضي CADASTRE في تحديد العقار والأملاك.

إذن هي وظائف متعددة للأسماء الأعلام في العصر الحديث، ومن هنا يتضح أن الاهتمام في العالم المصنّع يتماشى والبرامجاتية الاقتصادية واللغوية في علاقة تلازمية، وللبحث العلمي نصيب من هذه المساهمة للتنمية في العالم.

تلمسان العينة التي اخترتها للدراسة الطبونيمية في بعدها التطبيقي، وهي مدينة من المدن الجزائرية التي تزخر بكنوزها التراثية المادية واللامادية، وهي إحدى المواد الدراسية لقراءة

<sup>1</sup> ينظر : ظافر القاسمي، الحياة الاجتماعية عند العرب، دار النفائس، بيروت، ط 2، سنة 1981، ص 11.

طبونيمات تلمسان التي عرفت مراحل تاريخية متعاقبة ، وتغيرات العامل الحضاري بعدد تتابع الأمم والحضارات التي استوطنت وغذت هذه التغيرات.

**وتلمسان:** ، الجغرافيا والتاريخ تعد من المتغيرات التي عرفها المؤرخون والدارسون، وقبل الخوض في التفاصيل حول تلمسان، لابد لنا من معرفة الفضاء الزماني المكاني لها في تتبع تطورها عبر مسارها، ولأنها عرفت تغيرات<sup>1</sup> في حدودها الجغرافية والمعرفية وفي تشكيلتها البشرية بفعل التغير والتطور اللذين يحدثهما الفعل التاريخي، فتغير معها كل شيء، وتغيرت معها الأسماء المكانية التي أصبحت الوعاء المعرفي والمرجعي لذلك كله عبر الحقب التي عرفتها هذه المدينة العتيقة.

تقع تلمسان في الشمال الغربي للجزائر، تحدها ولاية سيدي بلعباس من الشرق ومن الجنوب ولاية النعامة ، ومن الشمال ولاية عين تموشنت بحسب التقسيم الأخير، وتبعد عن الحدود الجزائرية المغربية بأقل من 70 كم.

وهي تشتهر بموقعها الاستراتيجي، وكانت دوماً مركز إشعاع ثقافي عبر المراحل التاريخية المتعاقبة، فهي محاطة بجدايق غناء، وبساتين من كل الجهات، مما جعلها تتميز بهواء جميل، وماء وفير، وتغني بها الشعراء في قصائد لا تزال تشهد على هذا جمالها، وهي قريبة من البحر الأبيض المتوسط، وارتفاعها عن سطح البحر يفوق 800م، وهي بوابة للصحراء، الأمر الذي عزز مركزها التجاري.

وعرفت تلمسان العتيقة بأسوارها وأبوابها التي أتت عليها الأيام ولم يبق منها إلا القليل مع بعض السيمات وعدد محدود من المعالم التي حظيت بحماية دولية في العقود المتأخرة بحكم تصنيفها في التراث العالمي في الجزائر، والتراث بنوعيه المادي واللامادي<sup>2</sup>.

**1 - تلمسان ضمن حركية التاريخ:** إنّ النظر في متغيرات الزمان، في ظلّ ملامسة المكان، يستلزم الوقوف على أسماء الأمكنة لمساءلتها، بل وقراءة ما كتب حولها، لمعرفة الحقب التاريخية وما اختزنته من تراث يميزها قبل أن يعرفها لعشاقها ومريديها.

1 وقد أشرنا إلى ذلك في الصفحتين 136 - 137.

2 أُدرجت كثير من العادات والتقاليد والمهارات الحرفية المرتبطة بالحياة التقليدية للمجتمع التلمساني، في قائمة اليونسكو للتراث العالمي اللامادي سنة 1912.



إنّ تلمسان الحاضرة الإسلامية في المغرب الإسلامي، بقيت ولفترة طويلة مركز إشعاع ثقافي وسياسي<sup>1</sup> خاصة وأتّما كانت عاصمة لمراحل الحكم في ظلّ كثير من الدويلات الإسلامية، منها الدولة المرابطية، وحكم الزناتيين، والدولة الإدريسية، ودولة الموحدين والمرينيين.

ولم تحمل تلمسان هذا الاسم دوماً، بل كانت تسمى بوماريا وأغادير ثم تفرات<sup>2</sup>، كما كانت تُكثّى بعدة كنى منها مدينة الجدار<sup>3</sup>، ولؤلؤة المغرب<sup>4</sup>، وقاعدة المغرب الأوسط<sup>5</sup>، والبهجة<sup>6</sup>، وعروس المتوسط<sup>7</sup>،.. وكلّ هذا تماشياً مع الحقب التاريخية ومؤثراتها.

<sup>1</sup> إنّ بقاء النصارى في تلمسان بعد الفتوحات الإسلامية من رومانين ومترومين وتمتعهم بطقوسهم الدينية في كنائسهم لدليل على هذا التمازج الثقافي. ينظر: البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487/1094م)، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، منشورات دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، بيروت، سنة 2003، ص 259.

<sup>2</sup> تفرات، مدينة مرابطية، وهي كلمة بربرية تعني " المعسكر "، بنيت غرب مدينة أغادير، أين نزلت جيوش يوسف بن تاشفين أثناء محاصرته لها، وأطلق عليها اسم " تفرات".

<sup>3</sup> مدينة الجدار، منها قول الشاعر يصف تلمسان بمدينة الجدار في قوله :  
عدمت امشآت فسدت والظلم اخلاها  
امدينة الجدار ابلاد تلمسان  
بعد الهنا وبعد الزهو تلمسان  
ومنه قول الشاعر في مدينة الجدار: .

امدينة الجدار أصلها  
الناس كل من يدخلها  
هي من المدون السبعة  
يستحسن الوطن والبقة

<sup>4</sup> لؤلؤة المغرب، يقال أنّ هذه التسمية أطلقها سي قدور بن غبريط (وفق بعض الرويات، ينظر :  
عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، ص 23).

<sup>5</sup> أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت 900هـ) تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - دار السراج الطبعة: الثانية، الجزء الأول، سنة 1980 م ، ص 135.

<sup>6</sup> من قصيدة يا ضو اعياني للشيخ ابن سهلة بومدين :

يا زين الدرجة نرسلك لبنات البهجة  
روح تغنم فرجة و ادخل على درب السجان  
وللشيخ ابن مسايب :

كانت البهجة عند سلاطين العرب

في المقام العالي والمنزل الرفيع

<sup>7</sup> ومببت عروس المتوسط، ينظر : عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، ص 23.

## ب - مواقع تلمسان في التراث

فالمواقع كما سبقت الإشارة إليها، هي دراسة علمية لأسماء الأماكن (الاسماء الطبوغرافية)، وهي لا تكتفي بدراسة الواقع اللغوي المتداول بل تهتم بدراسة الأسماء الأعلام، وأصولها لمعرفة التطور الحاصل فيها منذ الوضع، وتتبع معانيها، والوقوف على أدوارها في تحديد طبيعة المنطقة الجغرافية، وتحديد تاريخها أو جزء منه بحسب ما يتوفر للباحثين من معطيات وصولاً أو تسجيلاً، وكذا طبيعة السكان، وما ينسج حولها من حكايات وأساطير وأخبار مشافهة أو كتابة، ولا يتأتى هذا إلا من خلال مدونات وروايات . أو جمع معلومات من السكان أو الرواة - الأمر الذي يسهل الحصول على المادة اللغوية ...

كثيراً ما نسمع حكايات عن مكان ما، أو أساطير تروى عنه، لكن نادراً ما يتبادر الى أذهاننا أن نسأل عن أصل اسم هذا المكان وربطه بما ينسج حوله من مرويات. وهل هناك علاقة بين الاسم وأسماء أخرى قريبة منه نطقاً أو حتى معنىً أو إيحاءاً؟ ثم لماذا سمي كذلك؟ أو تحوّل عن ذلك؟

ذلك أن التغيير كثيراً ما يحدث نتيجة التطور، فيؤثر في الصوت أو في الصيغة فيقع تحريف في المعنى، أو انزياح في المبنى الصوتي.

ونبقى دائماً في تلمسان، وما ينسج حول طبونيماتها من أساطير لها علاقة باسم المكان، وما يطرأ عليه من تغير في الصوت والصيغة، وتماشياً مع إichاءات تعزّزها أساطير كثيرة، منها ما ينسج حول طبونيمات كانت في الأصل من واقع التاريخ، لكنها مع تحولاتها الصوتية وما ينجّر عنها من تغيرات دلالية في دياكرونية تخريبية كان لعامل الزمن الأثر الكبير في تصورات وتخييلات أسقطت على واقع أخذ تمثّلات في سرد خيالي انتهى إلى اعتقاد جمعي بحقيقة مروياته يُعزّز هذا الخروج عن المعنى الحقيقي، قوة التحوّل اللغوي..

ففي أقدير - المدينة البربرية القديمة - يوجد قرب مئذنة مسجد أقادير معلم تاريخي يسمى: حمام الغولة، ولا يزال إلى يومنا هذا، وهو محاط بسيّاح في منطقة مليئة بالحدائق الغناء

بجي أقادير، وقد تمت تهيئته من قبل يغمراسن بن زيان (1282 - 1236) في مرحلة التوسع نحو الجنوب الشرقي.

### الشكل رقم: 18

صورة للمعلم الذي يوجد في حي أقادير والمسمى حمام الغولة ، وهو يتوسط باب العقبة ومغذنة أقادير.



### - صورة لحمام الغولة -

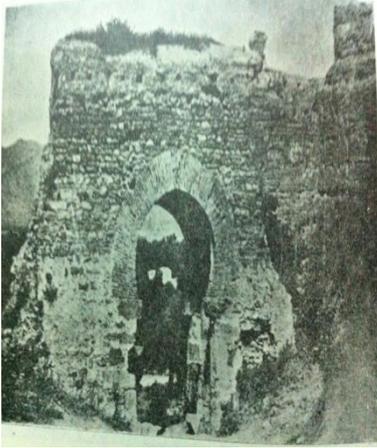
وتروي القصة أنّ باب أبي قرة الإفريقي<sup>1</sup> والحمام المذكور، يتواجدان في منطقة واحدة، ولا تبعد عنهما باب العقبة وصومعة أقادير إلا بأمتار قليلة، وفي تطور صوتي وظيفي لـ "أبوقرة" ولتأثير المنطوق اللهجي السائد، وقع تحول صوتي "أبوغولة" ومن نسيج مزجي لحكايات وأساطير، وعامل الزمان الفاعل في مروياته، انتقلت الحكاية من باب أبي قرة إلى "حمام غولة"، فالتطور الصوتي الوظيفي لـ "أبوقرة" ناتج عن تأثير المنطوق اللهجي الجزائري، الذي تعرفه جهات من عامية عدة مناطق في الجزائر، فالتحول الصوتي وقع بين القاف والغين<sup>2</sup>، ألفونات نتيجة عوامل لهجية حوّلت "أبوقرة" إلى "أبوغولة" ومن التحوّل

<sup>1</sup> ومكان الباب قرب حمام الغولة فوق باب العقبة بجي أقادير حالياً، ولا يزال الشاهد على هذا الباب ، فوق سيدي الداودي ، وهي عقبة يمثلها طريق تصاعدي وصعب.

<sup>2</sup> من المنطوق السائد الآن في بعض المناطق الجزائرية استبدال القاف غين، مثل الأغواط ، والبيض وغيرها من المناطق، وهي علاقة استبدال بين الصوتين (ألفونات).

بمعامل الزمان، انتقلت الحكاية مع الحمام ليصير "حمام الغولة"، والحالات كثيرة وفق الروايات الشفوية لها<sup>1</sup>.

وفي تسلسل جغرافي على الأرض تفصل هذه المعالم الثلاث بضعة أمتار، وهي بالترتيب الوارد في الصّور أي باب العقبة ، ثم حمام الغولة، ثم مئذنة أقادير.



- باب العقبة -



- حمام الغولة -



- مئذنة أقادير -

- باب العقبة تبعد عن ضريح سيدي الداودي بأمتار<sup>2</sup>، وحمام الغولة أيضاً يبعد عن باب العقبة بأمتار، ثم مئذنة أقادير تبعد عن الحمام بأمتار تقريباً متساوية المسافات.

**مدرسة العباد** : وقد قيل عن مدرسة العباد أنها كونت أجيالاً، ولها قرينة قولية مع سيدي بومدين لما أشار إليها من تأقبت، وقال : "ما هذا؟ قيل له : العباد، فقال ما أحلى الرقاد"<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> من روايات الحاج عمر العشعاسي في بيته يوم 29 من ذي الحجة 2016 .

<sup>2</sup> المسافة التي تفصل سيدي الداودي عن باب العقبة 166.46م ، باستعمالقياس قولل إرث. وباستعمال الرابط لتحديد الموقع :

<https://www.google.com/maps/place/34%C2%B053'24.5%22N+1%C2%B017'52.3%22W/@34.8901342,-1.2989603,217m/data=!3m2!1e3!4b1!4m6!3m5!1s0x0:0x0!7e2!8m2!3d34.8901323!4d-1.2978664?hl=fr>

وفي العباد أمر السلطان أبو الحسن المريني ببناء مسجد سيدي بومدين، ومئذنته، ومدرسته وذلك في 1339م.

### الشكل رقم: 19

تمثل الصورة منظر لحي العباد، وتبدو من بعيد مئذنة جامع سيدي بومدين. والصورة تبدو من مرتفع العباد، والصورة مأخوذة من سيدي بوسحاق الطيار.



والعباد القرية تطل على سهل تلمسان، بناها السلطان المريني أبو الحسن في القرن الرابع عشر، وهو مجاور لقبر سيدي بومدين دفين تلمسان. لذلك أصبحت مقصداً للزوار للتبرك، وهو أيضاً مقصداً للسياح، ويعدّ من أهم المواقع للمهتمين بفن العمارة "المغربي / الأندلسي".

**مسجد سيدي بلحسن:** يوجد بوسط تلمسان، وهو اليوم يؤدي وظيفة متحف صغير، يضم مجموعة من التحف من الموروث المادي لتلمسان، بناه السلطان عثمان من بني عبد الواد في 1296 وهو تحفة فنية في غاية الجمال، والتحف تابع لوزارة الثقافة، وهو قبلة للزائرين السياح،

**مسجد سيدي الحلوي<sup>2</sup>:** بُني هذا المسجد بأمر من السلطان المريني أبو عنان 1354م، تكريماً وتخليداً لهذا العالم الأندلسي والولي الصالح، ويوجد مسجد



صل إلى قرية تاقبلت التي تقع على مرتفع يمكن الزائر أن يرى من هناك

الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية ثقافية، الجزء الأول، ص

سيدي الحلوي خارج مدينة تلمسان القديمة إلى الناحية الشمالية البحرية في سفح الجبل والهضبة التي أسست عليها المدينة، وتطلّ على بساتين أحواز تلمسان، في اتجاه الغرب والشمال.

- واجهة المدخل الرئيسي -

وفي وسط جرف الجبل يوجد ضريح الولي الصالح، غير بعيد عن المسجد الذي يحمل اسمه، والقبة التي دفن بها سيدي الحلوي، ولا يزال هذا الحي الذي ينحدر على جانبه ممر يؤدي إلى حي عين الدفلى وشتوان، يحمل اسمه، ومنذ أزيد من ستة قرون خلت.

**المسجد الكبير<sup>1</sup>** : أنشأه المرابطون في سنة 1086، وقد بناه علي بن يوسف بن تاشفين. ويرى أهل الاختصاص أنّ هذه المساجد في الغرب الجزائري تتشابه في عمارتها وفتّنها، فالمسجد الكبير في تلمسان يشبه إلى حدّ كبير مسجد ندرومة، ومسجد الجزائر، فزخرفة المحراب تبين روعة الفن المعماري الإسلامي، والنمط المتشابه بينها .

ويتميز المسجد الكبير (الجامع الكبير) بصومعته المرتفعة التي بناها يغمراسن سنة 1236. وهي ذات شكل مربع، يفتح صحن الجامع على قاعة الصلاة، وتحيط به أروقة من جهاته المختلفة وتشكل بعضها امتداداً لقاعة الصلاة<sup>2</sup>.

يتميّز الجامع الكبير بتلمسان بهندسة رائعة وزخرفة خاصة جوار المحراب. وهي تشبه تلك المتواجدة بجامع القرويين بفاس.

تزين الجامع الكبير بتلمسان قبتان جميلتان مستوحاة من جوامع قرطبة والقيروان والأزهر، وهو يتميز عن غيره بإتقانه .

1 يعدّ الجامع الكبير من أكبر المساجد التاريخية الرائعة التي نشطت في العهد المرابطي، وهو يعدّ من الجوامع ذات القيمة الدينية الكبرى، ومثله جامع سيدي بلحسن و جامع الوالي الصالح سيدي بومدين.

2 عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، ص 38.

ويشكل المسجد الكبير بتلمسان مثالا حيا على استمرارية العمارة الأندلسية إبداعاتها وجودتها في المغرب العربي، وهو يعدّ من روائع الانجازات المعمارية الإسلامية.

**المشور** : قصر الحكم لبني عبد الواد. أدخلت عليه تعديلات خصوصا في الجدار الخارجي إبان الإستعمار الفرنسي.



الصورة لـ "سور المشور"



الصورة للمشور

أنشئ المشور في أواخر القرن 13م، واستمرت به الإنجازات طيلة النصف الأول من القرن 14م، وكان يتوفر على مسجد ومرافق أخرى.

**المنصورة** : الاسم الذي يعرف انتشاراً للدلالة على العديد من الطبونيمات في الجزائر وخارجها، منها : مصر، وغيرها.

#### الشكل رقم : 20

الصورة تبين ما بقي من صومعة المنصورة، وهي الآن مسيجة بعد أن أدخلت عليها ترميمات في سنة 2011، بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.



أما عن منصوره (تلمسان) التي تقع في الضواحي الغربية من تلمسان، فهي المدينة الجديدة التي بناها المرينيون في القرن الرابع عشر خارج أسوار المدينة القديمة المحاصرة، وأطلقوا عليها اسم « المنصورة ». وقد عاد المرينيون مرة ثانية لحصار تلمسان بقيادة أبي الحسن المريني ففتحوها ودام حكمهم لها أكثر من عقد من الزمن.

وتعدّ أنقاض منصوره - الآثار الباقية - من أهم المواقع في تلمسان، ومن أكثرها شيوعاً في الوسائط المختلفة، ومن بين أشهر المعالم تداولاً في تاريخ الآثار التي لا تزال تشهد على حضارة كانت ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا، ببعض الشواهد ومنها بعض أجزاء الجدار الذي كان بالمنصورة، والمئذنة التي لا تزال قبلة للسياح والدارسين من أهل الاهتمام والتخصص.

**كهوف عين فزة (مغارات):** تبعد عين فزة ببضع كيلومترات عن تلمسان، مقر الولاية، وفي أعالي المرتفعات توجد ثلاث مغارات بها العديد من النوازل والصواعد الكلسية، مكونة أشكال هندسية رائعة لا يمكن تصورها، ولأن هذه المغارة تروي حكايات كثيرة عن الثورة التحريرية، واستغلالها من قبل الثوار، وأنها لم يحدّد عمقها إلى يومنا، عمدت فرنسا إلى غلقها بترسانة إسمنتية لكي لا يتسنى للثوار استخدامها، والمغارة لا تزال مقصد الزوار نظراً لهذه الأشكال الغريبة والعجيبة التي ترسمها النوازل والصواعد، فنسبح للخالق الذي صور وأبدع.

- مغارات عين فزة : قبلة للسواح ، وهي مغارات مصنفة عالمياً في إطار التراث العالمي، وهي غير بعيدة عن تلمسان.  
وكما يبدو في الصورة فهي تحفة فنية ترسمها هذه النوازل التي تزينها.



وموقع المغارة يطلّ على مناظر طبيعية خلابة، تبدو من بعيد أراضي الكرز التي تزخر بها منطقة مزوغن وييدر ( أعالي الوادي الأخضر)، ومن الجهة الأخرى المنحدر الذي يؤدي إلى بلدية عين فزة.

**باب القرمادين :** عرف هذا الباب وما يحيط به ترميماً وإعادة تهيئة في الفترة الأخيرة بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، وهو المعلم الذي يشهد على سور المدينة الذي يطل على سهل شتوان، وهو جهة ملوك بني زيان في فصل الشتاء (وفق رواية متداولة).

ويعد باب القرمادين من أهم ما بقي من أسوار مدينة تاقرارت الأمازيغية ، وهي المدينة القديمة التي كونت تلمسان مع أقادير<sup>1</sup>.



الصورة لباب القرمادين الشكل رقم: 21  
باب القرمادين بعد التعديلات التي أدخلت عليه

ويفصل هذا المعلم الأثري - اليوم - عن وسط مدينة تلمسان، خط السكة الحديدية التي تربط بين مدينة تلمسان من جهة، ومدينة مغنية ومنطقة الحدود المغربية الجزائرية من جهة أخرى، وينتهي في الداخل المغربي، وهو من المعالم المصنفة، لذلك توليه الجهات المعنية عناية خاصة للحفاظ عليه من التخريب، فأحاطته بسياج حديدي على طول الطريق المحاذي له، والذي يؤدي إلى وسط المدينة العتيقة، وفي الجهة المقابلة مقرّ رئاسة جامعة تلمسان، مدرسة باستور سابقاً.

<sup>1</sup> Sid Ahmed BOUALI : Les deux grands sièges de Tlemcen, Alger: ENAL, 1980, p. 4.

مئذنة أقادير: الشاهد المادي الذي لا يزال قرينة للمسجد بأقادير، وينسب إلى مدينة أقادير المدينة القديمة والمكوّن لتلمسان الحديثة، ينظر الصورة الباقية من المئذنة الشكل رقم: 22



### الشكل رقم: 22

صورة المئذنة التي تشهد على مسجد أقادير (المدينة القديمة). وهي لا تبعد كثيراً عن باب العقبة .

ولا يبعد إلاّ بأمّتار عن معلم آخر نسجت حوله القصص، ألا وهو "حمام الغولة"<sup>1</sup> فوق باب العقبة (أحد الأبواب الخمسة المشهورة)، ومن أسفل الباب يأمّتار في اتجاه حي عين الدفلى يوجد ضريح الولي الصالح "سيدي الداودي"، (هو أيضاً خضع للتهيئة والترميم).

ولعل مسجد أقادير يعد من أهم بقايا الآثار الإدريسية في تلمسان ، وهو يعدّ أول مسجد بتلمسان، أسسه إدريس الأول في سنة 790م ، وكل ما بقي منه بعد أعمال الحفر إلاّ بعض البقايا، ولا تزال أسرار كثيرة لم يكشف عنها نظراً لتوقف الحفريات بها.

**هضبة للاستي:** توجد في أعالي مدينة تلمسان، فهي تطل على المدينة، مقدمة صورة متناسقة ومتناغمة مع طبيعة غاية تكاد تنطق بجمالها، والنظر منها إلى المدينة يشمل مناطق المحيطة بها وعلى امتداد البصر حدائق وبساتين ، أتى على كثير منها الإسمنت .

<sup>1</sup> حمام الغولة: أنشئ أثناء حكم يغمراسن بن زيان، في مرحلة توسيع المدينة في الجنوب الشرقي منها، وكان ذلك قبل سنة 1282.

أما على مستوى الهضبة، فكانت لتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية بصمة جمالية أخرى اتسمت بمسحة العصر، فأنشئت فيها حديقة للتسلية، وبركة اصطناعية، وملاعب للأطفال، ومنشآت أخرى منها : متحف المجتهد ومرصد فلكي، وفنادق ومقاهي وغيرها من المرافق التي تتطلبها السياحة العصرية.

ولعلّ ما يلفت الانتباه في هذا العقد الأخير، أنّ الهضبة نظراً للغابة الكبيرة التي تتواجد بها والمتصاعدة على طبقات، أصبحت مقصداً - بالإضافة إلى السواح - للرياضيين، وبخاصة رواد المشي على طول أيام السنة ، الأمر الذي أضفى عليها حيوية ونشاطاً.

**شلالات (الوريت)<sup>1</sup> :** تتدفق من واد المفروش بأعالي مرتفعات تلمسان، المعروفة بمنطقة تيرني، ويوجد بها ضريح سيدي عفيف، أعلى هضبة لالة ستي ببضعة كيلومترات.

### الشكل رقم: 23

الصورة تبين منظرا طبيعيا للوريت من الطريق الوطني الرابط بين تلمسان وسيدي بلعباس.



وتتدفق مياه لوريت على الأحواض المتقاربة والأودية، في وادي الصفصاف، وشتوان مرورا بعين الدفلى، أين يفترض وجود بقايا لآثار تعود إلى قصر بنت السلطان لكحل، وأوزيدان أين تمّ العثور على بقايا عظام للإنسان الأول.

ومما يذكر بقايا لساقية النصراني التي كانت توصل المياه من لوريت إلى بوماريا في العهد الروماني.

ومن القصص التي تنسج حول طبونيم لوريت قصة "روح الغريب" والتي تروي

<sup>1</sup> الوريت : لُو رأيت، هو التخريج الذي ذهب إليه بعض اللغويين في تأصيل الاسم العلم (الوريت)،

## الشكل رقم: 24

الصورة تبين شلالات لوريت، وهذه الشلالات هي مشهد سياحي تتوفر على مناظر جميلة ومحاطة بجبال وغابات متنوعة الأشجار كالبلوط والصنوبر وغيرها من الأنواع.



**مغارات أوزيدان:** مغارات عثر بها على هياكل للإنسان الأول، وبها عين معدنية، والمنطقة كان يقصدها ملوك بنو زيان.

تذهب بعض الدراسات إلى أنه عثر على بقايا حجرية بغيران الريح، بالقرب من أوزيدان، ويعود تأريخها إلى العصر الحجري القديم الأسفل، وتتواجد بها كهوف عديدة في المدينة توحى باستعمالها من قبل الإنسان الأول.

**مقبرة لليهود "قباسة":** تعدّ هذه المقبرة مزاراً للجالية اليهودية في تلمسان المدينة، ولأن الجزائر لا تربطها سياسياً أي علاقة مع الكيان الإسرائيلي، نظراً لموقف الجزائر مع فلسطين العربية، فإن هذه الزيارات عادة ما تكون غير معلنة، وتحافظ على السرية، خاصة وأنه من دفيني هذه المقبرة يوجد قبر الرّبي "إفرايم إنقاوة"<sup>1</sup>.

## ج - اعتماد الذخيرة التراثية في قراءة الطبونيمات

إنّ التراث الذي خلفه لنا الأسلاف عن تلمسان، يعدّ ذخيرة معرفية بحق، تحمل لنا كل ما يتعلق بتلمسان عبر العصور المتعاقبة من قصص، كما هو الشأن في قصة الجدار المذكورة في القرآن<sup>2</sup>، وقصة الخضير مع سيدنا موسى عليه السلام<sup>1</sup>، وحكايات أسطورية مثل ما هو الحال

<sup>1</sup> تروى عنه قصة مع السلطان، لم يكن لليهود الحق في الإقامة داخل في المدينة إلا في سنة 1393، ولكن إكراماً للحاخام إفرايم انقوة، سمح لهم بعبور الجدار. وكانوا قبل ذلك يعيشون في عزلة خارج الحي اليهودي .

<sup>2</sup> سورة الكهف، الآية (77)، ﴿فَانطَلَقْنَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيْنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأْنَا أَن يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ۗ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۗ﴾.

في الحكاية الأسطورية "الأسماك الذهبية" لعين الحوت<sup>2</sup>، ونكت، وطرائف، وغيرها من الأجناس الأدبية المكتوبة والمروية بالفصح وبالعامية، وهي تحتفظ بأسماء تحولت وأخرى اندثرت ولم يعد لها أي استعمال في واقعنا اللغوي الحالي.

ولأنّ الطبونيميا تفرعت عن الأسمائية أو الأنوماستيكا، مجال علمي يبحث في أسماء الأمكنة، توجب علينا الاهتمام بقائمة اسمية تمثل معجماً خاصاً لها، وبالتالي لا بدّ لنا من مدوّنة نستقي منها هذه الأسماء، ولا بدّ لها من جرد، وتصنيفها وفق موضوعات أو مجالات للوقوف عليها.

فهي إذن من المباحث اللغوية ذات الطابع المعجمي، وقد اهتم العرب قديماً بهذه المعاجم<sup>3</sup> التي تبحث في أسماء أعلام الأشخاص والأماكن، واهتموا بدلالاتها وهي كثيرة، إلاّ أنّها في عصرنا أخذت منحىً آخر، إذ اهتمت في البحوث اللسانية المعجمية التي تستلهم مناهجها، وإجراءاتها، وأدواتها من نظريات ذات أسس خاصة، تتسع إلى علوم أخرى، ركيزتها روافد معرفية لتحديد الوظيفة الدلالية للاسم العلم، وغيرها من الوظائف التي نتجت عن الدراسات اللسانية الحديثة منذ أواخر القرن التاسع عشر.

فالكلام عن اسم العلم في الذخيرة التراثية يسمح لنا بإعادة النظر في ملامسة اللغويين القدامى للموضوع، وإعادة النظر فيه وفق النظرة العلمية الحديثة.

ذلك أنّ المدوّنة التي نعتمدها في اللسانيات المعجمية تختلف عن تلك التي تبناها القدامى في المباحث المعجمية القديمة، أثناء تداولهم للعناصر اللغوية المعجمية العامّة في القواميس العادية<sup>4</sup>.

1 يا قوت شهاب الدين أبو عبد الله الحموي. معجم البلدان، ج1، القاهرة، 1906، ص424.

الآية (65) من سورة الكهف، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا نَدُّوا عَلَّمَ﴾.

2 الأسماك الذهبية، يرويها ويليام مارصي

3 قدم العرب أعمالاً لا تزال تحتفظ بقيمتها المعجمية في الدراسات العلمية الحديثة، ومن هذه المؤلفات :

كتاب الاشتقاق لأبي بكر بن دريد (ت323هـ) وهو يتناول اشتقاق أسماء الأشخاص، ومعانيها، ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري (ت487هـ)، ومعجم الأدباء، لياقوت الحموي (626هـ)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وهي اهتمامات لا تختلف عن النمط القاموسي لمؤلفاتهم.

4 المقصود بالعناصر اللغوية المعجمية في القواميس القديمة وحدات الكلم أو ما يقابله باللغة الأجنبية Monème.

## 2 - ارتباط الأسماء بالأعلام بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية

ارتبطت أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن بالمهن التي راجت في تلمسان، فهذا اسم قهواجي في العائلات التلمسانية (الذي يشتغل في مقهى)، وسعاجي الذي يمتحن إصلاح الساعات وبيعها، قلايجي اسم تركي، وهو الذي يشتغل بالقصدير(قصديري)، وهذه الصناعة كانت رائجة بتلمسان إلى عهد قريب، خاصة صناعة الأواني النحاسية، وهكذا الأسماء التي تتردد وتعرف شيوعاً في تلمسان، وفي مناطق كثيرة من الجزائر، وهي ترتبط بالحرف التي يمتنها بعض السكان.

ولعلّ العهد الزياني يسجل فترة زاهية ومكانة اقتصادية عالية عرفتها تلمسان على مستوى المغرب العربي.

ولعلّ هذا الجو أسهم في رفاهية أهل العلم وطلابه، إذ تمكنوا من الانسجام مع النشاطات التجارية والحرفية، فانفتحت أمامهم فرص النجاح العلمي والمالي.

وقد أسهم هذا النمو الاقتصادي الذي عرفته تلمسان في العهد الزياني، في تشجيع أهل العلم على الاشتغال بحرفة التجارة، بالموازاة مع النشاط العلمي، فكانت حركتهم في القيصارية والمحلات التجارية والحرفية في وسط المدينة - خاصة المجاورة الجامع - مجعماً للعلماء<sup>1</sup>.

### 1 - النشاطات المهنية في تلمسان

ويعدّ موقع تلمسان القريب من الموانئ الساحلية عاملاً أساسياً في ازدهار اقتصادها، ولكونها في ملتقى طرق تجارية كبيرة، أهلها ذلك لتحتلّ مكانة عالمية، ونظراً لهذه العوامل راجت بها السلع الواردة من دول عديدة، ما جعلها تكون مركزاً دولياً للمبادلات التجارية بسبب موقعها.

---

<sup>1</sup> من الذين نشطوا في حقل التجارة : الشيخ العالم الفقيه، أبو إسحاق إبراهيم بن مخلف التنسي (ت680-1280)، وتولى أبو العباس بن القطان باستثمار بعض أمواله في التجارة، وابن القطان، اشتغل بالخياطة، والتجارة بين فاس وسبتة وتلمسان، وبجاية، حتى كثر ماله، وانتهى مستقراً وتاجراً بالقيصارية.

وفي مدينة تلمسان تعددت المهن والنشاطات التجارية والثقافية، وكثرت بها الأسواق والورشات المختلفة والدكاكين التي تعرض السلع على أنواعها<sup>1</sup>.

وتلمسان بطرقها القديمة وأزقتها، تنتظم وتتناسق تماشياً مع توزيع محكم للمحلات التجارية من جهة والمحلات الإنتاجية والمهنية من جهة أخرى، وهي لا تخلو من مساحات<sup>2</sup> في الأحياء التجارية لتجمعات المتسوقين وراحتهم.

أما تلمسان اليوم، فلا يمكن لزائر أن يأتيها دون أن يزور دروبها العتيقة، وبخاصة الأحياء القديمة والتي لا تزال تزخر بدكاكينها وحوانيتها الواقعة بهذه الدروب التي تعج بالماراة والمتسوقين.

ولعلّ ما أضفى على تلمسان هذه المكانة المرموقة لتجارها، ما كانوا يتصفون به من أخلاق حميدة في تعاملاتهم ونزاهتهم في بيوعاتهم مع الناس<sup>3</sup>،

### الشكل رقم: 25

مدخل درب السرور من جهة باب الجياد، وهو يقابل درب الموصول الذي يؤدي إلى درب سيدي حامد.

أما عن درب السور الذي تبينه الصورة فهو يؤدي إلى عرسة ديدو التي يتواجد بها اليوم مربب كبير للسيارات، وساحة كبيرة



<sup>1</sup> الحسن الوزان، وصف إفريقية، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983، ط 2، ج 1، ص 19.

<sup>2</sup> المساحات : التربيعات مثل تربيعة ندرومة والرحبات كما هو الحال في الرحبية، صغير رحبة ، الباحة مثل باحة الرمي بوسط تلمسان أين تكثرت الأسواق والتجارية.

<sup>3</sup> ومن هذه الشهادات، ما أدلى به حسن الوزان حول التجار، والإشادة بأخلاقهم وإخلاصهم مع الجميع، وفرط حرصهم على المحافظة على المكانة التي كانت تحتلها مدينتهم ، وهو الأمر الذي أعطى هذه المدينة الرواج التجاري ووفرة المؤن وتنوعها.

أما في درب سيدي حامد فيوجد ضريح الولي الصالح "سيدي حامد" والذي يوجد به مصلى يلتقي به التجار والحرفيين عند أوقات الصلاة لأنه يقع في الدرب الذي يحمل اسمه، ويعدّ من أشهر دروب تلمسان التجارية، وهو أيضاً مقصد النساء للتسوق، ففيه تعرض السلع المصنعة التي تعطي صورة واضحة على حيوية النشاط بها<sup>1</sup>.

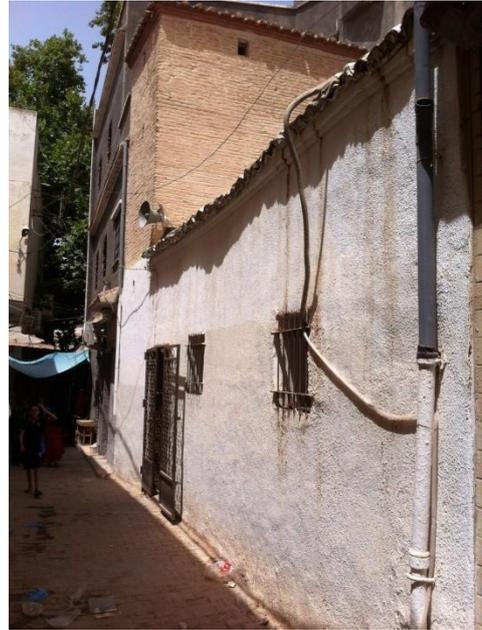
### الشكل رقم : 26

مطعم قديم في درب مولاي الطيب قرب سوق الغزل وأسفل الجامع الكبير كان يرتاده أصحاب الحرف والتجار في الأحياء الشعبية، وهو بجانب السوق



### الشكل رقم : 27

هذا الدرب يقع في وسط المدينة العتيقة به نشاط تجاري منتشع النضير، وبه ورشات صغيرة للحرف وبه مسجد سيدي حامد الذي اشتهر به هذا الدرب وهو في حي القيسرية. ودرب سيدي حامد اليوم خاص بالراجلين لضيق ممراته من مختلف الجهات، ولا يسمح بمروءهت إلا مساء بعد غلق



- درب سيدي حامد -

ب - الأسواق التجارية

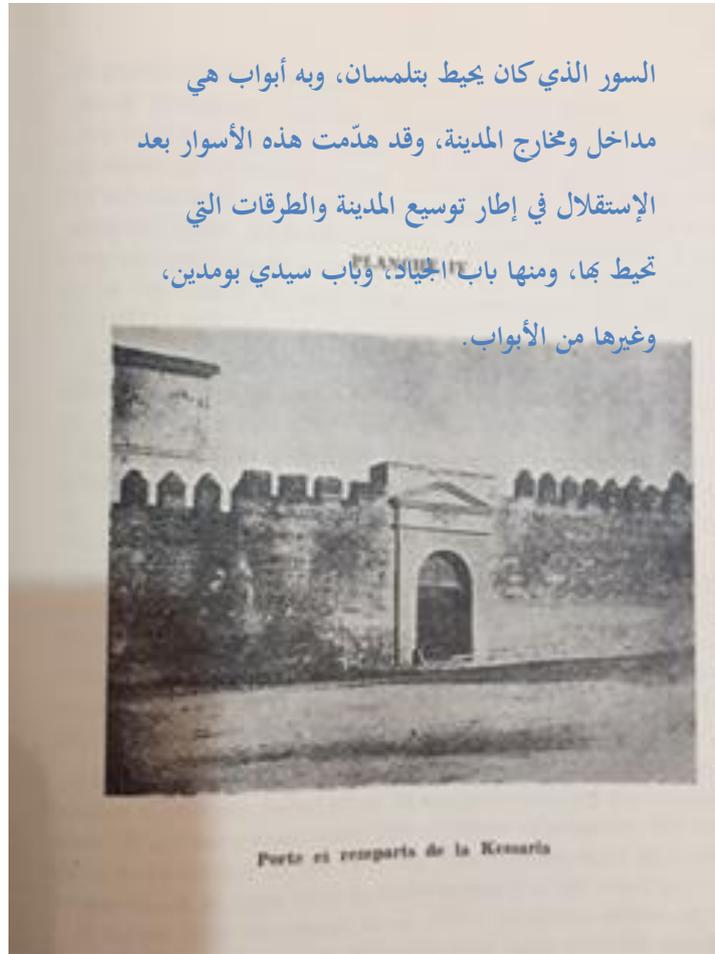
<sup>1</sup> الحسن الوزان، وصف إفريقية، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة 2، ج 1، السنة 1983 ص 19.

ولعلّ ما يعرف بسوق القيسارية الذي ازدهرت به التجارة دوماً ولا تزال، يعد من أكبر أسواق تلمسان في تاريخها التجاري، فهذه السوق، كانت توجد بها أماكن لراحة الحمير والبغال وتوقفها، لاستعمالها في نقل البضائع من السوق وإليها، ويطلق عليها اسم الفنادق، ولا يزال بعضها باقياً يشهد على تلك الحقب، وبعضها الآخر تحول إلى مؤسسات أخرى ذات ذابع تجاري كالفنادق وغيرها<sup>1</sup>.

وفي هذا السوق الكبير المعروف بالقيصارية (أو القيسارية)، والذي تنوعت التجارة فيه، كان يصل إلى سور تلمسان المعروف بالجدار (Rempart<sup>2</sup>)، الذي تتواجد به باب القيسارية.

#### الشكل رقم: 28

الصورة كما تظهر بها باب القيسارية في سور كبير يحيط بالمدينة، وخارج الأسوار تتواجد الأحواز.



<sup>1</sup> في المرحلة (1282-1299) بدأ تثبيت الدور التجاري على الساحة الجهوية، ففي 1286 تمت اتفاقية تجارية بين المملكة الزيانية ومملكة أراغون الإسبانية، توجت ببناء مركز تجاري إسباني في منطقة الشمال الشرقي للمشور، وهي سوق القيسارية. ولا تزال إلى يومنا.

<sup>2</sup> وضع الصورة أعلاه Lecocq

وكان يتواجد بالسوق أماكن لتلاقي المتسوقين وراحتهم، فعرفت هذه الأماكن بأسماء مختلفة، منها : التريعات والرحبات، منها رحبة الزرع، والرحبية، ومساحات أخرى في الأحياء تعود ملكيتها للتجار وأهل الحرف والصناعة، وهي موجودة في مختلف أحياء مدينة تلمسان ودروبها، وفي أسواقها العامة، طما هو الحال في ساحة الرمة (الرمى) والتي تؤدي إلى باب سيدي بومدين مرورا بجامع سيدي يعقوب الذي لم يبق منه إلا المكان<sup>1</sup>.

فنشاطات الخراطة وخياطة الملابس ونسخ المصاحف، والكتب وبيعها، في سوقي الملابس والكتب كانت رائجة ومعروفة لدى التلمسانيين، واشتهروا بها حتى أنهم كانوا إذا حجّ أحد من مدينة تلمسان إلى البقاع، يشتغلون بالتجارة خلال سفرهم إلى البقاع المقدسة وأثناء عودتهم.

وعُرفت هذه الساحة بازدهار النشاطات الحرفية والصناعية، وقد تغيّر حالها في العقود الأخيرة لتأكل بنايتها، وتقادم الدروب التي تحيط بها خاصة تلك المؤدية إلى باب سيدي بومدين.

---

<sup>1</sup> مرمول كرنخال، إفريقية، ترجمة: محمد حجي وآخرون، الرباط: دار نشر المعرفة، 1988-1989، ج.2، ص

الشكل رقم: 29 بين صورة لمكان مسجد سيدي

يعقوب ولم يبق منه إلا منه شيء.

وهذا الدرب يبرط ساحة الرمي بباب سيدي بومدين، وكان شاهدا على نشاكات حرفية بمختلف الأنواع، ولم يبق من هذه النشاكات الحرفية إلا القليل، نظرا لقدم البناءات وعدم صلاحيتها للتعمير لقدمها وهشاشتها.



وتواجد بتلمسان أسواق عديدة في داخلها وخارجها بمحاذاة السور، وأسواق أسبوعية لا تزال تنشط إلى يومنا في (باب سيدي بومدين)، وأخرى موسمية.

وكانت معظم هذه الأسواق موزعة بوسط المدينة، في ساحاتها وشوارعها، وتعددت نشاطاتها وتنوعت، إذ اشتهرت بالخياطين والنساجين، والعشابين والعطارين، والصاغة، وسوق الخضر والفواكه الذي كانت تحيط به المتاجر من كل الجهات ولا تزال.

قد يُعرف سبب كثرة الأسواق<sup>1</sup> بتلمسان بمجرد الوقوف على النشاط المفضّل عند سكانها، فهم يمارسون نشاط التجارة على نطاق واسع، إذ مارسها العلماء والشيوخ على حدّ سواء<sup>2</sup>، ومنهم من كان يمتهن صناعة الحياكة والخياطة، والنسيج بأنواعه، ومنه المنسوج للنساء وتجهيز البنات للأعراس، وكانت هذه المصانع والدكاكين منتشرة بكثرة في الدروب والأزقة وفي

<sup>1</sup> تعددت الأسواق بتلمسان، فسوق القيسارية يعدّ من أكبرها، ومنها: سوق الحدادين، وسوق الصباغين في شرق المدينة، وسوق السراجين والقبابين وسوق منشار الجلد وسوق الكتب، سوق إسماعيل، وغيرها وهي متشرة في أماكن تباينة بأحياء تلمسان. ينظر كتاب البستان لابن مريم، تحقيق محمد بن أبي شنب، ص 79، ومحمد بن مرزوق الخطيب، مخطوط، الرباط 12 - 46.

<sup>2</sup> من أمثال هؤلاء العلماء والفقهاء: أبو يزيد عبد الرحمن النجار والخطيب، وأبو زيد بن أبي العيش وأبو إسحاق الخياط وأبو عبد الله محمد بن مرزوق، وأبو العباس بن القطان وأبو إسحاق التنسي، زلعلّ دكاكين القيصرية ودرب مرسى الطلبة بتلمسان أكبر شاهد.

السوق الكبير المعروف بالقيصارية (أو القيسارية) والذي يصل إلى سور تلمسان الذي أشرنا إليه أعلاه، والمعروف بالجدار (Rempart)، الذي تتواجد به باب القيسارية (ينظر الشكل رقم).

ولعلّ هذه الحرف خاصة تلك المتعلقة بالنسيج، لم تكن حكراً على النساء، فقد اختص الرجال بصناعة سروج الخيل. وتفنّوا في تطريزها بالخياطة المذهبة والفضية، ونوّعوا منتوجاتهم وأبدعوا في زخرفتها، كما استعملوا أفضل أنواع الجلود. في صناعة السروج، وامتحنوا حرفة تطريزها، ولا يزال هذا الفنّ يعرف نشاطاً في يومنا، وهو يشتهر بالمصطلح الشائع "المجبود".

كما نشطت في تلمسان حركة تجارية غير معلنة سادت المدينة إلى عهد قريب، ألا وهي نشاط تجاري يخص المحلات ذات الطابع الحرفي أو التجاري فقد دأب السكان - وحتى تلك التابعة للأوقاف - على كراء هذه المحلات التي كانت تابعة لمنازل في الأحياء السكنية للخواص<sup>1</sup>، في مثل أحياء القيسارية وحي ودرب السلسلة وباب الحديد، ودرب النعيجة، ودرب حلاوة وغيرها، إلا أنّ كثيراً منها أغلق نظراً لتقادم البنايات واهترائها، ولم تعد صالحة لأي نشاط حرفي أو تجاري.

لكن نمطاً آخر من أنواع النشاطات ساد المنطقة على يد فئات أقل درجة من السابقة، وهذا الصنف من العمال من سكان مدينة تلمسان - ولو أن نشاطهم ارتبط بالتجارية، إلا أنهم لم يرتقوا إلى صنف التجار، بل كانوا في مرتبة أدنى، ومكانة الاجتماعية ومادية أقل، على الرغم من الأعمال الشاقة التي يمارسونها بالأسواق المحلات الحرفية، وهم ما يعرف بالسوقة وباعة الطرق، ومنهم: شريحة الحمالين، والدلالين، والبراحين، والجلسين، دليبي القوافل التجارية، وحرّاسها، وهم من أفقر الطبقات العاملة في التجارة، ونعوتهم بأوصاف وألقاب تنوعت وتعدّدت، ومنها: الرعاع، وأوباش السوق، ووصفتهم كتب الحسبة، بشتى النعوت، وكان عددهم في تزايد مستمر<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن الزيات أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، الرباط، منشورات كلية الآداب، 1984، ص 447-448.

<sup>2</sup> الحسن الوزان، وصف إفريقية، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 1، ص 19.

وفيما يخص، إعادة تنظيم هذه الهياكل التجارية التي كانت تزخر بها تلمسان عبر مسارها التاريخي، فقد تداركت السلطات المحلية بعض هذه المعالم في أيامنا، وأعدت ترميمها بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، وبقي الكثير منها بدون استغلال، خاصة ما كان منها في دروب الأحياء العتيقة التي هجرها السكان.

لكنّ الذي يعرف تلمسان وطبيعة أرضها، كان يدرك أنّها تشتهر بمحصول الزيتون، وكثرة مطاحن الحبوب، والمعاصر لتستجيب لمتطلبات وفرة الزيتون، خاصة على ضفاف أوديتها ومنها: -وادي مشتكانة :

**وادي الصفصاف :** ومنها طاحونة دار العبادي نسبة إلى العباد، وهي تقع بين الصفصاف وحي عين الدفلى، ولا تبعد عن مدينة تلمسان إلاّ ببضع كيلومترات، وكانت معالمها باقية إلى عهد قريب (بعد الاستقلال من الاستعمار الفرنسي)، وهي اليوم أرض فلاحية بها أشجار الفواكه.

واشتهر وادي الصفصاف بغسل الصوف من قبل النساء، وفي هذه المنطقة من الوادي اشتهرت باسم وادي الصوف أو قلّة الصوف كما كانت تسمى، ولا تزال تحمل إلى يومنا هذا الاسم الذي اتخذ من الصوف قرينة يعرف بها الوادي في مكان معين من مجراه، ولا يبعد إلاّ ببعض المئات من الأمتار عن حي سيدي عيسى ومن الجهة الأخرى يفصله عن قرية الصفصاف وقرية المضيق، الطريق الوطني الرابط بين تلمسان ومدينة سيدي بلعباس.

كما كان الرجال يغسلون الجلود ويدبغونها في المناطق التي تتوفر على المياه كالأودية والعيون، ففي حي القصارين - بأقادير - مثلاً عرفت العين بـ "عين الدباغين"، واشتهرت إلى يومنا بغسل الجلود ودباغتها.

أمّا عن بعض المناطق المحيطة بتلمسان، والتي اشتهرت أسماؤها بدلالات توحى بالعلاقة التي تربط الاسم العلم بدلالته فهي كثيرة، ولعلّ وادي الزيتون من بين الطبونيمات التي تمثّل هذه العلاقة بياناً لذلك البعد، فهي تابعة في التقسيم الرسمي لبلدية صبرة، وكما يدلّ عليه الاسم، فهي عبارة عن حي (قرية) يقع على جانب الوادي الذي اشتهر بأشجار الزيتون على طولته إلى

أن يصل إلى الطريق الرابط بين مفترق الطرق المسمى 35، والذي يربطه بتلمسان، ولعلّ الشهرة التي عرفت بها بلدية صبرة بزيتونها وزُيوتها تعود إلى هذا المكان الذي تغطيه أشجار الزيتون (الوادي).

ولعلّ منافذ تلمسان إلى العالم الخارجي في اتجاه الجنوب، هو أيضاً كان مصدر دخل لسكان تلمسان فزاد في رواج تجارتها وتوسيع نشاط أسواقها ببيع المواشي، وتزويدها بما يأتي من خارج الأسوار.

ففي جبال ترني بـ "بني ورنيد، التي اشتهرت بغاباتها، كانت الممّول الرئيسي لتلمسان بالخطب والفحم والمعز وغيرها من المواد التي تحتاج إليها المدن الكبرى، وتأتي من بوادي تلمسان التي لا تبعد كثيراً عنها .

وغير بعيد عن هذه المنطقة، نجد سهل وادي الوريث بضواحي تلمسان، فهو يتوقّر على ورشات صناعية اشتهرت بإقامة المهاجرين الأندلسيين بها، والنشاط فيها، ونقلوا معهم صناعات في فن الطرز والنسيج الحريري، والصناعات الصوفية، والكتان والقطنيات وغيرها من الصناعات من واني منزلية، ومعامل الفخار والخزف.

لا عجب إذا علمنا أن المرأة التلمسانية من الطبقات المتوسطة الشّغيلة - التي تنتمي لعائلات فقيرة أو متوسطة - لم تكن أقلّ إيجابية من الرّجل، فهي تشارك في العمل لتغطية تكاليف الحياة المالية للزوج، فكانت تمارس في بيتها حرفة النسيج من القطن والحرير والصوف دون حاجة للخروج من بيتها، وهكذا تكيفت مع العرف الذي يتحكم فيها وتلاءمت مع البيئة التي تعيش فيها، وأخضعها لتلبية حاجتها من المال أو النفعية وفق العلاقة التلازمية للتكيف الإنساني مع بيئته<sup>1</sup>.

ولعلّ من أهمّ الحرف التي اشتهر بها سكان تلمسان وإلى عهد قريب، كانت صناعة الأحذية للرجال والنساء، أو ما يسمّى بـ "البلاغين" نسبة إلى صناعة البلاغي (مفرده بلّغة)،

<sup>1</sup> توفيق حداد، محمد سلامة آدم، التربية العامة، ديوان المطبوعات المدرسية الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1977م،

وهذا ما جعل تجارة الجلود رائجة بل وصناعتها، وتفنوننا في تزويقها بكل الأنواع وقد بالغوا في التفنن بأحذية النساء، منها ما هو للاحتذاء اليومي، وغيره للأفراح، ومختلف المناسبات، ولكل حالة ما يناسبها من أنواع. فأحذية تلمسان كانت ذات شهرة كبيرة بفضل جودتها والتفنن في صناعتها، وكانت لها متاجر خاصة في أسواق تلمسان.

### ج. المهنة التراثية وعلاقتها بالنسيج الاجتماعي

ارتبطت أسماء الأشخاص وأسماء الأماكن بالمهنة التي راجت في تلمسان، فهذا اسم صبابطي للحرابي الذي يمتن حرفة "إسكافي" من الإسبانية (زباطو) ZABATO و من الفرنسية (صفات) SAVATE، ومن الأندلس صباط، ومجموعة من الألفاظ التي تنتمي لعائلة استبدالية واحدة في الإسبانية، ونقلت إلى الاستعمال العامي العربي الجزائري، واستمرت إلى ما بعد استقلال الجزائر عن الاحتلال الفرنسي، ومنها سبردينا، وهركاس، تشنكله، بومنتل،<sup>1</sup> وقهواجي في العائلات التلمسانية (ممتن شغل في مقهى)، وسعاجي<sup>2</sup> الذي يمتن إصلاح الساعات وبيعها، وهكذا الأسماء التي تتردد وتعرف شيوعاً في تلمسان، وهي ترتبط بالحرف التي يحترفها بعض السكان.

ومنهم من اشتهر بجلب الغنم، وسمي جلاباً<sup>3</sup> Aptonyme، كما هو الحال مع أبي علي الحسين المعروف بـ "الجلاب"، وخاصة النسيج بأنواعه والصبغة والدباغة وغيرها، ووردت هذه المهنة في أشعارهم ومؤلفاتهم، وهو ما خلدها بأسمائها القديمة وحافظت على بعض معالمها إلى يومنا.

<sup>1</sup> Hadj Omar Lachachi, SAUVEGARDE de notre PATRIMOINE ANCESTRAL, magharibo-andalou, Editions IBN KHALDOUN, TLEMCEN, SD, P 55 .

<sup>2</sup> يوجد في تلمسان أسماء أعلام لعائلات بهذه الأسماء واشتهرت بها عائلات تلمسانية لا تزال تعرف بها إلى يومنا، ومنها، قهواجي، وسعاجي، وطراح، وخباز ..

<sup>3</sup> اشتهر أبو علي حسين بـ "ابن الجلاب" لأن والده كان يتاجر بالغنم، ولما افتقر وذهب ماله اشتكى لابن مرزوق من ضيق حاله، فأقرضه مالا وأوصاه باتباع حرفة والده، ببيع المواشي (السبايي)، فكان ذلك عاملاً على رفاهيته وشهرته في مدينة تلمسان، وعرف بالجلاب وهو الاسم الذي اشتهر به أي اسم المهنة.

ففي تلمسان العتيقة يوجد دروب كانت تمثل خلية نحل في نشاطها الحرفي المتكامل ،  
ففي درب حلاوة الذي لا تزال بعض الآثار المادية تشهد على ذلك، نجده يحافظ على بعض  
النشاطات الحرفية والتجارية إلى يومنا.

### الشكل رقم: 30

درب حلاوة ، نّحج المرابطين سابقاً وهو يبدأ من  
شارع باب الجياد إلى أن ينهي إلى مسجد سيدي القلعي  
بالشارع الذي ينحدر من درب سيدي حامد ويتقاطع  
معه.

وهذا الدرب لم يعد به النشاط الذي كان يزخر به من  
محلات مهنية وحرفية ، ولم يبق منه إلا القليل وجل  
المحلات مغلقة وفي حالة غير مؤهلة لتأدية وظائفها.



وكذلك عرفت الأحياء أخرى من تلمسان - وهي كثيرة - نشاطاً حرفياً منقطع النضير  
في مجالات تحتاج الفضاء الأوسع للقيام به، كما هو الحال في صناعة الفخار والقرميد وغيرها،  
في مثل شارع الفخارين الذي لم يعد إلاّ حيّاً سكنياً أو بعض المؤسسات الإدارية والمالية،  
ويتواجد به ضريح سيدي الوضاح الذي يمثل الآن حيزاً صغيراً لا يزيد عن مكان الضريح.

### ثالثاً : الشعر الملحون التلمساني

يعتبر الأدب الشعبي ميدانا تطبيقيا منه تنطلق الأعمال العلمية، وهو مصدر العينات  
الدراسية في أي مجال معرفي لأنه النص - المكتوب والشفوي - الذي يحمل المعلومة التي نبحث  
عنها في التراث العربي لهذه الأمة.

وإذا كنا نعتمد المكتوب في دراستنا هذه لما له من مصداقية في أغلب الأحيان إلا أننا كثيراً ما نعتمد على المنطوق المتداول في فهم هذا التراث المكتوب، نظراً لأهميته في اتخاذ مرجعية معجمية لأسماء الأمكنة.<sup>1</sup>

ولعلنا في هذا التراث المكتوب الذي وصلنا بلغات من عرب وغيرهم يمثل مادة غزيرة نستند عليها للوقوف على محتوياتها، ولم تكن متوقفة على الشعر بل نجد مادة غزيرة في النثر وفي مختلف الأغراض، من قصص، وأحاجي، وحكايات، وأمثال، وغيرها مما عبثت به الأيدي فضاع كما ضاعت أشعار غزيرة متعلقة بالموضوع.

## 1 - المدونات الأدبية

تناولت العديد من الأقلام هذا التراث التلمساني في مؤلفات التاريخ والقصص والحكايات - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - وهي شاهدة على ثرائها خاصة في تسجيلها أسماء الأماكن، وذكر بعض المعالم والكنى إلى يومنا هذا.

ولعل الأمر يتسع لأنواع من الأجناس الأدبية المختلفة وغيرها، للوقوف على روافد التراث، فالأحاجي - على سبيل المثال - التي تحكيها الجدات للأحفاد تحمل معها مرويات عن هذه الأماكن التي تنسج حة لها هذه السرديات، واصفة بدقة الأحداث وأماكن وقوعها. وبالنسبة للآباء والأجداد فإن روايات البطولات التي خاضها الأسلاف بقيت محطة افتخار واستذكار للأجداد، وكله يصنّف ضمن التسجيلات الشفوية المكونة لهذه الموضوعات التي لا تستثني المكان.

ونحن في الجزائر لنا ما يمثل هذا المجد في ثورتنا التحريرية التي حملتها الأشعار والحكايات في الفصيح وفي الملحون، وتبقى مقارنته بواقع يشهد له التاريخ ناقصة لكثرة الأحداث التي حققتها ثورة التحرير لتحقيق نيل الحرية والاستقلال.

ولتلمسان قصص قبل ذلك، فكان ابن مرزوق الخطيب أحد هذه الأعلام التي تعدّ أقلاماً بحق لتأريخ وتحليل وضع تلمسان الزاهرة علمياً، وإن كثيراً من العلماء ومن الذين دوّنوا

<sup>1</sup> مصطفى الموالي، عميد معهد التراث العلمي العربي بجلب، ندوة مجمع اللغة العربية بدمشق حول : التراث في

زمن المخاطر، ، دمشق بتاريخ 19 أبريل 2017.

للأدب التلمساني، فصيحته وعامِّيته، لم تتناولهم الدراسات، ولا يزالون في مخطوطات لم ينفذ عنها الغبار<sup>1</sup>.

## ١ - المدونات الشعرية

تعتبر المدونة الشعرية في التراث التلمساني المكتوب من أغزر ما وصلنا مصورا لأسماء أمكنة تلمسان، من مساجدها، وأضرحة أوليائها، ودروبها، وعيونها، في كلِّ موقع يحمل ذكرى من ذكرياتها.

والمدونة الشعرية في الملحون الجزائري تركت بصمتها وبقوة في الساحة الوطنية وفي كل الأغراض الشعرية، لأنها لا مست موضوعات متنوعة تعكس المراحل التاريخية والأوضاع الاجتماعية التي كانت تسود الجزائر عامة وتلمسان خاصة.

إنَّ تلمسان لم تغب في ما تركه شعراؤها، فهم كالشعراء العرب القدامى ذكروا الديار وصوروا الحنين الذين كان ينتابهم، وصوروا العلاقات التي كانت تحكمهم، وذكروا العادات التي تميزوا بها في أشعارهم، وخلدوا الأماكن التي تشهد على حياتهم وذكرياتهم، لذلك كان للمدونة الشعرية أثر في حفظ هذا التراث.

## ب - الشيخ بومدين بن سهلة

وُلد الشيخ بومدين بن سهلة في مدينة تلمسان، ونشأ بها وتعلم في مدارسها، وكان شأنه شأن مواطنيه يمتحن حرفة ليضمن عيشه، وكانت من بين المهن الرائجة النسيج والحياسة (الدراز)، ولكونه وسيم الطالع، حسن الوجه، كان محبوباً ومطلوباً، فعاش في ظلِّ هذا الجو اللأهي، وجرت على يديه حياة الأفراح والمؤانسة، وطاوعته أوقات المنعة التي فتقت قريحته الشعرية لتصوير الأحداث بالملحون الذي يعكس الجو التلمساني آنذاك المليء بالأفراح والطرب.

<sup>1</sup> أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزء الأول، الجزائر سنة 1981.

صور ابن سهلة كغيره من شعراء تلمسان، كلّ التفاصيل عن أحيائها وأماكنها المختلفة، متوقفاً عند قرائن مادية تثبت دقة التصوير الذي انطلق منه، وخصوصية المشهد الذي وقف عنده، وهو لا يتوانى في وصف تفاصيل الموقف، كأن يذكر خصوصية الموصوف وارتباطه بالمكان الذي يجعله مرجعية للأحداث - خاصة العاطفية منها - وتلك التي يتحدّث فيها عن الإعجاب والتأثر، مع وصف المشاعر التي تربطه بالحدث.

فالشاعر في وصف للمرأة لا يتحفظ عن ذكر اسم المرأة وما يميزها عن غيرها دون التحفظ عنهن في أشعاره كما سنرى .

ف "بدره" - مثلاً - التي أطال التشبيب بها، تعدّ محور تكرارية الاسم المعشوق في قصائده، ولم تكن وحيدته في أشعاره، فهي متوالية من الأسماء ترددت، ما يدل على مجونه، وتلوين حياته باللهو والترف في معظم أشعاره التي كشفت عن قريحة تفتقت تبعاً لحياة عاطفية جياشة ملأت زمانه بالتعبير الشعرية المصورة لتنقلات وموصوفات لا تقف عند عتبة واحدة<sup>1</sup>.

## ج - قصيدة يا ضو اعياني<sup>2</sup>

للشيخ بومدين بن سهلة

### الجزء الأول

اعياي يا القمري زرق الجنحان يا ضو      تلمسان جمّل وسعاني سلّم على ناس

كونك سيساني حد لا تقرا فيه أمان

الدرجة نرسلك لبنات البهجة يا زين      روح تغنم فرجة و ادخل على درب السجان

<sup>1</sup> ديوان الشيخ التلمساني بومدين بن سهلة، جمع: الأستاذ محمد الحبيب حشلاف، تحقيق: محمد بن عمرو الزرهوني.

تصنيف: بومدين ابن سهلة التلمساني، نشر المؤسسة الوطنية للاتصال، والنشر والإشهار - الجزائر، الطبعة: الأولى، 2001م، ص 19.

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص 91.

تفرج لا تنجى من البها والزّين الفتان

حمام بقلبك مشروح من ثم اعزم روح يا تلقى زهو الروح في السويقة عند الفران

خاطري و دليلي حيران بهواها مجروح

من ثم عول درب مسوفة<sup>1</sup> له ادخل تغفل حوّس بعينك القران بالك لا

كيف زمان الزين الكامل يا ترى باقي

من ثم أعط زوره لعند كحل السالف بدرة البدر حين بيان ضاوية الغره شبيهة

ما ريتو في امرا زينها وبهاها فتان

يا سابغ الاملاح عند سيدي الشعار ارتاح البان كف من التنواح شف من نهوى غصن

مطبوعة الاملاح فاطمة شقيقة بن نعمان

سيدي لحسن لا غير من ثم اعزم طر لدرب وادخل باب زير فاقد أهلي مع الجيران

حالي بالغربة تشيان زادوني تحيير

انزل باب علي فاقد الزهره واعوالي شطنوا بالي وصار لوني مثل اليرقان من

الأحزان اعدمت أنجالي كل يوم نجدد

يا ولد الطوي نرسلك لدرب المقبي الحفرة يا ورشان فاقد محبوبي في جامع

فضلها ربي بزيناها على جميع النسوان

ثم تبرم لدرب بن حربيط تقدم من توجد حا العارم بنت نسبه غالية الشان

<sup>1</sup> ورد اسم درب مسوفة في البستان لابن مريم

لو نعي نكتم صاحب السريبان يبان

نرسلك لسيدي الجبار يا جيد الاطيار الزين المسرار يندكر ما بين البيبان

يكونوا بلا نار من يراهم يمشي دهشان

سيدي الحلوي الزين الضاوي يامنة في بهواها مكوي خاطري و دليلي حيران

معنوي تكتم سري ليس بيان كونك

يا كحل النجلا طر في الامزان تعلق لا هل بني جملة يحفظك مولانا الرحمان

من درب الغفلة والحسود و جميع الرقبان

اطلع من ثمه فاقد الزهره وفطيمه في الحومة ساكنين معهم جيران عندك

النيران زادوا لي نقمه شوشوني فوق

يا صافي الاجناح عند سيدي اليدون ارتاح انظر بعينيك يا ورشان في الزين الوضاح

نعمان ثمه راه افتح ورد فاح مع بن

ثمه فتنوني يامنة والشوش وعيني ليلة بايت سهران بهواهم راني كل

- الجزء الاخير -

يا غالي الشان اش يصبرني على فراقهم

يا قمري تطلع نرسلك لراس المصدع بصافية في زقاق الرمان راني متولع

زمان بها متطمع الله يجمعنا كيف

يا صافي الجنحين طر وانزل في الصبانين      البان فاقد كحل العين شف من نهوى غصن

من فات البدرين زينها وبهاها فتان

نرسلك لدرب الحوات يا زين الدرجات      ثم ظل و بات عند طول علام الميدان

مسبوغ الرمقات فاطمة قامة عود البان

تافرطة ليه ادعى من درب الصنعة      تصيب رباعه لابسين الشاش و روان

ربيعه مريم و ميره يا ورشان ستي و

البالي يا زهو أنجالي نرسلك للقصر      يحضيك العالي لا تساعف في شيطان

اعزم و خبرني باللي كان بلغ سؤالي

ثمه يا قمري كامل الزين ضيا بصري      فضحت سري جفلوها اعلام النسوان من

بلا دخان نارك يا بدرى اقدات في الجوف

افهم ذا المعنى زيد يا قمري برزانه      خانة ذكرها من باب ايلان افقد بو

النسوان فضل مولانا زينها عن جمع

إذا كنت طرقي نرسلك للسوق الفوقي      سيدي عمران في درب الشوقي عند جامع

ثمه كثر شوقي وخفت سري للناس بيان

ذكرت اسم زهو الروح خفت السر ييوح إذا      القلب المجروح خايف على قلب الوسنان

مقروح من هواهم جرعت امحان لاني

القلب هوى ليك رياض بن فارس بين يديك      فاقد من يهويك يا لقمري زرق الجنحان

يهديك الرحمن بألف سلام عليك ترجع لو

يا زين الجنحين نرسلك تمشي لي في الحين في الأمان لدريبة بن سكين شفها ورجع

انظر بحر الزين انشهر في بلد تلمسان

يا صافي الاهداب باب الحديد تطوف الادراب آه على من صاب يعطفوا لو بعد التيهان

علينا الاحباب طولوا الغيبه يا ورشان

يا زهو الخاطر لا تخل دار على الامر وادخل المشور بالك تخاف من الديوان

مكتوب مقدر كل ما يجري للانسان

ثمه شي هيفات زينهم فات على البنات طمووم وجنات و أم الحسن زين الفتان

بلا جنحان بها الروح فنات والعقل طار

طر واعزم في الحين للقصبية و الغسالين انشهر فوق الربع اركان ثمه طاح الزين و

حتى من قرغلين و الحضر و جميع السكان

ذا الزين المكمول شي بناوت في درب الشول خلاوني بهلول خاطري و دليلي حيران

لهم مرسل بالرضى والجود وحسان رح

بقباله ما كان مسالة ولا حديث إلا في درب ملالة ياك ريت عراض الغزلان

تعذب العاشق بالتيهان طفلة زعباله

يا قمري نوصيك درب الغفلة ما نوريك من يبغيك زينها في البهجة سلطان انظر

مجدد سلوان في الدهر الغاويك كل يوم

من ثمّه تهاوي يا حمام لدرب حلاوة زينها مكمول لحسان حالعارم نُهوى

الشبان دعوتها دعوة شيبتي دون

يا جيد الاطيّار نرسلك لدرب السمار يا قمري تنظر بعيان تاتيني بأخبار

الامزان البرق السيار القمر والشمس في

كل زين سباني وتلف عقلي يا تمحاني جامع سيدي الوزان في درب الملياني عند

بن سهلة راني العفو طالب من عظيم الشان

## 2 - التحليل الأدبي والطبوني للقصيدة

### 1 - الوقوف على طبونيمات تلمسان في القصيدة

يا ضو اعياني يا القمري زرق الجنحان جمل وسعاني سلّم على ناس تلمسان

كونك سيساني حد لا تقرا فيه أمان

في هذا البيت الأول من الجزء الأول من قصيدة "يا ضو اعياني" للشيخ ابن سهلة التي يصف فيها المرأة التلمسانية ويتتبع أوصافها وسيرها وتنقلاتها عبر محطات ودروب في مدينة تلمسان، مستعملاً القرائن المكانية (الأسماء الإعلامية) بمسميات العصر، وباغتراف معرفي كان سائداً في أيامه<sup>1</sup>، لم يكن الشاعر ليرتدّد في وصف المرأة والتشبيب بها في كل الأماكن والأحوال، وكأنه يقف معها في جميع دروب تلمسان، وفي كلّ موقع يذكر واقعة يصف أحداثها بتفنّن الوهّان الذي يصف دقائق الأوصاف دون تردّد ولا إحجام، ليثبت مجونه ولهوه في أيام لا تبدو عليه المبالاة فيها.

<sup>1</sup> نظم القصيدة 'يا ضو اعياني' في القرن الثاني عشر هجري، أي القرن الثامن عشر الميلادي، وهو يصور منظومة الحياة التلمسانية في ذلك العصر، التعليمية والمهنية والاجتماعية، ينظر حياة الشاعر في مقدمة الديوان، ص 18.

ولعل مطلع قصيدته التي تتحدّد فيها الأماكن يبدأ باسم تلمسان النواة التي تلتئم فيها  
أوصاف مخلدة لمعالمها، ومحدّدة لأماكن أحداثها:..

ورد لفظ **تلمسان** في الشعر الملحون التلمساني في العديد من القصائد للدلالة على  
مدينة تلمسان المعروفة بهذا الاسم الذي تحمله اليوم، وهو الاسم الذي توالى على استعماله  
أجيال، ومنها للشيخ ابن مسايب<sup>1</sup> في قصيدة يتنقل فيها، واقفاً على أحيائها، ومخاطباً أهلها  
وفي كل وقفة حكاية ترتبط بقرائن تعدّ من الشواهد التي تحكي متغيرات كثيرة في ظل تغيرات  
الزمن.

### يا ضو اعياني يا القمري زرق الجنحان      جمّل و سعاني سلّم على ناس تلمسان

وردت اختلافات كثيرة حول لفظ تلمسان<sup>2</sup> ومعناه، ومن الروايات التي وجدت في أصل  
هذا الاسم، أنّ لفظ "تلمسان" يعود إلى أصل أمازيغي (بربري)، (تلا و مسان)، (تال)  
ويُقصد به المنبع، و (امسان) ويقصد به الجاف، ليخلص إلى المعنى «المنبع الجاف»<sup>3</sup>، وفي  
المقابل نجد طرْحاً آخر حول المعنى ذاته وهو «مدينة الينابيع»، مع اشتراك في مكوّن أصلي  
واحد للمعنيين والمتمثل في **المنبع**، إلا أنّ تبايناً دلاليّاً يوجد بين المعنيين، والثاني هو الأرجح  
عند بعض الدارسين<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> هي قصيدة "وين البطما" سنقف عندها بعد دراسة طبونيمات قصيدة يا ضو اعياني التي بين أيدينا للشيخ ابن  
سهلة.

<sup>2</sup> تعد تلمسان من أشهر المدن بالمغرب، ووصفت بالمدينة العظمى، واشتهرت بقصورها ومنازلها المشيدة، وتعاقب  
عليها ملوك وحضارات، ينظر: إسماعيل العربي، دولة الأدارسة - ملوك تلمسان وفاس وقرطبة - ديوان المطبوعات  
الجامعية، الجزائر، 1983، ص 140، 141، 143، 142، 146، 145، 144.

<sup>3</sup> ينظر جورج مارصي:  
WILLIAM Marçais, Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, Paris :E, Leroux, 1902.

<sup>4</sup> جل هذه الروايات لا تستند على أساس علمي، وهي اجتهاد لا يقف على مرجعية أو سند يؤخذ به، أو قرينة  
تدلنا على معنى يؤخذ به.

وتعددت الآراء حول البعد التسموي لـ "تلمسان"، ومن هذه الآراء ما ذهب إليه د. يحيى بو عزيز، فهو يرى أنه الاسم العلم "تلمسان"، يتألف من كلمتين بربريتين هما "تلم" ومعناها تجمع و"ان" ومعناها "اثنان" لكونها جمعت بين مدينتي تفرارات<sup>1</sup> التي أسسها يوسف بن تاشفين وأغادير التي أسسها أبو قرّة اليفرني على أنقاض بوماريا .  
وما يلاحظ على هذه الرواية، أنها تقدّم الدال في الطبونيم «تلمسان»، دالاً مزجياً بمدلولين وبروايتين لتخريج هذه الدلالات أو الإيحاءات .:

### 1 . الرواية الأولى : تلمسان تدل على:- المنبع + الجاف<sup>2</sup>

وهذه الرواية تختلف مع الروايات السابقة، فهي تقترب مع ما ذهب إليه مارصي إلى أن معناها من الأمازيغية وهي "تالا" أي بمعنى المنبع، و "يمسان" ومعناه الجاف لتصبح "المنبع الجاف".

وذهب آخرون إلى تخريج آخر يختلف تماماً عن السابق: الدال الأول : تلمسان، يتألف من كلمتين أمازيغيتين الأول "تلم" ومعناها تجمع، و"سان" ومعناها "اثنان" لكونها جمعت بين مدينتين وهما تفرارات وهي التي أسسها يوسف بن تاشفين، ومدينة أقادير التي أسسها أبو قرّة اليفرني.

### 2 . الرواية الثانية : تلمسان تدل على:- مدينة + الينابيع

ويتضح من هذا الرأي أنّ مكونات الدال في «تلمسان» غير واضحة في تحديد المدلولين، بخلاف روايات أخرى، فهي تعتمد على وضع حدود لفظية لتحديد المعاني الممكنة في مثل الرأي الذي مفاده:.

<sup>1</sup> تفرارات : تعدّ مدينة بالنسبة لأقادير لأنها أشئت بعد ما حاصر المرابطون مدينة أقادير في عام 474هـ، إذ بناها يوسف بن تاشفين غرب المدينة المحاصرة، وأطلق عليها اسم "تفرارات" ومثلت مقر الحكم المرابطي، وبنوا بها دار الإمارة والمسجد الجامع؛ فشيّدوا فيها المباني الجميلة، واهتموا بحركة العمران التي جعلتها من بين أهم مدن المغرب. وصارت في ما بعد أقادير وتفرارات تلمسان المدينة التّب عظم شأنها.

<sup>2</sup> WILLIAM Marçais, Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, Paris :E, Leroux, 1902.

ومنها من يذهب إلى أنها تحريف لـ "صيغة الجمع" من العنصر اللغوي "تلمسين" بكسر وسكون فكسر" ، ومفرده "تلماس" ويعني "جيب ماء" أو "منبع ماء"، وبالتالي يكون مجموعته اسم "تلمسان" أي مدينة الينايع.

الدال في تلمسان مكوّن من شقين عربيين هما الدال: «تلم» والدال: «إنسان»، قبل أن تحوّر وتصبح تلمسان، علماً أنّنا نجد من يرفض هذه الرواية بحجة أنّ الدلائل التاريخية لا تدعّم هذه الفكرة، وهو تحريج يُبنى على التطور اللفظي للطبونيم "تلمسان".

**طبونيم تلمسان** : غياب العلاقة الاعباطية التي يتميز بها الطبونيم، والتي تميّزه عن الدليل اللساني، وبالتالي يكون البحث في البعد التسموي لتلمسان بإيجاد هذه العلاقة التي عرف بها المكان بهذا الاسم، (أحداث أو مناسبات تاريخية أو غيرها).  
**عنصر لغوي تلمسان**: باعتباره دليل لساني في أصل اللغة والبحث عن أصل الوضع، كما هو الحال في:

1. الدال الأول ← (تلم) (تجمع).

**الدال الثاني (المزجي): تلمسان**

2. الدال الثاني ← (إنسان) (اللفظ المعجمي لأصل الوضع).

والرواية على شعبيتها، هي أقرب في تمثيلها إلى التفسير العلمي من سابقتها، لأنها تظهر ارتباط الدوال بالمدلولات التي توافق المعنى العام للفظ «تلمسان».

أما ما درج عند العامة بكونها كلمة عربية مركبة من كلمتين تلم -تجمع- وإنسان لتصبح تلمسان. "مجمع الناس" رغم أنه لا يوجد له سند علمي أو تاريخي، فهي من الروايات التي دأب الدارسون في الاجتهاد لتخريجها أو تقديم قراءة لها دون تأسيس.

وهناك تخريجات متعدّدة لهذا الطبونيم، من ذلك، من يرى أن تلمسان، اسم مركب من "تلم" ومعناها "تجمع" و "سان" ومعناها "إثنان" أي تجمع بين التل والصحراء.

وفي رأي ينسب للمقري، "تلشان" ومركبة من "تل" بمعنى "لها" و"شان" أي لها شأن.

وتعددت الآراء والتخریجات للوصول إلى معنى يقنع ، ومن هذه الآراء ما مفاده أنّ تلمسان : جمع كلمة "تلمست" أو "تلماس" وتعني الأرض التي تنعم بالمياه والأعشاب والأشجار، ومنم من يراها تنطبق على مصدر المياه والينابيع.

أما التخریج الأمازيغي، فيرى أصحابه أنه مستوحى من كلمتين الأول : "تلي امسن" وتعني بالأمازيغية "كثرة الظل"، لكثافة أشجارها<sup>1</sup>.

ولعلّ التطور الذي حصل في تلمسان عبر القرون، من كونها معسكر إلى ظهور المدينة في شكل يبين تطور الفضاء العمراني لتلمسان (بوماريا + أقادير + تفرات «المشور» = تلمسان)<sup>2</sup>. رسم تخطيطي تفسير تلمسان > تلمّ إنسان.

وقول مفاده أنّ تلمسان تحريف صيغة الجمع من تلمسين بكسر وسكون فكسر ومفرده تلماس ومعناه جيب ماء أو منبع فيكون اسم تلمسان بمعنى مدينة الينابيع.

ويعدّ البعد الاستعمالي من أهمّ الحوامل الثقافية التي تحدّد الهوية الترابية للمكان، فالقيمة الاسمية ترتبط بمدخل تاريخي يعكس مرحلة لا تتحقق إلاّ في فضاء جغرافي وأحداث وتفاعلات قام بها الإنسان، وتأثر بها وأثر فيها عبر الحقب المتعاقبة تخللها في أحيان كثيرة تغيرات اسمية للمكان وفق هذه المؤثرات.

ولم تحمل تلمسان هذا الاسم على الدوام، بل كانت تسمى بوماريا وأقادير ثم تفرات كما كُنيت بعدة كنى منها : مدينة الجدار ولؤلؤة المغرب وعروس المتوسط.. إلى غير ذلك من الصفات التي اتسمت بها.

وتلمسان كما عرفناها بمياهها وبساتينها، كانت قبل عقود من اليوم تبدو بساطا أخضرًا يمتدّ على مسافات في اتجاه منطقة شتوان، المنطقة التي كان ملوك بني زيان يشتون بها، كانت

<sup>1</sup> هي روايات متعددة لا تستند إلى أساس ولا إلى مرجعيات أو قرائن علمية أو تاريخية، لذلك نورها على سبيل تلاستئناس الموي الشفوي.

<sup>2</sup> هذا الترتيب التعاقبي لهذه الطبونيمات يشوبه اختلاف وتداخل حسب الروايات، فهناك من يعتبر أن أقادير أقدم من بوماريا، لأن أقادير هذه وجدت قديما ثم أعيد بعثها من جديد.

تكوّن غطاءً نباتياً متنوعاً من البساتين الخضراء، وحقول أشجار الفواكه من تين وتفتح وحمضيات وكرز وكروم وغيرها، فكانت لكثير من الأسر التلمسانية قطع أرضية تعرف تنوع أشجارها المثمرة ، ويطلق عليها اسم العرسة، عرسة ديدو، عرسة بن مامشة، غرس الباي..، ورياض ماخوخ، وهي اليوم اسمت وبنيات في أغلبها.

ولعلّ هذا ما يفسر البستان التلمساني الذي لم يبق منه إلا الاسم، إذ استبدل بالاسمت من جميع الجوانب، منها منطقة قراسة التي كانت مثلاً للحدائق الغناء في منطقة فدان السبع مسقط رأس الشاعر الشيخ ابن سهلة إلى غاية عين الدفلى، بل إلى غاية شتوان<sup>1</sup> وأوزيدان، وهي التي أصبحت تعرف بالمنطقة الصناعية لتلمسان.

وإلى جانب ما ذكرناه عن جمال الطبيعة الخلابة لبساتينها وسهولها الخضراء، فإنها تحتوي على منابع طبيعية للعلاج بالمياه الطبيعية الساخنة، في عدة مناطق من تلمسان الكبرى، وفي المدن المحيطة بها، والتابعة لها إدارياً، عين ساخنة صالحة لمعالجة الأمراض الجلدية بمغارة أوزيدان (يقال إنه أصل منبع حمامات بعين الحوت)، ومنها حمام سيدي العبدلي، وحمام شيغر، وحمام بوغرارة، وكلها صالحة للعلاج بالمياه المعدنية الساخنة، كما تضم المدينة «شلالات لوريت» البديعة بمياهها العذبة، وبضواحي تلمسان تتعدد المناظر الجميلة، خاصة بفلاوسن وندرومة وغيرهما من المدن التابعة لها.

ومهما حاولنا أن نقف على موصوفات تلمسان الطبيعية، يستحيل علينا الإمام بكل ما جادت به الطبيعة، لكن الله حباها بهضبة «لاله ستي» تمكّن المتأمل أو السائح من رؤية تلمسان المدينة والتمتع بجمالها، من هذه الهضبة فيقف على نظرة جمالية بانورامية بديعة، لا يتمكن الواصف أن يجمع هذه الصورة الجمالية بمناظرها وأحاسيسها، إلا بالوقوف عليها متأملاً في المدينة المترامية الأطراف، ممتدة على مساحة تزيد على 10 كيلومترات مربع، وقد سعت السلطات إلى تكييف بعض الأماكن في الهضبة ليتسنى للزائرين أن يجدوا مرافق سياحية وترفيهية تمكنهم من مستلزمات السياحة ومقتضيات المكان.

<sup>1</sup> كان ملوك بني زيان يقضون شتاءهم بها، وعليه أطلق اسم شتوان على هذه المنطقة ، التي كانت تحمل اسم تقريي Negrier قبل الاستقلال، وهو ضابط فرنسي ، يقال إنه قتله الشيخ بوعمامة في إحدى المعارك.

## تلمسان مهما أطلنا الطوفا إليك تلمسان ننهي المطافا<sup>1</sup>

ولعلّ ما أصاب تلمسان في توسعها الحضري بعامل البناء الفوضوي، أثر سلباً على نموها الطبيعي، ولم تتمكن السلطات من الحفاظ على المخططات التنموية السليمة التي بقيت نظرية في كثير من الأحوال غير مطابقة للمشاريع الدراسية التنموية للمدينة.

وقد نجم عن هذا الواقع المؤلم هتكاً لفن العمارة في تلمسان، ولو أنه عرف ظروفاً مماثلة سابقة تعود إلى بدايات الاحتلال الفرنسي<sup>2</sup> واستمر طيلة قرون في طمس بعض معالم تلمسان الحضارية السابقة.

نتج عن هذه العشوائية في التمدد الحضري وتوسعاته، تلمسان الكبرى في التحام لم يخطّط له ولم يدرس إلاّ بعد التقسيم الإداري الأخير، وتشكلت من كلّ من المنصورة، وشتوان، والصفصاف، وإمامة، والكيفان، وفدان السبع، والكدية، وعين الدفلى، وأبو تاشفين، وهي تلمسان الجديدة التي لم يتوقف بها البناء العشوائي إلى يومنا، تاركة تساؤلات كثيرة .

ومن جهة أخرى، تزينت تلمسان طبيعياً بسلسلة من القمم الجبلية الصغيرة، كتلك التي تربعت عليها عين الحوت وتلال شتوان التي كانت مغطاة بأشجار كثيفة تلطّف الجو وتقلل من تلوث المنطقة، ولكنّ الغزو الإسمنتي لم يترك لهذه الخصوصية الصحية أثراً.

تلمسان بما حباها الله من جمال طبيعي رغم التغيرات التي أدخلتها يد الإنسان فأفسدتها، لا تزال تسجل مسحتها الجمالية الموروثة التي حافظ عليها تاريخها المجيد، فكانت الثقافة المتميزة للمنطقة، بتنوعها وزخمها، لا تزال شاهدة على تميز منقطع النضير، فتراثها الضخم الذي سجله رجال كانوا بالأمس هنا، هم من كبار العلماء.

<sup>1</sup> البيت من قصيدة للشاعر مفدي زكريا. ينظر : ديوانه، فقد ذكرها في عدة مرات واصفاً جمالها ومادحاً أهلها، وفي الإلياذة ذكرها عدة مرات.

<sup>2</sup> André Lecocq, TLEMCEN Ville Francaise (1842- 1852), Tàme 1<sup>er</sup>, P 85.

ومن الشعراء، أمثال: بومدين سهلة، الشيخ ابن مسايب، ابن التريكي، وغيرهم كثير ممن تغنوا بالمرأة والأرض، فوصفوها وربطوا شعورهم الانتمائي بها على ما دأب عليه القدماء، فالأرض والمرأة كلامهما يرمزان للخصوبة واستمرارية الحياة، وهما مرتبطان بالزمان والمكان، وهما يرمزان للعطاء، فتغنى بهما الشعراء، واستطاعت لغتنا العربية أن تحافظ على هذه المعاني، وتحملها في أنساقها اللفظية والدلالية<sup>1</sup>.

ومن الفنانين، أمثال: بن صاري ونوري الكوفي، وغيرهم جعل تلمسان تحتل مكانة في لحوزي والاندلسي وهي متميزة في الحوفي الذي يمثل المادة الحيوية للأغاني النسوية، فهي مليئة بالشعر الديني الذي يتردد في المناسبات الدينية كالمولد والأعياد، والغزلي الذي يجد له مكاناً في الأفراح.

وتنوعت حفلات تلمسان الدينية والترفيهية، وبعاداتها وأعرافها، جعلها تنهل من طبع ينذر أن تجد لها مثيلاً في المعمورة، فهي بلونها الحضري، لم تترك لتاريخها فرصة تسجيل لون شعري مميّزها عن غيرها، بل لم يكن لغيرها - بحسب بعض الروايات - إنه الحوفي التلمساني، الذي اتخذ من أساطير الروايات والحكايات مادة ليقف عند الطبيعة منسجمة مع قصص غزلية تروي ما يمكنه تسجيل أرقى الحكايات مع روع الغريب، ووقفة الوريث، وغير ذلك من تصوير فني رائع، تحافظ عليه الذاكرة الشعبية لترويه الأجيال المتعاقبة<sup>2</sup>.

وتلمسان، لم تنفصل عن محيطها، بل نهلت من أحوازها، ونجم عنه طبع فني خاص، إنه الحوزي الذي ترك بصمة لا يمكنها إلا أن تكون محطة بحث مع أمثال الشيخ بن سهلة في الحزام الشبه ريفي، من فدان سبع مسقط رأس الشاعر المذكور، وعين الحوت، وشتوان... الخ.

هي ثقافة لم تقف عند عتبة الحوز، بل امتدت إلى بادية تلمسان، تنوع وتميز، أضفى عليها طبعاً مغايراً أثرت هذا الوعاء المعرفي بما لا يدع شكاً أن هذا التراث الثقافي أعطى تلمسان مكانة فنية خاصة، انصهرت فيها طبع متنوعة، لتنوع مشاربها الثقافية من المحلي

1 جمال الدين الاخضور، عودة التاريخ في التأسيس للميتولوجيا العربية، الجزء الأول، ص 155.

2 هذا الذي يتداوله سكان تلمسان مشافهة، ووما ورد في النصوص لا يزيد عن كونه سرد لقصص غير معروف مصدرها ولا صحة ما ينسج حولها.

(الحوفي) و(الحوزي) و(البدوي/ التلمساني) إلى الجزائري(الشعبي) إلى المغاربي (المغربي/ الأندلسي) إلى العربي.

لتلمسان فضاءات تحتضن مختلف النشاطات الثقافية والتظاهرات، وكانت تظاهرة تلمسان للثقافة الإسلامية فرصة سانحة تحققت فيها مشاريع وإنجازات منحتها إمكانات التواجد في أغلب المجالات الثقافية والرياضية، وسمحت لها بتنظيم مهرجانات فنية وطنية ودولية.

وتلمسان . بما تتميز به من طابع خاص، عملت فيها أيادي الزمان الضاربة في أعماق التاريخ، فلا نجد مكاناً نخلّ به، إلا ونقرأ عنه أحداثاً وألواناً من القصص التي ترتبط بالمكان، وتدلّ عليها أسماء تراوحت بين أولياء صالحين، أو علماء بارزين، أو أوصاف وذكريات، كلّها تعود إلى أسلاف خلّد التاريخ ما صنعوا، فكان لا بدّ لنا لمعرفة هذه المدينة، أن نقرأ هذه الأسماء من الموروث الشعبي والفصيح الذي خلّده ثقافة الأجيال عبر الزمان، من التأصيل إلى التغيير إلى التحيين، وفي كل محطة وقفة تفصيلية تستدعيها الأهمية التاريخية للحدث الذي تدلّ عليه قرائن لا تزال الأحداث التاريخية والقرائن المادية تحتفظ بها من جهة الذاكرة الشعبية والصحائف المخطوطة المرصوفة في رفوف المكتبات والزوايا لم تلامسها بعد أيادي القراء.

يا زين الدرجة نرسلك لبنات البهجة روح تغنم فرجة و ادخل على درب السجان<sup>1</sup>

تفرج لا تنجى من البها والزّين الفتان

يا زين الدرجة : يخاطب الشاعر مرسوله بوصفه بالطلعة التي تدخل الشرور على

الإنسان، ويريد به من يُتفاءل به في أي مسعى.

مدينة البهجة ، تطلق على تلمسان في بعدها الجمالي، فيرد هذا الاسم الاستعمالي لمدينة تلمسان، ويقصد بها ما يدخل السرور والفرح على النفس، وفيها يقول: الشيخ بن مسايب :

<sup>1</sup> درب السجان : لما انتهى التوسع العمراني في العهد المرابطي (تأقرارت)، وذلك ببناء الأحياء السكنية، تمّ الاهتمام في المرحلة الموالية بإضافة الوظائف التجارية والحرفية والإدارية، في الجنوب الشرقي، ومنها درب السجان الذي خصّص لإنتاج الأقفاس بساحة الطحطاحة.

كانت **البهجة** عند سلاطين العرب  
في المقام العالي والمنزل الرفيع  
عشقتها ملوك الزهو والانطراب  
والمعاني والحسن الفايق البديع

**ودرب السجان**: لفظ الدرب، يدل في عرف أهل البلد على الممر الضيق لا يمكن  
المرور عبره إلا للزّاجلين أو الدّواب<sup>1</sup>، وهو يختلف عن الرقاق<sup>2</sup> الذي ليس له مخرج، وهو ممر  
مسدود، والشارع، والنهج، والطريق.

يذهب بعض الدارسين إلى أن أسماء أماكن عرفت تحولات على مرّ العصور  
والحضارات، وأحياناً تبعاً لتغيرات الحكام، ومنها **درب السجان** الذي أصبح يطلق عليه اسم  
**درب السويقة**، وقد تغيرت قبل القرن الحادي عشرة، في حين نجد الطبونيين يذكرهما الشاعر،  
الأمر الذي يدل على وجود دربين مختلفين.

بعد استتباب الأمر للحكم المرابطي، وبناء المدينة السفلى لتلمسان: باب زير، باب  
علي، درب سلسلة، درب النعيجة، وبني جملة، الصبانين، جامع الشرفة، القُرّان، والعمل على  
تنسيق النسيج العمراني ليتوفر على المصليات والمرافق، اهتموا بالتجارية والحرف لتنشيط الحياة  
الاجتماعية بها.

ودرب السجان أقامه المرابطون أثناء بناء الأحياء السكنية في الجنوب الشرقي من  
تاقرات، و**درب السجان**، أطلق عليه هذا الاسم لإنتاج الأفصاص بساحته (الطحطاحة).

من ثم اعزم روح يا حمام بقلبك مشرول      تلقى زهو الروح في **السويقة**<sup>3</sup> عند **الفران**

<sup>1</sup> ويطلق على كثير من الممرات، منها: درب السلسلة، درب الصباغين، درب الفخارين، الخ

<sup>2</sup> رقاق الرمان، في تلمسان القديمة، قرب حي القران، وفيه كانت توضع قشور الرمان أمام الشمس لتبيسها، قبل  
بيعها لاستعمالات التداوي بالأعشاب (حسب بعض روايات سكان الحي).

<sup>3</sup> وهو من الأبواب التي بقيت في سور تلمسان الحديثة أي تاقرات، وهو أحد الأبواب الثلاثة في الجهة الشرقية  
،والتي تمّ هدمها لجمع المدينتين (هدم سور أفاديروسور تاقرات الشرقي)، ومنه باب السويقة أو باب السجان.

## بهاها مجروح خاطري و دليبي حيران

وعلى عادة الشعراء العرب يستعين الشاعر بمرسول تعود العرب عليه لازمة وظيفية تحمل الفأل والاستئناس كما دأب عليه سابقوه في الفصيح والملحون، مع اختلاف في نوع الرسول، فهذا أبو فراس يناجي الحمام، ويناجي محمد العيد آل خليفة بشاراً، فلا عجب أن نجد شيخنا يحافظ على النهج، فيخاطبه ويحفزه على القيام بالمهمة بطيب خاطر :

من ثم اعزم روح يا حمام بقلبك مشروح

من ثم اعزم : (من ثم)، بعد الانتهاء من الأمر، ينهياً لطلب الاستمرارية، ولكن بعزيمة، هنا نقف مع الدلالة المعجمية للفظ في منطوق تلمسان (اعزم) تأخذ معنى ثانٍ له، ولهذا فهو في الاستعمال يتوقف على المدخل المعجمي بالارتكاز على الوعاء الثقافي للمنطقة، ويقصد بها (اسرع)، أي لا تضيع الوقت، مخاطباً الحمام الذي كان رمزاً الحب والمؤانسة، ويضفي عليها تطمينات له، وكأنه يقول : لن ترى في المكان الذي تقصده إلا ما يشرح قلبك ويسعدك. اعتاد القدامى على توظيف الحمام، ويعود ذلك إلى عهود قديمة (5300 ق.م)، وقد كانت تضيء عليها طابع القداسة، لكونها ترمز لإله الحب عندهم، فكانت رسول حب وخير إلى المحبوب، وقد استعملها الملوك وغيرهم في التواصل<sup>1</sup>.

### تلقى زهو الروح في السويقة عند الفران

ينتقل من تطمينه إلى إغرائه بما ينتظره في لقاءه من متعة وزهو للروح، وهنا قد يكون المقصود بـ "زهو الروح" المرأة المنتظرة، فيحددها بكونها المرسل إليه، وباستعمال بلاغي راقٍ، يقف عند استعارة بعلاقة استبدالية وصفة إيجابية لا تقف عند حدّ التقابل، بل تتعداه إلى الوصف والتصوير "زهو الروح"، ويعلل مكانته في النفس، (زهو الروح)، ثم محددًا الوجهة بتحديد المكان "السويقة" ويزيد في تحديد المكان بدقة بإضافة قرينة مكانية تقصدها النساء "الفران" وهو أيضاً يدل على المكان القريب من الأول.

<sup>1</sup> الشيخ نسيب وهيب الخازن، من الساميين إلى العرب، دار مكتبة الحياة، بيروت سنة 1962، ص 161 -

**السويقة :** الاسم العلم المكاني الذي ينتظره فيه من يهوى، أو على الأقل مكان تواجد المرسل إليه في المقام الوظيفي الاتصالي، وهو تصغير سوق، وهو يعود إلى العهد المرابطي، وظهرت أثناء توسع البنايات السكنية في الشمال الغربي، أين كان لا بدّ من تلبية حاجات السكان ومن ثم كانت الأسواق التقليدية، والمحلات التجارية، والحرفية.

**السويقة عند الفران :** الفران اسم محل مهني لطهي الخبز، ولا يعدّ طبونيماً، وهو بمثابة المحدّد المكاني للطبونيم السويقة، ولعلّ ما يلفت الانتباه في هذه القرائن - خاصة الفران والمسجد - يتواجدان متقاربين في الأحياء، وفي كثير من دروب تلمسان، ففي درب أهل بني جملة وغيرهما كثير، ففي بداية حكم المرابطين اهتموا بتجهيز الأحياء السكنية ببعض المرافق الضرورية، كمكان للصلاة (المصلى) ومخبزة (فران)، والحمام، كان يتمّ توزيعها بذكاء داخل النسيج العمراني.

**الشكل رقم: 31** درب الحمامين يبدأ من شارع ابن خميس، وله درب يتقاطع مع شارع الرائد فراج، وهو يستمر إلى داخل الحي الذي يفترض أنه أخذ تسميته من النشاط الذي كان يمارس فيه، وهو الحمامة. ويوجد في وسط الدرب جامع سيدي زيد، وبجانبه فران، ولا



**الشكل رقم: 32** فران العبد في درب الحمامين بجوار مسجد سيدي زيد



لا يقف الشاعر عند توجيه المعلومات حول المكان الذي رسمه له بدقة، وقرينة دقيقة حتى لا يتيه الرسول، بل ينتقل إلى توجيهه ونصحه بعدم التوقف وإنهاء المهمة التي تنتظره، وكأن المقصد أمر آخر يتجدد ويتطور وفق مسار سيرسّمه الشاعر ليتتبع البحث عن كل جميل في أماكن يذكرها بأسمائها ويحن إلى الوقوف عند ذكرى أو حدث يذكره بالأيام التي رسمها في خياله، فينقل الصورة بالكلمة لتبقى شاهدة على هذه الأمكنة بأسمائها المتداولة والمعروفة بما في أيام الشاعر الشيخ بن سهلة.

### بهاها مجروح خاطري و دليلي حيران

يعود الشاعر إلى حالته النفسية مستجدياً الحَمَامَ ومستعظفاً، واصفاً معاناته وآلامه، بهاها وقع حالة المرض الذي يستعمل فيه الجرح الذي لا يكون إلا في الجسد، وها هو يستبدله بالخاطر " بهاها مجروح خاطري"، وكأننا أمام حدث مرضي في مشهد درامي مرتبط بأثر نفسي يصعب علاجه<sup>1</sup> ويوح بسببه بحيرة دليله الذي يفترض فيه الدعم والمواساة والتجلد.

من ثم عول درب مسوفة<sup>2</sup> له ادخل بالك لا تغفل حوس بعينك القران

الزين الكامل يا ترى باقي كيف زمان

من ثم عول درب مسوفة له ادخل

(من ثم) أقرب إلى العبارات المسكوكة في منطوق تلمسان، وتفيد البعدية، ولا يكون التعويل، إلا باستعداد نفسي، ومقصد بائن، إنه درب مسوفة العتيق، والدرب على اتفاق أنه اسم عام، إلا أنه من مصطلحات طبونيمية للدلالة على الحي السكني والمتاجر.

درب مسوفة في مدينة تلمسان العتيقة فضاء يوحى اليوم بعلاقة اقتصادية / اجتماعية يدل عليها المصطلح في التخاطب اليومي التلمساني نظرا للنشاط الذي يعجّ به المكان (درب)

<sup>1</sup> بهاها مجروح خاطري، كأنه اسم لمرض لا يمكن توصيفه Praxonyme،

<sup>2</sup> ورد اسم درب مسوفة في البستان لابن مريم،

مسوفة)، قرينة لإيحاءات الطبونيم المتجدد في دلالاته<sup>1</sup>، ودرب مسوفة (خليط من المساكن والمتاجر)، وقد أنشئ في العهد المرابطي بعد استقرار الحكم في المرحلة المزدهرة.

غير أنّ هذا الطبونيم ينسب في تسميته إلى الأمازيغية، فـ"مسوفة" كلمة تدل على قبيلة بربرية من التوارق، من قبائل صنهاجة، وهم من البدو الرّحل وهم يعتبرون من القبائل المرابطية.

من ثم أعط زوره لعند كحل السالف بدرة ضاوية الغره شبيهة البدر حين بيان  
ما ريتو في امرا زينها وبهاها فتان

(من ثم) تفيد الاستئناف والمواصلة للمطالب التي يريدتها من الرسول زيارة للمسماة بدرة، واصفاً الشعر الأسود الطويل الذي يميزها، ولا يقف عند هذا الوصف الفيزيولوجي، بل يتعداه إلى الاستعارة التي لا تكفي للتعبير عن وصفها وتحديد جمالها المضيء لوجهها، مشبها إياها بـ "البدر" حين ظهوره، وكأنها مقابلة لتحديد القيمة الجمالية .

كحل السالف	السالف: الشعر الطويل، الأسود لون مقدم في الترتيب للأهمية.
ضاوية الغره	الوجه الوضاء، يقدم الصفة (من أصل الوضع)، وفي الصيغة.
البدر حين بيان	ظهور النور الساطع في وسط الظلام، حالة للقمر ليلة أربعة عشر.
امرا زينها وبهاها فتان	التأثير النفسي "الفتان"، يقصد تأثير جمال المرأة في طلعتها الفاتنة.

فالشاعر يفصل بدقة مواطن الجمال الذي يلفت الانتباه، ومواطن الفتنة منه بالنسبة للرجال، متدرجا في الأوصاف، من الألوان إلى شدة بياض الوجه وحدة التأثير في فتنة الجمال في النساء.

وهو لا يتوقف في وصفها عند الظاهر من الجسم والطلعة، بل يعود إلى التدقيق في أمور لا نعرفها إلاّ بالاقتراب من الموصوف، كما هو الشأن في:

---

<sup>1</sup> تواجد درب مسوفة اليوم في منطقة شعبية، تعرف نشاطاً تجارياً شعبياً، لا يتوقف كل يوم، وتقصده عامة الناس وكأنه سوق شعبي في وسط الفضاء العمراني الحضري. للملاحظة بني هذا التقرير على مشاهدة متكررة قمت بها إلى المكان للوقوف على حالها اليوم، والنظر فيما آلت إليه في الواقع، ليكون للميدان نصيف في تعامله مع مشهد المكان الطبونيمي.

يا سايف الاماح عند سيدي الشعار ارتاح كف من التنواح شف من نهوى غصن البان  
مطبوعة الاماح فاطمة شقيقة بن نعمان

يا سايف الاماح من الملح الذي مصدره العين، وإشارة إلى تجميل كل ما يحيط  
بالعيون، من أهذاب وغيرها بالنسبة للعين التي تلمح وهي التي تقصد في السير لتتبع المسار  
الذي يوجهه الشاعر لرسوله، يقدم بالنداء والتنبيه لمعظمة المهمة ومشقة الوصول، لا بد لإنهاء  
المهمة من راحة في مكان يليق بمقام المرسل، راحة عند مقام الولي الصالح، وتبركاً به، إنه  
سيدي الشعار دفين باب سيدي بومدين<sup>1</sup>.

سيدي الشعار : يوجد ضريح سيدي الشعار عند باب سيدي بومدين لا يبعد إلا  
بامتار عن درب مسوفة والقران، ومن جهة السور جامع باب زير، ولم يعد ضريح سيدي  
الشعار يظهر نظراً لوجوده في الطابق الأرضي لعمارة مبنية فوقه وهي مؤسسة للصناعة التقليدية  
(تصدير العروسة التلمسانية).

### الشكل رقم: 33

الصورة لمؤسسة مستحدثة موسومة "تصدير  
العروسة التلمسانية"، وفي الطابق السفلي من  
المؤسسة (الطابق الأرضي سابقاً) يوجد ضريح  
سيدي الشعار، وكان مزاراة قبل تفجير بنايات التي  
كانت تجاوره أيام الفتنة الجزائرية (العشرية السوداء).



كف من التنواح، فعل أمر يفيد طلب الشاعر بالتوقف من النواح، هو نواح الحمام،  
ويقصد به شكواه، فيخفف عنه بطلب المقصد : شف من نهوى ، يحافظ الشاعر على الصيغة

<sup>1</sup> سيدي الشعار: الولي الصالح الذي يعتبر قرينة للدرب الحالي في تلمسان العتيقة.

الصرفية بالصورة الصحيحة للبناء (الأمر المعتل: شُف)، غصن البان : اعتاد الشعراء العرب في فصيحهم على تشبيه المرأة - الجميلة ذات القد - بـ "غصن البان"<sup>1</sup> .

**مطبوعة الاملاح :** ما يقابل تزيين الأهداب في عصرنا

**فاطمة شقيقة بن نعمان :** لون الحمرة الذي تنافسه النسوة فيه ولا يزال هذا اللون يثير إعجاب النساء، ويرون فيه الإغراء والإثارة في الثقافة العربية<sup>2</sup> وفي ثقافات أخرى.

من ثم اعزم طر لدرب سيدي لحسن لا غير وادخل باب زير فاقد أهلي مع الجيران

زادوني تحيير حالتي بالغرابة تشيان

**سيدي لحسن :** الجامع العتيق بحي الرباط، قرب من حي القصارين ، ولا يزال يستعمل للصلاة، وهو أيضاً غير بعيد من مسجد سيدي الحلوي وجامع باب زير .



#### الشكل رقم :34

الصورة تبين منظر لصومعة مسجد سيدي لحسن، وهو مسجد عتيق ، لا يبعد كثيرا عن جامع سيبي الحلوي، وجامع باب زير.

<sup>1</sup> غصن البان : استعمله شعراء الفصيح، ولا يزال يستعمل في تشبيه المرأة بالغصن في رقتها وميولاتها، ومنه قول الشاعر معروف الرصافي :

كما يميل نسيم الريح بالغصن  
يا ليت معرفتي أياك لم تكن

مالت تودعني والدمع يغلبها  
ثم استمرت وقالت وهي باكية

<sup>2</sup> ومما يرمز للون الأحمر في ثقافة النساء العربيات، بل يجسدهن في حياتهن وخاصة في الأفراح، لون الحناء التي كانت عبر التاريخ نموذج لتزيين المرأة.

غير بعيد من هذا المكان الذي يتواجد به جامع سيدي لحسن، وعلى مسافة قصيرة يظهر لنا جامع باب زير كما تظهره الصورة.

### الشكل رقم: 35

هذه الصورة التي تبدو من بعيد، هي صومعة جامع باب زير ، والتقطت بالقرب من جامع سيدي لحسن، في الواقع لا يفصلهما إلا أمتار .



**باب علي (اندر):** من الأبواب المشهورة التي تعدّ من تراثها المادي، (ينظر الشكل 4) ولم يبق منها إلا المكان الذي يشهد على وجودها، ويتواجد بها الآن مسجد باب زير العتيق الذي تمّ ترميمه في إطار تظاهرة تلمسان عاصفة الثقافة الإسلامية في سنة 2011، وهو الآن تقام فيه الصلوات الخمس.

### الشكل رقم: 36

الصورة لحي باب علي الذي أصابه التخريب بشكل شبه كلي، ولم يبق منه إلا بقايا ديار هي في واقعها أطلال تبكي حالها، وتحمل معها أحداثاً وذكريات. والساحة تبين بقايا حي لم يرمّم رغم المحاولات لإزالة ما يشوه المنظر الذي غلب عليه طابع الإهمال والتهميش.



### الشكل رقم: 37

حي باب علي يلتقي بكلّ الدروب العتيقة التي  
تؤدي إلى الأحياء المحيطة : باب زير، درب النعيجة،  
درب السلسلة ، درب الشرفة...



انزل باب علي فاقد الزهره واعوالي  
من شطنوا بالي وصار لوني مثل اليرقان  
اعدمت أنجالي كل يوم نجدد الأحزان

### الشكل رقم: 38

درب باب علي: من الأبواب القديمة، وهو في حي  
عتيق أتى عليه التخریب من كل جهاته، ولم يرّم  
بعد.



باب علي : من أبواب تلمسان القديمة، تمّ تفجيرها في عشرية الفتنة، ولم يبق من الحي  
الذي تتواجد به إلاّ هذه الآثار التي لم ترمّم، ولا تزال تعرف الإهمال خاصة وأن كل هذه الديار  
تحمل فنّا معمارياً يشهد على حقبة زاخرة تروي أياماً طبعت حضارة ومعالماً متميزة.

### الشكل رقم: 39

باب زير من جهة المسجد وقد تم هدم كثير من  
البنائيات، ولم يبق منها إلا آثار لم يتم ترميمها.



وبما أنّ الباب تعود إلى العهد العثماني بمدينة تلمسان، فإنه لا يوجد لها أثر مادي  
باستثناء الحي الذي يحمل هذا الاسم، ويعد القرينة الوحيدة التي يستشهد بها، وبالمنط الزخرفي  
الجميل التي تشهد عليه بقايا منازل هي إلى الأطلال أقرب، مع أنّها كانت إلى وقت قريب تعج  
بالحياة وتعرف نشاطاً حرفياً منقطع النظير، وحياة تقليدية تحمل معها عادات وتقاليده حافظت  
عليها هذه الأحياء بأفرائها التقليدية وأعراف طبعت تلك التجمعات المتآلفة والمنسجمة عاطفياً  
 واجتماعياً.

### - الشكل رقم 36 -

سبق للسلطات المحلية أن رمت بعض المعالم الأثرية التي تعدّ من تراث المنطقة، كما رمت بعض البنائيات التي تقع في  
الواجهة بنفس الحي، في إطار تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، غير أنّ هذه الديار لاتزال تشكو حالها لرائر مدينة  
تلمسان.

الصورة تعكس الوضع الحالي لباب علي في مدينة تلمسان، قرب جامع باب علي حالياً.

**الزهره واعوالي :** أسماء النساء اللاتي كنّ يُشَبَّب بهن، وهي أسماء تتكرر بتلمسان

إلى يومنا.

ولعلّ الزهره تشير إلى التيمّن بفاطمة الزهراء رضي الله عنها، ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوجة علي كرم الله وجهه. أو الزهره والمراد بها الواحدة من الزهور والمراد بها الجمال، وقد تحمل هذه الدلائل كلّها.

يا ولد الطويي نرسلك لدرب المقبي      فاقد محبوبي في جامع الحفرة يا ورشان  
فضلها ربي بزيناها على جميع النسوان

**ولد الطويي :** لم يعد لسكان تلمسان قرينة للتعرف على هذا الأندروني ، باستثناء تردده في الشعر الملحون الحوزي، وهي أسماء كانت تطلق على عائلات تنتشر بغرب الجزائر وبالمغرب، وهي عند شاعرنا تخص شخصاً بعينه، وقد يراد به الذي تربى ونشأ في البناء بالطوب، وهو رمز للدلالة على العمارة وبالتالي الاستدلال به على الطابع الحضاري، شأنه في ذلك، شأن درب ابن حريبط كما يظهر في البيت الموالي، وقد بدل على طيبة الشخص كما ورد في معجم المعاني.

**درب المقبي :** أيضاً لم أعثر له على عنوان.

**جامع الحفرة :** جامع قديم ، يعرف بالحفرة قرينة لا تزال قائمة إلى يومنا، ويعرف بها أيضاً بما فران قديم وحمام (حمام الحفرة).

ولعلّ الأمر يتعلّق بجامع صغير قرب شارع قازي أول محمد ، رممه العشعاشي وفتح للصلوات الخمس.

من ثم تبرم لدرب بن حريبط تقدم      توجد حا العارم بنت نسبه غالية الشان  
لو نعي نكتّم صاحب السّريبان يّبان

**درب بن حريبط :** طريق ضيق، لا يتسع للمراكب، وهو على نمط جروب تلمسان العتيقة لا يتسع إلاّ للراجلين.

**العارم :** المرأة الممتلئة المميلة التي تلفت الانتباه في مشيتها وتمايلها، وعادة هي اللعوب المثيرة، كنية عن المرأة المدللة من قبل الرجال.

**السريبان :** الذي يخفي المظهر حتى لا يفتضح أمره، وقد تكون مركبة من السرّ + بيان (والمقصود به يظهر مهما أخفيته).

والبيت يحمل معاني وصور يضمّنها الشاعر أبعادا دلالية تحتاج إلى وقفات وقرئات، فيذكر مرسوله أنه بعد تفقده لمحبوته قرب جامع الحفرة، يأمره بعقد العزم على إكمال مهمته بتجديد العهد باستعماله لفظ تبرم كناية عن **العقد للتوجه لدرب بن حريبط**، والتقدّم هناك سيجد امرأة تثير وتميز، يصفها بـ **العارم** بنت النسب ليست في متناول الطالبين ولا العاشقين هي غالية وصاحبة شأن، وإن تجاوزتها، وأظهرت عدم اهتمامي بها، فلا أستطيع إخفاء هذا التعلق والإعجاب، ويستعمل الشاعر المثل التلمساني في عبارة مسكوكة منسقة صوتاً ومعنى : **صاحب السريبان بيان**، وهو مثل يضرب للتعبير عن افتضاح أمر العاشق ولو أخفاه، ويستعمل المصريون مثلاً آخر للدلالة على هذا المعنى مع اختلاف المراد: **كاد المريب أن يقول خذوني**، للدلالة على الذي يرتكب ذنباً ويتظاهر بالبراءة، لكن تصرفاته تظهر عكس ما يبطن، فيفتضح أمره.

وفي أوضح قراءة لـ "**صاحب السريبان بيان**" السرّ، بيان بيان بتكرار الفعل بيان بيان للتوكيد اللفظي.

يا جيد الاطيار نرسلك لسيدي الجبار      الزّين المسرار يندكر ما بين البيبان

يُكويوا بلا نار من يراهم يمشي دهشان

يا جيد الاطيار : يخاطب الشاعر رسوله، ويناديه بأجمل الأوصاف (جيد الاطيار) : هل هو الحمام الزاجل أم هو رسول الشاعر باستعارة خاصة للتطمين والتهيئة للمهمة التي يربطها بالمكان لأهميته قبل تحديد المرسل إليه لأنّ القرينة المكانية قبل الهوية الترميزية بصيغة تركيبية للتعبير عن المقصود قبل ذكره بالاسم، فالحمام هنا موجه للمكان (سيدي الجبار) الولي الصالح، فوصفه بأحسن الأوصاف لأنه النوع المفضّل من الطيور منذ القدم، وقد نستحضر الأسطورة القديمة التي

تروي قصة الحمامة مع نوح عليه السلام في التراث العربي، حين أرسل الغراب لاستطلاع اليابسة فوق على جيفة أهنته عن المهمة التي كلف بها، ثم أرسل الحمامة فكانت رمزا للوفاء فاستحسنها واستجملها بطوق في عنقها<sup>1</sup>. ويضيف أنه لا يعرف هذا الجميل إلا في فضاء مخصوص (ما بين البيان).

#### الشكل رقم:40

الصورة ساحة سيدي الجبار، والساحة التي تربطه بدرب السلسلة،  
درب سيدي اليدون، ودرب سيدي الجبار الذي يربط الساحة  
بالسور (راس البحر).  
وسيدي الجبار اسم لولي صالح، والمسجد يحمل اسمه ولا يزال قائما  
بالدرب ومعلما شاهداً، يؤدي وظيفته العقيدية كما تظهره الصورة-  
الصلوات الخمس لسكان الحي - Eponyme.



- ساحة سيدي الجبار : تربط درب النعيجة، سيدي اليدون، درب السلسلة<sup>2</sup>، درب قطوط.



شكل ب - درب قطوط -

#### الشكل رقم:41

مسجد سيدي الجبار - شكل  
١ - قرب درب السلسلة، وهو  
يؤدي لمجموعة دروب منها درب  
القطوط - شكل ب -.



شكل ١ - مسجد سيدي الجبار -

<sup>1</sup> جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، الجزء الثامن، سنة 1971، ص 2-3.

<sup>2</sup> في درب السلسلة يوجد كثير من الأولياء الصالحين، ومنهم ضريح سيدي ابن الحباك، وقد تربط اسمه صناعة الحباكة، وهي صناعة زخرفة خاصة بالثياب بأوعها ومنها البرانس والقنادير، وهناك من يشبك في ابن الحباك، إذا كان هو الفقيه والفلكي الذي عاش بتلمسان في القرن التاسع الهجري).

ما بين البيبان : اشتهرت تلمسان بتعدد أبوابها، وهي أنواع الأبواب الكبرى وهي الأبواب التي كانت تعتبر مداخل لتلمسان ، وعددها محدود، وهي خمسة أبواب وفي رواية أكثر.

وأما الأبواب الصغرى فهي كثيرة وكانت موجودة بين الأحياء وبعضها في الأسوار وكانت تفتح لوقت أطول من الأبواب الكبرى إلى وقت متأخر بالليل.

ولعل ما يقصده الشاعر هنا، هي تلك الأبواب الصغرى المتقاربة أحياناً، وهي المسافات التي تلتقي بينها البنات.

ومما هو شائع في الثقافة العمرانية التلمسانية أيضاً، بناء المنازل بباين الأول يربط الباب بفناء المنزل وهو يعتبر حرمة النساء في البيوت ولا يتعداها الزائر الغريب إلا إذا أُذن له وهو ما يسمى بـ "الدربوز" ، ثم الباب الخارجي للمنزل، ويطلّ مبانة على الشارع، وربما هو المقصود بقول الشاعر بين البيبان، أي المجال الذي يسمح فيه للبنات بالمكوث به للتواصل بينهن دون منع أو خوف من الغرباء.

### يُكُوبُوا بلا نار من يراهم يمشي دهشان

أما عن الوصف للمشهد الذي أثر فيه، وهو ما يصيب الشاعر أو الناظر للبنات في هذا الفضاء المكاني الخاص بالحریم، فهو فعلاً حسّاس كما ورد في وصف الشاعر لأنّ النساء يتحرّرن فيه من الضوابط التي تفرض عليهن من ارتداء الحايك وهو الحجاب السائد في عصر الشاعر، وقد عرفت العادات التلمسانية ارتداء النساء لنصف حجاب إلى وقت متأخر، وهو ما عُرف بالفوطة<sup>1</sup>، واختلاس النظر إليهن بين البيبان، معناه رؤيتهنّ مجردات ومتبرجات مع

<sup>1</sup> الفوطة : من المنسوجات التي عرفتها المنطقة وهي نوعان، واحدة للرجال وكانت بسيطة لا تحتاج إلى زخرفة يرتديها الرجال في الحميم وتدعى أيضا السترة، وأخرى للنساء وقد انتشرت خاصة بين العنصر النسويوتعمد زخرفة هذه المتوجات بخيوط الحرير أو الذهب أو الفضة، وإن كان أهمر الحباكين من الرجال. وكان أصحاب هذه الحرفة يحظون باحترام المجتمع التلمساني، لحاجتهم إلى هذا المنتج الذي كانوا يرتدونه بالمناسبات.

إبداء زينتهنّ اعتقاداً منهنّ بإباحة المكان الخاص لمثل هذا التجرد، وهو المشهد الذي يدهش الناظر لما يراه من فتنة جمال النساء أو البنات عموماً.

الزين الضاوي يامنة في سيدي الحلوي      بهواها مكوي خاطري و دليبي حيران  
كونك معنوي تكتم سري ليس بيان

**الزين الضاوي:** بدأ الشاعر بحصر المشهد المؤثر بتقديم الوصف على الموصوف ببعده بلاغي يتقاسمه الملحون مع الفصيح، بحكم ترتيب العناصر اللغوية الوصفية في التركيب لأهميته، وباستعارة الضاوي (الجمال المنير) لوصف الزين الطبيعي، ثم يتبعه باسم الموصوف يامنة اسم العَلم "أندرونيم"، ثمّ الطبونيم سيدي الحلوي من الأسماء الأعلام الدالة على شخص ديني (الولي الصالح) سيدي الحلوي، لا يزال الشاهد عليه الجامع الذي يشهد على المكان تقام فيه الصلوات الخمس والجمعة.



#### الشكل رقم: 42

صورة لسيدي الحلوي من أمام المقبرة التي توجد في الهضبة التي تعلو المسجد.

والمقصود بسيدي الحلوي الحي الذي تقيم فيه يامنة التي يتغنى بجمالها الشاعر، ويصرّح بحبه لها الذي يشبهها بالنار الحارقة، وتعلقه بها إلى درجة الحيرة، فلم يعد يتعرّف على مساره، وهنا تستلزم القراءة وقفة تدبّر نظراً للتداخل اللغوي في معرفة الدليل الحيران.

- دليل يدلّه على المخرج لا يدري بما يشير عليه لضياعه هو بدوره أمام الجمال الفتان، فاستحال الأمر ضرباً من الخيال.

- دليل بمثابة القرينة يستدلّ بها على ما يجب فعله، إلاّ أنّ خاطره (انقياذ النفس)، هو الحيران، فلم تعد تنفع القرائن المادية أمام المؤثرات النفسية.

### كونك معنوي تكتم سرّي ليس بيان

وهنا ينتقل الشاعر إلى موقف يعتبر قمة التصوير الفني للمشهد بتشخيص الهوى في كاف المخاطب بأنه معنوي مؤثر يفترض فيه الكتمان والسرية وليس البوح، كما يظهر على الشاعر الذي يستسلم للموقف الذي تكون فيه يامنة من المشيبات بهن، هي بطلّة المشهد، وسيدي الحلوي<sup>1</sup> المكان هو القرينة المحدّدة ، وهذا الحي يتواجد أسفل السور (راس البحر)، وهو اليوم مسجد وبالقرب من ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي، الملقب بسيدي الحلوي<sup>2</sup>، يربط تلمسان بأحوازها في اتجاه سيدي عثمان. وبنى المسجد السلطان المريني أبو عنان 1353م تكريماً وتخليداً لهذا العالم الأندلسي والولي الصالح، ويوجد مسجد سيدي الحلوي خارج مدينة تلمسان القديمة إلى الناحية الشمالية البحرية في سفح الجبل والهضبة التي أسست عليها المدينة، ويطل على حدائق عين الدفلى، وشتوان.

يا كحل النجلا طر في الامزان تعلّى لاهل بني جملة يحفظك مولانا الرحمان

من درب الغفلة والحسود و جميع الرقبان

كحل النجلا : الشعر الذي يظهر من رأس المرأة.

ينادي رسوله بـ كحل النجلا في التواصل معه ويتفنّن في وصفه والتعامل معه برقة ويحافظ على أصل اللفظ (الطير) : (طر) ويبقى الاحتمال بمدخله (الطير) و(التشبيه بالطير)،

<sup>1</sup> سيدي الحلوي: الولي الصالح الذي يوجد غير بعيد من جامع سيدي لحسن وباب زير، وخارج سور تلمسان (راس البحر ، كازي أول محمد حالياً)، على مرتفع يطلّ على كل من شتوان وعين الحوت وسيدي عثمان وعين الدفلى وغيرها، كانت تمثل جنان تلمسانه وهي الآن بنايات ومؤسسات صناعية.

<sup>2</sup> عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية ثقافية، الجزء الأول، ص

في الامزان (مفرده ميزان) تعلى (والقراءة تعلى في القيمة وفي نظر الشاعر)، إلى الوجة المكانية  
اهل بني جملة، ويتوجه بدعاء الحفظ له ليصل في أمان وتأدية المهمة كاملة.

اهل بني جملة : قبيلة بني جملة، وأطلق اسم بني جملة على حي استوطنوه وهو يتكون  
من عدة دروب بمدخل تتلاقى على شكل توأصلي وهي : درب الصبانين ، ودرب بوماريا  
سابقاً، (درب دار الحديث حالياً، درب بني جملة تحت حمام الحفرة).

### - شكل الدرب بالأقواس -

نجد في واقع تلمسان العمراني كثيراً من الدروب والأزقة التي لا يمر عبرها إلا الراجلون أو  
راكبوا الدواب، لأنها ضيقة وعادة ما توجد في الأحياء الشعبية والمدينة العتيقة، وهو حال حي

وسط درب بني جملة بين المدخل الذي يربط درب الصبانين  
ودرب بوماريا من جهة ، ومدخل درب بني جملة من الجهة  
المقابلة لدرب سيدي البدون ، أسفل حمام الحفرة.  
وهذا القوس له قراءة يبيح يفهم العابر لهذه الدروب  
ووفق قراءة لعدد أقواسها، إذا كان الدرب يدي إلى مخرج أم هو  
نهاية الحومة أي الحي.  
وهو درب ضيق لا يتسع إلا للراجلين أو الدواب لجمال  
المؤونة والأشياء الثقيلة .  
وهذا الحي لا يزال يحافظ على طابعه العتيق، باستثناء  
تعديلات أثناء الترميم



بني جملة الذي يصنفونه إلى فوافة (أصحاب الوظائف)، وتحاة (أصحاب الحرف  
والصنائع)<sup>1</sup> .

<sup>1</sup> عمر العشعاشي، ماضي تلمسان المجيد، يغماسن مؤسس عاصمة المغرب الأوسط، ترجمه إلى اللغة العربية بن  
منصور، ابن خلدون للنشر، تلمسان، سنة 2012، ص 42.

### الشكل رقم : 43

درب الصبانين الذي يربط نّحج دار الحديث براس البحر وهو شارع كازي أول محمد، وكان يسمى في العهد الاستعماري شارع جون جوراس سابقاً Jean Jaures وفي وسطه مدخل لدرب بني جملة الذي يؤدي إلى درب سيدي اليدون.



ومن الدروب العتيقة والتي لا تزال شاهدة على تلمسان التاريخية، درب الصبانين الذي يرتبط بدرب بني جملة إلى يومنا هذا، ويحتفظ بمقوماته التاريخية.

ففي مدخل درب الصبانين المنفتح على نّحج دار الحديث (نّحج بوماريا سابقاً)، يوجد طريق يتسع للسيارات والدواب والراجلين، لذلك سمي بهذا الاسم نسبة إلى دار الحديث التي توجد في نهاية النهج (ينظر الشكل:).



شكل رقم : 44  
نهج دار الحديث (بوماريا سابقا)



نهج دار الحديث ، يتقاطع مع نهج المرابطين (درب)، وغير بعيد عنه  
طريق تافراطة

نهج دار الحديث : استبدل مؤخراً بـ "بوماريا"، و "دار الحديث" التي بنتها جمعية العلماء المسلمين، تقع في هذا النهج الذي يعرف بها وأخذ اسمها طبونيماً.

الشكل رقم: 45 دار الحديث بتلمسان :  
تأسست من قبل جمعية المسلمين، وكان البشير  
الإبراهيمي يقدم دروسه التوعوية بها : تأسست  
سنة



- درب أهل بني جملة -

## الشكل رقم : 46

امتداد للدرب السابق، إلا أنه ينتهي إلى حي (حومة) ولا يصل الدرب بأي مخرج عدا المنافذ الثلاث التي تشكل درب بني جملة (جهة الفران، الصبانين، دار الحديث). وهذا الحي يحافظ على النمط العمراني القديم في شكله الفني، وقد دخلت عليه تعديلات لهشاشة بعض الجدران ، وأثناء ترميمها عرت تعديلات. والسكان في الحي لا يزالون يحافظون على النمط المعيشي التلمساني القديم من عادات وتقاليد واحترام الجوار ، وعرفوا أيضاً أنماط معيشية جديدة أملتتها المتغيرات العالمية بحكم الوسائط الإعلامية.



## قوس في وسط درب بني جملة :

عينة من الأقواس التي توجد في دروب أحياء تلمسان، وهي كثيرة جداً، وهذا القوس في درب بني جملة، ولا يزال قائماً وشاهداً تاريخياً على هذا النمط العمراني.



– قوس في درب بني جملة –

#### الشكل رقم : 47

مدخل درب بني جملة ، قرب الفرن التقليدي ، غير بعيد عن حمام الحفرة،  
يقابله درب سيدي اليدون من الجهة السفلى، وجامع الحفرة الذي يبعد  
بأمتار.



#### - مدخل درب أهل بني جملة -

كما هو معروف في هذه الدروب أينما وجد فران إلاّ ووجد مسجد أو جامع في أحياء  
تلمسان، والصورة تبين في هذا الدرب الخشب الذي يوجد قرب الفرن وهو قرينة دالة عليه،  
وغير بعيد جامع سيدي اليدون وجامع الحفرة (المذكور في القصيدة).

**الرقبان<sup>1</sup>** : استعمال عامي، ومفرده الرقبة : غليظ الرقبة، ويقصد به الشجاع الذي لا  
يتأخر عن الصعاب، ويضرب به المثل في الوعي الجمعي الجزائري، ويقابله في الثقافة المشرقية  
الفتوة.

وقد يفهم منه الرقيب في الاستعمال الشعري الملحون لأنّ التطويح اللغوي يعتبر من  
السائد في الشعر الملحون : والمقصود به المتتبع له في حركاته ويرقبه عن بعد للوشاية أو للانتقام  
إذا كانت العلاقة بين المتبوع والرقيب علاقة قرابة، وقد تكون للجوسسة، أو إشارة إلى الحسد  
الذي يسلط على من يروونه صاحب نعم أو حظوظ....

<sup>1</sup> أحمد مختار ، معجم اللغة العربية المعاصر، (عربي - عربي)، المكتبة القفوية للكتب المصورة، عالم الكتب الطبعة  
الأولى، القاهرة سنة 2008.

أما في الفصيح فهي من رقب، في أماء الله تعالى : الرقيب، وهو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء.

اطلع من ثمة فاقد الزهره وفطيمه      عندك في الحومة ساكنين معهم جيران  
زادوا لي نقمه شوشوني فوق النيران

اطلع من ثمة : "اطلع" للدلالة على وعورة المسلك، وفيه إشارة على أنّ المسلك هو تصاعدي، تصوير لغوي لواقع جغرافي يعكس طبيعة الدروب التي تؤدي إلى درب اهل بني جملة من سيدي الحلوي/ وهي من أوعر العقبات في مسالك تلمسان.

**الزهره وفطيمه** : من المشببات بهن وهي من الأسماء التي تكرر إلى يومنا ، تيمناً بفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم. وهما تتواجدان معاً في المكان الذي تتواجد به في الحومة أين يتواجد معهم الجيران إشارة إلى أنهما في تعايش مع غيرهما.

**الحومة** : الحي الذي يجمع السكان بعلاقة حميمة على شكل أسرة كبيرة متضامنة، والحومة من الحماية، وهي الفضاء المكاني الذي يضمّهم ويتحامون في ما بينهم، ذلك أنّ أبناء الحي يتضامنون ويتعاونون في كلّ عمل يحتاج المساعدة في ما بينهم، فكانت التوزيعة إحدى مظاهر التكافل والتعاون بين أبناء الحومة يوحدّهم الجوار<sup>1</sup>.

**نقمه شوشوني** : نقمة : كنية وهنا قد يقصد بها التدلل بـ شوشوني أي وسط الصدر ويقصد به القرب من القلب، وبهذه النقمة التي تقربني من دفء الأحضان تزيد النيران، وهو تعبير عن قوة الولع.

يا صافي الاجناح عند سيدي اليّدون ارتاح      في الزين الوضاح انظر بعينيك يا ورشان  
ثمّ راه افتح ورد فاح مع بن نعمان

1 الجوار في العرف والدين :

يا صافي الاجنح : يتنوع قاموس الشاعر في الاغتراف المعجمي دون الخروج عن المحور الاستعمالي للقائمة الاستبدالية المعجمية للرسول بنعته بـ "الطائر" باستعمال الجزء في الوصف للدلالة على الكل (الطائر) بـ (صافي الاجنح) الجمع للدلالة على المثني : الجناحين. وللبعد البلاغي عند شاعرنا دور في تصوير الرسول ونعته بصفاء الجناحين..... عند سيدي اليدون ارتاح: طبونيم من نوع إيونيم Eponyme عند (سيدي اليدون)، المكان بالقرينة التي لا يزال يشهد عليها المسجد العتيق بالحي (صلوات خمس)، والدرب الذي لا يزال يحمل اسم الولي الصالح، يرتبط بدرب سيدي الجبار ودرب السلسلة والصور (راس البحر)، في طريقنا من سيدي اليدون، نمر به درب النعيجة وهي في الحي العتيق.

الشكل رقم: 48 درب النعيجة من مدخل درب سيدي اليدون في اتجاه سيدي الجبار



### في الزين الوضاح انظر بعينيك يا ورشان

هي إذن وقفة استراحة وتأمل لأن المقصد لا يزال طويلاً، ولا بد لهذه الراحة أن تكون بتوجيه من الشاعر للرسول في مكان يستدعي النظر والتمتع الحسي المتمثل في النظر بالعين في الجمال الفتان الظاهر للعيان (الزين الوضاح)، ويستعمل ألفاظاً كانت شائعة في القاموس الاستعمالي لعصر الشاعر (الورشان)، وهو دليل على الخفة.

## ثم راه افتح ورد فاح مع بن نعمان

وتحديد المكان (ثمه) يُلفت إليه النظر، إشارة إلى الرسول وإلى القارئ، للتمعن في عظمة المشهد الذي يصوره بلوحة جمالية متحركة بانفتاح الورد الذي فاحت روائحه ومعه حمرة بن نعمان : حركة انفتاح الورد، والرائحة الفائحة في هذا المكان، والصورة الجمالية للون حمرة بن نعمان.

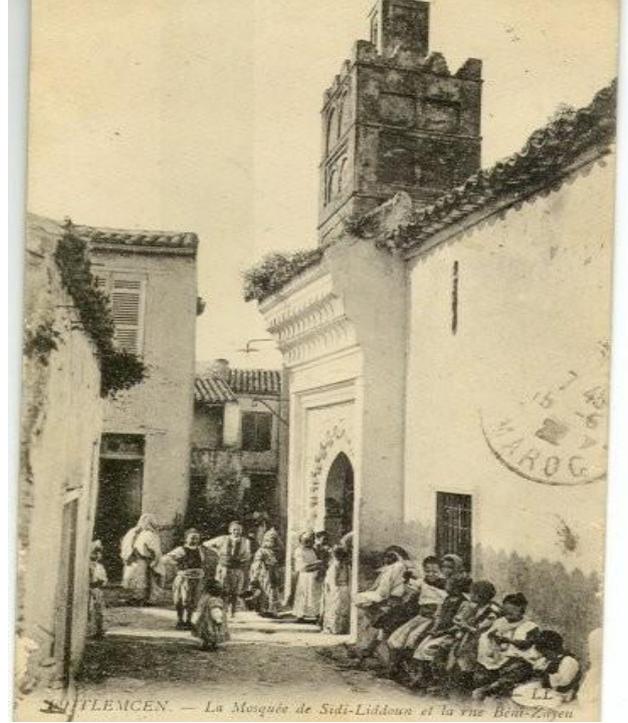
إذن هي راحة نفسية مع جمال المشهد، واستراحة من تعب التنقل عبر دروب كلها إثارة في جوانب حياتية تجمع بين القدسية المكانية لإيونيومات متتالية: سيدي الجبار ، سيدي الحلوي ، سيدي اليدون، وهي كلها أمكنة حملت أسماء لأولياء صالحين، وبها عُرفت هذه الأمكنة.

درب سيدي اليدون Eponyme <sup>1</sup>، ويظهر في الصورة المسجد للدلالة على قداسة المكان،

تيمناً وتبركاً Hagiotoponymes .

### الشكل رقم: 49

والصورة قديمة، تظهر درب سيدي اليدون ويظهر في الصورة المسجد لا يزال هذا المسجد قائماً، ويتعلم فيه الطلبة القرآن، وتقام فيه الصلوات الخمس. والدرب لا يزال على حاله بالرغم من التعديلات والترميمات التي طرأت عليه.



يوجد أيضاً هنا شارع بني زيان

1

افتح ورد فاح مع بن نعمان: صورة للورد المتفتح، والرائحة الطيبة الفائحة من الورد،  
الحمرة المثيرة لبن نعمان والتي تعبر عن لوحة جمالية للمشهد.

ثمه فتنوني يامنة والشوش وعيني      بهوهم راني كل ليلة بايت سهران

بعد وصف الشاعر المكان بالقرائن والمرجعيات، ينتقل إلى بواعث الحياة والأمل، ثم  
التعبير عن المشاعر الجياشة والعواطف التي تجعل لسهر الليالي معاني: يامنة والشوش وعيني:  
هنّ فاتنات الشاعر في هذا الحي الملىء ببواعث الحياة والأمل من جهة، ومن جهة أخرى الأمل  
الذي يحبه وبسببه يقضي الليالي سهران وغيره نيام: بهوهم راني كل ليلة بايت سهران.

وتلمسان - بما تتميز به من طابع خاص، عملت فيها أيادي الزمان الضاربة في أعماق  
التاريخ، فلا نجد مكاناً نحلّ به إلا ونقرأ عنه أحداثاً وألواناً من القصص التي ترتبط بالمكان،  
وتدلّ عليها أسماء تراوحت بين أولياء صالحين، أو علماء بارزين، أو أوصاف وذكريات، كلّها  
تعود إلى أسلاف خلّد التاريخ ما تركوه من أحداث وأخبار، فكان لا بدّ لنا لمعرفة هذه المدينة،  
أن نقرأ هذه الأسماء من الموروث الشعبي والفصيح الذي خلّده ثقافة الأجيال عبر الزمان، من  
التأصيل إلى التغيير إلى التحيين، وفي كل محطة وقفة تفصيلية تستدعيها الأهمية التاريخية للحدث  
الذي تدلّ عليه قرائن لا تزال الأحداث التاريخية والقرائن المادية تحتفظ بها من جهة الذاكرة  
الشعبية والصحائف المخطوطات المرصوفة في رفوف المكتبات والزوايا لم تلامسها بعد أيادي  
القراء والباحثين.

وفي الجزء الثاني من القصيدة ، وهو الجزء الأخير منها، يعنونها بـ " يا غالي الشان أش يصبرني  
على فراقهم " ، وهي في تصوير مضمونها استمرارية للجزء الأول من القصيدة يا ضو اعياي .

يا غالي الشان أش يصبرني على فراقهم

يعبر الشاعر عن معاناته وولعه بالأمكنة التي تتواجد بها من كنّ بالأمس يملأن بأجمل  
الذكريات هذه الأحياء التي تُركت بها بصمات لا تزول مع الأيام فهي عالقة بذاكرة الشاعر  
ومرسومة في صور جمالية بكلمات في قصائد غنتها الحناجر في الأفراح، وسجلتها الأفلام في

الألواح تخليدا للمكان أولاً في حقبة كان لها وعاؤها المعرفي وتفريشتها الثقافية التي ميّزتها المنطقة ولونتها لغة عامية لا نزال نبحت عن معانيها في هذا الموروث الذي يعدّ سجلاً لها.

يا قمري تطلع نرسلك لراس المصدع<sup>1</sup> راني متولع بصافية في زقاق الرمان

بها تطمع الله يجمعنا كيف زمان

يا قمري : اسم الحمام الذي يريده الشاعر رسولاً، وهو ما يرجح الكفة للرسول الطائر

بدل الكناية عنه.

تطلع: يعبر بلفظ تطلع للدلالة على الصعود من أسفل إلى أعلى، لأننا في تنقلنا من سيدي اليدون إلى راس المصدع الذي يتواجد به زقاق الرمان في وسط المدينة العتيقة وهو قريب من القران الكبير ومحاط بمجموعة من المساجد : القران الكبير ، جامع سيدي البنا، سيدي اليدون، وغيرها. وراس المصدع طبونيم اشتهر في العهد التركي، ويقصد به الطريق الوعرة، وهي الساحة التي كانت تدعى "المدرّس" قبل الاستقلال، وأوجدوا لها تخريجات قد تكون غير حقيقية، ومنها : مدرّس متطورة عن مدرسة لتعليم القرآن، ومنها مدرّس متطورة عن "مدغاس" ضمن قائمة الأسماء الأعلام الأمازيغية<sup>2</sup> في القرون الوسطى، وذلك باستبدال صوتي طلبا للخفة عند العرب<sup>3</sup>.

زقاق الرمان : والزقاق هو الدرب الذي يؤدي إلى عدد من المنازل في حي شبه مغلق، وسبب التسمية يرتبط بما اشتهر به هذا الزقاق، إذ كان التجار في هذا الدرب يضعون قشور الرمان أمام الشمس لتبيس قشرتها ، بغرض بيعها للعشابين، وهو ممر بدون مخرج.

راني متولع بصافية في زقاق الرمان

راني متولع بصافية : يبدأ الشاعر بوصف الحالة العاطفية قبل ذكر اسم المشبّب بها، فهو يقرّ بولعه بصيغة تركيبية للدلالة على زمن الحاضر بغير الصيغ الصرفية اللغوية التي تستعمل

1 راس المصدع، هو "ساحة المدرس" حالياً، وكان هذا الاسم في مرحلة العهد العثماني في الجزائر.

2 أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، منشورات ANEP، إصدار الجزائر سنة 2010، ص 132.

3 Mohammed Akli Haddadou, Dictionnaire toponymique et historique de l'Algérie, éd Echab, 2012, P 404.

في الفصح ، وهي في تفكيكها لا تخرج عن الصورة البنائية المؤلفة من : رأى + النون للوقاية + ضمير المتكلم الياء، فتحوّلت عن رأني إلى راني لوصف ذات الشاعر في هذا الاستعمال الشائع في اللهجة العامية.

**راني متولع** : حالة المتولع وهو الذي يعاني من حرقة البعد والفراق، ولا يعرف الشاعر التكتّم عن أسماء من يهيم بهنّ، فهو ييوح بأسمائهن ويجدّد أماكن تواجههن بدقة في تصوير مسار عبر دروب متوالية كأنه رسم لخريطة الدروب والأزقة بدقة.

**صافية** : هي المقيمة بـ **زقاق الرمان** ، وهو المحدّد المكاني والقربنة التي تعرفنا بـ صافية، وقد يكون انتقاء زقاق الرمان دون القرائن الأخرى عن قصد لإبراز لون الحمرة التي يشتهر بها الرمان واقتران اللون بالحمرة للدلالة على ما تحمله من إيجاءات تدلّ على المعاناة : النار المشتعلة الحارقة لقلب الشاعر، للحمرة الدالة على احمرار وجه المرأة الذي يزيد جمالها في الطبيعة وفي الحياء وفي حرارة التعابير عند العشاق، وللرمان قراءات تتعدّد فهو من فواكه الجنة المذكورة في القرآن، وله معان استعمالية وسياقية تفتح المجال للقراءة والخيال.

### بها تطمع الله يجمعنا كيف زمان

لا يخفي الشاعر العلاقة القديمة التي كانت تجمع بمحبوبته، ويعبر عن أمله بعودة الأيام إلى ما كانت عليه أيام زمان، وهو تعبير عن الحنين إلى الماضي، الأمر الذي دأب عليه الشعراء منذ العصر الجاهلي، إلا أنّ الشاعر هنا - وفي صيغة دعاء - يأمل في اللقاء من جديد مع هذه الأنثى التي تركت حرقته في نفسه.

يا صافي الجنحين طر وانزل في الصبانين      فاقد كحل العين شف من نھوى غصن البان

من فات البدرين زينها وبهاها فتان

**يا صافي الجنحين** : عاد الشاعر إلى مخاطبة مرسوله بالوصف السابق، **صافي الجنحين** لإبراز صفة الصفاء في مرسوله، وغير من تصويره لحركيته، فبعد الصعود، والطلوع الذي يفترض في مسالك الدروب ووعورتها، ها يطلب منه التحليق في السماء **طر وانزل**، في مقابلة بين دليلين لغويين لإبراز قيمة ترتبط بالسرعة الفائقة التي لا تقبل الانتظار، بصيغة صرفية آمرة تتطلب التنفيذ الفوري، وهو

النزول في الصبانين<sup>1</sup> ، وكأننا أمام مخطّط يضع نصب عينيه خريطة الأماكن ويحسب المسافات والتوجهات، وبدلاً من العودة إلى الدرب الرابط بين درب دار الحديث (حالياً) والعودة في اتجاه (راس البحر) وهو درب الصبانين ولا يزال يحمل الاسم نفسه، يطلب من مرسوله الطيران للتنقل طلباً للسرعة لأنّ المهمة الموكلة إليه تغيرت، فهي هنا من قبيل التفقد والاطمئنان على المحبوب لا غير: **فاقد كحل العين شف من نُهوى غصن البان.**

ودرب الصبانين لا يزال في هذه الأحياء العتيقة القائمة إلى يومنا هذا، وهو يصل الطريق المحادي للسور – قازي أول ، وفي العهد الاستعماري جان جوريس Jean Jaures – ويؤدي إلى مدرسة دار الحديث اليوم، وهو درب صغير لا يمر منه إلاّ الراجلون، وينتهي عند السور الذي يطلّ على حقول أحواز تلمسان، مثل فدان السبع، شتوان، وعين الدفلى، عين الحوت، أوزيدان، على مدّ البصر لأراض فلاحية ولو أنّ البناء والمؤسسات الصناعية أتت على معظمها بالإسمنت الخرسانية .

**فاقد كحل العين:** في عامية تلمسان – وهي من أصل الفصيح – فاقد (بفتح القاف) فعل أمر، ترد بمعنى تفقد، وهنا المقصود هنا امرأة من درب الصبانين في الأحياء العتيقة لتلمسان القديمة، وهي القرينة المكانية التي تحدّد مكان إقامتها، وتعرف بلون العين وهو السواد، كحل مأخوذ من الكحل المادة المعدنية التي تكتحل بها النساء، كحل العين أي شديدة سواد العين، وهي ترمز لجمال العيون.

**شف من نُهوى:** شف أي انظر – فعل أمر – من (بمعنى الذي)، نُهوى فعل مضارع، وكله من الفصيح، وهنا نجد الصيغ التركيبية والصيغ الصرفية تتوافق مع النظام اللغوي الفصيح.

**غصن البان:** تشبيه المرأة بـ **غصن البان** من الاستعمالات الشائعة في الشعر العربي الفصيح، لوصف المرأة ذات القدر المتكامل، والشاعر يسير على منواله.

يا زين الدرجات نرسلك **لدرب الحوات**<sup>2</sup> ثم ظل و بات عند طول **علام الميدان**

مسبوغ الرمقات فاطمة قامة عود البان

يتابع الشاعر مخاطبة المرسل ويتفنّن في ذكره بأحسن الأوصاف، مدقّقاً في انتقاء الكلمات والعبارات : **يا زين الدرجات** وهي من أبلغ التعابير في وصف الطلعة وهنا بمعنى

1 ينظر الصفحة من هذا الفصل : صورة لدرب الصبانين ص 238.

2 درب الحوات في شمال المسجد الكبير، يوجد درب الحوات، وهو أيضاً من المنشآت التي كانت في مرحلة توسّع تاقرات، في المنطقة التجارية والحرفية.

المظهر الخارجي الجميل، ومن الاستعمالات التي تدلّ على مسايرة الظاهر الذي يناسب عصر الشاعر فهي الدرجات وهي جمع درجة والمقصود بها طلعة العصر وفي وقتنا "الموضة" لمقابلة الحبيب في أبهى مظهر.

**درب الخوات :** من دروب تلمسان القديمة، قرينة مكانية لملاقة الحبيب والتعرف عليه، ويطلب منه المكوث هناك ليتمكن من رؤيته، منطقة يكثر بها النشاط التجاري والحرفي.

**علام الميدان :** العمود الذي كان يتوسط ساحة المدينة، وهي القرينة الثانية التي لا يمكن لمرسوله أن يتجاهلها لأنها في وسط الميدان ويسهل التعرف عليها.

### مسبوغ الرمقات فاطمة قامة عود البان

**مسبوغ الرمقات :** للدلالة على الزينة الاصطناعية، أي تقوم بالصباغة لتبدي زينتها أمام الناظرين، ولفت الانتباه إليها بغرض الإعجاب والإثارة .

**فاطمة قامة عود البان:** فاطمة اسم المرسل إليها، وصفها بعود البان، طويلة ورقيقة وتظهر للعيان، استعارة لوصفها بالظهور والجللاء.

من **درب الصنعة تافرطة** له ادعى تصيب رباعه لابسين الشاش و روان

ستي و ربيعه مريم و ميره يا ورشان

**درب الصنعة :** اشتهرت تلمسان بدروبها التي كان ينشط بها أصحاب الحرف والصنعة، خاصة النسيج، وصناعة الأحذية، والذهب وغير ذلك من الحرف التي كانت رائجة في دروب تلمسان، وتافرطة التي لا تزال إلى يومنا هذا تعرف نشاطاً حرفياً وتجارياً تعدّ قبلة الزائرين، وهي من أكثر الأحياء اكتظاظاً بالمتسوقين.

كانت التجار في هذا الدرب - وأغلبهم من أصحاب المهن والصناعات - من الذين يتمتعون بالثراء والحياة الرغيدة، فكسبهم من مردود الحرف صنّفهم ضمن الفئات الراقية، وقد وصفهم الوزان بقوله: "الصناع أناس أقوياء يعيشون في هناء وامتعة، ويجنون التمتع بالحياة"<sup>1</sup>.

والشاعر في تواصله مع مرسوله لا يزال يؤكّد عليه بضرورة التنقل إلى هذه الأحياء التي يصفها بتميّزاتها ولأهميتها يقف عندها ذاكراً أخبارها وأوصافها، وهو يربط كلّ هذا بعلاقاته العاطفية فيها.

وفي تافرطة، لا يزال هذا الطريق الكبير الذي يتوسط تلمسان، يحمل هذا الاسم المتداول بين الناس. وتافرطة طبونيم أمازيغي ويدل على المرتفع الصخري، أو بقعة صخرية من الأرض، وفعلاً تافرطة الآن توجد في مرتفع.

#### الشكل رقم: 50

الصورة توضح تافرطة حالياً، وهي الآن تعدّ من الشوارع التي تعرف ازدحاماً في تلمسان العتيقة.



يوصي الشاعر بالتوجّه إلى هذا الحي الذي يعجّ بالناس، فيلاقي فيه جماعة ترتدي الشّاش - قماش يوضع على الرأس بدل الطاقية، وأحياناً يضاف عليها، وروان.

رباعه: جماعة من الناس، عادة تحوم حول الأربعة أفراد، تزيد أو تنقص بقليل، وهو من الاستعمال المشاع في المنطوق التلمساني.

<sup>1</sup> الوزان، الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي، ومحمد الأخضر، الجزء الثاني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان سنة 1983، ص 41.

لابسين الشاش و روان : ولعلّ ما ركّز عليه الشاعر في وصف مرتادي هذا المكان الذي زاول به أصحاب الحرف والصناعات تجاراتهم، ليس من الطبقة العادية أو الفقيرة بل هم ممّن يظهر عليهم الثراء والتعم<sup>1</sup>، فيصف لباسهم المتميز والذي يخصّهم بصفات دقيقة.

ويتضح هذا الوصف أكثر ويتأكد لما نقرأ عن هذه الفئة من الحرفيين في درب الصنعة الذي لا يزال يشهد على هذا النشاط الذي يصمد عله بعض الوارثين إلى يومنا هذا. ففي هذه الدروب التي تعددت في تلمسان وتنوعت نشاطاتها، تنوعت معها أسماءها وأخذت دواها التسموية من هذه النشاطات، تعييناً أو وصفاً أو حتى إيجاءاً، ففيها درب العطارين، والصباعين، والحدادين،<sup>2</sup> وغيرها ممّا يدلّنا على قراءات كثيرة بعد تحليل وتتبع لآثارهم، ممّا يؤكّد لنا الحياة الرغيدة التي سادت هذه الأحياء والناشطين بها، وهي شهادة على أنهم كانوا يعيشون حياة تتسم بالسعة واليسر، والرفاهية .

### ستي و ربيعه مريم و ميره يا ورشان

ستي: من الأسماء التي تعرف بها نساء المنطقة، وعادة ما يطلق عليهنّ تيمناً ب لالة ستي الولية الصالحة التي يوجد ضريحها في أعالي هضبة تلمسان، وقد اختلف المؤرخون في نسبها.

و ربيعه مريم وميره : هنّ بنات حي تافراطة من اللواتي كنّ يشتهرن بالصنعة، وكانت الفتاة التي تتقن صنعة نسوية معينة تتباهى بها أمام مثيلاتها من البنات، وشيوع القول الشعبي المسكوك "كل اصبع بصنعة" ، كان مثلاً يضرب لمدح الفتيات أثناء الخطوبة أو الزواج، وحتى الترويج لذلك يعد من المندوحات في وصف البنات، وينبه بعد ذلك ب ذكر رشوان نسبة إلى الرجل المصانع الذي يوظف في مهام مقابل رشوة، ومأخوذ من بعد وظيفي لبنات تمتدّ خيوطه ليصل إلة الأبعد.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص 52.

<sup>2</sup> رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي منالفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت) ، ص 490.

<sup>3</sup> ينظر قاموس معاني الأسماء.

يا زهو أنجالي نرسلك للقصر البالي يحضيك العالي لا تساعف في شيطان

بلغ سؤالي اعزم و خبرني باللي كان

يا زهو أنجالي: بأسلوب يميّز بتنقل الشاعر في تواصله بين طرفين في خطابه، مرة مرسوله وأخرى مقصوده من الخطاب أو كما يبدو في استعماله تداخل قصدي مع اختلاف في القراءة (نداء ومناجاة يصعب أحياء فك القصيدة من المخاطب)، يا زهو أنجالي : استعمال بلاغي لاستبدال لفظ المخاطب بالعبارة التركيبية إشارة إليه وإخفاء للبوح بالاسم، ولكن قد يكون أيضاً المقصود هو الطائر (القمري)، وهو الأرجح، ليرسله إلى وجهة مكانية القصر البالي ، طبونيم بتخصيصه للقصر بذر لفظ البالي للتعين والتحديد، وهو المقر الرسمي للحكم والإدارة المرابطية ، شيّد في حكم زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين عند محاصرته أغادير 1081م، بتاقرارت.

يحضيك العالي لا تساعف في شيطان

يحضيك العالي : دعاء له في مهمته، يحضيك من الحضوة، أي المكانة الغالية، لكنّ الشائع الاستعمالي للفظ هو بمعنى يحرسك، والعالي : جلّ في علاه من الأسماء الصفات من أصل الوضع، وهي ضمن القوائم الاستبدالية مع أسماء الله الحسنى.

لا تساعف في شيطان : النصيحة والتحدير بعدم الامتثال لنزوات الشيطان، فهو قد يبعّدك عن مقصدك.

بلغ سؤالي اعزم و خبرني باللي كان

تأكيد على المهمة الموكلة إليه، بلغ سؤالي، هنا نركز على الاستعمال العلي للفظ السؤال، فالمصود منه بلّغ سلامي وتحياي ، وأحياناً انشغالي به وعزمي على معرفة أخباره وما يقع له.

ثم يا قمري كامل الزين ضيا بصري من فضحت سري جفلوها اعلام النسوان

نارك يا بدرى اقدات في الجوف بلا دخان

ثمّه يا قمري كامل الزين ضيا بصري، يبدأ بالمكان لتحديد الأحداث به والأخبار التي تدور حول محبوبته فيه، إنه القصر البالي الذي ورد ذكره في البيت السابق، والتعبير في كل ذلك عن حالته النفسية، بعد ذكره لجمال النسوان اللواتي يضمنن بحسنهن المكان، فيقوى بصره.

يتحدث الشاعر عن حالة خاصة ويكرّرها في الاستعمال، مخاطباً ذكر الحمام : يا قمري مبيناً أن الرسول في مهمته هو ذكر في جنسه، وكما طلعته الجمالية، مبدياً هيجان الشوق فيه، وما تركه فيه من حرقة، وآلام البين، مشبها ذلك بنار بلا دخان، وكأن الأمر يخالف ما جرت عليه العادة عند غيره من عامة الناس، يستدلون بالدخان علامة على وجود النار، وها هو في صورة من يحترق ويكتم سره، فلا علامة تدلّ على ناره (في الجوف بلا دخان).

من فضحت سري جفلوها اعلام النسوان : يعد للتي كانت سبب الفضيحة لشغفه بها، فاستعمل لفظاً لغير العاقل وهو فرع الحيوان عند المباحثة وردّة الخوف، فاستعملها لغير ما وضعت له في الأصل، وتستعمل في اللهجة التلمسانية بمعنى الخوف والارتباك: جفلوها اعلام النسوان: فهو الكلام الذي يدور حولها من تشبيب وتعلق بها إلى درجو عالية لما يتردد حولها من كلام على لسان الشاعر.

### نارك يا بدرى اقدات في الجوف بلا دخان

نارك يا بدرى اقدات : يقصد الشاعر امرأة بعينها، هي بدرى وهو اسم جنس للعلم المقصود، وهي مسبوقه بالنداء، ويفترض فيها التاء المربوطة بدلاً من المقصورة، وتكون مرفوعة في محل نصب. فالاستعمال العامي يميز هذا التحول لكون الفصيح أجازته في مثل بُنى وسُعدى<sup>1</sup>. وقد وردت عند الشاعر نفسه بالتاء المربوطة في مثل البيت :

من ثم أعط زوره لعند كحل السالف بدرة ضاوية الغره شبيهة البدر حين بيان

والصورة تعبر عن معاناة الشاعر والأثر الذي تركته عليه، فهي نار زاد اشتعالها، تعبيراً منه عن استمرارية الأثر.

<sup>1</sup> وتسمى أيضاً ألف التأنيث المقصورة.

في الجوف بلا دخان: يحدّد موطن هذا الأثر المعنوي الذي اعتاد الدخان هو الدالّ عليه، إلاّ في حالته فهو يخالف المعهود، إذ لم يعدّ المعلوم (الدخال) يدلّ على غير المعلوم، الدخال علامة على وجود النار: الأثر المادي الذي يدلّ على شيء خفي.

فها هو الشاعر يعلن عن آلام بداخله (في جوفه)، ويخفي ما يفضحه (الدخان)، إنّها معاناته في صمت على عادة الشعراء، وبالبحر بالترميز لا بالصوت.

افهم ذا المعنى زيد يا قمري برزانه      افقد بو خانة ذكرها من باب ايلان

فضل مولانا زينها عن جمع النسوان

افهم ذا المعنى زيد يا قمري برزانه: يؤكّد الشاعر التعبير بالمعاني والتميز، ويطلب الفهم والتركيز، ويطلب من مرسله متابعة المهمة برزانه وفي الهدوء الذي يطلبه المقام من سرية وحيطة، يا قمري نكرة قصودة بالخطاب ليستدل على القرب منه، وهي صورة تدل على فرد الحمام من بني الجنس الواحد وهو غير معين في صنفه، فشأنه في هذه الحالة شأن النكرة (المعنى العقلي العام المجرد، أي الحقيقة الذهنية<sup>1</sup>).

افقد بو خانة ذكرها من باب ايلان : افقد، فعل أمر، مع تحديد المكان الذي يتوجه إليه ليتفقّدها فيه.

بو خانة: لا يبدو منه اسم علم، بل هو استعارة للتعبير عن المقصود بالأوصاف التي يحملها، وبو خانة (صاحب الخانة)

باب ايلان: من الأبواب القديمة في تلمسان، والمكوّن الاسمي باب للطبونيم باب ايلان، اليوم تسمى "Babylone"، وغيرها في مثل باب زير<sup>2</sup>، إشارة إلى العشرة أبواب التي كانت تحيط بمدينة تلمسان، أغلب هذه الأسماء .

1 عباس حسن، النحو الوافي ، الجزء الأول، ص 289 – 292.

2 باب زير، ويعود تاريخها إلى القرن 11 ويعود اسم المكان باب زير نسبة إلى زيري بن عطية المغراوي احتلال

أقادير في (1070) من قبل يوسف بن تاشفين. <https://www.djazaires.com/fr/lqo/5139481>

إذا كنت طرقي نرسلك للسوق الفوقي في درب الشوقي عند جامع سيدي عمران<sup>1</sup>

ثمه كثر شوقي وخفت سري للناس بيان

**طرقي:** رجل من الرحالة والمقصود به الرجل الأزرق الكثير السفر أو التنقل (الترقي). وقد يكون القصد من استعمال الـ "طرقي"، من الطريقة والمقصود المريد الصوفي الذي ينتمي إلى طريقة، وهو احتمال ضعيف.

**السوق الفوقي:** السوق الذي يتوسط المدينة وهو فيه جهة تحتية وأخرى فوقية، في منطقة الرحبية قرب باب الجياد، وغير بعيد من عرسة ديدو، وهي المنطقة التي عرفت نشاطا في عهد يغمراسن بن زيان، أثناء إقامة المنطقة السكنية المخصصة لاستقبال الأندلسيين الفارين من الإسبان، وهي: حي باب الجياد، حي الرحبية، درب الفوقي حتى درب السرور على الحدود الشرقية للمشور.

**الشكل رقم: 51 درب الشوقي** يتوسط المدينة العتيقة وهو قريب من باب الجياد، ومحاط بأحياء تجارية ذات نشاط كبير. وأما عن السوق فلم يعد له وجود لقدم الحي وسقوط كثير من الديار والمحلات، غير أنه لا يبعد عن سوق درب المنصور، القيسارية، سيدي حامد، وغيرها من الأسواق.



**درب الشوقي:** من دروب تلمسان العتيقة، وتضاربت حول تحديده الأقوال والرويات، فمنهم من يعزم على انقراضه بحكم تقادم البناءات، ومنهم من يراه من التغييرات التي أحدثتها الاحتلال الفرنسي في المدينة.

<sup>1</sup> عزي بوخالفة، شواهد إحسان على مآثر الحروسة تلمسان، منشورات وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، سنة 2011م، ص 84.

**جامع سيدي عمران:** قد يكون في درب سيدي عمران جامع قديم ولم يعد له وجود، وقد يكون مصلى في مقام سيدي عمران، وبما أنّ البناءات أحاطت بالمكان من كل الجهات، فقد اختفى المصلى ومقام الولي، هذا الاحتمال الأول الذي استقيناه من عين المكان، أمّا الاحتمال الثاني وهو جامع أولاد الإمام وهو المقصود بحكم تقارب الدربين واشتراكهما في مدخل واحد من جهة شارع الشهيد الرائد جاب، وهو درب أولاد الإمام لغاية فران العبد الذي يبعد عن الدربين بأمتار.

ويضاف المكوّن "سيدي" تصنيف قيمي في مثل سيدي عمران، وسيدي بومدين، وسيدي الحلوي، وغيرها كقيمة دينية للأولياء الصالحين، وهي رتبة قيمة دينية وتصنيفية اجتماعية وشرفية أيضاً، لكنها في هذه الاستعمالات، ينالها عادة الصوفية ورجال الدين من أولياء صالحين وأسماء الصحابة والتابعين، كما هو الشأن في سيدي يعقوب، وسيدي وهب<sup>1</sup> دفين حي سيدي يعقوب، وهي تتردد مع ذكر أسماء الأولياء الصالحين (Eponymes)، وهي طبونيمات تستمدّ أسماءها من الأسماء الأعلام ذات المراتب العالية، وعادة تشتهر بها المجتمعات ذات الضابط الديني ببعده التقديسي (Hagiotoponymes)، وهي مجتمعات تخضع للوازع الديني، ومنها المجتمعات العربية الإسلامية، خاصة في عصر الانحطاط الذي كثرت فيه هذه الألقاب، وضعف فيه المنتوج الفكري والأدبي<sup>2</sup>.

خفت السر ييوح إذا ذكرت اسم زهو الروح      القلب المجروح خايف على قلب الوسنان

لاي مقروح من هواهم جرعت المحان

**خفت السر ييوح :** عادة ما يخاف المحب من كشف حاله، فتراه يختلس النظر ويستعمل الوسيط حتى لا ينكشف، ولكنه من كثرة شغفه يكاد يبين، وهو يحترس من الزلل بذكر الاسم، كما يعبر عن ذلك بقوله: " خفت السر ييوح إذا ذكرت اسم زهو الروح".

**إذا ذكرت اسم زهو الروح :** الصورة تغني عن البواح، فهو يخبر أنّ اسم زهو الروح للدلالة على أنه يجد في ذكر اسمها مؤانسة تريح النفس وتزهيهان فهو يستعمل العبارة: "اسم

1 هو أبو عبد الله وهب بن كمال السعاني، فارسي الأصل من نواحي مرو، وتوفي سنة 114هـ.

2 صالح خريفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 16.

زهو الروح" : في طرح استبدالي للتعبير عن اسم المحبوب بوصف يغني عن التصريح، ويؤدّي الوظيفة التعبيرية بالتلميح المعنوي الراقى للمليح:(زهو الروح)، ثمّ يصف حاله بالقلب المجروح، الذي لا يتحمل الأذى الذي قد يصيب القلب الوسنان، قلب الحبيب، وقد يكون المقصود بالقلب الوسنان قلب الشاعر الذي لم يعد يتحمّل هذه المعاناة، وكأنّه يشفق لحاله ....

يبقى الشاعر مع وصف حاله الوهّان، والقلب المصاب الذي لم يعد ملكاً له، فهو أسير هواه: **القلب هوى ليك**، ويرى في رياض بن فارس هديته ورهن إشارة لتكون بين يديها ثمناً يليق بها، والآن هذه الرياض لا تمثّل إلاّ اسم الدرب الذي لا يزال إلأى يومنا يسّمه.

القلب هوى ليك رياض بن فارس بين يديك فاقد من يهويك يا لقمري زرق الجنحان

بألف سلام عليك ترجع لو يهديك الرحمن

**فاقد من يهويك** : وكما يدل المعنى السطحي اللغوي، فهو لا يجيد عن هذا المعنى والذي بيدي فيه الشاعر رغبته في لقاء من يهوى، وكأنّه يترجّاه لما ألمّ به من شوق.

**يا لقمري زرق الجنحان** : الاسم الذي تردّد للمرسول، فيصفه باللون المميز للحمام الحامل للأخبار السارة، وهنا نجد تقارب الشعراء في استعارة خاصة للوسيط كما يتردّد عند شعراء كثيرين من أمثال مناجاة الحمام عند أبي فراس الحمداني وهو في السجن<sup>1</sup>، ومناجاة محمد العيد آل خليفة بينه وبين الطائر (أبي بشير).

**رياض بن فارس** : قد يكون هذا الطبونيم أخذ دالّه التسموي من جمال البساتين التي كانت تلمسان تتباهى بها في الحسن والجمال.

أيا جارتا هل تشعرين بحالي ؟  
ولا حطّرت منك الهُمومُ بيال

1 أقولُ وقد ناحتُ بِقُرْبِي حمامةً  
معاذَ الهوى! ما دُفّتِ طارقةُ التوى

**الشكل رقم: 52** هذا الدرب الذي يقابل حمام بابا أحمد ويقع مدخله من شارع معركة فلاوسن، شارع ستالين قراد سابقاً، Haêdo. قد يكون هذا الدرب يحمل اسمه من واقع طبيعته قديماً، أي رياض تعود لعائلة ابن فارس.



رياض ابن فارس لها مدخل من الجهة التي تعد واجهة من مدخل شارع باب الحديد، نْج بارس سابقاً، ولا يبعد كثيراً عن مسجد سيدي إبراهيم الغريب، وبضعة أمتار عن سيدي زكري الذي له مدخل على شارع ابن خميس.

**الشكل رقم: 53** الصورة تبين مسجد سيدي زكري يقع في درب سيدي زكري، وهو من جهة يطل على باب الحديد، شارع بارس سابقاً، ومن الجهة الأخرى يتقاطع مع ابن خميس، وهو غير بعيد عن جامع سيدي إبراهيم.



يا زين الجنحين نرسلك تمشي لي في الحين **لدريبة بن سكين** شفها ورجع في الأمان

انظر بحر الزين انشهر في بلد تلمسان

**دريبة بن سكين** : درب من دروب تلمسان، وأراد التعبير بصيغة الدريبة بدلا من درب، وهو عادة ما يطلق على الدروب الصغيرة وهي في الغالب تنتهي عند سكنات ولا تتقاطع مع شوارع أو دروب أخرى، ودرب بن سكين لم يعد معروفاً وقد يكون من الدروب التي تتواجد في الأحياء التي خضعت للهدم إبان مرحلة الاحتلال.

**بلد تلمسان:** البلد يقصد الجهة التي تعني المنطقة التي يقطن بها، وهي مدينة تلمسان لما اشتهرت به من جمال عمارتها ونسائها بل وطبيعتها الخلابه التي تكثر فيها البساتين والمياه المتدفقة في كل الجهات..

يا صافي الاهداب باب الحديد تطوف الادراب آه على من صاب يعطفوا لو بعد التيهان

علينا الاحباب طولوا الغيبه يا ورشان

**يا صافي الاهداب:** يتكلم الشاعر عن القمري (ذكر الحمام)، ويصف صفاء أهدابه التي لا تحجب نظره، فيكون بذلك دقيق النظر في طوافه من باب الحديد التي تتألف من عدة دروب، وهي كثيرة تبدأ من الباب الرئيسية في سور تلمسان ونزولا إلى حي الفخارين، معددا دروبها التي تتقاطع مع دروب أخرى، بقوله : **باب الحديد** تطوف الادراب منها : درب معركة فلاوسن، درب سيدي عمران، درب سيدي زكري، وغيرها من الدروب الكثيرة .

وباب لا يزال يشهد على عظمة السور وهو قائم إلى يومنا، رغم التعديلات والترميمات التي أجريت عليه في العهد الاستعماري الفرنسي وفي الجزائر المستقلة.

في باب الحديد يوجد مسجد سيدي بوعبدالله وهو مسجد عتيق ، ولا يزال يشهد نشاطات بوظيفية : العبادة حيث تقام فيه الصلوات الخمس، وتحفيظ القرآن الكريم إلى يومنا هذا، وقد أجريت له ترميمات بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.

#### الشكل رقم : 54

مظهر صورة باب الحديد على ما هي عليه الآن مع تعديل لترميم ما بقي منها.



- الشكل رقم : -

**الادراب :** جمع دروب (غير مستعمل في العامية الحالية)، والأفصح والأشهر دروب، وهو الشائع في المنطوق التلمساني ، وقد يكون انتقاء الجمع بهذه الصيغة للضرورة الشعرية، وقد يكون الشاعر أراد بـ"أدراب" جمع الجموع، أي جمع "دروب"، والمراد كثرة الدروب التي تتقاطع مع درب الحديد ومنه توجد مداخل هذه الدروب، وهو واقع لا يزال.

**آه على من صاب يعطفوا لو بعد التيهان :** هي الحسرة التي يبديها الوهّان في تصوير رهافة حسه، والتعبير عن مشاعره، طلباً للعطف والحنان، وهي صورة تبدي ضعفه، نظراً لتيهان المرغوب فيها، وهي تزيد في امتناعها واستعصائها عليه، ما يزيده إلحاحاً في الطلب.

**يا ورشان:** كنية عن الجمال، وهو اسم طائر من فصيلة الحمام يميل إلى السواد، وفوق ذنبه بياض، وهو في قاموس المعاني أكبر قليلاً من الحمامة المعروفة، ويضرب به المثل لمن يظهر شيئاً والمراد شيء آخر<sup>1</sup>.

يناجي الورشان، ويشكو له معاناته من الغياب الذي لم يعد له صبر التحمل، وحنينه إلى أحبائه تقوى وزاد.

يا زهو الخاطر لا تخل دار على الامر      وادخل المشور بالك تخاف من الديوان

مكتوب مقدر كل ما يجري للانسان

**المشور :** لا يزال إلى يومنا، يمثل الحصن العظيم لتلمسان<sup>2</sup>، وهو من الآثار الباقية والتي تخضع لترميمات باستمرار، قصر الحكم لبني عبد الواد، وأنشئ في أواخر القرن 13م واستمرت الإنجازات به إلى النصف الأول من القرن 14، به قصور ومرافق ، والمسجد<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> \ <https://www.almaany.com>

<sup>2</sup> مسعود بن صاري، جماليات المكان فيحاضرة تلمان، منشورات ابن سنان لتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م، ص 147.

أدخل الاستعمار الفرنسي عدة تعديلات عليه، بقصد تشويه معامه وطمس هويته.

### الشكل رقم: 55

تبيّن الصورة المدخل الرئيسي للمشور - باب المشور - وهو اليوم يقابل دارر الثقافة بتلمسان. وبداخل المشور توجد قصور ومسجد، ومنها قصر السلطان الذي بناه يغمراسن بن زيان في أواسط القرن السابع الهجري.



**الديوان :** يوجد داخل المشور، ويمثل الجهاز الإداري للحكم.

### الشكل رقم: 56

القصر الملكي الزياني ، بالمشور . وقد تمّ ترميم القصر وإعاجه تهيئة بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية.



ثم شي هيفات زينهم فات على البنات طوموم وجنات و أم الحسن زين الفتان  
بها الروح فنات والعقل طار بلا جنحان

**هيفات :** جمع هيفاء، سقطت الهمزة للخفة، استعمال شائع في العامية الجزائرية، وهي المرأة المرآة الرقيقة الخصر ، والضامرة البطن . ويطلق على المرأة الطويلة الفاتنة، وهيفاء من الهيف، دقة الخصر وضمور البطن فهو أهيف وهي هيفاء....

<sup>1</sup> محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، جغرافيا وتاريخيا وفنيا ومعمارياً، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر سنة 2011م ، ص 242.

**طموم وجنات و أم الحسن :** يذكر بنات الحي بالأسماء ويصفهن كما يفعل شعراء الفصيح بتشبيهن بالغلان، وغيرها من الأوصاف التي تدل على الفتنة والإثارة، ولكنه يربط هذه الأسماء بطبونيومات للدلالة على مكان الإقامة أو التواجد، ويبين قوة التأثير الذي تتركه بنات هذه الأحياء أو الدروب ....

**طر واعزم في الحين للقصيبة و الغساليين** ثم طاح الزين و انشهر فوق الربع اركان

حتى من قرغلين و الحضر و جميع السكان

يوجه القارئ إلى مكان تواجد الجمال، بنوعيه من حضر ومن قرغل، وغيرهم من سكان هذه الأحياء التي تتصف بتنوع الأصول والطبائع، فيركز على القصيبة والغساليين.

**القصيبة :** تصغير قصبة ، حي سكاني في المدينة العتيقة .

**الغساليين :** روايات عديدة ولكنها تربطها في كل الأحوال بأحياء اليهود، أو بمقبرتهم في اقباسة، هناك من ينسبه إلى درب اليهود سابقاً، أين تمّ بناء معبد خاص بهم عرف باسم الأب الروحي لليهود إبراهيم أنكاوة، وعرف أيضاً باسم "الغساليين" أعيد ترميمه بعد تحريمه سنة 1842م، وحسب الروايات فإنّ هذا المعبد يوجد على يسار مدخل الشارع المؤدي إلى البيعة الكبرى باقباسة، وتحول إلى مزار لليهود في ما بعد. وقد تحوّل - وفق روايات - إلى دار للقضاء.

**الربع اركان:** يقصد الزوايا الأربع لتلمسان (الجهات).

**قرغلين و الحضر<sup>1</sup> :** من سكان تلمسان الذين ينتسبون إلى الأتراك عرقاً<sup>2</sup>، وفي مقابلة الحضر مع وجود تداخل في تحديد الحضر هل هم السكان الأصليين "بني ورنيد" أم سكان المدينة .

ذا الزين المكمول شي بناوت في درب الشول خلاوني بهلول خاطري و دليلي حيران

<sup>1</sup> Tlemcen Ville Française , Tome 1<sup>er</sup>, P

<sup>2</sup> عرفت تلمسان في العهد التركي تراجعاً للمد العمراني للمدينة طيلة ثلاثة قرون، وتوقف عطاؤها الثقافي، إلى أن تعود مع ظهور الأمير عبد القادر أثناء كفاحه ضد الاستعمار الفرنسي. ينظر : عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، ص 106.

## رح لهم مرسل بالرضى والجود وحسان

للشاعر مسار يتبعه في دروب تلمسان، يقف عند بنات هذه الدروب والأحياء واصفاً  
جماهنّ بعبارات لهجية محلية عادة تكون من الفصيح المبسط المتداول بين أفراد الأحياء الشعبية، ذا  
الزین المكمول تركيب اسمي لا يختلّ فيه النظام، وينتهي بسواكن لها تفسيرها في الإعراب العربي،  
وهو الخفة والراحة في لغة العربي منذ عصور الفصاحة.

شي بناوت في درب الشول : (شي) في منطوق تلمسان يدلّ على القلّة (البعض) من  
البنات في هذا الدرب أي في درب الشول ، ونظرا لجماهنّ الفتان خلاوي بهلول : فاقد للأهلية  
بحكم عدم قدرته على التفكير، انفلات عقلي لا يستقيم له تحكّم في تصرفاته، خاطري و دليلي  
حيران : يتحدث الشاعر عن حاله الضائع، ومن يرتفقه في حيرة من أمره، ومن هذا الواقع الذي  
يفقده تحكيم العقل، وقد يقصد به - أي دليلي حيران - أي حيرة العقل واختلاله لكونه الميزان  
الذي يحتكم إليه في سلوكاته.

درب الشول : درب في تلمسان العتيقة، يعود إلى العهد الموحدى، وهو قريب من حارة الرمة،  
ودرب الشولي هذا يوجد حاليا بالقرب من سينماتك، ومرورا بدرب حلاوة (شارع الفاطميين)،  
ويبدو أن للشعراء مع هذا الدرب وقفات، فهذا الشيخ بن مسايب يذكر الدرب وذكرياته الغزلية فيه:

### غزيلي من درب الشول

كحل السالف عايشة

رح لهم مرسل بالرضى والجود وحسان : لا يجد في حاله إلاّ الاستسلام لواقع الحال،  
ويطلب من مرسله أن يعود للقيم التي يفرضها الوضع الاجتماعي والأخلاقي المتمثلة في  
صفات الذي يرضى بما كتب الله له، ويتجاوب مع المحيط بالجود والإحسان.

ويستمر الشيخ بن سهلة في تتبع الأمكنة المختلفة في تلمسان بأسمائها وأسماء دروبها  
ومختلف المحطات التي وقف بها، أو له بها ذكرى أو صورة ثبتت في حياته واستقرت في مخيلته  
لأهميتها العاطفية أو الوجدانية، فيذكر المكان الجذاب الذي لا يستطيع تجاوزه دون الوقوف به،  
وتحميله في شعره "درب ملالة" فيه حصر ما يشاهده من بنات حيه.

ما كان مسالة ولا حديث إلا بقبالة في درب ملالة ياك ريت عراض الغزلان

## طفلة زعباله تعذب العاشق بالتيهان

ما كان مسالة ولا حديث إلا بقبالة : يجعل الشاعر من هذا الدرب محطة للتقابل نظرا لما يراه من مشاهد مثيرة لبنات هذا المكان **درب ملالة** ، الذي يذكره بقرائن العروض، فتيات لأن المكان تتقاطع فيه طرقات فهو يبدأ من **شارع المنصور** ويتفرع عنه إلى داخل الأحياء، وهي أحياء شبه منغلقة لأنه لا مخرج لها إلا بالعودة إلى **شارع المنصور**، ولا يزال الدرب في حي سكني قديم، وهو اليوم يحمل اسم عيسات إيدير، واسم ملالة نسبة إلى قبيلة ملالة<sup>1</sup> . وفي وسط هذا الجمع طفلة مثيرة، والقصد منها فتاة "زعباله"<sup>2</sup>، وهو لفظ في عامية الجزائر ، في غربها وشرقها كما ورد في شعر من المروث الشعبي قصيدة: "عشق الجارة" :

أسباب لعيتي طفلة زعبالة      من خدها يزيد حاجب وعيون  
سبات بشفة حمراء مذبالة      أحلى من عسل تمر العرجون

**درب ملالة**<sup>3</sup> : من الدروب المشهورة في تلمسان العتيقة، ما الذي يلفت انتباهه إليه؟ وما الذي يثير معاناته؟ يحدد المرحلة العمرية لها، ويحصر أثرها، ويذكر سبب الإثارة فيها، لما رآه فيها من تيه.

ودرب ملالة، يعد من إنجازات مرحلة التوسع نحو الجنوب الشرقي لتلمسان، وذلك أثناء تهيئة المنطقة الوسيطة التي شرع فيها يغمراسن بن زيان المؤسس الحقيقي لدولة بني عبد الوادي<sup>4</sup> (1282 - 1236).

1 عمر العشعاشي، ماضي تلمسان المجيد، يغمراسن مؤسس عاصمة المغرب الأوسط(مرجع سابق)، ص 42.

2 لفظ زعبالة يطلق على البنت التي تتمايل في مشيتها، وتنبه بين الحضور قصد الظهور.

3 درب ملالة : ذكره ابن مرزوق الخطيب، فظنه الشيخ الصالح علي بن محمد الحمال.

4 عمارة عمور، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى 2002، ص 79.

### الشكل رقم: 57

الصورة تبين مدخلاً لدرب املالة، هذا الدرب الذي لا يعرف له مخرجاً. ودرب ملالة ينقسم بدوره في الداخل إلى دربين صغيرين، وهما ينتهيان إلى دربين لا مخرج لهما، وتوضحهما الصورة.



يا قمري نوصيك درب الغفلة ما نوريك انظر من بيغيك زينها في البهجة سلطان

في الدهر الغاويك كل يوم مجدد سلوان

بيدي الشاعر حرصه على توجيه مرسوله وتقديم النصائح كي يحتاط من العزال لكي لا يفتضح أمره: يا قمري نوصيك درب الغفلة ما نوريك، فالأمر أكبر من أن يُشهر، لكن تمنّ وانظر في بنات البهجة (تلمسان)، الجمال (زينها)، عينة مرجعية يقاس عليها (سلطان).

**البهجة :** اسم لتلمسان، أطلق عليها من بين أسماء أخرى اشتهرت بها تلمسان، كالجوهرة، والعروس وغيرها. والبهجة هنا هي "كناية لما يُهيج"، وذكرها شعراء آخرون<sup>1</sup>.

**في الدهر الغاويك كل يوم مجدد سلوان :** وهنا الشاعر لا يتوانى في تحديد موقفه من النساء بوضع الوصف في خانة الهاوي الذي لا يرى لنفسه نهاية لتعلقه بكل من تغريه، فالزمان عنده الدهر يغوي ويجدد فيه تحديد التعلق والانجذاب اللذين يجددان فيه البحث عن السلوان (هنا من التسلية) لأنه يتكلم عن درب ملالة أين تتكرر عروض الغزلان (بنات الحبي). .

حالعارم نھوى زينها مكمول لحسان

من ثمه تھاوي يا حمام لدرب حلاوة

<sup>1</sup> منهم الشيخ ابن مسابب في قصيدته :

في المقام العالي والمنزل الرفيع  
والمعاني والحسن الفايق البديع

كانت البهجة عند سلاطين العرب  
عاشقتها ملوك الزهو والانطراب

## دعوها دعوة شيبتي دون الشبان

### الشكل رقم: 58

الصورة لدرب حلاوة ، نّحج المرابطين سابقاً وهو يبدأ من شارع باب الجياد إلى أن ينهي إلى مسجد سيدي القلعي بالشارع الذي ينحدر من درب سيدي حامد ويتقاطع معه.

وهذا الدرب لم يعد به النشاط الذي كان يزخر به من محلات مهنية وحرفية ، ولم يبق منه إلا القليل وجل المحلات مغلقة وفي حالة غير مؤهلة لتأدية وظائفها.



**درب حلاوة :** ويسمى اليوم نّحج المرابطين، وهو يربط شارع باب الجياد بدرب القيسارية، وهو ضيق ولا يتسع إلاّ للمارة الراجلين، ويقابله مسجد سيدي القلعي الذي يتواجد في حي تجاري وصناعي تتقاطع فيه عدة دروب كلها ذات نشاط وتحيط به الأسواق من كل الجهات.

تم إنشاؤه في العهد الموحيدي عند قام يغمراسن بن زيان بالتوسع وتهيئة الجهة الجنوبية الشرقية، بالأحياء السكنية والتجارية والحرفية<sup>1</sup>.

### الشكل رقم: 59

الصورة لمسجد سيدي القلعي، شارع الإخوة بن شقرة ، يتقاطع مع درب سيدي حامد سابقاً lamoriciere، ومن الجهة السفلى يتقاطع مع نّحج قوار حسين وهو النهج الذي يتقاطع مع باب الحناد).



من ثمّه تهاوي يا حمام لدرب حلاوة : لا يغير الشاعر نمط الحوار الذي بدأه مع مرسوله، ففي وصيته للذهاب للمكان الذي يتميّز ببعده العاطفي الخاص لأنه لا يقف عن امرأة بعينها فهو مشدود لكل النساء ففي كلّ واحدة منهن ما يسحره، فيطلب منه أن يتحول إلى درب حلاوة،

<sup>1</sup> عمارة عمور، الموجز في تاريخ الجزائر، ص 79.

هذا الدرب الضيق الذي يوجد في وسط المدينة العتيقة ويشتهر بنشاطات تجارية وحرفية تجعل منه يعجّ بكل أصناف المارة، فما المطلوب ؟

حالعارم نھوی زینھا مكمول حسان : حالعارم، امرأة بعینھا فی درب احلاوة بمواصفات تثير كل من يراها، جمال وقدّ وفتنة وإثارة، هي ما يتلخّص في لفظ العارم، ويركز في وصفها بالكمال في الحسن والجمال.

أمّا العارم في معناها العام، فهي المرأة الممتلئة المثيرة، وهذا معناها في التداول العامي والشعر الشعبي، وفيما يخص معناها اللغوي المعجمي الفصيح، لا تبتعد كثيراً عن هذا المعنى. فقد ورد معناها في معجم المعاني الجامع للدلالة على اشتداد العواطف وخروجها عن الحدّ.

دعوئھا دعوة شيبتي دون الشبان : قد يراد بالدعوة الأولى الطلب (من دعته أي حسنها الذي أثاره فاستجاب، و الدعوة الثانية كما هي شائعة في التداول الشعبي: ما أصابه من الأذى المعنوي أي التعلق بها عن بعد، وتأثره دون نيل المراد فكانت نتيجة المشيب دون غيره من الشباب الذي لم يقع كما وقع شاعرنا، وهو تخريج لا غير.

يا جيد الاطيار نرسلك لدرب السمار تاتيني بأخبار يا قمري تنظر بعيان

وداً للتسمية السمار القمر والشمس في الامزان

يا جيد الاطيار: يخاطب الشاعر مرسوله بتفضيله من بين جنسه من الطير، فيعتبره من أجوده في صنفه، وهو في كل ذلك لا يتوانى عن وصفه بأحسن الأوصاف، ويؤكد على أنه سيرسله إلى مكان مخصوص ليأتيه بالأخبار من درب السمار، وقد يكون في صيغة الأطيّار جمع الجموع أي جمع طيور.

درب السمار : درب بتلمسان العتيقة، وهو في وسط المدينة لقربه من الفنادق التي ترتادها الخيل، فكانت تسمّر فيها الصفائح التي تحمي حوافرها، واستعمال المسامير لحوافر والبغال أو في صناعة الأحذية التي كانت تكثر في هذه الأحياء، ولذلك تعدّ من بين أكثر الاحتمالات التسمية.

**الامزان :** جمع ميزان، وقد لا يقصد الميزان الذي يستعمل للكيل، بل للموازنة بين أمرين أو للمفاضلة ، وهو احتمال وارد بسحب قراءة سياقية لا غير.

كل زين سباني وتلف عقلي يا تمحاني في درب الملياني عند جامع سيدي الوزان

**درب الملياني<sup>1</sup> :** يذكر درب الملياني في قصيدة غزلية للشيخ أحمد بن التريكي، وكان مرجعية هذا الدرب عنوان الشيخ ابن التريكي، فهو يحدّد الحومة المتواجدة في باب الجياد، وهي أيضاً تقرن بجامع سيدي الوزان، غير أنّ موقعها الدقيق غير معلوم نظراً للتعديلات التي أدخلت، ولذلك تعددت الرويات حوله<sup>2</sup>.

### الشكل رقم: 60

الصورة لـ"درب الملياني" لا يفصل عن مسجد الشريف الوزان إلا بضعة أمتار، أو يفصله عنه درب الشريف الوزان حالياً، وهو درب لا يؤدي إلى مخرج، وإنما ينتهي إلى سكنات.



تلمساني أبوياسكري

أنايا من تسألني في الأصل

### مفهوما ربوة المدن ارتسمت فالقادم

والشاعر هنا يريد أن يثبت الهوية التي ينتسب إليها، أي أنه ليس غريب على الوسط، فهو في أصله تلمساني، يعرّف بنفسه، وتساؤله عن حاله ومعاناته بالعامية التلمسانية، إلا أنه في استعماله أبوي نداء وتوجه في الخطاب إلى الأب طلباً للدعم والمواساة إلى القلب الكبير الذي اشتهر بالعطف والحنان.

<sup>1</sup> درب الملياني يوجد في باب الجياد، وقريب من درب سدي الوزان الذي يؤدي إلى الرحبية، وهو يقابل المسجد

ولا يفصله إلا الدرب (درب سيدي الشريف الوزان) .

<sup>2</sup> جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، ص 160.

أما الشائع في القائمة الاستبدالية والاستعمالية للأب هي ابّ أمّا أبوي أقلّ استعمالاً في تلمسان وأحوازها. أبوي كراني، عبارة تفيد الاستفهام الإنكاري، إنكار الوضع والحال الذي آل إليه، كراني رفض حالته التي وجد نفسه فيه لقوة الضاغط العاطفي.

ويستمر في تحديد هويته وإقامة سكنه في وسط المدينة، بل في أعتق أحيائها، واللفظ الشائع للدلالة على الحميمية التي لا توجد إلاّ في الحومة، وفي درب الملياني، أكثر دروبها دلالة وارتباطاً، فهي تعبر عن الانتماء، بجوار الولي الصالح سيدي الوزان، تعبير عن قداسة المكان في درب الملياني كما يصوره في البيت:-

### درب الملياني<sup>1</sup> أبويا كراني

### ساكن باب الجياد حومة

#### الشكل رقم: 61

الصورة لـ " حومة درب الملياني" وهي تجمع درب الطول - كما تظهره الصورة - ومدخله من باب الجياد، ويلتقي مع درب الشريف الوزان، ودرب الملياني.



عام احداش الميا وعشرين اسمع يفاهم

وعلى ما اعضمه فراقك ياعين العارم

ولعل للقصيد مزية تكمن في - زيادة على الفضاء المكاني - زمان عصر الشاعر، ولذلك فاستعمال هذه الأسماء الأعلام كانت موجودة منذ تلك الحقبة، إن لم تكن أسبق، أي سنة 1120م.

جامع سيدي الوزان : ويلقب بـ "الشريف الوزان" لا يزال الجامع والدرب يحملان اسم

الولي الصالح، وهو جامع صغير لا يفتح إلا للصلوات الخمس.

<sup>1</sup> الشاعر المراكشي، أحمد بن علي الملياني، وهو يتقاطع مع باب الجياد، وليس بعيدا عن درب حلاوة، وتصويره من قبل الشاعر دقيق جداً.

ولا يزال الدرب يحمل اسم "درب سيدي الوزان" إلى يومنا هذا إلا أنه زيادة ضيقه، عرفت البناءات المهترئة أصلاً انهيارات وهشاشة ما بقي بالرغم من الترميمات والدعامات المتواجدة في بعضها.

#### - الشكل رقم: 62

يتواجد هذا المسجد قرب ساحة الرحبية (قرب باب الحيداد)، وهذه الصورة الحالية للجامع كما هو الآن، وقد خضع لترميمات وتغييرات.



وبهذا التجوال مع الشاعر الشيخ بن سهلة نكون قد تنقلنا عبر محطات، لو يقف عليها القارئ سيجد نفسه في زيارة لتلمسان العتيقة ، يتنقل بين دروبها ، ويقف عند أوليائها، عابراً لأبوابها، مطلعاً على بنات أحيائها من حارة وحومة ، يتخذ من مساجدها محطات بذكر أسمائها، وهي تعدّ قرائن مكانية ، وفي كل ذلك يصور مشاعر الانتماء وحسرة الفراق، ولا يتوانى الشاعر في كثير من الأحيان بالكشف والبوح لمواقف كانت من المحظور، وعند استعظامه للموقف يعود للتلميح بتوظيف البيان والبلاغة متحدّياً الواقع بوصفه واستعال لغة مطاوعة ومتمينة قد يحتاج القارئ إلى اجتهادات في فك أبعادها المعجمية، وربطها بالأصيل ليتضح المعنى المقصود، وفي كثير من الأحيان يجتهد الشاعر في وضع أوزان صرفية من الشائع المستعمل، والشاذ في الفصيح: الامزان، جمع ميزان، الادراب ، جمع درب ، وهكذا....، كما يعدّ أسماء البنات الشائعة ويذكر ما لا يقل عن عشرين اسم بنات ، أما عن الطبونيمات بأنواعها فتتعدّد وتنوع كما هو الحال في : درب مسوفة، درب الحديد، درب السنسلة (السلسلة)، درب

الحوات، درب الصباغين، والعشابين، وغيرها، وهي كلها طبونيمات تعكس علاقة وظيفية بالمكان<sup>1</sup>.

أما عن أبوابها فيذكرها في القصيدة وهي:

ويذكرها يحيى بن خلدون في قوله: " لها خمسة أبواب ، قبلة باب الجياد، وشرقا باب العقبة، وشمالا باب الحلوى وباب القرمدين، وغربا باب كشوط"<sup>2</sup>.

باب القرمادين



في محيط باب القرمادين، اشتهرت المنطقة بالحرف المرتبطة بالقرميد، وهو ما يفسر البعد التسموي لهذا الباب، فتواجدت الأفران الخاصة بطهي الخزف والفخار والقرميد والآجر، خارج أسوار المدينة ولا سيما في الشمال الغربي، بالقرب من باب القرمادين<sup>3</sup>، وقريبا منها درب الفخارين الذي أخذ بعده التسموي من الفخار.

<sup>1</sup> عمر العشعاشي، ماضي تلمسان المجيد، يغمراسن مؤسس عاصمة المغرب الأوسط، ص 42.

<sup>2</sup> مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم : محمد الميلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1396هـ، 1976، ص820

<sup>3</sup> Sid Ahmed BOUALI : Les deux grands sièges de Tlemcen, Alger: ENAL, 1980, p. 4.

فباب الجياد تغنى بها الشعراء، فهي إحدى أبواب تلمسان المحروسة، وفيها يقول الفقيه العلامة الناظم الناثر أبو عبد الله محمد بن يوسف الثغري من قصيدة من الفصيح، رفعها للسلطان أبي حمو رحم الله الجميع<sup>1</sup>:

جددوا أنسنا بـ باب الجياد	أيها الحافظون عهد الوداد
كآلال نظمنا في الأجياد	وصلوها أصائلا بليال
بين تلك الربا وتلك الوهاد	في رياض منضدات المجاني
باديات السنى كمشهب بوادي	وبروج مشيدات المباني
وصفا النهر مثل صفو دوادي	رق فيها النسيم مثل نسيبي
وتغنت عليه ورق شـوادي	وزها الزهر والغصون ثنت
عاري الغمد سندسي النجاد	وانبرى كل جدول كحسام
أحرفا سطرت بعير مـداد	وظلال الغصون تكتب فيه
قضب فوقه ذوات امتداد	تذكر الوشم في معاصم خود

والقصيدة طويلة يذكر فيها محاسن تلمسان، ويتغنى بجمالها، وطبيعتها، وتعلقه بها إلى درجة أنه لا يصبر على فراقها، وما يشدّ شعراء الفصيح إلى تلمسان، هي العوامل نفسها عند شعراء الملحنون مع تباعد الزمن.

**باب العقبة :** يختلف الرواة في تحديد باب العقبة، فقد حدّد بعضهم تواجدتها بين الصفصاف وسيدي يعقوب، ومنهم من يتوقف بها فوق سيدي جابر، إلا أنّ جهات رسمية تابعة لوزارة الثقافة حدّدت المعلم بلوحة وتعليق في منحرج طريق المؤدي إلى أقادير، ووضعت له

---

<sup>1</sup> ابن خميس التلمساني: هو الشاعر أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر الحميري الحجري المعروف بابن خميس التلمساني، أصله من اليمن، ولد بتلمسان سنة 645هـ وقيل سنة 650هـ. نشأ بتلمسان ودرس على علمائها، وعرف عنه حبه للعزلة، التقى في تلمسان بالرحالة المغاربي العبدري عام 688هـ، فأخرجه من عزلته وولاه السلطان أبو سعيد يغمراسن ديوان الإنشاء وأمانة سره. اشتهر ابن خميس بشعره الذي يتصف بدعابة ونزعة دينية تصوفية، قتل ابن خميس مع ابن الحكيم عندما هوجم قصر هذا الأخير عام 708هـ. ينظر: عبد الوهاب بن منصور، المنتخب النفيس في شعر ابن خميس، الرباط: مطبعة ابن خلدون، 1365.

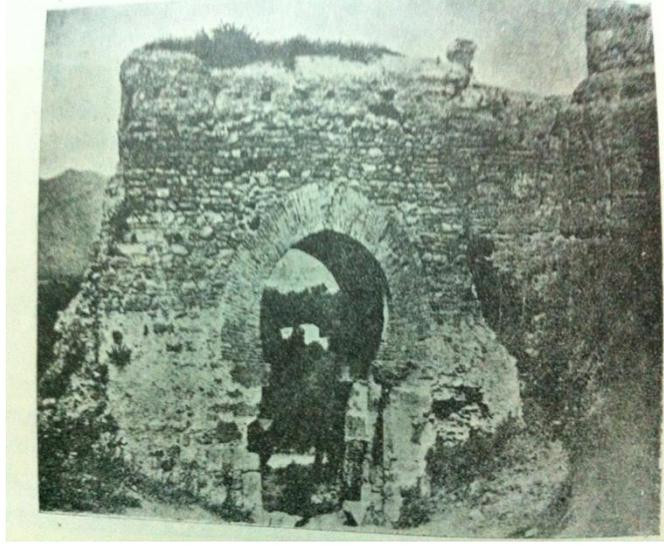
في اللوحة الصورة القديمة لباب العقبة (قرب مئذنة أقادير)، وفي غربها يوجد ضريح سيدي الداودي<sup>1</sup> (402 هـ، 1011م).

### شكل رقم: 63

نقلاً عن كتاب: .

André lecocq, Tlemcen Ville Française .

باب العقبة كما وردت الصورة وهي مأخوذة من خارج صومعة أقادير:



وباب العقبة كما هي في الصورة لم يبق لها أثر في يومنا هذا، عدا معلم<sup>2</sup> لتعيين مكانه، (والصورة في الشكل رقم ، مأخوذة من صور قديمة<sup>3</sup>)، واما المكان فلا يبعد إلا بعشرات الأمتار عن سيدي الداودي الولي الصالح، والذي تبينه الصورة في الشكل رقم .

وتوجد في هذه المنطقة في الجنوب الشرقي من تلمسان، وبالضبط أمام باب العقبة الأفران الخاصة بطهي الخبز، والآجر، خارج أسوار المدينة كما هو الحال في باب القرمادين<sup>4</sup>.

1 أحمد بن نصر الداودي الأسدي التلمساني ، عالم جليل، ويعدّ من أئمة المالكية بالمغرب . وهو دفين المنطقة التي تتوسط طريق باب العقبة، وسيدي عثمان، وله ضريح يعرف بضريح سيدي الداودي، وله تفسير للقرآن الكريم.

2 ينظر الشكل أعلاه، مأخوذ من واقع الحال، وهي إشارة من وزارة الثقافة على مكان تواجد باب العقبة، وهي تمثل الاستدلال عليها في تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011/

3 André lecocq, TLEMEN VILLE FRANCAISE, (1842-1852), Tome 1er, P9.

4 Sid Ahmed BOUALI : Les deux grands sièges de Tlemcen, Alger: ENAL, 1980, p. 4.

الشكل رقم:64 ضريح سيدي الداودي في الطريق  
الرابط بين حي عين الدفلى وحي أقادير، مروراً بباب  
العقبة التي تتفرع إلى طريق يؤدي إلى باب الريح والثاني



## ب - الشيخ ابن مسايب

عبد الله محمد بن مسايب، شاعر الملحون، ولد في أوائل القرن الثاني عشر للهجرة بالتقدير،  
ومنهم من يرى أنه من مواليد 1119 هـ، وذلك بالاعتماد على مرجعية من شعره، وقد  
اعتمدنا في دراستنا لطبونيومات تلمسان في قصيدة "عمدالي ما وجدت صبراً"، لأنها على  
نمط قصيدة "ياضو اعياني"، بذكر تاريخ التأليف وغير ذلك من المواقف الغزلية، ولن يأت فيها بـ  
أسماء أمكنة إلا القليل، بعد مئة وألف مضات عام عشرين تكلم بها  
في القصيدة التي يقول فيها :

هذه مني بغير فخره  
سلامي للأشياخ ما ناحت الأطيّار  
في التاسع عام بعد عشرة  
مئة وألف حكيت لكم شيئاً صار  
واسبابي في المحاين عذرا  
خطفت عقلي وكوتني كية بلا نار  
زورة يا عاشقين زورة  
إلى مكة بلغو سلامي يا زيار  
يا اله اغفر لي ما فات  
واغفر للناظم ذي الأبيات

بعد مية وألف مضات  
عام عشرين تكلم بها

ويعدّ من أبرز شعراء الغناء الشعبي في الجزائر، عاش في القرن الثاني عشر الهجري، عاش الشاعر ابن مسايب حياة نظّم فيها العديد من القصائد، ولم يصلنا إلا القليل من نظمه الشفوي.

ولعلّ أكثر ما تمّ جمعه من شعره، ما وصلنا على يد محمد بخوشة ، صاحب الفضل في جمع ونشر بعض منظوماته على شكل ديوان.

ومن القصائد التي وصف فيها تلمسان، وتنقل في أماكنها وأحيائها وأحوازها، كما فعل ابن سهلة في القصيدة التي مطلعها : (جات ما بين الصحرا والتل).

جات ما بين الصحرا والتل مجتمع  
فارحين مواليتها بصيد البر والبحر  
جات ما بين عطار وقبة المنار  
مع الصفصيف وعين الحوت وأزروان  
والخنادق والقلعة وحنيف كيف دار  
والجنح الأخضر والعباد والعيون  
كانت البهجة عند سلاطين العرب  
في المقام العالي والمنزل الرفيع  
عاشتها ملوك الزهو والانطراب  
والمعاني والحسن الفايق البديع

في وصف تلمسان وأحوازها وما يميزها عن غيرها، حباها الله بالتنوع في جماليات الطبيعة، لها ما يوجد به التل والصحراء، والبر والبحر، كلّ يوجد بخيراته.

ج - طبونيمات قصيدة الشيخ ابن مسايب

**عطار :** في أعالي مرتفعات تلمسان، ومنها يظهر المنبسط الطبيعي الذي يمثل البساط الأخضر الذي كانت فيه جنان تلمسان (شتوان وأوزيدان، والصفصيف والحناية) وهي الوجه الجمالي الذي يظهر من حي عطار قديماً.

**قبة المنار :** تعددت في مساجد تلمسان التزيينات المعمارية، فكان تقريبا لكل مسجد قبة تجاور المحراب أو تعلوه، يتميز بتعدد أضلاعها وهي تتفاوت من مسجد لآخر، فمنها ما يزين بالمقرنصات وهو فن متواجد بعدة مساجد في المغرب وأصلها إيراني. أما عن قبة المنار فمن المحتمل أن يتعلق الأمر بالقبة التي تعلو محراب جامع المنصورة، والذي لم يبق منه إلا بعض المعالم الدالة عليه.

**الصفصيف :** وادي الصفصيف يتبع في التقسم الإداري الجديد لبلدية شتوان، ومنه في اتجاه تلمسان يواجهنا باب العقبة، ومن أشهر المعالم والمآثر في الصفصيف التاريخية القصر الذي لا تزال بقايا من أسسه المعمارية منه قصر بنت السلطان، وتزينت تلمسان بقصور كثيرة.

**عين الحوت:** وهي أيضاً من القرى التابعة إداريا لبلدية شتوان، وتتوفر على معالم تاريخية منها مسجد عين الحوت القديم، ولكونها احتضت أولياء مثل الولي الصالح محمد بن سليمان بن عبد الله، وسيدي عبد الله بن منصور الحوتي، الأمر جعلها قبلة للزوار ومنحها مكانة في المغرب العربي، وكانت تسمى مدينة العلويين، ولا يزال اسم المرابطين يُداول عندما يقصدون بعض عائلات سكان عين الحوت<sup>1</sup>.

**القلعة :** تقع القلعة العليا في جنوب مدينة تلمسان بين حي بيروانة الراقي شرقا وحي سيدي أمسهل غرباً أما من الجهة الجنوبية فتحدها غابة تلمسان ومن الشمال وسط المدينة. تعتبر القلعة العليا من أكبر الأحياء الشعبية في تلمسان و من أقدمها وهي في الأصل منطقة سكنية مئة بالمئة حيث أنك لا تكاد تجد أي مرفق عام عدا بعض الحوانيت التي لا بد منها والسبب الرئيسي في ذلك هو ملازمة الحي لوسط المدينة.

**العباد:** هي قرية قديمة تقع على بعد كيلومترين جنوب شرق مدينة تلمسان، قديما كانت تتكون من شارعين هما العباد الفوقي و هو الموجود حاليا، و العباد السفلي و التي تم استغلالها في توسعة مدينة تلمسان حاليا. و يعتبر مسجد وضريح سيدي بومدين أهم معالمه

<sup>1</sup> من بين هذه العائلات : بوعبدالله الشريف، بن منصور، بلعربي، بن حمو ، بن عودة ، برزوق، وغيرهم كثيرون.

# الفصل الثالث

## ديكرونية أسماء الأمكنة

## الفصل الثالث

### دياكرونية أسماء الأماكن

إنّ دياكرونية الأسماء الأعلام الدالة على الأماكن، تصاحبها تغيرات ثقافية، وتعكس التطور الحاصل في المجتمع وما يرتبط به، وهو تصوير لأحداث في مراحل متعاقبة عبر تاريخ الأماكن.

وفي عملنا هذا لا بدّ لنا من وقفة مع التاريخ ومع آثار التغيرات والتحويلات وما تحمله من بصمات نتوصل إليها من سمات يبرزها عامل الزمن في مراحل متعاقبة على المكان. قد يكون الحدث أو الآثار هي عوامل باعثة على تغيير أسماء الأماكن وفق هذه الأحداث، أو الوقائع التي خلّدت المكان، أو غيرت مجرى التاريخ العامل فيه.

ما يمكننا تسجيله في هذا الموضوع، هو ما كان من مفاهيم ف دي سوسير، ومنها الثنائية الدياكرونية/السانكرونية، وهي بدورها من الثنائيات التي تفعّل الطبونيميا على محورها الدياكروني في تتبع الظواهر التي تخضع للتطور، وهو الأمر الذي يسمح لنا بتتبع هذه الأسماء عبر الزمان وعبر حلقات التاريخ لوصفها وتحليلها.

أما الناحية السانكرونية فهي تسجل الحال أو وصف الأحوال في فترات محدّدة من تاريخ الموقع أو المكان مع التركيز على دلالات البعد التسموي لها، وأحيانا الإيحاءات التي نتوصل إليها مكوّنة بذلك قاعدة معطيات لا تنضب ما دام المكان يحمل الجديد والاسم يعكس المراحل.

## أولاً - التغيرات التسموية لطبونيمات تلمسان

لا يخفى على أحد أنّ تلمسان تعدّ من أهم الحواضر الجزائرية العريقة الضاربة في التاريخ، وهي تحمل تراثاً كبيراً عن هذه الحقب الملونة بتعدّد الحضارات، وكان من الضروري أن يصاحب هذا التلوّن تغيير الاسم لها ليعكس هذا التحوّل في الزمان، كما صاحب هذا التاريخ تغييراً لغوياً، وفي متغيرات المكان عبر الحدود الجغرافيا التي تثبت على حالٍ، تنوعاً لهجياً. كما يمكننا التأكيد على أمر يتعلق بثقافة المجتمع التي أخذت من كل هذه الثقافات والحضارات المتعاقبة لتجعل من تلمسان متميزة بخصوصيتها في مجالات مختلف

### 1 - ضوابط الوضع الطبونيمي

- حديثة استقت مكوّنات أرضيتها الأساسية من النظريات التي تعالج تساؤلات تثيرها الأسماء الأعلام من زواياها المتعدّدة، وبالتالي تتعدّد وظائفه:
- نعتد في تحديد هذه الأبعاد على مجموعة من المعايير الوظيفية، يكون فيها المعيار المعجمي منطلقاً لتحديد المعنى قبل إطلاقه على المكان.
  - قد يكون للوظائف الصرفية دور في تحديدها من خلال الصيغ، وهو لا ينطبق على كل أسماء الأمكنة.
  - وهي كغيرها من الوحدات المصطلحية، لا تكفي بأصل الوضع من دلالة التعيين، أو التحديد، أو حمل الصّفات، وهي دلالات وظيفية لتعيين الشخص أو المكان، من حيث دلالتها (وهنا بمعنى الدلالة على الذات المشار إليها) <sup>1</sup>Dénotation، بل تشحن بدلالات المناسبات والأحداث، وأحياناً إيجاءات غير محدّدة.
  - ونجدها في بعض العناصر الطبونيمية مستعملة من مزيج لغوي أقرب إلى الهجين اللغوي، خاصة في الاستعمال الإشهاري.
  - وهي أيضاً تغترف من هذا الفكر الواسع لهذا العلم، فكان لها المفهوم الذي أراده المعنى الصناعي المستحدث في مصطلح الواقعية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> جوهر المضمون عند هلمسليف، الحقيقة غير اللغوية (ذات الشيء).

<sup>2</sup> د. عز الدين البوشيخي، خصائص الصناعة المعجمية الحديثة وأهدافها العلمية والتكنولوجية، كلية الآداب -

جامعة مكناس (المغرب).

○ نجد هذه العناصر اللغوية الخاصة، تقترب من المعنى الأصلي للمكان - الاسم، متأثراً بلغة استعمالية تركت أثرها - لغة الاستعمار - أو رواية تنسج لتوضيح سبب التسمية بين الواقع والخيال، من قصص وحكايات، وأحيانا تحولات لها ما يبررها من مرويات وفق المراحل التاريخية المتحكمة فيه، فمثلا في الجزائر نجد اسم "حجرة القط"<sup>1</sup>.

- ولعلّ تحديد طبيعة المنطقة الجغرافية انطلاقاً من أسماء الأماكن، تعدّ من أهمّ الصفات التمييزية، بحيث نجد المنطقة التي يغلب على أماكنها أسماء دالة على الارتفاع أو الانخفاض أو الانبساط، تعرف على أنّها جبلية، أو غير ذلك من الأوصاف، كـ "الكدية"<sup>2</sup> على سبيل المثال التي تدلّ على الأرض المرتفعة والصّعبة، وموقع الكدية الطبونيم يوجد في مدخل تلمسان، ويتكوّن من حيّ قزديري، تسكنه طبقة اجتماعية فقيرة ومعوزة، بل ومحرومة من المرافق الضرورية، وتدارك بعضها المسؤولين في السنوات الأخيرة.

ونبقى مع الصفات التمييزية للأماكن، والتي لها علاقة دلالية مع الاسم، إذ نجد لون التربة محدداً ومبيّناً من خلال الاسم العلم، في مثل "أمزوغن" وهو من الأسماء الأعلام الأمازيغية في بلدية الواد لخضر، وقد نجد بعضها يسمى بأسماء حيوانات منقرضة لم تعد موجودة بذلك المكان، فنستنتج أن هذه المنطقة كانت بها حيوانات فانقرضت عبر الزمن، ولنا في أسماء الأمكنة في أصل وضعها معاني خاصة تميزها عن غيرها<sup>3</sup>.

1 التطور الصوتي الذي أدى إلى تحريف الاسم عن أصله، الرواية : تعريب بردشة لتأخذ صيغة المنطوق العربي، فعللة.

2 الكدية والكادية الشدة من الدهر، والكدية صلابة تكون في الأرض وأصاب الزرع برد فكدها وعن ابن الأعرابي: أكدى أي افتقر، ينظر: لسان العرب لابن منظور، المجلد 5، ص 3838 - 3839.

ومن ثمّ فطبونيم الكدية: يدل على صلابة الموقع وشدته، ظاهر الفقر عليه وصعوبة المعيشة، والكدية تدلّ على المكان الصعب وقساوة الحياة بها، ولعلّ أدب الكدية عند شعراء الكدية يكون له علاقة بالمصطلح.

3 أبو المنصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، (الفصل الرابع في الأمكنة)، ص 17.

**الكدية** : معناها في القواميس العربية ، جمع : كُدَى . [ ك د ي ] ، -صَعَدَ الكُدْيَةَ :- الأرضُ المُرْتَفَعَةُ ، وتُطْلَقُ عَلَى الأرضِ الصُّلْبَةِ العَلِيظَةِ.

**أدب الكدية** : هو أدب قديم يعود إلى العصر الجاهلي واستمر إلى العصور الأخرى الموالية، واشتهر به شعراء الثورة



ونجد كذلك في طبيعة السكان وتنقلاتهم، وتاريخ الهجرات التي تسجل حركات القبائل، فمثلا في منطقة سوس هناك قرية تسمى "تودراوي"، والأكثرية من سكان المنطقة لا يعرف أصل الاسم، لكننا نعرف أنّ الأمازيغ يطلقون على واد درعة الموجود بالجنوب "واد درا" بحيث لا ينطقون العين، ومن المعروف أيضاً أنّ هذه المنطقة تسمى بأسماء أول من سكنوها، فسميت هذه المنطقة باسم أول وافد إليها الذي أطلق عليه "الدرعي"، و تودراوي معناها تكمي أودراوي يعني "منزل الدرعي"، وغيرها من العوامل التي لها تأثير مباشر في توجيه الوضع الطبونيمي.

### ١ - الطبونيمات الاستبدالية لتلمسان

**تلمسان** : عرفت تلمسان عدة أسماء، منها ما أطلق على منشآت عسكرية وأخرى مدنية، ولم تكن تطلق كلها على تجمع سكاني في مكان واحد، بل تباينت، هذا في عصرها القديمة، غير أنّها في ما بعد أصبحت تطلق على المنشأ الواحد.

من القوائم الاستبدالية للأسماء التي تكنى بها تلمسان: -

**أقادير** أو **أغادير**: وهي مدينة تنسب إلى الأمازيغ، وهم السكان الأصليون فيها، وهي مدينة غنية بطبيعتها الجميلة، واستراتيجية بموقعها، سميت بـ "أغادير" للدلالة على (القلعة باللغة البربرية).

**بوماريا** : أول مركز عسكري روماني على صخرة تطل على سهل شتوان، كلمة لاتينية بمعنى "البساتين"، تركز مجموعة من السكان والتجار فبنوا مساكنهم على الأطراف الجنوبية

لقلعة بوماريا لتصبح بوماريا معسكرا رومانيا ثابتا، وبداية تأسيس هذه المدينة القديمة التي تقع شرق تلمسان الحالية.

**تأقرارت :** تأقرارت المرابطية كلمة بربرية بمعنى " المعسكر "، بنيت هذه المدينة الجديدة غرب مدينة أغادير، أين نزلت جيوش يوسف بن تاشفين أثناء محاصرته لها، وأطلق عليها اسم "تقرارت"، وفي عهده تمّ بناء جدار للمدينة.

**تلمسان:** الاسم الذي اشتهرت به هذه المدينة وانتهت إليه، هي التي تغنى بها الشعراء وخلدها التراث العربي في أزهى مراحلها، وهو الاسم الذي يذهب كثير من الباحثين إلى أنه مجموع اسمين لمدينتين "أقادير وتأقرارت"، وتلمسان جامعة لهما، وتحقق ذلك في عهد المرابطين الذين توسعوا في البناء لغاية ما التقت تأقرارت مع جارتها أغادير، لتعرف تحولا تدريجيا من اغادير وتأقرارت إلى تلمسان، التي نتغنى باسمها اليوم.

## ب - الكنى الوصفية لطبونيما تلمسان

**البهجة :** ولأنّ تلمسان تعدّ ذكرها في الشعر الملحون، وتعدّدت أوجه التعلّق والحنين، بل والإعجاب والاستحسان للطبيعة التي تزينها، اعتبرها الشعراء بهجة لما تدخله في النفوس من راحة، وجاء ذكرها عند ابن مسايب في قصيدته :

كانت البهجة عند سلاطين العرب في المقام العالي والمنزل الرفيع

عاشقتها ملوك الزهو والانطراب والمعاني والحسن الفايق البديع

**الباهية :** وتشترك معها في هذا الاسم مدينة وهران، وهي كما يدل عليها اسمها مشتقة من البهاء، وهي مترادفات تكنى بها بدلالات الحسن.

**لؤلؤة المغرب العربي:** تنسب هذه التسمية وفق رواية لبن غبريط سي قدور.<sup>1</sup>

**الجوهرة<sup>2</sup>:** جوهرة المغرب، وورد ذكر تلمسان باسم الجوهرة كناية، وبالأخص في الشعر

الملحون، وورد ذكرها مقرونا بالمياه المتدفقة بالوريط، في مثل :

1 عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، ص 23، (مرجع سابق).

2 المرجع السابق، ص 24.

## يا تلمسان يا جوهرة

ويا الوريت يا شرشارة

**عروس المتوسط** : وتسمى أيضاً عروس البحر الأبيض المتوسط<sup>1</sup>، وربما هي تشترك مع

مدينة الأسكندرية في هذه الصفة.

ووردت أسماء كثيرة للدلالة على تلمسان وصفاً أو كناية، منها: مدينة الفن والتاريخ (جورج مارسى)، مدينة النور (ابن خلدون)، والقلعة المحمية (المرابطون)، وغيرها من الألقاب التي عرفت بها تلمسان، وشاعت عبر التاريخ<sup>2</sup>.

ونحن نتبّع هذه الصفات التي أصبحت دالة على تلمسان بنفسها، أو أحياناً بسياقات تدلّ عليها، هي في حقيقة الأمر تعرف تداخلاً تعينياً لأنّ هذه الصفات التمييزية نحدها تتكرها في دول أخرى للدلالة على مدن، أو أسماء أمكنة في العالم العربي، وأحياناً في البلد الواحد، كما هو الحال في الجزائر، إذ نجد كثيراً من الأسماء تشترك فيها أمكنة متعددة في كل أنحاء الوطن؟

### ج - الصفات التمييزية والقيمية للنظم الطبونيمية لتلمسان

إنّ جمع البيانات المتعلقة بالأسماء الأعلام (الطبونيمات) ، تتطلب جهداً كبيراً قد يصل إلى عمل فرق بأكملها نظراً لضخامته ومتطلباته من وسائل جمع وتصوير ودراسات ميدانية لجمع المعلومات من عين المكان، واستقائها من الكتب وأفواه كبار القاطنين، أو من سكنوها وتوارثوا الرويات عن الأجداد، ناهيك عن تصفية أخبارها وصحة إسنادها، فهي عملية شاقة وضرورية للوصول بالعمل إلى أهدافه الاستراتيجية التي تمثل - في نهاية المطاف قاعدة لاستثمارها في التخطيط والدراسات الاستراتيجية والاستشافية.

إنّ للبيانات الواقعية خصوصية، فقد أعد أهل الاختصاص برامج آلية تعددت وظائفها إلى درجة أنّ الآلية في تنظيم المواصلات لدى الدول، لا يمكنها تحقيق التفوق التنظيمي على الأرض بدون البيانات الواقعية، ومن هنا يكون للطبونيمات - زيادة على المعاني اللغوية والوظيفية التي يحملها - إichاءات ترتبط بحقبة الوضع، وأبعاد دلالية للمجالات حضارية وثقافية للمرحلة التاريخية للوضع التسموي.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 23.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ص 24.

## 2 - توظيف المعالم التراثية في نظم المعلومات

إنّ تعدّد هذه المعالم أتاح للدارسين، أن يجمعوا كلّ ما له صلة بمواقعية تلمسان، لتقييم هذا التراث التاريخي وتثمينه، مكونا بذلك قاعدة معطيات يتم استغلالها واستثمارها بحسب الحاجات القطاعية لتلمسان.

وما يجب الإشارة إليه، هو كثرة الآثار بنوعها المادي واللامادية لتلمسان، ويتطلب تخصيص بحوث مستقلة للموضوع.

فالاستدلال الآلي على المقاصد المكانية آلياً، يستحيل تطبيقها في غياب قاعدة معطيات مواقعية، ويستحيل التحكم فيها بدون حيازتها وتعيينها على مواقع الشبكة وفق التوزيع الجغرافي الآلي، يعدّ أمراً مستحيلاً، لذلك تعدّ البيانات المواقعية المادة الخام التي يبنى عليها التحكم في التوجيه المستعملين للمواصلات بمختلف أنواعها، وقد يحتاجها الراجلون في كثير من الحالات خاصة في السياحة، وفي غيرها من القطاعات.

وللسياحة أكبر الاستثمار في هذا المجال، فمعرفة المعالم، وما يتعلق بها من معلومات وفق ثنائية الوصف التاريخي لتطوراتها وتغيراتها لمعرفة الوضع عبر المراحل والحقب، يعد من الأمور الأساسية لمعرفة أصل المجال وحقائقه مساره، ليتمكن المستثمر من اختيار البعد الاقتصادي أو التجاري الطي يوافقته بناء على هذه المعطيات.

فتلمسان بما تزخر به من مواقع ومعالم، لها ما يؤهلها لتكون مقصد المستثمرين، ووجهة التجار إذا توفرت المعلومات، فعلى سبيل المثال لا الحصر، من المواقع السياحية التي يفترض فيها نشاط المستثمرين، تتوفر تلمسان على مناطق سياحية طبيعية ومواقع تاريخية مصنفة منها: سيدي بومدين الغوث (القطب الصوفي)<sup>1</sup>، وهي تزخر بمؤسسات تعليمية وتربوية، وأماكن العبادة، وغيرهام ما أشرنا إليه سابقاً .

## 1 - الطبونيمية في ظل نظم المعلومات

إذا كانت الدراسات الطبونيمية تُعنى في أهدافها العلمية باسم المكان لخصوصيته، فإنّ الدراسات البيئية في بعدها التطبيقي العملي تعنى بمدّ العلوم التطبيقية اللغوية بالمعارف والخبرات

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 143.

النظريات العلمية التي تحقق الأهداف والمشاريع النفعية بما يحتاجه الإنسان، وما يسهل عليه معيشته وحياته في كلِّ مجالاتها، ولا يتأتى هذا إلا باستغلال تجاربه في مساره الحياتي وفي رسم طموحاته وأهدافه لتحقيقها.

وللإشارة، لا بد للدارس في هذا المجال أن يلمَّ بعلوم محيطه تمكنه من الوقوف عليها وفق زوايا النظر التي يتمتع بها القارئ، ولا بد من ملامسته لها وفق نظرة فنية يتمتع فيها بالمسحة الجمالية والنفعية للقراءة<sup>1</sup>.

وإنَّ السعي لتحقيق المشاريع التنموية لخدمة الطموحات البشرية، لا يتوقف على الإمكانيات التي توفرها الحياة التقليدية بارتكازها على موروثها فقط، بل تحتاج إلى ما يقدمه العصر من خدمات وأدوات تكنولوجية ومعارف عصرية تمكّنه من المدد الذي يخدم الاقتصاد في الوقت والكم والجودة، وهي كلها من متطلبات العولمة.

لذلك كله، فإنَّ نظم المعلومات توفر لنا ما نحتاجه لتحسين آليات التطبيق بتسخير الشبكية لهذه الدراسات الميدانية، باستغلال شبكات التواصل في تفعيل التكامل المعرفي وبناء الذخيرة الطوبونيمية لترقية المشاريع التنموية خاصة في المجالات الثقافية والسياحية، بإنشاء المواقع الإلكترونية المتخصصة في المجال.

### ب - نُظْمُ المعلومات الجغرافية: (GIS) و (GPS)

كيف تتمّ التغذية النفعية باستعمال التكنولوجيا الحديثة في استغلال المعلومة وتطويرها لتكون في متناول التطبيقات ذات الصلة بالبعد البراجماتي للإنسان.

يعدّ الحاسوبية العامل التطبيقي الأساسي الذي تعتمد عليه التطبيقات اللسانية، فهو يقوم على جمع كل ما يتعلق بالمعلومات المكانية والبيانات المرتبطة بها، وتتعدّد مهامه بحسب الوظائف والأهداف المحددة، الأمر الذي يستلزم تخزين هذه المعلومات وصيانتها، وتحليلها وعرضها أو إخراجها، وتوزيع البيانات المتعلقة بها.

ولذلك نجد في المستوى اللساني الجغرافي وبالضبط في المواقع، اسم المكان الذي يرتبط بمجالات تطبيقية وفق الحاجة، فمن تحديد المكان وتعيين اسمه، باستعمال نظام تحديد المواقع

<sup>1</sup> زهراء رهنورد، حكمة الفن الإسلامي، ترجمة باسل أدناوي، مراجعة د. محمد علي آذرشب، المستشارية - دمشق المرجة، ط 1، دمشق سنة 2001، ص18.

لأنه يرتبط في أول وهلة بتحديد للموقع الأرض، وتكون المعلومات في التواجد في المساحة الأوسع، ومعرفة الجوار، والمناخ، وغيرها مما يرتبط بالأقمار الاصطناعية (GPS)، نجد في المقابل إجراءات عملية تحتاج إلى اعتراف معرفي، ومعلومات علمية تمدنا بها المجالات العلمية، وربط كل ذلك بتغيرات عبر المراحل التاريخية، عندها يمكننا الوقوف عند أي مرحلة، ووصف كل ما يتلق بالموضوع مثل الزراعة أو غيرها، ورسم خرائط لتوضيح التنوع الزراعي وفق المناطق وبحسب الحقب، ولوضع برنامج حاسوبي لاستغلال هذه المعلومات والبيانات، وتحديد الهدف من الدراسة، يكون ذلك بالاعتماد على أنظمة أخرى كـ (GPS) مثلاً، أما البرنامج التطبيقي في حد ذاته فهو من اهتمامات نظم المعلومات الجغرافية، لأنها تقف عند حدود البرمجة باستغلال كل ما يتوفر لنا من علوم بينية.

ولعل أهم ما تقدمه هذه النظم المعلوماتية الجغرافية، الإجابة عن كثير من التساؤلات التي تخص تحديد النمط الزراعي لهذه الأماكن ومعلومات عن المحاصيل وغيرها<sup>1</sup>، بحيث تكون مميزة تعرف به الأمكنة في مثل : قرية وادي الزيتون ببلدية صبرة، وادي الصفصاف في بلدية شتوان، والوقوف على هذه الأسماء يجزنا إلى تحليل المعلومة، كثرة المحاصيل وتكميمها، مساحاتها، الري الذي يخصص لها، والتوزيع النمطي (العلاقة بين توزيع ومناطق تواجد المياه)، والتنوع المناخي فيها، وغيرها من التساؤلات التي تمدنا بالمعلومات لمعرفة سر شهرتها، وبالتالي تسميتها..الخ).

وعلم اللغة الجغرافي، يستفيد بدوره من نظام المعلومات الجغرافية (GIS)، فبالنسبة للغات واللهجات، وبالاعتماد على توزيعها الجغرافي في المناطق وتنوعها بالنسبة للقبائل، وتواجدها في مواقع وبجوار واحتكاك مع القبائل والعشائر بالنسبة لناطقيها، يحتاج لتطبيقات، وتمثيل بيانات، وكذلك لا يمكننا في ظل التطور التكنولوجي المتقدم الاستغناء عن الوسائط المختلفة، واستعمال الصور والخرائط، وهي برمجية متعددة الأبعاد ومختلفة الاعتماد العلمي، بنمط دراسي بيني.

<sup>1</sup> ينظر : نظم المعلومات الجغرافية :

كما يمكن لهذا النظام أن يساعد على التخطيط واتخاذ القرارات مادامت المعلومات متوفرة، والتمكن من الوقوف على أسماء المدن « TOPONYME » ، وأسماء الجداول والعيون «hydronymes»، وأسماء الجبال «oronymes»، وأسماء شبكة الطرقات «Odonymes»، وغيرها من الأسماء الأماكنية ، وتخزينها وتحليلها ، وإحصائها وعرضها على شاشة الحاسوب بالصور أو البيانات أو في المواقع الإلكترونية .

### ج - أثر نظم المواقع الجغرافية في توجيه نظم المعلومات الطبونيمية (GIS).

لا بدّ من الإشارة للأقمار الصناعية والإسقاطات التطبيقية النفعية في توظيف الخرائط الإلكترونية لاستغلال نظم المعلومات الطبونيمية، وذلك بتوظيف المسح الجغرافي عبر هذه الأقمار الصناعية، ثم استغلال هذه الأدوات الوسائطية للبرمجة بحسب الأهداف المنشودة، ووفق تصنيف معين للمعلومة الجغرافية مع مراعاة الملاءمة التي توافقت التطبيقات الإلكترونية في المجال الطبونيمي ومراعاة القطاعات المستعدة.<sup>1</sup>

فالأقمار الصناعية للجزائر كغيرها من الدول نجحت في صناعة نماذج منها واستغلالها في التطبيق الجغرافي مسحاً واستغلالاً وتوظيفها في معرفة الأرصاد الجوية والمجالات الفلاحية والاقتصادية وخاصة السياحة، ولا يتأتى ذلك بصفة كاملة إلا بتحديد المواقع الجغرافية وربطها بأسماء الأمكنة التي تتميز بصفاتها وخصوصياتها، ومن ثم تخزينها ضمن نظم المعلومات التي تعالج وتستثمر بحسب الحاجة والمجال.

## ثانياً - ثورة المعلومات والعولمة: 2

لم تكن العولمة إلا نتيجة لتراكمات عرفتها مراحل القطبية التي جعلت التنافس التجاري يقف عند حدود السياسة، وليس التنافس الاقتصادي، فكان الاحتقان الذي ساد لفترة طويلة بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي بمثابة الممهد لانفجار يكسر الحدود المكانية بل تجاوزها إلى خلق حدود وهمية اخترقتها التكنولوجيا، ثم جسدها العولمة التي تحققت على مراحل.

<sup>1</sup> Jean-Marie Pierrel, Ingénierie des langues, Hermes Science Europe, Paris 2000, 338.

<sup>2</sup> نظم المعلومات الجغرافية (ينظر الموقع أدناه).

كانت المرحلة الأولى للعملة حتى نهاية السبعينيات، عاملاً مسهماً، وقد هبّ التطور النوعي في مجال النقل فرصة لبعض الدول لاستخدام وفرة أراضيها لزيادة الإنتاج ومضاعفة الصادرات، وتحركت معها رؤوس الأموال الأجنبية ثلاثة أضعاف الدخل في دول أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية، وهو ما ح الطريق أمام الملايين للهجرة من أوروبا إلى أميركا الشمالية والعالم الجديد، وتدقّق العمال من الصين والهند إلى الدول الأقل كثافة مثل سريلانكا وفيتنام والفلبين وتايلند، وارتفعت هجرة العمال ينسبة كبيرة من مجموع السكان عبر العالم.

أما المرحلة الثانية للعملة والتي استمرت لعقدين من الزمن تمثّل موجة للتكتلات، تركّزت على التكامل بين الدول الغنية وغيرها من الدول النامية، إذ ساد المرحلة عمليات تحرير التجارة متعددة الأطراف برعاية الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الكات)، واقتصرت صادرات الدول النامية في هذه الفترة على السلع الأساسية.

في حين جاءت المرحلة الثالثة لتعتمد كلياً على تقدّم تقنيات المعلوماتية والاتصال، وتضاعفت في الحركات التجارية وزاد الدّخل فيها، وانخفض معدل الفقراء، وتوقف الاختلال الطبقي عن التزايد، واتّسعت المشاركة في التصنيع العالمي، وارتفعت معدلات العمر والالتحاق بالمدارس.

وتناولت الدراسات بحث العلاقة بين ظاهرة العملة من ناحية، والنمو الاقتصادي والفقير من ناحية أخرى؛ حيث ركّز بعضها على وجود علاقة إيجابية بين العملة واختزال الفقر؛ فأسهمت العملة في رفع القيود عن الاقتصاد القومي، وأسهمت في تحرير التجارة الدولية؛ مما يؤدي إلى النمو الاقتصادي<sup>1</sup>.

في خضم هذا التطور، صاحبه الاستغلال الكبير لما توفره التقنيات والبرمجيات للاستجابة لدواعٍ اقتصادية، فكانت المعطيات الجغرافية، ومنها الأسماء الممكنة أرضية خصبة لاستغلال المعلومة الطبونيمية وتوظيفها اقتصادياً وفي قطاعات مختلفة ومتعدّدة.

<sup>1</sup> إيمان الشاعر، الاقتصاد المؤسسي الجديد مع التركيز على إمكانية تطبيقه في مجال العمل الجماعي، في قطاع الزراعة المصري، شركات التنمية للبحوث والاستثمارات والتدريب، سنة 2007، 27 - 28.

لذلك توصي بعض الهيئات بأن يكون المقياس المعنوي الرئيس، يتمثل في أنماط السياسات التنموية الاقتصادية الواجب إتباعها؛ كتنبي سياسات تعزز النمو الاقتصادي، وتدعم الفقراء في الوقت ذاته، وبذلك تقضي على فقرهم، بخلاف واقع الحال في كثير من السياسات التي تعزز النمو مع الإبقاء على فقر الفقراء؛ فتحريز سوق رأس المال؛ بمعنى فتح الأسواق أمام التدفق الرأسمالي الخارجي؛ قد يؤدي إلى عدم الاستقرار الداخلي؛ لأنه يزيد من فقر الطبقات المعدمة، وهو الشيء نفسه بالنسبة لسياسات إزالة التعريفة الجمركية، والتي نجد العديد من دول العالم النامي - خاصة الدول الأفريقية - غير مهيأة للتعامل معها.

وبالفعل أثبتت دراسات البنك الدولي في جولة أوروغواي أن الأوضاع الأفريقية في ظل العولمة قد أصبحت أسوأ مما كانت عليه قبلها.

## 1 - أثر الواقعية في مواجهة تحديات العولمة

من هنا نقف على عتبة تصنيف جغرافي - بحسب تحديد الضوابط - لمعرفة مدى تأثير العولمة على هذه الدول، ومن جهة أخرى تصنيف المدن داخل هذه الدول ذاتها، لمعرفة النمو الديموغرافي والتطور ببعديه الإيجابي والسلبي، وكذلك التحولات الحاصلة بناء على خصوصية التأثير والتأثر بما هو حاصل في العالم.

وهكذا يكون ارتباط اسم المكان بكل ما له علاقة بالإنسان الذي يتواجد به منذ وجود بني آدم على كوكب الأرض إلى يومنا، وهو منطق الانتشار على أقطار الأرض، وهكذا يكون هذا الاسم اللغوي من السمات الفارقة التي تميز الأمم والأقوام في المعمورة المسكونة من الأرض<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، الجزء الثالث، دار أنيس، الجزائر، 2007، ص 290 - 291.

هذه الأرض التي تُعدّ اليوم أجناساً كوّنوا ودولاً تتنافس من أجل البقاء والحياة السهلة، ومن ثمّ لم يتوقف التنافس على كل ما ينفع الانسان، والتسابق على المكاسب، وتطورت إلى التقاتل والحروب وغيرها.

تحديات كثيرة وقعت على الأرض، ولا بدّ للحلول أن تنطلق من الأرض، ومن أجزاء مختلفة من هذا العالم لمواجهة تحديات العولة التي غيرت الحدود الطبيعية على الأرض إلى حدود إلكترونية بل افتراضية تستثمر في كل المجالات.

### ١ - العولة محفز للنهوض الاقتصادي

لابدّ لنا من ربط الواقع الاجتماعي، والوضع الاقتصادي للدول بهذا التطور الذي يحصل في الأنظمة المعلوماتية والتطور التكنولوجي، باستغلال النظم المعلوماتية في البرمجة التنموية بالاستغلال الأمثل لها بغرض التوجيه التنموي النافع للإنسانية على هذا الكوكب الذي يخضع لكل التجارب الممكنة.

ووضعنا في الجزائر، لا يختلف عن غيره في العالم العربي، ونحن نعاني بدورنا من التبعية الاقتصادية، ولعدم قدرتنا على ضمان الاكتفاء الذاتي، ولذلك يتوجب استغلال ما تحقق في العالم النامي للاستفادة من تحارب غيرنا.

لم تكن شعوب العالم الثالث تعباً بما يجري في العالم، وذلك راجع لوجودها تحت الاحتلال، فأغلبها كانت تعاني من أوضاع الفقر والتبعية، بل كانت تبحث عن حريتها واستقلالها، ولما كان لها هذا التحرر، بقيت رواسب المعاناة من الاستعمال بثقلها، فلم يكن بوسعها أن تنتقل في نهوضها من وضع التخلف إلى تطلع الرقي والنماء إلاّ بصعوبة، ولم يكن هذا السباق بنفس الظروف، ولا على قدم المساواة بينها في التنافس.

بقي العالم الثالث ومنه الجزائر على هذا الوضع يصارع لبلوغ مرتبة التموقع العالمي، فجاءت العولة والثورة التكنولوجية، ولم تتمكن هذه الدول من فرض وجودها، باستثناء عدد منها، ركب قطار النهوض والمنافسة، وسخر إمكاناته ليجد نفسه منغمساً في ثورة تكنولوجية متسارعة وعولة لا تعترف بالحدود.

لذلك ، كان على الدول الأخرى، إمّا ركوب قطار العوامة وكان ذلك محفزا قويا للنهوض أو تبقى تنتظر في محطة انطلق منها القطار ليسير إلى الأمام بدون توقف.

### ب - دور المؤسسات البحثية في النهوض الاقتصادي

استطاعت بعض الدول أن تتفطن إلى دور المؤسسات العلمية والتعليمية وشرعت في مراجعة البرامج وتغيير الواقع، ومنها الجزائر التي لا تزال تبحث عن منفذ لها لتسجيل طفرة لم تتمكن من تحقيقها إلى يومنا، وهي تسعى جاهدة بدون جدوى.

وبما أنّ النهضة العلمية تستلزم وجها تطبيقيا لها في الميدان، فإنّ مؤسسات البحث تسعى إل إحام الجامعات للإسهام في التنمية والبناء، ونحن نسجل تباطؤا كبيرا فيه، خاصة وأن الترتيب العالمي للجامعات وتصنيفها يقدمنا في ترتيب لا يزال يشهد نقصاً.

### ج - البعد التفاعلي بين المؤسسات البحثية والمؤسسات الأخرى

ولما كان من الوجوب تدارك الواقع قبل فوات الأوان، تسعى وزارة البحث العلمي في هذه العقود إلى رسم خطط استراتيجية في المجال العلمي ، وهي تلح عبر التقارير والمواقف لإقحام الجامعة في التنمية الاقتصادية وملامسة كل القطاعات للنهوض بالتنمية.

ولعلنا في تلمسان، نسعى إلى إشراك المخابر في التكامل والتفاعل بينها وبين التخصصات في تحقيق تكامل بيني لكل المجالات العلمية، ومن ثمّ التأكيد على أنّ الطفرة ستتحقق بهذا التعاون بين الجميع، وربط البحث العلمي بزوايا النظر المختلفة ليجدي الحقل المعرفية الأرضية المفقودة للنهوض بحقيقة البحث، والاستجابة لمبدأ التعاون بين القطاعات.

من هذا المنظور، سجلنا مشروع المواقعية مفتاحاً للحلّ، لكونه - كما سبق أن أشرنا - ينطلق من المكان الجغرافي، ويلامس المجال العلمي، ويستجيب لمتطلبات القطاع الاقتصادي، الذي نعتقد جازمين أنه يحقق طموحات المجتمع في توفير الرفاه للبلد.

وفي الأخير، أرى أن البحث في مجال الواقعية، هو أرضية اللسانيات التطبيقية الواسعة، ونهضة البلد الأكيدة، لأنها توفر المعلومة المطلوبة من التاريخ (الماضي)، ومن الحاضر (الواقع)، ومن تطلعات المستقبل.

## 2 - الوسائط ورسم الخرائط

يعدّ رسم الخرائط من الفنون القديمة التي تستخدم في علم الخرائط للوقوف على المواقع التي ترتبط بالتواجد الجغرافي للظواهر والمعاملات التجارية وتحديد طرق التنقل في الرحلات وحمل البضائع وتوصيلها.

وللوقوف على تاريخها الطويل لا بدّ من إشارة إلى قدمها منذ زمان يعود إلى سكان بلاد الرافدين القدامى والمصريين والصينيين واليونانيين، وكلهم قدموا لرسم الخرائط إضافات تركت بصمتها البارزة في هذا العلم الذي تطور مع السنين.

أمّا العرب القدماء فكانت اهتمامهم في هذا المجال تظهر كتابة شعرية لترسيم أسماء الأمكنة، ولما جاء الإسلام، أبدى المسلمون اهتمامهم بالخرائط البرية والبحرية.

كانت الحاجة تشتدّ للخرائط، خاصة في أوج التطور الذي كان في العصر الإسلامي الذهبي، ومن أهم هذه القطاعات : جهاز البريد الذي يفترض معرفة الطرق وكذلك الرواج التجاري الذي انتشر، في هذه الفترة من تاريخ المسلمن، وتمكنوا من تحديد المواقع باستعمال الخرائط.

أمّا اليوم فإن رسم الخرائط يتوقف على أنظمة المعلومات الجغرافية الإلكترونية، وهي تعتمد قواعد البيانات للبرمجة، والمعلومات للمعالجة.

وإذا كانت الخريطة المقصودة في مجالنا، تخص صورة لكوكب الأرض أو جزء منه، فهي تختلف كلياً عن الخرائط المأخوذة من الجو ، ذلك أننا نعمل في حقل نظم المعلومات الجغرافية الآلية، وهي تمكننا من قاعدة البيانات الجغرافية المخزنة - أي المكانية - أي تمدنا بالمعلومات عن المكان المحدد، وعن الأوضاع التي يتواجد عليها بتمثيل هندسي مسطح للمكان أو الجزء الذي ينتقيه الباحث<sup>1</sup>.

من هذا المنطلق، يكون لعلم رسم الخرائط الدور الفعّال في معالجة الواقع الجغرافي للأرض آلياً بواسطة هذه الأقال الصناعية التي تزودنا بالبيانات للمكان من جميع جهاته، وباستغلال المعلومات التي تستغل في برمجة هادفة ومحدّدة خاصة بتطبيقات يحدّدها الباحث في الاستجابة للحاجات أو حل للمعضلات.

### 1 - الخرائط الإلكترونية<sup>1</sup> لدعم نظم المعلومات الجغرافية (GIS)

إنّ الخرائط الجغرافية التي تمدنا بمعلومات من خلال أسماء أماكن، في مختلف المجالات وبحسب أهداف الدراسة ومساعدة الحاسوب، تعدّ من أحدث الدراسات البينية التطبيقية أو الميدانية، نظراً لحاجتنا الماسة لمجالات علمية متعددة تقف على زوايا النظر لخدمة الهدف الأصيل من الدراسة.

فنظام المعلومات الجغرافي (GIS)، نظام يستعمل لمعالجة البيانات المختلفة لمجال حيوي ينفع الإنسان في المكان الذي تدرس فيه الخصوصية التي يجلها الاسم أو اشتهر بها، وهو يعتمد بالأساس على أنظمة أخرى يستمد منها الدعم للقيام ببرنامج حاسوبي تطبيقي (GIS)، كالتعرف على سبيل لا الحصر على توزيع السكان الناطقين بلهجة معينة في منطقة معينة، لهجة دائرة تبلبله بمنطقة بشار، أو غيرها من لهجات الموزعة على مختلف مناطق الوطن، وتحديد المساحة الخاصة بها (مسح جغرافي ب نظام تحديد الموقع ، ثم برنامج التعرف على الالهة والمسح الجغرافي (GPS)، أي باستعمال الأقمار الصناعية لتحديد المواقع.

ظلت عمليات الاتصال التي تستقطب على مسافات بعيدة تعتمد حتى النصف الثاني من القرن الماضي إما على استخدام الربط المتواصل، وإما على الانعكاسات التي تحدثها إشارات اللاسلكي<sup>2</sup>.

ولما كان لعصر العولمة - بفضل الثورة التكنولوجية ونظم المعلومات - قفزة نوعية سهّلت الاتصال، وطوّعته ليكون في خدمة البشرية، تسارعت البرامج التطبيقية التي تستغل اسم المكان للبرامجية ليومية لسكان هذا العالم، بل ذهب طموحات إنسان هذا العصر عبر هذه

<sup>1</sup> ينظر : الجغرافيا ورسم الخرائط ، جامعة بيرشام الدولية.

Bircham Internatiol University, Geography & Cartography : www.bircham.me

<sup>2</sup> موسوعة التكنولوجيا، موسوعة علمية، المجلد 11، الناشر ترادكيم، سنة 1983، ص 1951.

الأقمار الصناعية والبرامج الجغرافية إلى أهداف تصل إلى كواكب فاقت كوكب الأرض للبحث عن مواقع تتوفّر فيها عناصر الحياة كالماء والهواء.

وكان للمهتمين بالمواقعية فرصة استغلال هذه التقنيات ومن ثمّ أنجزت البرامج المختلفة، وهي اليوم عديدة على شبكة الأنترنت تخص البيانات الجغرافية المحلية التي يتوفّر عليه مستعملوا هذه البرامج، وهي في متناول الجميع مع لبثورة الإلكترونيّة للخرائط الحديثة وتحميلها على الشبكة العنكبوتية بداية من 2005<sup>1</sup>، (bing maps)، (google earth)، (ARCIMS 9.3)<sup>2</sup>.

### ب - الخرائط الإلكترونيّة وتحديد المواقع العالمية (GPS)

أمّا نظم تحديد المواقع العالمية، فهي تقنية تعتمد على استعمال الأقمار الصناعية، للحصول على بيانات لتحديد مواقع معينة من الأرض، ومن ثمّ تعيين أسماء الأماكن بالمسح وتحديدّها بدقة عالية، (باعتقاد الطول والعرض، والارتفاع، والزمن، وهي ضوابط تستعمل في تحديد الموقع)، ومنها المواقع الإلكترونيّة لتحديد الأبعاد الجغرافية وغيرها من الترددات التي تتوقف على المسح بالأقمار الصناعية قبل أي برمجة إلكترونية.

فالعالم تسيّره برامج افتراضية جغرافية عبر هذه الأقمار التي أصبحت الموجه لكلّ العناوين الإلكترونيّة العاكسة لمواقع في الكرة الأرض، وهي تسيّر وفق تحكّم إلكتروني في مجالات لم تكن - إلى وقت قريب - طيّعة في يد الإنسان، وها هي اليوم تُسير عن بعد، ويتمّ التصرف فيها إلكترونيًا، بل أصبحت سيولة المال إلكترونيًا في عالم افتراضي لا تحدّه الحدود الجغرافية، ومن أبسط هذه العلاقات المعتمدة على قواعد المعطيات في المجال:

- التعاملات التجارية عن تعد في مختلف مناطق العالم (تحديد المكان بدقة إلكترونية).
- الحجوزات في الطائرات والفنادق (كلها بعناوين إلكترونية).
- التصرف في المال وجريانه إلكترونيًا وافتراضياً).

تتحكّم الأقمار الصناعية في الحروب الجوية / البرية / البحرية، بتحديد المواقع تحديداً دقيقاً قد لا يستطيع الإنسان بلوغ هذه الدقة لولا التكنولوجيا المتطورة إلى حدّ مدهش بفضل هذه

<sup>1</sup> www.aljazeera.net

<sup>2</sup> إبراهيم بظاظو، عدنان شباب، تخطيط وتطوير المواقع التراثية والحضارية باستخدام GIS والاستشعار عن بعد، ندوة الحفاظ على التراث الحضاري في الوطن العربي، من 11 إلى 13 أوت 2009م، ص 191.

البرمجة لنظام المعلومات الجغرافية GIS ، بفضل التحكم عن بعد بواسطة الأقمار الصناعية  
(GPS)<sup>1</sup> .

### ج - البرامج الإلكترونية ونظم المعلومات اللغوية /الجغرافية

إنّ البرمجة الإلكترونية ونظم المعلومات الجغرافية، تعتمد في أرضيتها على الدراسة الواقعية لتحقيق أهداف حيوية في حياة الأفراد والجماعات والمؤسسات، وغيرها ممّا يخدم الوطن والإنسانية، ولذلك فهي تعمل جاهدة لتوجيه التنمية المستدامة في البلد.

ولعلّ الحكمة في هذه البرمجة تتوقف على تيسير الحصول على المعلومة وسرعة توظيفها أو استغلالها، خاصة في التخطيط الاستراتيجي والاستشراف التنموي.  
أما عن أهدافها الأخرى وأبعادها فهي تتمثل في:

البعد البراجماتي (يأخذ بالاعتبار مجموعة من القطاعات ذات العلاقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية)، ولتحقيق هذا الهدف الذي يتوقف على الدراسة البينية، يتوجب علينا الاستفادة من كل التخصصات العلمية.

وإنشاء قاعدة معلومات تستثمر وتستغل في مختلف الدراسات الاستشرافية والمخططات الاستراتيجية يقتضي وضع تصورات لحلّ المشاكل أو الإسهام في خدمة أهداف نفعية متعددة الحوالب، لأن التكنولوجيا الحديثة وفرت لنا الجهد والتكلفة والجودة، وهي متطلبات برجماتية تفرضها سياسة العولمة .

---

<sup>1</sup> نظم المعلومات الجغرافية Systèmes d'informations géographiques ، يتركز على جمع المعلومات

وربطها بالمكان، وتتعرف عليها من خلال اسم المكان.

## الخاتمة

وفي الختام لا يسعنا إلا أن أجزم أنّ المواقع مقيّمة من مقومات الحياة اليومية للشعوب، عبر مسارهم التاريخي، ثوابته ومتغيراته، وزوايا خصوصياته كما يراها آخرون، فهي تعكس التراث بنوعيه المادي واللامادي، ولا تستثني حاله ولا تطلّعاته، فهي تستثمر ذلك كلّ في مختلف مجالات الحياة العلمية والعملية.

فتغيّرات المسار الحياتي في المجتمعات البشرية وما تحمله من مسرّات وهموم، وانتصارات فانكسارات تنصهر في أشكال تعبيرية مختلفة، وتحملها روافد مادية متنوعة، ولا يتوصل إلى دلالاتها الكينونية ولا الصيرورية إلا بالقراءات الفعلية التي يقوم بها المختصّون، والكشف عن أسرارها من قبل المنقّبين، وتصبح ضرورة البحث في المجالات العديدة لا غنى عنها من بيئة وآثار مادية أو شفوية أو تجريدية.

أمّا في بعدها الوظيفي، فهي لا تتوقف عند هذا الحد بل تقف عاملاً توطينيا، ووسيلة حاسمة للتعبير عن حقائق ثقافية، فتسمح بالتمييز بين ما هو أصيل في موروث الأمة، وما هو

أصالة دراسية في بحثنا غير التقليدية للتخطيط والاستشراف، بل وما ينجم عن ذلك من تفاعلات حضارية أحدثتها تعاقب المراحل التاريخية للأمم، فانصهرت في صورة ثقافية جديدة تخضع لتحولات المجتمعات بحكم ما تمليه المسارات التاريخية للشعوب.

ومن هذا المنطلق، نعتقد جازمين أن أسماء الأمكنة ترتبط في أصل وضعها بالمراحل التاريخية التي وضعت فيها ومن أجل ذلك، وتتبعاً للتطور التاريخي لها، وتغيراتها اللغوية الحاصلة في التاريخ، ونظراً للتغيرات التي يفرضها الاستعمال - الذي يخالف الوضع أحياناً - في المقامات والسياقات، كان تركيزنا في الدراسة - نظراً للأهداف البراغمية - مرعياً للاعتبارات الاستراتيجية للبلد، ومن ثم نجد لها تفسيراً تعكسه دراسات التراث التاريخي لأنه يكون قاعدة معطيات يغترف منها الدارسون، والمخططون للاستثمار في الاقتصاد وغيره من المجالات التطبيقية.

ولعلّ تحميلنا هذه الأسماء إيجاءات دلالية وأخرى تداولية، تعدّ شحناً دلاليّاً لهذه الأسماء التي تكوّن الحزّان الحقيقي - ولعلّه يلتقي في قواسم كثيرة مع مشروع الذخيرة العربية - لما تحمله معها من عادات وتقاليد، ومواسم وأعياد، واحتفالات وأفراح وأتراح، وأعراف.

فالأسماء الأعلام الدالة على الأماكن، ترتبط بجميع أوجه الحياة البشرية، وتاريخ الأمم وموروثها، وماضيها وحاضرها، بل تعتمد عليه في التخطيط العلمي لاستشراف مستقبلها.

ومن هذه الأسماء الجغرافية المتعلقة بأسماء الأمكنة - في العهود السابقة تلونت بحضارات الأمم التي أقامت بتلمسان بأي صيغة كانت، كثيرة أو قليلة - ما يستدعي البحث عن دلالاتها اللغوية، وتأصيلها، وتحديد مواقعها، وهي في حاجة إلى مزيد من الاجتهاد والدراسة.

وبخصوص ما توصلنا إليه في بحثنا - في المصادر التي تتوفر عليها المكتبة التلمسانية خاصة، والعربية عامة، بل وحتى الأجنبية في هذا المجال - قد بيّنت لنا العطاء المعرفي النظري، واللون الثقافي الذي يطبع الأمم أثناء تأثرها بفضائها البيئي، وتأثرها بمحيطها الخارجي، وتحصيل المعلوم المحفوظ في الكتب والمخطوطات التراثية فأبانت عنه التنقيبات والتحقيقات التي

تقدّم بها أهل الاختصاص، الأمر الذي مكّننا من معلومات تصلح لمعلوماتية العصر في تلبية لحاجيات الأمم بعصرنة التراث في عصر العولمة.

كما لا يمكن للباحث في التراث الشعبي الجزائري، الاستغناء عنها أو تجاوزها، فهي مصادر تفرض على الباحث التسلّح بها، حتى يتمكن من استغلال معلوماتها ومعطياتها النادرة غالباً، وهي تحتاج كثيراً من الجمع والتنقيب، ومن ثمّ تقصّي الحقائق التي تتطلب جهداً مضميناً لاستكشاف مكنوناتها الدلالية والإيحائية.

وإذ نلح، أنّه لا بدّ لنا من التنقيب عن هذا التراث الخاص المغمور في كلّ مراحل الحكم في الجزائر المستقلّة وقبلها، إبان توالي الحكومات والسلاطين، فذلك الكفيل الوحيد الذي يمكّننا من معرفة الجوانب الخفية من تراثنا التاريخي والثقافي، ويتوجب علينا البحث فيه ودراسته.

لكنّنا نلحّ في هذا الموضوع على أمرٍ لا يقلّ أهمية في هذا المجال، ألا وهو الاستئصال في ما تقدمه التطبيقات لإلكترونية باستغلال قاعدة معطيات طبونية، لأغراض براغماتية، خاصة الاقتصادية والاجتماعية والسياحية، والسياسية وهي مجالات عينات لا غير، ذلك أن فسحة التطبيق لا تحدّها موضوعات بل هي مفتوحة على أهداف متطورة ومتجدّدة.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن ننوّه بجهود كلّ من يسهم في كشف خبايا هذا التراث الثري الذي لا يمكن لواحد أو جماعة أن تلم به.

شكري وتقديري للأستاذ المشرف الذي وجدت فيه قبل الإشراف المودة والمحبة التي تتفاعل بمسحة الوعي العلمي المسؤول الذي يطمح إلى العصرنة والإبداع، ويعتزّ بالتراث الذي يجمعنا، والأصالة التي تزيد في فخرنا وافتخارنا فله مني التقدير والإجلال، كما لا يفوتنا أن أنوّه بما بذله السادة أعضاء هذه اللجنة الموقّرة من علماء أجلاء، لا يسعني أن أنحني له تقديراً وإجلالاً.

السادة الأساتذة، السادة الحضور لكم مني أسمى معاني العرفان، وأسجّل شكري الجزيل لكلّ من أسهم في تحقيق هذا البحث من قريب أو بعيد، كما أسأل الله أن يكون عملي هذا لوجهه، وحبّاً في اللغة العربية الشريفة التي كرّمها الله بالقرآن.

## المصادر والمراجع

1. إبراهيم زكريا، مشكلة البيئة، سلسلة مشكلات فلسفية، مكتبة مصر، طبعة 1976.
2. ابن جني، أب الفتح عثمان بن جني، المحتسب، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الحلیم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الجزء الأول، القاهرة سنة 2004.
3. ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر سنة 1962.
4. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدني جدة، الطبعة الثانية، سنة 1974.
5. ابن عذارى، البيان المغرب، في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق لافي بروفنسال، بيروت، سنة 1948.
6. ابن عقيل، شرح الألفية، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث العربي، الجزء الثاني، دار مصر للطباعة، 1980.

7. ابن مريم "أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب ابن مريم الشريف الملقب التلمساني" البستان في ذكر العلماء والأولياء في تلمسان، الطبعة الثانية، سنة 1986.
8. ابن هشام ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، د.ت.
9. أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الفكر، الجزء الأول، د.ت.
10. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزء الأول، الجزائر سنة 1981
11. أبو راس ، الناصر محمد بن محمد، عجائب الأسفار ، ولطائف الأخبار، تحقيق محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية ، الجزء الثاني، وهران سنة 2008، ص 25.
12. أبو عبد الله الشريف الإدريسي : القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وتقديم وتعليق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.
13. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت 900هـ) تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - دار السراج الطبعة: الثانية، الجزء الأول، سنة 1980 م.
14. أبو علي الحسن، ابن رشيق، كتاب العمدة، تحقيق محمد قرقران، الطبعة الأولى، دار المعرفة بيروت، لبنان سنة 1988م.
15. أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، الطبعة السابعة، بيروت سنة 1991م.
16. أحمد التوفيق، حول الطبونيميا والتاريخ في المغرب الشرقي، المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، الرباط د.ت.

17. أحمد الحملاوي، كتاب شذا العرف في فنّ الصرف، ملكية الطبع والنشر مصطفى الحلي وأولاده، الطبعة السادسة عشر، سنة 1965.
18. أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، منشورات ANEP، إصدار الجزائر سنة 2010م.
19. أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983.
20. أحمد صابر، الترجمة باعتبارها شذوذاً في مجال الأماكنية، ترجمة وئام المددي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الواقع والآفاق، أقادير سنة 1999م.
21. أحمد عبد المجيد هريدي، نشوء الفعل الرباعي في اللغة العربية، مكتبة الزهراء، القاهرة سنة 1988.
22. أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصر، (عربي - عربي)، المكتبة العرفية للكتب المصورة، عالم الكتب الطبعة الأولى، القاهرة سنة 2008.
23. أحمد يوسف، شعر الثورة وخفوت السلالة الشعرية، مجلة الأدب واللغات، العدد الخامس، ديسمبر 2005.
24. إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر سنة 1983.
25. ألسا أسيدون، ترجمة مطانيوس حبيب، النظريات الاقتصادية في التنمية، دمشق دار لبقاضل، الطبعة الأولى ، سوريا سنة 1997.
26. امرتضى جواد باقر، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن سنة 2002.
27. أندري مارتيني، ترجمة ريمون رزق الله، مبادئ ألسنية عامة، دار الحدائث ، بيروت - لبنان - سنة 1999.
28. بشير مقييس، مدينة وهران، دراسة جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.

29. بطرس البستاني : دائرة المعارف ، دار المعرفة ، لبنان ، (د.ت) ، ج6.
30. البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ/1094م)، المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، منشورات دار الكتب العلمية، الجزء الثاني، الطبعة الثانية ، بيروت، سنة 2003.
31. بوجمعة هيشور، اللغة العربية مقاومة ومصير، اللغة العربية، من محنة الكولومبالية إلى إشراقة الثورة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دار الأمة، الجزائر سنة 2007.
32. بومدين بن سهلة، ديوان الشيخ التلمساني بومدين بن سهلة، جمع: الأستاذ محمد الحبيب حشلاف، تحقيق: محمد بن عمرو الزهوني، تصنيف: بومدين ابن سهلة التلمساني، نشر المؤسسة الوطنية للاتصال، والنشر والإشهار - الجزائر، الطبعة: الأولى، 2001م.
33. ترفتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، ترجمة الصديق بوعلام، دار الكلام، الرباط، المغرب سنة 1993.
34. تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب سنة 1992.
35. توفيق حداد، محمد سلامة آدم، التربية العامة، ديوان المطبوعات المدرسية الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1977.
36. توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، سنة 1980.
37. الجاحظ ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء 1، القاهرة سنة 1984م.
38. جار الله ابو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المفصل في علم اللغة؟؟؟؟؟ .
39. جاك رومان، من التنمية الاقتصادية إلى النمو البشري، ترجمة وزارة الثقافة، دمشق 1977م.

40. جاك كوفان، القرى الأولى في بلاد الشام، من الألف التاسع وحتى الألف السابع ق.م، ترجمة إلياس مرقص، دمشق، دار الحصاد، الطبعة الأولى، 1995.
41. جرجي زيدان - الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية - تاريخ اللغة العربية، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة 1987.
42. جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر.
43. جمال الدين لخضور، عودة التاريخ، عودة التاريخ: الانتربولوجية المعرفية العربية، دراسة في الأناسة المعرفية التاريخية-اللغوية و وحدتها، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، سنة 1997.
44. جمال الدين محمد بن مالك، كتاب شرح لامية الأفعال العلامة بمحرق اليمني، مطبعة التقدم، تونس 1329هـ.
45. جميل طاهر : النفط والتنمية المستدامة في الأقطار العربية ، الرض والتحديات ، ديسمبر 1997.
46. جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، الجزء الثامن، سنة 1971.
47. جون سيرل ، العقل واللغة والمجتمع، الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان - سنة 2006م.
48. حافيظ إسماعيلي علوي، نحن واللسانيات بحث في إشكالات التلقي، اللسان العربي وإشكالية التلقي، سلسلة كتب المستقبل العرب (55)، أغسطس 2007.
49. حسام البهنساوي، نظرية النحو الكلي والتراكيب اللغوية العربية، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، القاهرة سنة 2004.
50. الحسن الوزان، وصف إفريقية، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة 2، ج 1، السنة 1983.
51. حسن بن محمد الوزان : وصف إفريقيا ، تر: محمد حجّي ، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان ، ج2.

52. حسن رمضان فحلة، بهجة الطرف في فن الصرف، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1992.
53. حسن محمد أحمد محمد مختار، الإدارة الاستراتيجية (المفاهيم والنماذج)، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، مصر 2008.
54. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأنثروبولوجيا في المجال التطبيقي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية سنة 1989.
55. حسين نصار، المعجم العربي، نشأته و تطوره، دار مصر للطباعة، القاهرة سنة 1968.
56. حنا نصر الحتي، قاموس الأسماء العربية والمعربة وتفسير معانيها، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، بيروت سنة 2003.
57. خالد اليعقوبي، آليات توليد وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، دار ما بعد الحداثة، الطبعة الأولى، سنة 2006.
58. خالد حسين، شعرية المكان في الرواية الجديدة: الخطاب الروائي لإدوار الخراط نموذجاً: كتاب الرياض - العدد 83، الرياض السعودية 2000م.
59. خالد عبد الرزاق السيد، اللغة بين النظرية والتطبيق، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة سنة 2003.
60. خضر موسى محمد حمود، الكنية (المعنى والدلالة) دار الكتب العلمية، بيروت 2010.
61. راوية توفيق، الحكم الرشيد والتنمية في إفريقيا، دراسة تحليلية لمبادرة النيباد، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، مشروع دعم التكامل الإفريقي، سنة 2005.
62. الرزقي شرقي، المعالم التاريخية والمواقع الأثرية بمدينة تلمسان، نشر مؤسسة ابن خلدون، تلمسان 2013.
63. رسائل إخوان الصفا، الجزء الثالث، دار أنيس، الجزائر، 2007.

64. رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي منالفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت) ، ص 490.
65. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج الحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة ، الطبعة الثانية، سنة 1985م.
66. روبرت شولز، البنية في الأدب، ترجمة حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط 7، سنة 1977 .
67. روبرت شولز، السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت سنة 1994.
68. زكية السائح دحماني، الأسمائية في اللسانيات الحديثة بين سانبات بمنوبة ، كلية سنة 2014.
69. زهراء رهنورد، حكمة الفن الإسلامي، ترجمة باسل أدناوي، مراجعة د. محمد علي آذرشب، المستشارية - دمشق المرجة، ط 1، دمشق سنة 2001م.
70. سامية حسن الساعاتي ، الثقافة والشخصية ، بحث في علم الاجتماع الثقافي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1983.
71. سلطان عبد الله المعاني، مفردات قديمة في السياق الحضاري، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2005.
72. سليم الحسنية، نظام المعلومات الإدارية) نما)، الطبعة الثالثة، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2006 .
73. سمير روجي الفيصلي، المشكلة اللغوية، الطبعة الأولى، لبنان سنة 1992.
74. سيوييه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، الجزء الثالث، بيروت 1408هـ.
75. السيد صديق بن حسن القنوجي البخاري، أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، الجزء الأول، بيروت، لبنان سنة 1999.
76. الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ، الجزء الأول، لبنان سنة 1989.

77. شهاب الدين بن فضل الله العمري، كتاب مسالك الأبصار في عجائب الأمصار، دار الكتب الوطنية، تونس، مخطوط رقم 6778.
78. الشيخ خالد الأزهري، التصريح على التوضيح، تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ج2، الطبعة الأولى، بيروت سنة 2000.
79. الشيخ نسيب وهيب الخازن، من الساميين إلى العرب، دار مكتبة الحياة، بيروت سنة 1962.
80. طارق نجم عبد الله، دراسات في النحو والصرف، دار الكرام، بيروت، الطبعة الأولى، لبنان سنة 1996.
81. طه حسين من تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، دار العلم للملايين، ط4، المجلد الأول، بيروت، لبنان سنة 1998.
82. طه عبد الرحمن، المنق والنحو السوري، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، لبنان سنة 1983م.
83. ظافر القاسمي، الحياة الاجتماعية عند العرب، دار النفائس، بيروت، ط 2، سنة 1981.
84. عباس حسن، النحو الوافي، الجزء الأول، دار المعرف، الطبعة التاسعة، القاهرة سنة 1987.
85. عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، نظرية رونالد لانقار، مسكيلياي للنشر، الطبعة الأولى، سنة 2010م.
86. عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، دار التوفيقية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر 2011م.
87. عبد الحميد بن هدوقة، ربح الجنوب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، الجزائر، سنة 1989.
88. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2007.

89. عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج، كشف النقاب عن الأسماء والألقاب، تحقيق عبد العزيز بن راجي الصاعدي، منشورات مكتبة دار السلام، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الرياض سنة 1993.
90. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ب.ت.
91. عبد الستار فراخ، ديوان مجنون ليلى، مكتبة مصر، د.ت.
92. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، سنة 1984.
93. عبد العزيز فيلاي، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمراية، اجتماعية ثقافية، الجزء الأول، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002
94. عبد الهادي هاشم، اللغة والقومية، المعلم العربي، شهرية تربوية ثقافية، تصدرها وزارة التربية والتعليم السورية، العدد 1/2، السنة الخامسة عشر، سنة 1961.
95. عبد الوهاب بن منصور، المنتخب النفيس في شعر ابن خميس، الرباط: مطبعة ابن خلدون، 1365.
96. عبد الوهاب خلاّف، علم أصول الفقه، الطبعة الثامنة، مكتبة الدعوة الإسلامية شباب الأزهر، دار القلم، القاهرة سنة 2008.
97. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس اللغوي الحديث، دار النهضة، بيروت، سنة 1979م.
98. العربي دحو، ديوان شعراء شعبيين، شهداء ومجاهدين، عن الثورة التحريرية، دار الأملية للنشر والتوزيع، ط1، سنة 2012.
99. عزي بوخالفة، شواهد إحسان على مآثر المحروسة تلمسان، منشورات وزارة الثقافة، الطبعة الأولى، سنة 2011م.
100. عصمت تحسين عبد الكريم، علم الاجتماع المعاصر، الجنادرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2015.

101. علي حرب، سياسة الفكر، مصائر المشروع الثقافي العربي، الأختام الأصولية والشعائر التقدمية، ج1، الطبعة الأولى، الناشر الدار البيضاء، المغرب سنة 2001 .
102. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة سنة 2006.
103. عماد الصبّاغ ، تطبيقات الحاسوب في نظم المعلومات ، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، الأردن، سنة 2000 .
104. عمارة عمور، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، الطبعة الأولى 2002.
105. عمر العشعاشي، ماضي تلمسان المجيد، يغمراسن مؤسس عاصمة المغرب الأوسط، ترجمه إلى اللغة العربية بن منصور، ابن خلدون للنشر، تلمسان، سنة 2012م،
106. فايز جمعة النجار ، نظام المعلومات الادارية، دار الحامد، عمان، سنة 2005.
107. فخر الدين قباوة، جذور التحليل اللغوي في المدرسة اقرآنية القدمى، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة الأولى ، دمشق، سوريا سنة 2007.
108. فريد جحا، الحنين إلى الوطن في شعر المهجر، المطبعة العربية، الطبعة الأولى ، حلب سوريا.
109. فهميم حسين ، قصة الأنثروبولوجيا، فصول في تاريخ علم الإنسان، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية ، الكويت فبراير 1986.
110. فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، التداولية من أوستن إلى غوفمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 2007 .
111. مارك رينكو، ترجمة شفيق فلاح علاونة، الإبداع نظرياته وموضوعاته، مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله للموهبة والإبداع، العبيكان للنشر، الرياض سنة 2011.

112. مازن الواعر ، الجغرافيا والأدب ، تقاطع المعارف البشرية، مقتطفة من كتاب من كتاب التفكير اللغوي عند الجغرافيين العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة.
113. مازن الواعر، دراسات نحوية ودلالية وفلسفة في وع اللسانيات المعاصرة، دار المتنبى للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سورية - دمشق سنة 2001.
114. مبارك بن محمد المليي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم : محمد المليي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1396هـ/1976م .
115. مجموعة من المؤلفين، مخطوطة، تقديم وتحقيق وتعليق : عبد الحميد حاجيات، ذخائر الغرب العربي، كتاب الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
116. محمد إبراهيم منصور، الدراسات المستقبلية، ماهيتها وأهميتها توطئها عربياً، منتدى الجزيرة السابع، بالعاصمة القطرية الدوحة، أبريل 2013.
117. محمد الجوهري، المدخل إلى الأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1990.
118. محمد الديدواوي، حاجة المترجم إلى المعجم التاريخي، أعمال ندوة المعجم التاريخي للغة العربية، قضاياها النظرية والمنهجية والتطبيقية ، المجلد الأول، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، فاس 2010.
119. محمد الصالح الغرناطي في ترجمته إلى البرتغالية من طرف خوزي سانطي أنطوان موري.
120. محمد العربي حرز الله، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، دار السبيل للنشر والتوزيع، سنة 2011م.
121. محمد بازي، تقابلات النص وبلاغة الخطاب، نحو تأويل تقابلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط.1، 2010.

122. محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، جغرافيا وتاريخيا وفنيا ومعمارياً، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر سنة 2011م.
123. محمد بن عبد القادر. تحفة الزائر في أخبار الجزائر والأمير عبد القادر، بيروت، سنة 1964 .
124. محمد بن عبد القادر. تحفة الزائر في أخبار الجزائر والأمير عبد القادر، بيروت، سنة 1964 .
125. محمد بن عمرو الطمار: تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، سنة 1984.
126. محمد بن محمد الغزالي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق فضله شحاده، دار المشرق ، الطبعة الثانية، بيروت سنة 1971م.
127. محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر سنة 1981م.
128. محمد بوخوشة: جمع ونشر ديوان ابن مسايب، طبع بمطبعة ابن خلدون، بتلمسان (1370هـ-1950م) .
129. محمد بوزواوي، مآثر تلمسان ، ماضياً وحاضراً، القافلة للنشر والتوزيع، 2011م.
130. محمد حسن غامري، طريقة الدراسات الانثروبولوجية الميدانية، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، سنة 1979.
131. محمد رشاد الحمزاوي : من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، دار الغرب الإسلامي، تونس 1983.
132. محمد سويسي، لغة الرياضيات في العربية، دار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، د.ط، 1989.

133. محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي 1997.
134. محمد محي الدين عبد الحميد، شرح قطر الندى وبل الصدى ومعه كتاب سبيل الهدى، المؤلف: ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1994.
135. محمود الذوايدي، أضواء على علم العمران الحضري الخلدوني، فكر ابن خلدون الحداثة والحضارة والهيمنة، سلسلة كتب المستقبل العرب (54)، فبراير 2007.
136. محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب، القاهرة، د.ت.
137. محي الدين عبد الحميد، حاشية الصبان على شرح الأشموني، على ألفية مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، 1939.
138. مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الجزء الثاني، دار الحصار، الطبعة الأولى، سنة 2007م.
139. مريم بوزيدي، تن كيل سببية في معنى شعيرة عاشوراء بواحة جانت، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ علم الإنسان والتاريخ، الجزائر سنة 2013 CNRPAH.
140. مسعود بن صاري، جماليات المكان فيحاضرة تلمان، منشورات ابن سنان لتلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011م.
141. موسوعة التكنولوجيا، موسوعة علمية، المجلد 11، الناشر ترادكيم، سنة 1983.
142. ميشال دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة إحسان محمد الحسن، الطبعة الثانية، دار الطليعة، بيروت، 1986.
143. نبيل علي، اللغة العربية والحاسوب، دراسة بحثية، تقديم: أسامة الخولي، دار تعريب، د.ط، سنة 1988.
144. نجم عبد الله الحميدي وآخرون، نظام المعلومات الادارية مدخل معاصر، دار وائل للنشر، عمان، الاردن، 2004، ص 35.

145. نخبة من الأساتذة والمؤرخين، جمع وتعليق محمد بوزواوي، مآثر تلمسان ، ماضياً وحاضراً، القافلة للنشر والتوزيع، في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، سنة 2011م .
146. نعوم تشومسكي، جوانب من نظرية النحو، ترجمة مرتضى جواد باقر، المكتبة الوطنية ببغداد، سنة 1985.
147. هاني عبد الرحمن صالح الطويل، الإدارة التعليمية، مفاهيم... وآفاق، ، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى ، عمان سنة 1999.
148. ياسين خليل، اللغة والوجود القومي - اللغة أسئلة التطور الذاتي والمستقبلي - سلسلة كتب المستقبل العرب (46)، أكتوبر سنة 2005.
149. ياقوت شهاب الدين أبو عبد الله الحموي. معجم البلدان، ج1، القاهرة، 1906 .
150. يحيى بوعزيز " المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيرية "، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، العدد26، جويلية 1975 .
151. يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق وتقديم: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية الجزائرية، ج1400هـ 1980م .
152. يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق ألفريد بل، ج1، الجزائر:1910.

## مصادر ومراجع باللغة الأجنبية

1. Abbè. Bargés , Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, Imprimerie orientale de Nicolas, Paris 18, 1958
2. Actes du colloque N° 2 , LE MAROC ORIENTAL, passé et présent, le milieu natuel, l’histoire et la culture, journées d’études du 13 au 15 mars 1986, Faculté des lettres et des sciences humaines- Oujda, Maroc.
3. André Iecocq, TLEMCEN VILLE FRANCAISE (1842-1852), Tome 1er , Imprimerie Editions Internationales S.A- TANGER 1940.
4. Andres Max Kristol, « Motivation et remotivation des noms de lieux : réflexions sur la nature linguistique du nom propre », Rives nord-méditerranéennes, 11 | 2002,
5. ATOUI, Brahim.-*Toponymie et espace en Algérie*.-Alger, Ed. Institut National de Cartographie, 1998.
6. Hassaine Daoudji Dalila, sur les traces de Lalla Setti, La sainte de Tlemcen, Editions Assabil, Alger 2011.
7. Attali, 1991 ; Guillourel, 1999 ; Havard, 2003 Attali, J. 1991.1492, Paris : Fayard. 76.
8. Baylon Christian et Paul Fabre, les noms de lieux et de personnes, Paris, ed Nathan, 1982.

9. Bénédicte et Jean-Jacques Fénié, *Toponymie occitane*, Collection Sud Ouest Université, France 1997, P9.
10. Benveniste ,E.,1974, *Problème de linguistique générale*, tome II, Gallimard, Paris.
11. Boguslaw R .Zagórski, *Toponyme de l’Afrique septentrionale*, Institut Ibn Khaldoun,Varsovie 2008.
12. Camproux, Ch, *Introduction .Les noms de lieux et de personnes* de Christian BAYLON et Paul FABRE .Ed. Nathan1982, Paris.
13. Cheriguen Foudil, *Anthopo-toponymie et désignation de l’environnement politique, mots/les lngages du politique*, verts, France. 1997.
14. DORION, Henri, POIRIER, Jean, *Lexique des termes Utiles à L’étude des Noms de Lieux*, Les Presses de l’Université aval, CANADA, 1975.
15. Edward Sapir. *Anthropologie, Tome 1 culture et personnalité*, (Traduction de Christian Baudelot et Pierre Clinquart) Editions de Minuit, Paris, 1967.
16. Ferdinand Brunot, 1936, *LA Pensée et la langue*, 3e éd., Paris, P.40.
17. Ghalem Mohammed, «Historiographie algérienne au 18 è siècle : savoir historique et mode de légitimation politique», in «savoirs historiques au maghreb, construction et usages» , C.R.A.S.C, 2006.
18. Grevisse ,M. 1986, *Le bon usage. Grammaire française avec des Remarques sur la langue française d’aujourd’hui*, Gembloux, Duculot.
19. Hadj Omar Lachachi, *Sauvegarde de notre Patrimoine ancestral, magharibo-andalou*, Editions Ibn Khaldoun, Tlemcen, SD .
20. <https://ar.wikipedia.org/wiki/>
21. Jean-Marie Pierrel, *Ingénierie des langues*, Hermes Science Europe, Paris 2000.
22. Kadmon,N. *Toponymy The Lore,Laws and Language of Geographical Names*.Vantage press, New York 1997.

23. Katschnig H. (1997). How Useful is the Concept of Quality of Life in Psychiatry? In *Quality of Life in Mental Disorders* (Eds H. Katschnig, H. Freeman, N. Sartorius),
24. Louis Guilbert : La créativité lexicale, librairie la rousse , Paris 1975 .
25. Maria Teresa Cabré, La terminologie Theorie, methode et applications, traduit du Catalan par M.C. cornier et J.Humbley, Les presses de l'université d'Otawa – Canada , Armand Colin, Paris 1998.
26. Maria-Alice Medioni : Construire un vocabulaire en langue, Dumass-Titoulet imprimeurs octobre 2002 , Paris.
27. Mohammed Akli Haddadou, Dictionnaire toponymique et historique de l'Algérie, éd Echab, 2012.
28. Molino,J « Le nom propre dans la langue », *Langages* , n° 66, 1982.
29. Poirier, Jean, Toponymie. 1965, Méthode d'enquête, Québec, Les Presses de l'Université Laval, 165 p. Préface de Fernand Grenier.
30. R.R.K. Hartman, F.C. Stock: Dictionary of langage and linguistics, A.S. Publishers, London.
31. Sid Ahmed BOUALI : Les deux grands sièges de Tlemcen, Alger: ENAL, 1980.
32. Stéphane Teillet : L'impasse de l'anti-développement, Instituttions et développemnt, La fabriaue insitutionnelle et politique des trajectoires de développement; presse universitaires de Rennes, 2007 .
33. WILLIAM Marçais, Le dialecte arabe parlé à Tlemcen, Paris :E, Leroux, 1902.

## المجلات والدوريات

1. إبراهيم مذكور، لغة العلم المعاصر، مجلة اللغة العربية الأردني، عمان، ج30، سنة 1986م.
2. أحمد أبو زيد، حضارة اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد الثالث، العدد الأول، القاهرة سنة 1971م.
3. إسماعيل صبري عبد الله، العرب بين التنمية القطلالية والتنمية القومية، مجلة المستقبل العربي، العدد 3، سنة 1978م.
4. أعمال ندوة: المعجم التاريخي للغة العربية، المجلد الأول، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، سنة 2011م .
5. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، إدارة الحكم لخدمة التنمية البشرية المستدامة، سنة 1997م.
6. المؤسسة العربية لضمان الاستثمار، تقرير مناخ الاستثمار في الدول العربية لعام 1993م.
7. خليل التفكجي، تهويد الأسماء الجغرافية والمواقع الأثرية في مدينة القدس، أعمال الملتقى الدولي : أسماء الأعلام في العالم العربي وبلدان الساحل، سياسة الترميط ، قسنطينة 3،2،1، فيفيري 2016.
8. د. نجم عبد الله كاظم، جماليات الشخصية في الرواية العراقية، جامعة بغداد، بحث منشور في مجلة أقلام، العدد الرابع، دار الشؤون الثقافية العامة، سنة 2016. .

9. عبد الإله الديوه جي، مفاهيم أساسية حول تقنية المعلومات، عالم الفكر، أكتوبر 1987.
10. عبد الغني أبو العزم، الحاسوب والصناعة المعجمية، اللسان العربي، العدد السادس والأربعون، ديسمبر 1998.
11. منير صايفي، ترجمة أسماء الأعلام في القرآن الكريم - أسماء الأنبياء أمودجاً، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009.
12. عبدالرحمن الحاج صالح، اللغة العربية وتحديات العصر في البحث اللغوي وترقية اللغات، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال الندوة الدولية حول مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، الجزائر 2001.
13. عبد الرحمن الحاج صالح، المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد الأول، السنة الأولى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، سنة 2005.
14. عزت السيد أحمد، القيم بين التغيير والتغيير: المفاهيم والخصائص والآليات، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الأول والثاني، سنة 2011.
15. الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية والحرف، تطور قطاع الصناعة التقليدية والحرف في الجزائر - 2009/1962، ط 2، ص 73 سيدي فرج، سطاوالي، الجزائر.
16. عبدالرحمن الحاج صالح، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، اللغة العربية والبحث العلمي المعاصر أمام تحديات العصر، العدد الثاني، ديسمبر 2005.
17. خالد سمير، مجلة مطارحات في اللغة والأدب، خصائص المكان في رواية ربح الجنوب، العدد الرابع، سنة 2015.
18. محسن عقون، واقع الترجمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، أهمية الترجمة وشروط إحيائها، الجزائر 2004.
19. محمد ديب، الدار الكبيرة، ترجمة سامي الدروبي، دار الهلال، مجلة شهرية، العدد 262، القاهرة سنة 1970.
20. محمد رشاد الجمزاوي، المنهجية العربية لوضع المصطلحات، من التوحيد إلى التنميط، مجلة اللسان العربي، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، عدد 24، سنة 1985م.

21. محي الدين صابر، التعريب والمصطلح، مجلة اللسان العربي، عدد 28، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكب تنسيق التعريب، القاهرة سنة 1987.

## فهرس الآيات

ص 22	سورة الإسراء: الآية 58	﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
ص 22	سورة الحج: الآية 48	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾
ص 22	سورة محمد، الآية 13	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ﴾
ص 24	سورة النساء، الآية 75	﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾
ص 32	سورة البقرة، الآية 30	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
ص 43	سورة النساء: الآية 75	﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾
ص 43	سورة الأنعام: الآية 92	﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾
ص 43	سورة الإسراء: الآية 58	﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
ص 43	سورة الحج: الآية 48	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾
ص 43	سورة النحل: الآية 112	﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة﴾
ص 43	سورة محمد: الآية 13	﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك﴾
ص 44	سورة النساء: الآية 75	﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾
ص 44	سورة الزخرف: الآية 31	﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾
ص 44	سورة يس: الآية 13	﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون﴾
ص 44	سورة البقرة: الآية 58.	﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾
ص 44	سورة يونس: الآية 98	﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس﴾

ص 45	سورة الكهف : الآية 77	﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾
ص 45	سورة الأعراف: الآية 163	﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾
ص 45	سورة يوسف: الآية 82	﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾
ص 47	سورة الشعراء : الآية 214	﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾
ص 54	سورة الواقعة، الآية 75/76	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾
ص 55	سورة الواقعة: الآية 75	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾
ص 65	سورة الحجرات: الآية 11.	﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾
ص 70	سورة القصص، الآية 23	﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْتَأْذِنُ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾
ص 72	سورة الأنعام: الآية 98.	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾
ص 219	سورة الواقعة ، الآية 75	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

## فهرس الأبيات الشعرية (الفصيحة)

الصفحة	الأبيات الشعرية	
ص 28	سَلِمَ عَلَى الرَّبْعِ مِنْ سَلَمَى بَدِي سَلَمٍ	
ص 71	كُتُوهِلْ وَشُبَّانِ كَجَنَّةِ عَبَقْرِ	وَمَنْ فَادَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَيَبِيهِمْ
ص 71	بَهِيًّا مِنَ السُّلَافِ، لَيْسَ بِجَيْدَرِ	مَضُونًا سَلَفًا قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ
ص 71	صَلِيلُ رُيُوفٍ يُنْتَقَدَنَّ بَعْبَقْرَا	كَأَنَّ صَلِيلَ المَرُوءِ، حِينَ تَشُدُّهُ
ص 72	مِنْ وَشِيِّ عَبَقْرِ، تَجْلِيلٌ وَتَنْجِيدُ	حَتَّى كَأَنَّ رِيَاضَ الفُفِّ أَلْبَسَهَا
ص 74	طَوْرًا يُفَرِّقُهُمْ وَطَوْرًا يَجْمَعُ	يَا مَنْزِلًا لَعِبَ الزَّمَانُ بِأَهْلِهِ
ص 74	كَانَ الزَّمَانُ بِهِمْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ	أَيْنَ الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ بِكَ مَرَّةً
ص 74	كُنَّا إِلَيْكَ مِنَ الحَوَادِثِ نَفْرَعُ	أَصْبَحْتَ تُفْرَعُ مَنْ رَأَىكَ وَطَالَمَا
ص 75	إِلَّا وَفِيهِ لِلْمَسْرَةِ مَرَبَعُ	أَيَّامٌ لَا أَغْشَى لِأَهْلِكَ مَرَبَعًا
ص 75	أَوْ أَنَّ دَهْرًا رَاحِمٌ مَنْ يَجْرَعُ	لَهْفِي عَلَيْكَ لَوْ إِنَّ هَفَا يَنْفَعُ
ص 75	خَطْفًا كَرَجَعِ الطَّرْفِ أَوْ هُوَ أَسْرَعُ	مَا كَانَ ذَاكَ العَيْشُ إِلَّا خُلْسَةً
ص 84	بِمَيِّ تَأَبَّدَ عَوْهَا فَرَجَامُهَا	عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا
ص 85	خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الوُحْيِ سِلَامُهَا	فَمَدَافِعِ الرَّيَّانِ عُرِي رَسْمُهَا
ص 85	حِجَجٌ خَلُونُ حَلَالُهَا وَحَرَامُهَا	دِمْنٌ بَجَرَمٍ بَعْدَ عَهْدِ أَنْيَسِهَا
ص 85	فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا، وَكَيْفَ سَأَلْنَا	صُمًَّا خَوَالِدَ مَا يُبِينُ كَلَامُهَا
ص 85	عَرِيثٌ وَكَانَ بِهَا الجَمِيعُ فَأَبْكُرُوا	مِنْهَا وَعُودَرِ نُؤْيُهَا وَنَمَامُهَا
ص 92	أَمْرٌ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى	أَقْبَلِ ذَا الجِدَارِ وَذَا الجِدَارِ

92 ص	ولكن حبّ من سكن الدّيار	وما حب الدّيار شغفنّ قلبي
92 ص	بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل	قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل
93 ص	أقوت، وطالَ عليها سالفُ الأبدِ	يا دارَ مَيّةَ بالعلّيا، فالسّندِ،
93 ص	عيتّ جواباً، وما بالربع من أحدِ	وقفتُ فيها أصيلاًناً أسائلها،
230 ص	طوراً يُفرّقُهُم وطوراً يجمعُ	يا منزلاً لعب الزّمان بأهله
230 ص	كان الزّمان بهم يضّرّ وينفعُ	أين الذين عهدتُهم بك مرّةً
230 ص	كنا إليك من الحوادثِ نفرعُ	أصبحت تُفرعُ من رآك وطالما
230 ص	إلا وفيه للمسرّة مربعُ	أيام لا أغشى لأهلك مربعاً
230 ص	أو أنّ دهرًا راحمٌ من يجزعُ	لهفي عليك لو إنّ لهفًا ينفعُ
230 ص	حطفاً كرجع الطرفِ أو هو أسرعُ	ما كان ذاك العيش إلا حلّسةً
232 ص	بسقط اللّوى بين الدّخول فحومل	قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل
232 ص	بمئىّ تأبّد عوّها فرجامها	عفت الدّيار محلّها فمقامها
232 ص	خلقا كما ضمن الوحيّ سلامها	فمدافع الرّيان عريّ رسمها
232 ص	حجج خلون حلالها وحرامها	دمن بحرّم بعد عهد أنيسها
233 ص	فوقفت أسأها ، وكيف سألنا	صمّا خوالد ما يبين كلامها
233 ص	عريت وكان بها الجميع فأبكرؤا	منها وعودر نُؤيها وثامها

## فهرس الأشعار (الملحون)

الصفحة	الأبيات الشعرية (الملحون)	
ص 100	في منتصف الليل حسوا دوانا	في الأوراس تكلم بارود رزين
ص 100	في الفاتح نوفمبر مع بعضانا	في الربعة وخمسين كنا مجمولين
ص 100	كل يوم أزيد فقه وفظانا	جيش التحرير جا يدرب حد اثنين
ص 102	وعلى النبي صليــــــــــــــــت	بسم الله بديــــــــــــــــت
ص 102	لبيت نبينا محمد	سيــــــــــــــــدي مصباح
ص 102	صحيحة ماهيش دعاية	راني نحكيلكم حكاية
ص 102	في تونس نعملوا دبارة	قالهم سيروا فالطيــــــــــــــــارة
ص 103	طيح من اليهود قداه أن خنزير	يحكىو على العساس يضرب للكبدة
ص 104	بقي ربي ستر على جيش التحرير	تكلم لبارود الرعدة كشغل
ص 104	ورثوها من علي وخالد والزبير	سجاعة العرب ليهم قــــــــــــــــدة
ص 105	ما احلاك ما اقوى اصخورك	الجرف يا مسقط الراس
ص 105	احزمات شادة ضلوعك	صوانك مثل لماس
ص 105	ظلمه داخله أفروعك	ادواميسك بني هنداس
ص 105	تزلق الرجل في أطلوعك	ملسه احريــــــــــــــــر مالاس
ص 105	شاهده بهذا أنجوعك	واد أهلال سد للناس
ص 105	يا جرف وبني أعيونك	سموك أشقيق لوراس

ص 106	القي حتى الأرض حزينة	ديقول جا لقسنطينة
ص 106	هذه أم البلاد	قال لهم هذه ما هي لنا
ص 106	عالم مات على التدريس	هذه بلاد ابن باديس
ص 107	النسياسة شوف بعض التفصلات	في الزرقة والمحارقة والميمون
ص 108	واكتب للبنين ذكرى للابات	سجل يا تاريخ لمعاركنا
ص 108	الجيل الأبيض سكنوه تبسة حتى لسوق أهراس	
ص 108	اللي عدو للكافر رخصه والداير والعساس	
ص 110	واحجازي في سكنته ظهرة البحير	محمد جاب هذا القصيدة
ص 110	صارت بهم صايرة في حي أزيير	غنى على لبطل فرسان الشدة
ص 110	حراقة واشهيلي غرغار	في الصيف قوايل
ص 111	البنداقة لبدو فالعرعار	هربوا القومية
ص 264	روح تغنم فرجة وادخل على درب السجان	يا زين الدرجة نرسلك لبنات البهجة
ص 277	روح تغنم فرجة وادخل على درب السجان	يا زين الدرجة نرسلك لبنات البهجة
ص 277	كانت البهجة عند سلاطين العرب	
ص 277	في المقام العالي والمنزل الرفيع	

## فهرس الموضوعات

ص 1	المقدمة.....	1
ص 1	المدخل.....	2

ص 06	الباب الأول : الجانب النظري.....	3
ص 07	تمهيد : المجالات العلمية والحقول المعرفية للدراسة.....	4
ص 11	الفصل الأول : الوحدات الطوبونيمية.....	5
ص 17	أولاً : وضع الألفاظ في اللغة العربية.....	6
ص 19	1 - الوضع والموضوع له.....	7
ص 21	ا - الوضع العام والموضوع له عام.....	8
ص 23	ب - الوضع الخاص والموضوع له خاص.....	9
ص 23	ج - الوضع العام والموضوع له خاص.....	10
ص 24	د - في الوضع الخاص والموضوع له عام.....	11
ص 25	2 - أسماء الأجناس والأعلام.....	12
ص 26	ا - وضع اللفظ بالمادة والهيئة.....	13
ص 27	ب - وضع اللفظ بناءً على مادته.....	14
ص 28	ج - وضع اللفظ بناءً على الهيئة.....	15
ص 29	ثانياً : التقسيم اللغوي.....	16
ص 32	1 - التقسيم الشكلي والوظيفي.....	17
ص 33	ا - التقسيم النحوي.....	18
ص 33	ب - التقسيم الوظيفي.....	19
ص 35	ج - الدلالة السياقية.....	20
ص 36	2 - الأسماء الأعلام وتقسيماتها اللغوية.....	21
ص 36	ا - الأقسام الصرفية.....	22
ص 37	ب - الأقسام الدلالية.....	23

39 ص	ج - المعاني السياقية للطبونيمات.....	24
41 ص	ثالثاً : الأسماء الأعلام.....	25
41 ص	1 - أسماء أمكنة بين المعجمية والمواقعية.....	26
49 ص	أ - المصطلح الطبونيمي في الدرس المصطلحي الحديث.	27
53 ص	ب - مصطلح المواقعية بين التأسيس والشيوع	28
57 ص	ج - التنميط المصطلحي والبدائل المصطلحية العربية	29
63 ص	2 - مجالات الأسماء الأعلام (الأنوماستيكا).....	30
65 ص	أ - الأنثروبونيميا (Anthroponymie).....	31
66 ص	ب - المواقعية (الطبونيميا).....	32
69 ص	ج - أسماء أعلام تزامن المصطلحات الأخرى.....	33
76 ص	<b>الفصل الثاني : الدراسات البيئية والمواقعية.....</b>	34
79 ص	<b>أولاً : الحقول المعرفية والدراسات البيئية.....</b>	35
82 ص	1. - المواقعية وسياسة العولمة	36
84 ص	أ - التحولات الدلالية للطبونيمات	37
87 ص	ب - إشكالية الرومنة	38
88 ص	ج - السياسة المواقعية في الجزائر	39
89 ص	2 - الدراسات البيئية والتراث الثقافي.....	40
93 ص	أ - أهمية المكان في التراث العربي.....	41
96 ص	ب - الآثار المادية لاسم المكان.....	42
99 ص	ج - إسم المكان في التراث الشعري الجزائري.	43
112 ص	ثانياً : المواقعية والمخططات التنموية.....	44

ص 113	1 - الدراسات الواقعية في ضوء العولمة.....	45
ص 114	أ - التحليل المصطلحي لنظم المعلومات .....	46
ص 116	ب - البعد المعرفي لنظم المعلومات	47
ص 122	ج - الواقعية ونظم المعلومات.....	48
ص 125	2 - الاعتراف المعرفي والواقعية .....	49
ص 127	أ - ثقافة المكان وروافده المعرفية.....	50
ص 134	ب - تعدد الوجوه البراجماتية في نظم تعليمية الواقعية....	51
ص 138	ج - الواقعية والدراسات التطبيقية.....	52
ص 141	ثالثا : الواقعية والتنمية.....	53
ص 143	1 - البعد التنموي وآليات التطوير .....	54
ص 146	أ - الواقعية والتخطيط الاستراتيجي .....	55
ص 148	ب - الواقعية والتنمية البشرية.....	56
ص 150	ج - الواقعية والتنمية الشمولية.....	57
ص 151	2 - الواقعية والتنمية الاقتصادية.....	58
ص 152	أ - الواقعية والصناعة والحرف.....	59
ص 153	ب - الواقعية والفلاحة.....	60
ص 154	ج - التحارة والسياحية	61

ص 156	<b>الباب الثاني : الجانب التطبيقي.....</b>	62
ص 157	تمهيد .....	63
ص 163	<b>الفصل الأول : الدراسة التطبيقية للقراءة الواقعية..</b>	64

65	أولاً : الدراسات الواقعية.....	ص 164
66	1- الواقعية والدراسة التطبيقية .....	ص 165
67	أ - الواقعية والدراسة الميدانية.....	ص 165
68	ب - واقعية تلمسان العتيقة.....	ص 166
69	ج - الأداة التكنولوجية والقراءة الواقعية.....	ص 176
70	2-قراءة الواقع الطبونيمي لتلمسان .....	ص 178
71	أ - المزارات الدينية Eponymes.....	ص 178
72	ب - طبونيمات ذات طابع تجاري.....	ص 184
73	ج- المدارس التعليمية التقليدية.....	ص 186
74	ثانيا : الدراسات الواقعية والمخططات التنموية...	ص 189
75	1 - المعطيات الطبونيمية والتخطيط التنموي.....	ص 190
76	أ - البنوك الإلكترونية .....	ص 191
77	ب - التنوع الوظيفي للبنوك الإلكترونية.....	ص 192
78	ج - الطبونيميا والبنوك الإلكترونية.....	ص 193
79	2 - التطور التكنولوجي والتنمية.....	ص 194
80	أ - الطبونيمية والتنمية في الجزائر .....	ص 195
81	ب - التنمية وتحديات العولمة.....	ص 196
82	ج - الطبونيميا والبدائل الاستراتيجية.....	ص 197
83	الفصل الثاني : طبونيمات الشعر الملحون التلمساني	ص 198

ص 200	أولاً - مكانة اللهجات بين العامية والفصحى.....	84
ص 202	1 - الشعر الملحون التلمساني .....	85
ص 203	أ - دراسة النماذج اللغوية في الشعر التلمساني .....	86
ص 207	ب - جرد الطبونيمات وتصنيفها .....	87
ص 210	ج - الإستعمالات اللهجية في الملحون التلمساني على نمط الفصحى	88
ص 215	2 - واقع المصطلح في التخاطب اليومي .....	89
ص 216	أ - آليات التوليد المصطلحي.....	90
ص 217	ب - الواقع المصطلحي العربي للمواقعية.....	91
ص 220	ج - اسم المكان ونواميس الكون (إرهاصات طبونيمية).....	92
ص 227	ثانيا : الطبونيمات التراثية والتحويلات اللغوية والدلالية	93
ص 231	1 - العامل التاريخي و التحول الدلالي للطبونيمات.....	94
ص 236	أ - تلمسان ضمن حركية التاريخ.....	95
ص 238	ب - مواقعية تلمسان في التراث.....	96
ص 248	ج - اعتماد الذخيرة التراثية في قراءة الطبونيمات.....	97
ص 250	2 - ارتباط الأسماء الأعلام بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية	98
ص 250	أ - النشاطات المهنية في تلمسان.....	99
ص 253	ب - الأسواق التجارية.....	100
ص 259	ج. المهن التراثية وعلاقتها بالنسيج الاجتماعي	101
ص 261	ثالثا : الشعر الملحون التلمساني.....	102
ص 261	1- المدونة الأدبية .....	103
ص 262	أ - المدونات الشعرية .....	104

ص 263	ب - الشيخ بومدين بن سهلة .....	105
ص 264	ج - قصيدة يا ضو اعياني.....	106
ص 268	التحليل الأدبي والطبونييمي للقصيدة.....	107
ص 268	أ - الوقوف على طبونيمات تلمسان في القصيدة .....	108
ص 331	ب - الشيخ ابن مسايب.....	109
ص 332	ج - طبونيمات قصيدة الشيخ ابن مسايب.....	110
ص 334	الفصل الثالث: دياكرونية أسماء الأمكنة..	111
ص 335	أولاً: التغيرات التسموية لطبونيمات تلمسان.....	112
ص 336	1 - ضوابط الوضع الطبونييمي.....	113
ص 338	أ - الطبونيمات الاستبدالية لتلمسان	114
ص 339	ب - الكنى الوصفية لطبونيمات تلمسان	115
ص 340	ج - الصفات التمييزية والقيمية للنظم الطبونيمية لتلمسان....	116
ص 340	2 - توظيف المعالم التراثية في نظم المعلومات.....	117
ص 341	أ - الطبونيمية في ظل نظم المعلومات	118
ص 342	ب - نُظْم المعلومات الجغرافية: (GIS) و (GPS)	119
ص 343	ج - أثر نظم المواقع الجغرافية في توجيه نظم المعلومات الطبونيمية (GIS).	120
ص 344	ثانياً - ثورة المعلومات والعملة	121
ص 346	1 - أثر الواقعية في مواجهة تحديات العملة	122
ص 346	أ - العملة محفز للنهوض الاقتصادي	123
ص 347	ب - دور المؤسسات البحثية في مواجهة تحديات العملة	124
ص 348	ج - البعد التفاعلي بين المؤسسات البحثية والمؤسسات الأخرى	125

ص 348	2 - الوسائط ورسم الخرائط	126
ص 349	أ - الخرائط الإلكترونية لدعم نظم المعلومات الجغرافية GIS	127
ص 350	ب - الخرائط الإلكترونية لنظم تحديد المواقع العالمية GPS	128
ص 351	ج - البرامج الإلكترونية و نظم المعلومات اللغوية/الجغرافية	129
ص 353	الخاتمة	130
ص 356	قائمة المصادر والمراجع	131
ص 375	فهرس الآيات	132
ص 377	فهرس الآيات الشعرية (الفصيحة)	133
ص 379	فهرس الأشعار (الملحون)	134
ص 381	فهرس الموضوعات	135